



جامع

نوادير وأساطير وأمثال العرب

طرائف وأخبار ونوادير وقصص مختارة من كتب التراث العربي
ودواوين الشعر والموسوعات الأدبية



إعداد

خالد عبد الله الكرمي

مستورات بحوث ودراسات
دار الكتب العلمية
بيروت
لبنان

جَامِعُ

نَوَادِرُ وَأَسَاطِيرُ وَإِمْتِنَالِ الْعَرَبِ

طرائف وأخبار ونوادير وقصص مختارة من كتب التراث العربي
ودواوين الشعر والموسوعات الأدبية

إعداد

خالد عبد الله الكرمي

مستورات محمد رحيم بنون
دار الكتب العلمية
بيروت
لبنان

مستخرجات من مكتبة بيروت



دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright

All rights reserved

Tous droits réservés ©

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة
لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو
مجزئاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً

Exclusive rights by ©

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated,
reproduced, distributed in any form or by any means,
or stored in a data base or retrieval system, without the
prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beyrouth - Liban

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction
même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite
sans autorisation préalable signé par l'éditeur est illicite
et exposerait le contrevenant à des poursuites
judiciaires.

الطبعة الأولى

٢٠٠٥ م - ١٤٢٦ هـ

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

رمل الطريف شارع البحتري - بناية ملكارت

الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية

هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠ / ١١ / ١٢ / ١٣ (+٩٦١ ٥)

صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Beirut - Lebanon

Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor

Head office

Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Beyrouth - Liban

Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage

Administration général

Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

B.P.: 11-9424 Beyrouth - Liban

جائع

فؤاد زرفا وبساطة و أمثال العرب

ISBN 2-7451-4210-0



9 782745 142108

<http://www.al-ilmiyah.com/>

email: sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

إذا أردنا أن نكون فكرةً ما عن أي مجتمع من حيث عاداته وتقاليده وقيمه الإنسانية والاجتماعية والثقافية، وحتى الاقتصادية منها، فلا بدّ من الاطلاع على آدابه وفنونه وثقافته الشعبية وأمثاله وشعره وقصصه المأثورة وطرائفه ونوادره وحكمه.

فالأثر الأدبي والقصة والحكمة والطرفة، هي أقدر الأساليب على تنمية الفضائل الإنسانية في النفوس، وتمثيل الأخلاق وتصوير العادات والتقاليد، ورسم خلجات النفوس، كما أنها إذا شُرّف غرضها، ونُبّل مقصدها، وكُرِّمت غايتها، تهذّب الطباع، وترقق القلوب، وتدفع الناس إلى الاقتداء بالمثل العليا، من الإيمان والواجب والحق والتضحية، والكرم والشرف والإيثار.

وتذخر مكتبتنا التراثية العربية والإسلامية بكمّ من الروائع والنفائس والطرائف واللطائف والقصص والأمثال والحكم وغير ذلك، موزعة ومنتشرة في عشرات، بل مئات الكتب والمجلدات الضخمة.

هذا كتاب «جامع نوادر وأساطير وأمثال العرب» جمعنا فيه ما انتبذ وما شرد، وألفنا ما تنافر وافترق، وجعلناه أقساماً، وقسمناه أبواباً، جمعنا كلّ قصة إلى مثلها، وضممنا كل طرفة إلى شبهها.

وقد حصرنا مادة هذا الكتاب في المأثور التراثي العربي بهدف إلقاء نظرة على الخلفية الثقافية والمفهومية لمُختلف جوانب المجتمع العربي القديم، وفي سبيل هذه الغاية حرصنا على أخذ مادة الكتاب من كتب التراث المعتمدة والمصادر الموثوقة.

وهذا لا يعني أن كل قول أو قصّة أو طرفة مذكورة، إنما هي موثوقة من حيث حدوثها، وحصولها، ولكن قيمتها تنبع من كونها مأخوذة من صلب التراث وليس من حواشيه أو إضافاته فكثير مما تطالعنا به كتب التراث موضوع أو مختلفٌ أو منسوب نسبة غير حقيقية، غير أن هذا الأمر لا ينفي عنه قيمته الثقافية والاجتماعية من حيث دلالاته على مفاهيم عامة سائدة أو مقبولة في المناخ الثقافي العام.

فنحن عندما نقرأ مثلاً قولاً منسوباً للإمام علي بن أبي طالب في المرأة، وهو: «المرأة شرٌّ كلها، وشرُّ ما فيها أنه لا بدّ منها». قد نشكك في صحة نسبة هذا القول استناداً إلى ما نعرفه عن الإمام علي من علو همة ومن انسجام كامل مع أعماق المفاهيم الإسلامية. غير أنّ هذا التشكيك لا ينفي عن هذا القول بحدّ ذاته قيمته الدلالية، لأنه أخذ به من قبل الكثيرين وروى بأشكال متقاربة المعنى منسوبة إلى غير قائل، وبالتالي فإنه عبّر عن مفهوم مقبول ومعمول به في المناخ الثقافي السائد عبر مراحل تاريخية طويلة، ومن هنا فإن القيمة التوثيقية للقول تتراجع لتتقدم عليها القيمة الدلالية التاريخية.

وبعد، فقد اعتمدنا في مادة هذا الكتاب على مصادر أساسية في التراث العربي، مثل: «الأغاني لأبي الفرج» الأصبهاني، و«العقد الفريد» لابن عبد ربه، و«أدب الدنيا والدين» للماوردي، و«المستطرف» للأبشيهي، و«الكشكول» لبهاء الدين العاملي، و«الصدّاقة والصدّيق» لأبي حيان التوحّيدي، و«الأذكياء، وأخبار الحمقى والمغفلين، وذم الهوى، وأخبار النساء، وأخبار الظراف والمتماجنين» لابن الجوزي، و«مناظرة بين الربيع والخريف»، و«البخلاء» و«البيان والتبيين»، وكتاب «الحيوان»، للجاحظ،

و«مناظرة بين السيف والقلم» لابن نباتة المصري، ومحاورة بين الليل والنهار لابن منظور، و«طوق الحمامة» لابن حزم، و«نثر الدر» للآبي، و«عيون الأخبار» لابن قتيبة، و«يتيمة الدهر» للثعالبي، و«معجم الأدباء» لياقوت الحموي، و«أسواق العرب» لسعيد الأفغاني، و«الأصنام» لابن الكلبي، و«أمالي أبي علي القالي»، و«البداية والنهاية» لابن كثير، و«بلوغ الأرب» للألوسي، و«تاريخ الطبري». و«خزانة الأدب» للبغدادى، و«السيرة النبوية» لابن هشام، و«سيرة عمر بن عبد العزيز» لابن عبد الحكم، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، و«الفرج بعد الشدة» للتنوخي، و«الكامل في التاريخ» لابن الأثير الجزري، و«مجمع الأمثال» للميداني، و«نفع الطيب» للمقري التلمساني، و«الوزراء والكتاب» للجهمياري.

وغير ذلك من كتب التراث ودواوين الشعر وكتب الأمثال والنوادر والطرائف .

وقد وضعنا الكتاب في أربعة أبواب، وهي :

١ - الباب الأول: النوادر والطرائف . .

٢ - الباب الثاني: الجن والغيلان والشياطين عند العرب .

٣ - الباب الثالث: أساطير العرب .

٤ - الباب الرابع: أمثال العرب .

وأخيراً نرجو أن يكون عملنا هذا خالصاً لوجهه تعالى، والله الكمال وحده، وهو ولي التوفيق .

النوادر والطرائف

[المهدي والأعرابي]

خَرَجَ الْمَهْدِيُّ يَتَصَيَّدُ، فَعَارَ بِهِ فَرَسُهُ حَتَّى وَقَعَ فِي حِבَاءِ أَعْرَابِيٍّ. فَقَالَ: يَا أَعْرَابِيُّ، هَلْ مِنْ قَرَى؟ فَأَخْرَجَ لَهُ قُرْصَ شَعِيرٍ فَأَكَلَهُ. ثُمَّ أَخْرَجَ لَهُ فَضْلَهُ مِنْ لَبَنٍ فَسَقَاهُ، ثُمَّ أَنَاهُ بِنَبِيذٍ فِي رَكْوَةٍ فَسَقَاهُ. فَلَمَّا شَرِبَ قَالَ: أَتَدْرِي مَنْ أَنَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: أَنَا مَنْ خَدَمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْخَاصَّةِ. قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي مَوْضِعِكَ، ثُمَّ سَقَاهُ مَرَّةً أُخْرَى فَشَرِبَ. فَقَالَ: يَا أَعْرَابِيُّ، أَتَدْرِي مَنْ أَنَا؟ قَالَ: زَعَمْتَ أَنَّكَ مِنْ خَدَمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْخَاصَّةِ. قَالَ: لَا، أَنَا مِنْ قُودِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: رَحَبَتْ بِلَادُكَ، وَطَابَ مَرَادُكَ، ثُمَّ سَقَاهُ الثَّلَاثَةَ. فَلَمَّا فَرَعَّ، قَالَ: يَا أَعْرَابِيُّ، أَتَدْرِي مَنْ أَنَا؟ قَالَ: زَعَمْتَ أَنَّكَ مِنْ قُودِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ.

فَأَخَذَ الْأَعْرَابِيُّ الرَّكْوَةَ فَالْقَاهَا جَانِبًا وَقَالَ: إِلَيْكَ عَنِّي، فَوَاللَّهِ لَوْ شَرِبْتَ الرَّابِعَةَ لَادَّعَيْتَ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ. فَضَحِكَ الْمَهْدِيُّ حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَحَاطَتْ بِهِ الْخَيْلُ، وَنَزَلَتْ إِلَيْهِ الْمُلُوكُ وَالْأَشْرَافُ، فَطَارَ قَلْبُ الْأَعْرَابِيِّ. فَقَالَ لَهُ الْمَهْدِيُّ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ وَلَا خَوْفَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِكِسْوَةٍ وَمَالٍ جَزِيلٍ.

* * *

وخرج الحجاج مُتصَيِّدًا بِالْمَدِينَةِ فَوَقَفَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَزْعُمُ إِبْلًا، فَقَالَ لَهُ: يَا أَعْرَابِيُّ، كَيْفَ رَأَيْتَ سِيرَةَ أَمِيرِكُمْ الْحَجَّاجِ؟ قَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ: غَشُومٌ

ظَلَمُوا لَأَحْيَاءِ اللَّهِ. فَقَالَ: فَلِمَ لَا شَكَوْتُمُوهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الْمَلِكِ؟
قَالَ: فَأَظْلَمُ وَأَغْشَمُ.

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَحَاطَتْ بِهِ الْخَيْلُ، فَأَوْمَأَ الْحَجَّاجُ إِلَى الْأَعْرَابِيِّ،
فَأَخَذَ وَحْمِلَ، فَلَمَّا صَارَ مَعَهُمْ، قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا لَهُ: الْحَجَّاجُ، فَحَرَكَ
دَابَّتَهُ حَتَّى صَارَ بِالْقُرْبِ مِنْهُ، ثُمَّ نَادَاهُ: يَا حَجَّاجُ، قَالَ: مَاذَا تُرِيدُ يَا أَعْرَابِيُّ؟
قَالَ: السَّرُّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَحَبُّ أَنْ يَكُونَ مَكْتُومًا. فَضَحِكَ الْحَجَّاجُ، وَأَمَرَ
بِتَخْلِيَةِ سَبِيلِهِ.

* * *

[أعرابي موظف مختلس]

وَعَيْنَ أَحَدِ الْوَلَاةِ أَعْرَابِيًّا عَلَى عَمَلٍ لَهُ، فَاخْتَلَسَ مَبْلَغًا كَبِيرًا مِنَ الْمَالِ
فَعَزَلَهُ الْوَالِي وَبَعَثَ فِي طَلَبِهِ. فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ: يَا عَدُوَّ اللَّهِ، أَكَلْتَ مَالَ
اللَّهِ. قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: فَأَيُّ مَالٍ أَكَلْتُ إِذَا لَمْ أَكُلْ مَالَ اللَّهِ؟ لَقَدْ رَاوَدْتُ إِبْلِيسَ أَنْ
يُعْطِيَنِي فَلَسَا وَاحِدًا فَمَا فَعَلَ. فَضَحِكَ مِنْهُ الْوَالِي وَخَلَّى سَبِيلَهُ.

[نذرت دجاجة سمينة]

وَدَخَلَ أَحَدُ الْوَلَاةِ إِلَى خَيْمَةِ أَعْرَابِيَّةٍ، وَلَهَا دَجَاجَةٌ سَمِينَةٌ، فَذَبَحَتْهَا
وَجَاءَتْ بِهَا إِلَيْهِ. فَقَالَتْ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، هَذِهِ دَجَاجَةٌ لِي، كُنْتُ أَعْنَى بِهَا عِنَايَةً
فَائِقَةً، وَأَعْلِفُهَا مِنْ قُوْتِي، وَالْمَسُهَا طَوَالَ اللَّيْلِ فَكَأَنَّمَا أَلْمَسُ بِنْتِي. فَنَذَرْتُ لِلَّهِ
أَنْ أَدْفِنَهَا فِي أَكْرَمِ بُقْعَةٍ تَكُونُ، فَلَمْ أَجِدْ تِلْكَ الْبُقْعَةَ الْمُبَارَكَةَ إِلَّا بَطْنَكَ،
فَارْذْتُ أَنْ أَدْفِنَهَا فِيهِ. فَضَحِكَ الْوَالِي وَأَمَرَ لَهَا بِخَمْسِمِائَةِ دِرْهَمٍ.

[دعاء أعرابي لأمه]

وَسَمِعَ أَعْرَابِيٌّ يَطُوفُ حَوْلَ الْكَعْبَةِ وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَأُمِّي، فَقِيلَ لَهُ:
مَا لَكَ لَا تَذْكُرُ أَبَاكَ؟ قَالَ: أَبِي رَجُلٌ يَحْتَالُ لِنَفْسِهِ، وَأَمَّا أُمِّي فَبَائِسَةٌ ضَعِيفَةٌ.

[هاؤم اقرؤوا كتابيه]

وَجِيءَ بِأَعْرَابِيٍّ إِلَى السُّلْطَانِ وَمَعَهُ كِتَابٌ قَدْ كَتَبَ فِيهِ قِصَّتَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: هَاؤُمْ أَقْرَؤُوا كِتَابِيَهُ. فَقِيلَ لَهُ: يُقَالُ هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَ: هَذَا وَاللَّهِ شَرٌّ مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُؤْتَى بِحَسَنَاتِي وَسَيِّئَاتِي، وَأَنْتُمْ جِئْتُمْ بِسَيِّئَاتِي وَتَرَكْتُمْ حَسَنَاتِي.

* * *

[إن وجد فراشا فليل]

أَرَادَ أَعْرَابِيٌّ أَنْ يَشْتَرِيَ غُلَامًا، فَسَأَلَ الْبَائِعَ عَمَّا إِذَا كَانَ فِيهِ مِنْ عَيْبٍ. فَقَالَ الْبَائِعُ: لَا عَيْبَ فِيهِ إِلَّا أَنَّهُ يَبُولُ فِي الْفِرَاشِ. فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: هَذَا لَيْسَ بِعَيْبٍ، إِنْ وَجَدَ فِرَاشًا فَلْيَبُلْ فِيهِ.

[٧٠٠ جلدة لكثرة الشكر]

وَأَخَذَ الْحَجَّاجُ أَعْرَابِيًّا لِيُصَابَ بِالْمَدِينَةِ فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ فَكَانَ كَلَّمَا قَرَعَهُ بِسَوْطٍ، قَالَ: يَا رَبِّ شُكْرًا، حَتَّى ضَرَبَهُ سَبْعِمِائَةَ سَوْطٍ. فَلَقِيَهُ أَحَدُ الظُّرَفَاءِ، فَقَالَ لَهُ: أَتَدْرِي لِمَ ضَرَبَكَ الْحَجَّاجُ سَبْعِمِائَةَ سَوْطٍ؟ قَالَ: لِمَاذَا؟ قَالَ: لِكَثْرَةِ شُكْرِكَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] قَالَ: وَهَذَا فِي الْقُرْآنِ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ:

يَا رَبِّ لَا شُكْرَ فَلَا تَزِدْنِي أَسْأْتُ فِي شُكْرِي فَاعْفُ عَنِّي
بَاعِدْ ثَوَابَ الشَّاكِرِينَ مِنِّي

[أعرابي لا يجاهد]

قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ: مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَغْزُو؟ قَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لِأُبْغِضُ الْمَوْتَ عَلَى فِرَاشِي فَكَيْفَ أَمْضِي إِلَيْهِ رَكْضًا؟

خَرَجَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى الْحَجِّ مَعَ أَصْحَابٍ لَهُ، فَلَمَّا كَانَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ رَاجِعًا

يُرِيدُ أَهْلَهُ لَقِيَهُ ابْنُ عَمِّ لَهُ، فَسَأَلَهُ عَنْ أَهْلِهِ وَمَنْزِلِهِ، فَقَالَ: اَعْلَمَ أَنَّكَ لَمَّا خَرَجْتَ وَكَانَتْ لَكَ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ وَقَعَ فِي بَيْتِكَ الْحَرِيقُ. فَرَفَعَ الْأَعْرَابِيُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا يَا رَبُّ! تَأْمُرُنَا بِعِمَارَةِ بَيْتِكَ وَتُخْرِبُ أَنْتَ بَيْوتَنَا.

وخرَجَتْ أَعْرَابِيَّةٌ إِلَى الْحَجِّ، فَلَمَّا كَانَتْ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، عَطِبَتْ رَأْسَهَا، فَزَعَتُ يَدَيْهَا إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالَتْ: يَا رَبُّ، أَخْرَجْتَنِي مِنْ بَيْتِي إِلَى بَيْتِكَ، فَلَا بَيْتِي وَلَا بَيْتَكَ.

اضْطَحَبَ شَيْخٌ وَحَدَّثَ فِي سَفَرٍ. وَكَانَ لَهُمَا قُرْصٌ يَأْكُلَانِهِ مَعًا فِي كُلِّ يَوْمٍ. وَكَانَ الشَّيْخُ مُتَخَلِّعَ الْأَضْرَاسِ بِطِيءِ الْأَكْلِ. وَكَانَ الْحَدَّثُ يَنْطِشُ بِالْقُرْصِ، ثُمَّ يَجْلِسُ يَشْتَكِي الْعِشْقَ، وَيَتَضَوَّرُ الشَّيْخُ جُوعًا، وَكَانَ الْحَدَّثُ يُسَمِّي جَعْفَرًا، فَقَالَ الشَّيْخُ:

لَقَدْ رَأَيْتَنِي مِنْ جَعْفَرٍ أَنْ جَعْفَرًا بَطِيشٌ بِقُرْصِي ثُمَّ يَبْكِي عَلَى جُمْلٍ
فَقُلْتُ لَهُ لَوْ مَسَكَ الْحُبُّ لَمْ تَبْتَ بَطِينًا وَنَسَاكَ الْهَوَى شِدَّةَ الْأَكْلِ

* * *

[شرب الخمر لضعف السند]

اجْتَمَعَ نَضْرَانِيٌّ مَعَ أَحَدِ رِجَالِ الْحَدِيثِ فِي سَفِينَةٍ. فَصَبَّ النَّضْرَانِيُّ خَمْرًا مِنْ زِقِّ كَانَ مَعَهُ وَشَرِبَ، ثُمَّ صَبَّ وَنَاوَلَ الْمُحَدَّثَ، فَأَخَذَهَا دُونَ تَفْكِيرٍ وَلَا مَبَالَاةٍ. فَقَالَ النَّضْرَانِيُّ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، إِنَّمَا هِيَ خَمْرٌ. قَالَ: مِنْ أَيْنَ عَلِمْتَ أَنَّهَا خَمْرٌ؟ قَالَ: اشْتَرَاهَا غُلَامِي مِنْ يَهُودِيٍّ، وَحَلَفَ أَنَّهَا خَمْرٌ. فَشَرِبَهَا الْمُحَدَّثُ عَلَى عَجَلٍ، وَقَالَ لِلنَّضْرَانِيِّ: يَا أَحْمَقُ، نَحْنُ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ نَضَعُفُ مِثْلَ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَيَزِيدُ بْنُ هَارُونَ. أَفْتَصَدَّقُ نَضْرَانِيًّا عَنْ غُلَامِهِ عَنْ يَهُودِيٍّ! وَاللَّهِ مَا شَرِبْتُهَا إِلَّا لِضَعْفِ الْإِسْنَادِ!

[السكران وبول الكلب]

وَحِكِي أَنْ سَكْرَانَ اسْتَلْقَى عَلَى الطَّرِيقِ، فَجَاءَ كَلْبٌ فَلَحَسَ شَفْتَيْهِ،

فَقَالَ: خَدَمَكَ بَنُوكَ وَلَا عَدِمُوكَ، فَبَالَ عَلَى وَجْهِهِ، فَقَالَ: وَمَاءَ حَارًّا أَيْضًا!
بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ.

[أعرابي يقوم الليل]

وحضِرَ أَعْرَابِيٌّ مَجْلِسَ قَوْمٍ فَتَدَاكَّرُوا قِيَامَ اللَّيْلِ؛ فَقِيلَ لَهُ: أَتَقُومُ اللَّيْلَ؟
فَقَالَ: نَعَمْ. قَالُوا: مَا تَصْنَعُ؟ قَالَ: أَبُوْلُ وَأَزْجَعُ أَنَامُ.

[رمى الصرة وخرج]

وسَرَقَ أَعْرَابِيٌّ صُرَّةً فِيهَا دَرَاهِمٌ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ يُصَلِّي، وَكَانَ اسْمُهُ
«مُوسَى» فَقَرَأَ الْإِمَامُ ﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينِكَ يَمْوَسَى﴾ ﴿١٧﴾ [طه: ١٧]؟ فَقَالَ
الْأَعْرَابِيُّ: وَاللَّهِ إِنَّكَ لَسَاحِرٌ! ثُمَّ رَمَى الصُّرَّةَ وَخَرَجَ.

[هروب الأعرابي من الإمام]

وَصَلَّى أَعْرَابِيٌّ خَلْفَ إِمَامٍ، فَقَرَأَ الْإِمَامُ: ﴿أَلَمْ تَهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿١٦﴾
[المرسلات: ١٦] وَكَانَ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ، فَتَأَخَّرَ إِلَى الصَّفِّ الْآخِرِ. فَقَرَأَ ﴿ثُمَّ
نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ ﴿١٧﴾ [المرسلات: ١٧] فَتَأَخَّرَ، فَقَرَأَ: ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾
[المرسلات: ١٨]، وَكَانَ اسْمُ الْبَدَوِيِّ «مُجْرِمًا» فَتَرَكَ الصَّلَاةَ وَخَرَجَ هَارِبًا وَهُوَ
يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا الْمَطْلُوبُ غَيْرِي! فَوَجَدَهُ بَعْضُ الْأَعْرَابِ، فَقَالَ لَهُ: مَا لَكَ يَا
مُجْرِمٌ؟ فَقَالَ: إِنَّ الْإِمَامَ أَهْلَكَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَأَرَادَ أَنْ يُهْلِكَنِي فِي
الْجُمْلَةِ، وَاللَّهِ لَا رَأْيَتُهُ بَعْدَ الْيَوْمِ.

* * *

[حيلة مسخ لإكرام الملك]

وَكَانَ لِسَابُورَ مَلِكِ فَارِسَ نَدِيمٌ مُضْحِكٌ يُسَمَّى «مَرَزَوَانَ» فَظَهَرَ لَهُ مِنْ
الْمَلِكِ جَفْوَةٌ. فَلَمَّا زَادَ ذَلِكَ عَلَيْهِ، تَعَلَّمَ نُبَاحَ الْكَلَابِ، وَعَوَاءَ الدُّنَابِ، وَنَهِيْقَ
الْحَمِيرِ، وَصَهِيلَ الْخَيْلِ، وَصَوْتِ الْبِعَالِ. ثُمَّ اخْتَالَ حَتَّى دَخَلَ مَوْضِعًا بِقُرْبِ
خَلْوَةِ الْمَلِكِ، وَأَخْفَى أَمْرَهُ.

فلما خلا المَلِكُ بِنَفْسِهِ نَبَحَ نُبَاحَ الْكِلَابِ، فلم يَشْكُ المَلِكُ في أَنه كَلْبٌ، فقال: انظروا ما هَذَا؟ فَعَوَى عُوَاءَ الذَّنَابِ، فنزل المَلِكُ عَن سَرِيرِهِ، فَتَهَقَّ نَهيقَ الحَمِيرِ؛ فَمَضَى المَلِكُ هَارِبًا، وأخذَ العِلْمَانُ يَبْحَثُونَ عَن مصدرِ الصَّوتِ. فلما افترَبُوا منه صَهَلَ صَهيلَ الحَيْلِ، فأقتَحَمُوا عليه موضِعَهُ وأخرَجوه عُزَيَانًا. فلما وصلوا به إلى المَلِكِ ورأى أَنه «مَرزَوَانٌ» ضحك ضحكًا شديدًا، وقال له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ مَسخَنِي كَلْبًا وذئبًا وحِمَارًا وفرَسًا لما غَضِبَ عليَّ المَلِكُ. فأمرَ المَلِكُ أن يُخلَعَ عليه، وأن يُردَّ إلى مَرْتَبَتِهِ الأولى.

[ما فيكم من يعرف أباه]

وروي أن عَجُوزًا مِنَ الأعرابِ جَلَسَتْ في طَرِيقِ مَكَّةَ إلى فُتَيانٍ يَشْرَبُونَ نَبِيذًا فسَقَوْها قَدْحًا، فَطَابَتْ نَفْسُها فَتَبَسَّمتْ، فسَقَوْها قَدْحًا آخَرَ فاحمَرَّ وَجْهُها وضَحِكَتْ، فسَقَوْها ثالِثًا، فقالت: خَبُرُونِي عَن نِسائِكُمْ بالعِراقِ، أيشْرَبُونَ النَّبِيذَ؟ قالوا: نَعَم. قالت: زَيْنَ وَرَبِّ الكَعْبَةِ! وَاللَّهِ لئن صَدَقْتُمْ ما فيكُمْ مَن يَعْرِفُ أباهُ!

وصلَّى أعرابيٌّ خَلْفَ إمامٍ، فقرا: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ [الأعراف: ٥٩]، ثمَّ وقَفَ وجعلَ يُرَدِّدُها. فقال الأعرابيُّ: أُرْسِلْ غيرَهُ - يَزْحَمُكَ اللهُ - وأرْحنا وأرْح نَفْسَكَ.

وصلَّى آخَرُ خَلْفَ إمامٍ فقرا: ﴿فَلَنَ أَنْبَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ [يوسف: ٨٠] ووقفَ وجعلَ يُرَدِّدُها. فقال الأعرابيُّ: يا فقيه، إذا لم يَأْذُنْ لَكَ أبوك في هذا اللَّيْلِ نَظَلْ وُقُوفًا إلى الصَّبَاحِ! ثمَّ تَرَكَه وانصَرَفَ.

[ضطره أجرة وصفه طب]

وخرَجَ الرَّشيدُ وفي صُحْبَتِهِ الفضلُ بنُ يَحْيَى، فإِذَا هو بِشَيْخٍ مِنَ الأعرابِ على حِمَارٍ، وكانَ مُصابًا بِرَمَدٍ في عَيْنَيْهِ. فقال له الفضلُ: هَلْ أَذُلكَ على دِواءٍ لِعَيْنَيْكَ؟ قال: ما أَحْوجَني إلى ذلك. قال: خُذْ عَيْدانَ الهِواءِ وغَبَارَ

الماء فصَيَّرَهُ فِي قِشْرِ بَيْضِ الدُّرِّ وَاکْتَحَلَ بِهِ يَنْفَعَكَ . فَانْحَى الشَّيْخُ وَضَرَطَ
ضَرْطَةً قَوِيَّةً، وَقَالَ: خُذْ هَذِهِ فِي لِحْيَتِكَ أُجْرَةٌ وَصَفِكَ، وَإِنْ زِدْتَ زِدْنَاكَ .
فَضَحِكَ الرَّشِيدُ حَتَّى اسْتَلْقَى عَلَى ظَهْرِ ذَاتِهِ، وَخَجَلَ الْفُضْلُ بْنُ يَحْيَى .

* * *

[عند الشدة يكون الفرج]

وَمِنْ غَرِيبِ الاتِّفَاقِ مَا حُكِيَ مِنْ أَنَّ رَجُلًا سَافَرَ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى مَكَّةَ،
وَخَلَعَ مَلَاسِيَهُ لِيُغْتَسِلَ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، وَكَانَ مَعَهُ حِلْيَةٌ ذَهَبِيَّةٌ فَلَبَسَ ثِيَابَهُ
وَنَسِيَهَا، وَمَضَى إِلَى بَغْدَادَ . وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ مِنْ ثَرَوَتِهِ سِوَى شَيْءٍ يَسِيرٍ، فَاشْتَرَى
بِهِ زُجَاجًا وَحَمَلَهُ لِيُتَاجَرَ فِيهِ . فَبَيْنَمَا هُوَ سَائِرٌ إِذْ سَقَطَ الزُّجَاجُ مِنْ فَوْقِ رَأْسِهِ
فَتَكَسَّرَ جَمِيعُهُ فَوْقَ يَبْكِي . فَاجْتَمَعَ النَّاسُ حَوْلَهُ يَتَأَلَّمُونَ لِمَا أَصَابَهُ . وَقَالَ مَنْ
جُمَلَةٌ كَلَامِهِ: وَاللَّهِ لَقَدْ ذَهَبَتْ مِنِّي حِلْيَةٌ ذَهَبِيَّةٌ مِنْذُ سَنِينَ عِنْدَ بَثْرِ زَمْزَمَ زَنْتَهَا
خَمْسُونَ مِثْقَالًا فَمَا حَزِنْتُ لِفَقْدِهَا كَمَا حَزِنْتُ عَلَى تَكْسِيرِ هَذَا الزُّجَاجِ، وَذَلِكَ
لِأَنَّهُ جَمِيعُ مَا أَمْلِكُهُ . فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْوَاقِفِينَ: فَأَنَا لَقِيتُ هَذِهِ الْحِلْيَةَ،
وَأَخْرَجَهَا وَدَفَعَهَا إِلَيْهِ، فَتَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ غَرِيبِ هَذَا الاتِّفَاقِ .

وَدَخَلَ بَعْضُهُمُ الْحَمَّامَ فَوَجَدَ رَجُلًا مَكْشُوفَ الْعَوْرَةِ، فَعَمَّصَ عَيْنَيْهِ .
فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: مُنْذُ كَمْ عَمِيتَ أَيُّهَا الشَّيْخُ؟ فَقَالَ لَهُ: مُنْذُ هَتَكَ اللَّهُ سِتْرَكَ .

وَسُئِلَ بَعْضُهُمْ وَكَانَ لَهُ ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ: أَيُّهُمْ أَثْقَلُ عَلَى قَلْبِكَ؟ قَالَ: مَا
فِيهِمْ أَثْقَلُ مِنَ الصَّغِيرِ بَعْدَ الْكَبِيرِ إِلَّا الْأَوْسَطُ .

[أعمى كصندوق فارغ]

وَدَعَا بَعْضُهُمْ صَرِيرًا إِلَى دَارِهِ، فَلَمَّا رَفَعَ الطَّعَامَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ . وَأَخْضَرَ
الْفَاكِهَةَ وَالْحَلْوَى وَغَسَلَا أَيْدِيَهُمَا، أَرَادَ الضَّرِيرُ الْأَنْصِرَافَ . فَقَالَ لَهُ صَاحِبُ
الدَّارِ: اقْرَأْ لَنَا شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ . قَالَ: وَاللَّهِ مَا حَفِظْتُ مِنَ الْقُرْآنِ غَيْرَ الْفَاتِحَةِ
وَرُبَّمَا غَلِطْتُ فِيهَا . قَالَ: أَسْمِعْنَا شَيْئًا مِنَ الْحَدِيثِ . قَالَ: مَا حَفِظْتُ مِنْهُ

شَيْئًا. قَالَ: فَلَعَلَّكَ تُسْمِعُنَا بَعْضَ أَشْعَارِ الْعَرَبِ. قَالَ: لَمْ أَرَوْ مِنْ الشُّعْرِ بَيْنَنَا. قَالَ الرَّجُلُ: عَجَبًا، هُمْ يَقُولُونَ إِنَّ الْعُمَيَّانِ صِنَادِيقُ الْعِلْمِ، قَالَ الْأَعْمَى: مَا هَذَا مِنَ الْعَجَبِ، أَمَا رَأَيْتَ صُنْدُوقًا فَارِغًا؟.

* * *

[الديك والكلب وانتقاض وضوء الثعلب]

قِيلَ: تَرَافَقَ دَيْكٌ وَكَلْبٌ فِي الطَّرِيقِ، فَأَمْسَى عَلَيْهِمُ اللَّيْلُ، فَأَقْبَلَا عَلَى شَجْرَةٍ، فَطَلَعَ الدَّيْكَ فَنَامَ فِي أَعْلَى الشَّجْرَةِ، وَرَفَدَ الْكَلْبُ فِي أَصْلِهَا. فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ السَّحْرِ صَفَّقَ الدَّيْكَ بِجَنَاحَيْهِ وَصَاحَ عَلَى عَادَتِهِ. فَسَمِعَهُ ثُعْلَبٌ هُنَاكَ فَأَقْبَلَ سَرِيعًا. فَرَأَى الدَّيْكَ فَوْقَ الشَّجْرَةِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ وَقَالَ: انزِلْ حَتَّى نُصَلِّيَ جَمَاعَةً، قَالَ: نَعَمْ، وَلَكِنِّي أَحِبُّ أَنْ تُنَبِّئَ الْإِمَامَ. فَقَالَ الثُّعْلَبُ: وَآيْنَ الْإِمَامُ؟ قَالَ: تَرَاهُ نَائِمًا خَلْفَ الشَّجْرَةِ، فَنظَرَ وَإِذَا بِكَلْبٍ نَائِمٍ كَالْأَسَدِ، فَوَلَّى الثُّعْلَبُ هَارِبًا. فَقَالَ لَهُ الدَّيْكَ: تَعَالَ حَتَّى تُصَلِّيَ جَمَاعَةً. فَقَالَ: انْتَقِضَ وَضُوءِي، فَانْتَظِرْ حَتَّى أُجِدُّهُ وَأُحْضِرَ.

[سقاية اللبن بالمبولة]

وقيل: وقف رجل على باب دار بالكوفة، فاستسقى الماء، فخرجت إليه جارية بكوز فيه لبن، فشرّب ثم قال: أليس يقال عن أهل الكوفة إنهم بخلاء؟ فقالت الجارية: إنه كان وقع فيه ورعة؛ فرمى الرجل الكوز فكسره، فقالت الجارية: يا رجل، أنت مجنون تكسر مبولة ستي؟

وحكي أنّ بعض الفقراء وقف على باب نخوي فقرعه، فقال النخوي: من بالباب؟ فقال: سائل، فقال: ينصرف، فقال: اسمي أحمد، فقال النخوي لعلامة: أعط سيّونه كسرة.

وكتب أحد الظرفاء إلى القاضي: ماذا يقول القاضي - أيده الله - في رجل سمى ولده مداما، وكناه أبا الندامي، وسمى بنته الراخ، وكناها أم

الأفراح، وسمي عبده الشراب، وكناه أبا الإطراب، وسمي وليدته القهوة، وكناها أم النشوة، أيتهى عن حماقته، أم يؤدب على خلاعته؟

فأجاب القاضي: لو نعت هذا لأبي حنيفة لأفعله خليفة، وعقد له راية، وقاتل تحتها من خلف راية. ولو علمنا مكانه لمبلنا أركانه. فإن أتبع هذه الأسماء أفعالاً، وهذه الكنى استعمالاً، علمنا أنه أخياً دولة المجون فبايعناه وشايغناه، وإن تكن أسماء سماها ما له بها من سلطان خلغنا طاعته، وفرقتنا جماعته، فنحن إلى إمام فعال أخوج منا إلى إمام قوال.

وكان أحد الشبان ينفق وقته في معاناة الأدب، والتمرن على نظم الشعر. وكان أبوه حذاداً فقيراً فلامه وقال له: يا ولدي، نحن فقراء ولا طاقة لنا بالزيت الذي نضيعه في السهر. فاتفق أن هذا الشاب نظم قصيدة ومدح بها أحد الملوك فأعطاه ثلاثمائة دينار، فجاء إلى أبيه وهو جالس في حائوته، مكب على صنعته فوضعها في جبره، وقال: خذ هذه وابتع بها زيتاً.

* * *

[دواء للسمنة]

قيل: كان أحد الملوك مفرطاً في السمن لا يستطيع أن يتحرك من مكانه. فجمع الأطباء وطلب منهم أن يصفوا له دواء لإزالة السمنة، فعجزوا عن ذلك. وذات يوم جاءه رجل عاقل فعرض عليه الملك أن يعالجه. فقال: أضلح الله الملك، أنا طبيب منجم، دعني حتى أنظر الليلة في طالعك لأرى أي دواء يوافقك.

فلما كان الصباح، قال: أيها الملك، إني أطلب الأمان. فأمنه، فقال: رأيت طالعك يدل على أنه لم يبق من عمرك غير شهر واحد، فإن اخترت عالجتك وإن أردت بيان ذلك فاخسني عندك، فإن كان لقولي حقيقة فحل عني، وإلا فعاقبني.

فحبسه الملك، ثم أمر برفع الملاهي وانقطع عن مقابلة الناس، وخلا

وَحَدَهُ مُعْتَمًا . وَكُلَّمَا انْسَلَخَ يَوْمٌ ازْدَادَ هَمًّا وَغَمًّا حَتَّى هَزَلَ وَخَفَّ لَحْمُهُ
وَزَالَتْ سُمْنَتُهُ . وَفِي نِهَآيَةِ الشَّهْرِ بَعَثَ إِلَى الْمُنْجَمِ فَأَخْرَجَهُ مِنَ السِّجْنِ ، وَقَالَ
لَهُ : مَاذَا تَرَى الْآنَ؟ فَقَالَ : أَعَزَّ اللَّهُ الْمَلِكُ ، أَنَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَنْ أَعْلَمَ
الْغَيْبَ . وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَعْلَمُ مِقْدَارَ عُمْرِي ، فَكَيْفَ أَعْلَمُ مِقْدَارَ عُمْرِكَ؟ وَلَكِنْ لَمْ
يَكُنْ عِنْدِي دَوَاءٌ إِلَّا الْغَمُّ وَالْهَمُّ وَلَمْ أَعْرِفْ وَسِيلَةَ لِإِذْخَالِ الْحُزْنِ وَالْغَمِّ وَالْهَمِّ
عَلَى نَفْسِ الْمَلِكِ إِلَّا هَذِهِ الْوَسِيلَةَ ، فَلَجَأْتُ إِلَيْهَا ، وَقَدْ نَجَحْتُ ، وَعُوفِيَتْ أَيُّهَا
الْمَلِكُ . فَارْتَاخَ الْمَلِكُ لِمَا سَمِعَ وَأَحْسَنَ جِزَاءَهُ .

وَمِنْ لَطَائِفِ الْمَثُورِ أَنَّ الْوَزِيرَ أَبَا مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيَّ كَانَ فِي أَوَائِلِ أَيَّامِهِ
يُعَانِي الْبُؤْسَ وَالْفَقْرَ وَالْحِزْمَانَ . فَسَافَرَ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى إِحْدَى الْجِهَاتِ ، وَقَدْ
اشْتَهَتْ نَفْسُهُ اللَّحْمَ ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِنَ الْمَالِ مَا يُمَكِّنُهُ مِنْ شِرَائِهِ . فَأَخَذَ
يَقُولُ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ :

أَلَا مَوْتُ يُبَاعُ فَأَشْتَرِيهِ فَهَذَا الْعَيْشُ مَا لَا خَيْرَ فِيهِ
أَلَا مَوْتُ لَذِيذِ الطَّعْمِ يَأْتِي يُخَلِّصُنِي مِنَ الْعَيْشِ الْكَرِيهِ
إِذَا أَبْصَرْتُ قَبْرًا مِنْ بَعِيدٍ وَدَدْتُ لَوْ أَنَّي فِي مَا يَلِيهِ
أَلَا رَحِمَ الْمُهَيِّمِينَ نَفْسَ حُرٍّ تَصَدَّقَ بِالْوَفَاءِ عَلَى أَخِيهِ

[صدقة بـ ٧٠٠ ضعف]

وَكَانَ لَهُ رَفِيقٌ ، فَلَمَّا سَمِعَهُ يَقُولُ هَذَا حَنَّ لَهُ وَعَطَفَ عَلَيْهِ ، وَاشْتَرَى
قَلِيلًا مِنَ اللَّحْمِ وَطَبَخَهُ وَدَعَاهُ إِلَى تَنَاوُلِهِ .

فَلَمَّا وَلِيَ الْوِزَارَةَ ، كَانَ رَفِيقُهُ هَذَا قَدْ ضَاقَتْ بِهِ الْأَحْوَالُ ، فَقَصَدَهُ بِرُقْعَةٍ
جَاءَ فِيهَا :

أَلَا قُلَّ لِلْوَزِيرِ قَدْتَهُ نَفْسِي مَقَالَ مُذَكَّرٍ مَا قَدْ نَسِيهِ
أَتَذَكَّرُ إِذْ تَقُولُ لِضَيْقِ عَيْشٍ أَلَا مَوْتُ يُبَاعُ فَأَشْتَرِيهِ؟
فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهَا تَذَكَّرَ أَيَّامَهُ الْمَاضِيَةَ ، وَهَزَّهُ الْكِرْمُ ، فَأَمَرَ لَهُ بِسَبْعِمِائَةٍ

دزهم وردَّ إليه رُفَعَتُهُ بعدَ أن كَتَبَ تَحْتَ الأَيَّاتِ :

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبًّا﴾ [البقرة: ٢٦١] ثُمَّ خَلَعَ عَلَيْهِ وَأَسْنَدَ إِلَيْهِ عَمَلًا يَزْتَرِقُ مِنْهُ .

* * *

[خفي حنين]

وَدَكَرُوا فِي شَرْحِ الْمَثَلِ السَّائِرِ «رَجَعَ بِخُفِّي حُنَيْنٍ» أَنَّ حُنَيْنَ كَانَ إِسْكَافِيًّا يَسْكُنُ مَدِينَةَ الْحَيْرَةِ . فَذَهَبَ إِلَيْهِ أَعْرَابِيٌّ لِيَشْتَرِيَ مِنْهُ حُفَيْنٍ وَأَخَذَ الْأَعْرَابِيُّ يُسَاوِمُ حُنَيْنَ مُدَّةً طَوِيلَةً وَأَخِيرًا انصَرَفَ دُونَ شِرَاءٍ . فَاعْتَاطَ الْإِسْكَافِيُّ وَصَمَّمَ عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِنَ الْأَعْرَابِيِّ . فَحَمَلَ الْحُفَيْنِ وَسَارَ إِلَى الطَّرِيقِ الَّتِي كَانَ مِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّ الْأَعْرَابِيَّ سَيَسْلُكُهَا فِي انصِرَافِهِ مِنَ الْحَيْرَةِ . فَعَلَّقَ حُفًّا فِي شَجَرَةٍ ثُمَّ مَشَى مَسَافَةً وَأَلْقَى الْخُفَّ الْآخَرَ فِي الطَّرِيقِ ، وَاحْتَبَأَ فِي مَوْضِعٍ بَحِيثٍ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ .

فَجَاءَ الْأَعْرَابِيُّ وَنَظَرَ إِلَى الْخُفِّ الْمُعَلَّقِ فِي الشَّجَرَةِ وَقَالَ : مَا أَشْبَهَهُ بِخُفِّ حُنَيْنٍ ، لَوْ كَانَ مَعَهُ آخَرٌ لَتَكَلَّفْتُ أَخْذَهُ . وَسَارَ فَرَأَى الْخُفَّ الْآخَرَ مَطْرُوحًا فَتَنَزَّلَ وَعَقَلَ بَعِيرَهُ ، وَأَخَذَ الْخُفَّ وَرَجَعَ إِلَى الشَّجَرَةِ لِيَأْخُذَ الْأَوَّلَ . وَحِينَئِذٍ خَرَجَ حُنَيْنٌ مِنْ مَخْبِئِهِ فَأَخَذَ الْبَعِيرَ وَهَرَبَ . وَعَادَ الْأَعْرَابِيُّ فَلَمْ يَجِدْ بَعِيرَهُ ، فَرَجَعَ إِلَى دِيَارِهِ بِخُفِّي حُنَيْنٍ ، فَذَهَبَتْ هَذِهِ الْحَادِثَةُ مَثَلًا .

* * *

كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى أَحَدِ عُمَّالِهِ لِيَجْمَعَ بَيْنَ إِيَّاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ وَالْقَاسِمِ بْنِ رَبِيعَةَ ، ثُمَّ يَخْتَارُ لَوَطِيفَةَ الْقَضَاءِ أَعْلَمَهُمَا بِالشَّرْعِ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمَا الْوَالِيَّ وَكَانَ كُلُّ مِنْهُمَا يُرِيدُ أَنْ يَتَهَرَّبَ مِنْ هَذِهِ الْوَطِيفَةِ . فَقَالَ إِيَّاسُ لِلْوَالِيِّ : سَلْ عَنِّي وَعَنْهُ الْفَقِيهَيْنِ : الْحَسَنَ الْبَصْرِيُّ ، وَابْنَ سِيرِينَ . وَكَانَ أَبُو الْقَاسِمِ يَتَرَدَّدُ عَلَى هَذَيْنِ الْفَقِيهَيْنِ ، فَهَمَا يَعْرِفَانِهِ مَعْرِفَةً جَيِّدَةً فِي حِينِ أَنَّ إِيَّاسَ لَمْ

يَكُنْ لَهُ بِهِمَا أَدْنَى مَعْرِفَةٍ. وَقَدْ أَرَادَ إِيَّاسُ بِهَذِهِ النَّصِيحَةِ أَنْ تَكُونَ النَّتِيجَةُ فِي صَالِحِهِ، فَيُعْفَى مِنَ التَّعْيِينِ، وَيَخْتَصُّ بِهِ أَبُو الْقَاسِمِ.

فَأَذْرَكَ أَبُو الْقَاسِمِ مَا يَهْدِفُ إِلَيْهِ إِيَّاسُ، فَقَالَ: لَا تَسَلْ عَنِّي وَلَا عَنَّهُ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنْ إِيَّاسَ بَنَ مُعَاوِيَةَ أَفْقَهُ مَنِّي وَأَعْلَمَ بِالْقَضَاءِ. فَإِنْ كُنْتُ كَاذِبًا فَلَا يَجُوزُ أَنْ تُؤَلِّيَنِي الْقَضَاءَ وَأَنَا كَاذِبٌ. وَإِنْ كُنْتُ صَادِقًا فَيَتَّبِعُنِي أَنْ تَقْبَلَ قَوْلِي.

فَقَالَ إِيَّاسُ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، إِنَّكَ جِئْتَ بِرَجُلٍ وَقَفْتَ بِهِ عَلَى حَافَةِ جَهَنَّمَ، فَتَجَى نَفْسَهُ بِيَمِينِ كَاذِبَةٍ يَسْتَغْفِرُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهَا، وَيَتَّجُو مِمَّا يَخَافُ. فَقَالَ الْوَالِي: أَمَا إِذْ فَهَمَّتْهَا فَأَنْتَ لَهَا، وَعَيْنُهُ قَاضِيًا.

* * *

وَحِكْيَى أَنْ هَارُونَ الرَّشِيدَ أَرِقَ ذَاتَ لَيْلَةٍ أَرْقًا شَدِيدًا. فَقَالَ لَوَزِيرِهِ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى الْبَزْمَكِيِّ: إِنِّي أَرِقْتُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَضَاقَ صَدْرِي، وَلَا أَعْرِفُ مَاذَا أَصْنَعُ؟ وَكَانَ خَادِمُهُ مَسْرُورٌ وَاقِفًا أَمَامَهُ، فَضَحِكَ. فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ: مَا يُضْحِكُكَ؟ أَسْتِهْزَأُ بِبِي أَمْ اسْتِخْفَافًا؟ فَقَالَ: وَقَرَابَتِكَ مِنْ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ﷺ، مَا فَعَلْتُ ذَلِكَ عَمْدًا، وَلَكِنْ خَرَجْتُ بِالْأَمْسِ أْتَمَشِي بِظَاهِرِ الْقَصْرِ إِلَى أَنْ جِئْتُ إِلَى جَانِبِ دِجْلَةَ، فَوَجَدْتُ النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ، فَوَقَفْتُ فَرَأَيْتُ رَجُلًا وَاقِفًا يُضْحِكُ النَّاسَ يُقَالُ لَهُ «ابْنُ الْمُعَاذِلِيِّ» فَتَذَكَّرْتُ الْآنَ شَيْئًا مِنْ كَلَامِهِ فَضَحِكْتُ، وَالْعَفْوُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ: اثْنَبِي بِهِ السَّاعَةَ، فَخَرَجَ مَسْرُورٌ مُسْرِعًا إِلَى أَنْ جَاءَ إِلَى ابْنِ الْمُعَاذِلِيِّ، فَقَالَ لَهُ: أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ: سَمِعًا وَطَاعَةً. فَقَالَ لَهُ مَسْرُورٌ: عَلَى شَرْطِ أَنَّهُ إِذَا أَنْعَمَ عَلَيْكَ بِشَيْءٍ يَكُونُ لَكَ مِنْهُ الرَّبْعُ وَالْبَقِيَّةُ لِي. فَقَالَ لَهُ: بَلْ اجْعَلْ لِي النُّصْفَ وَلَكَ النُّصْفَ، فَأَبَى، فَقَالَ: الثُّلُثُ وَلَكَ الثُّلَثَانِ، فَأَجَابَهُ مَسْرُورٌ إِلَى ذَلِكَ بَعْدَ جُهْدٍ عَظِيمٍ.

فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ سَلَّمَ فَأُبْلَغَ وَأُحْسِنَ، وَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ. فَقَالَ لَهُ

الرَّشِيدُ: إِنَّ أَنْتَ أَضْحَكْتَنِي أَعْطَيْتَكَ خَمْسَمِائَةَ دِينَارٍ، وَإِنْ لَمْ تُضْحِكْنِي ضَرْبَتَكَ بِهَذَا الْكُرْبَاجِ ثَلَاثَ ضَرْبَاتٍ. فَوَقَفَ ابْنُ الْمُعَاذِلِيِّ، وَأَخَذَ يَتَكَلَّمُ وَيَأْتِي بِأَفْعَالٍ عَجِيبَةٍ وَحَرَكَاتٍ غَرِيبَةٍ تُضْحِكُ الْجُلُمُودَ، فَلَمْ يَضْحَكِ الرَّشِيدُ، وَلَمْ يَبْتَسِمِ، فَتَعَجَّبَ ابْنُ الْمُعَاذِلِيِّ وَضَجَرَ وَخَافَ. فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ: الْآنَ تَسْتَحِقُّ الضَّرْبَ، ثُمَّ ضَرَبَهُ ضَرْبَةً عَنيفَةً، فَصَرَخَ الرَّجُلُ صَرَخَةً هَائِلَةً. وَتَذَكَّرَ الشَّرْطَ الَّذِي شَرَطَهُ عَلَيْهِ مَسْرُورٌ، فَقَالَ: الْعَفْوُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اسْمَعْ مِنِّي كَلِمَتَيْنِ. قَالَ: قُلْ مَا بَدَأَ لَكَ. قَالَ: إِنَّ مَسْرُورًا شَرَطَ عَلَيَّ شَرْطًا، وَاتَّفَقْتُ أَنَا وَإِيَّاهُ عَلَى مَضْلَحَةٍ وَهُوَ أَنْ مَا حَصَلَ لِي مِنَ الصَّدَقَاتِ يَكُونُ لَهُ فِيهِ الثَّلَاثَانِ وَلِي فِيهِ الثَّلَاثُ، وَمَا أَجَابَنِي إِلَى ذَلِكَ إِلَّا بَعْدَ جُهْدٍ عَظِيمٍ. وَقَدْ شَرَطَ عَلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ثَلَاثَ ضَرْبَاتٍ، فَنَصِيبِي مِنْهَا وَاحِدَةٌ، وَنَصِيبُهُ مِنْهَا اثْنَتَانِ، وَقَدْ أَخَذْتُ نَصِيبِي وَبَقِيَ نَصِيبُهُ.

فَضْحِكَ الرَّشِيدُ وَدَعَا مَسْرُورًا فَضَرَبَهُ، فَصَاحَ وَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ وَهَبْتُ لَهُ مَا بَقِيَ، فَضْحِكَ الرَّشِيدُ وَأَمَرَ لَهُمَا بِالْفِ دِينَارٍ، فَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا خَمْسَمِائَةَ.

* * *

وَبَنَى بَعْضُ الْمُعَقَّلِينَ نِصْفَ دَارٍ، وَبَنَى رَجُلٌ آخَرَ النُّصْفَ الثَّانِي. فَقَالَ الْمُعَقَّلُ يَوْمًا: قَدْ عَوَلْتُ عَلَى بَيْعِ النُّصْفِ الَّذِي لِي وَأَشْتَرِي بِهِ النُّصْفَ الْآخَرَ لِتَكْمُلَ لِي الدَّارُ كُلُّهَا.

وَوَقَفَ سَائِلٌ بِقَوْمٍ. فَقَالَ: إِنِّي جَائِعٌ، فَقَالُوا: كَذَبْتَ. فَقَالَ: جَرُّوبِي بِرِطْلَيْنِ مِنَ الْخُبْزِ وَرِطْلَيْنِ مِنَ اللَّحْمِ.

وَوَقَفَ سَائِلٌ عَلَى بَابٍ، فَقَالُوا لَهُ: يَزُرُّكَ اللَّهُ. فَقَالَ: كِسْرَةٌ. قَالُوا: مَا نَقْدِرُ عَلَيْهَا. قَالَ: فَقَلِيلٌ مِنْ بُرٍّ أَوْ فُولٍ أَوْ شَعِيرٍ، قَالُوا: لَا نَقْدِرُ عَلَيْهِ. قَالَ: قِطْعَةً دُهْنٍ أَوْ قَلِيلٍ مِنَ الزَّيْتِ أَوْ اللَّبَنِ. قَالُوا: لَا نَجِدُهُ. قَالَ: فَشَرْبَةَ مَاءٍ. قَالُوا: لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ. قَالَ: فَمَا جُلُوسُكُمْ هَهُنَا، فُومُوا فَاسْأَلُوا، فَأَنْتُمْ أَحَقُّ مِنِّي بِالسُّؤَالِ.

قِيلَ لِمُؤَدِّنٍ: إِنَّ أَدَانِكَ لَا يُسْمَعُ، فَيَا حَبْدًا لَوْ رَفَعْتَ صَوْتَكَ. فَقَالَ:
إِنِّي أَسْمَعُ صَوْتِي مِنْ مَسِيرَةِ مِيلٍ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: رَأَيْتُ مُؤَدِّنًا أَدَنَ ثُمَّ انْطَلَقَ يَجْرِي، فَقِيلَ لَهُ: إِلَى أَيْنَ؟
فَقَالَ أَحَبُّ أَنْ أَسْمَعَ أَدَانِي أَيْنَ بَلَغَ. وَشُوهِدَ مُؤَدِّنٌ يُؤَدِّنُ مِنْ وَرَقَةٍ، فَقِيلَ لَهُ:
أَمَا تَحْفَظُ الْأَذَانَ؟ فَقَالَ: سَلُوا الْقَاضِيَّ. فَأَتَوْهُ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ،
فَأَخْرَجَ دَفْتَرًا وَتَصَفَّحَهُ، وَقَالَ: وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ، فَعَدَّرُوا الْمُؤَدِّنَ.

وَحِكْيَى أَنْ رَجُلًا أَصَابَهُ الْفَقْرُ، فَزَوَّرَ كِتَابًا مِنْ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ
الْفُرَاتِ وَزِيرِ الْخَلِيفَةِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ الْعَبَّاسِيِّ إِلَى الْوَالِي مِصْرَ، يَتَضَمَّنُ الْمُبَالَغَةَ
فِي الْوَصَايَا، وَزِيَادَةَ الْإِكْرَامِ وَعَمَلَ الْمَصَالِحِ. فَلَمَّا دَخَلَ مِصْرَ وَاجْتَمَعَ بِالْوَالِي
وَدَفَعَ إِلَيْهِ الْخِطَابَ، ارْتَابَ الْوَالِي فِي أَمْرِهِ لِتَغْيِيرِ لَفْظِ الْخِطَابِ عَمَّا جَرَتْ بِهِ
الْعَادَةُ. فَرَاعَاهُ مُرَاعَاةً قَرِيبَةً، وَوَصَلَهُ صِلَةً قَلِيلَةً، وَحَبَسَهُ عِنْدَهُ عَلَى وَعْدٍ وَعَدَهُ
بِهِ. ثُمَّ كَتَبَ إِلَى ابْنِ الْفُرَاتِ يَذْكُرُ الْكِتَابَ الَّذِي وَرَدَ عَلَيْهِ وَأَنْفَذَهُ بِعَيْنِهِ.

فَلَمَّا وَقَفَ ابْنُ الْفُرَاتِ عَلَى الْكِتَابِ عَرَفَ الرَّجُلَ، وَذَكَرَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ
الْحُرْمَةِ، وَمَا لَهُ مِنَ الْحُقُوقِ الْقَدِيمَةِ عَلَيْهِ، فَعَرَضَهُ عَلَى كُتَّابِهِ وَعَرَفَهُمْ حَقِيقَةَ
المَوْضُوعِ وَأَبْدَى أَمَامَهُمْ دَهْشَتَهُ مِمَّا حَدَّثَ، وَسَأَلَهُمْ رَأْيَهُمْ فِيمَا يَجِبُ أَنْ
يَتَّخِذَهُ مَعَ مِثْلِ هَذَا الرَّجُلِ.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَجِبُ أَنْ يُؤَدَّبَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَجِبُ قَطْعُ إِبْهَامِهِ.
وَقَالَ أَجْمَلُهُمْ مَخْضَرًا: يُكْشَفُ لِلْوَالِي عَنْ أَمْرِهِ، وَيُطَلَّبُ مِنْهُ أَنْ يَطْرُدَهُ شَرًّا
طَرْدَةً.

فَقَالَ ابْنُ الْفُرَاتِ: مَا أَبْعَدَكُمْ مِنَ الْخَيْرِ! رَجُلٌ تَوَسَّلَ بِنَا وَحَمَلَ مَشَقَّةَ
السَّفَرِ إِلَى مِصْرَ، وَأَمَّلَ الْخَيْرَ بِجَاهِنَا وَالْإِنْتِسَابَ إِلَيْنَا، يَكُونُ حَالُهُ عِنْدَ
أَحْسَنِكُمْ نَظْرًا تَكْذِيبَ ظَنِّهِ، وَتَخْيِيبَ سَعْيِهِ! وَاللَّهِ لَا كَانَ هَذَا أَبَدًا. ثُمَّ أَخَذَ
الْقَلَمَ وَوَقَعَ عَلَى الْكِتَابِ الْمَزُورِ: هَذَا كِتَابِي وَلَسْتُ أَعْلَمُ لِمَ أَنْكَرْتَ أَمْرَهُ،
وَاعْتَرَضْتُكَ فِيهِ شُبُهَةً، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ يَخْدِمُنَا نَعْرِفُهُ، وَهَذَا رَجُلٌ خَدَمَنِي فِيمَا

مضى، فأحسِن إليه وأكرمه غاية الإكرام.

وبعد مدة طويلة، دخل رجل على ابن الفرات وأخذ يقبل يديه، ويدعو له، ويثني عليه ويثني. فقال له ابن الفرات: مَنْ أَنْتَ بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ؟ قَالَ: صَاحِبُ الْكِتَابِ الْمُرَوَّرِ إِلَى أَمِيرِ مِصْرَ الَّذِي صَحَّحَهُ كَرَمُ الْوَزِيرِ بِفَضْلِهِ. فَضَحِكَ ابْنُ الْفَرَاتِ، وَقَالَ لَهُ: كَمْ وَصَلَ إِلَيْكَ مِنْهُ؟ قَالَ: أَعْطَانِي عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ. فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى صَلَاحِ حَالِكَ. ثُمَّ اخْتَبَرَهُ فَوَجَدَهُ كَاتِبًا سَدِيدًا، فَعَيَّنَهُ فِي إِحْدَى الْوِظَائِفِ.

* * *

وَقَعَ نَحْوِي فِي كَنِيْفٍ فَجَاءَ كَنَاسٌ لِيُخْرِجَهُ فَصَاحَ بِهِ الْكَنَاسُ لِيَعْلَمَ أَهْوَى حَيِّ أُمِّ لَأ؟ فَقَالَ لَهُ النَّحْوِيُّ: أَطْلُبُ لِي حَبْلًا دَقِيقًا، وَشُدْنِي شَدًّا وَثِيْقًا، وَاجْذِبْنِي جَذْبًا رَقِيقًا. فَقَالَ لَهُ الْكَنَاسُ: امْرَأَتِي طَالِقٌ إِنْ أَخْرَجْتِكَ، وَتَرَكَهُ وَانصَرَفَ.

وَقَالَ الْجَاحِظُ: مَرَزْتُ بِمُعَلِّمٍ صَبِيَانٍ وَعِنْدَهُ عَصَا طَوِيلَةٌ، وَعَصَا قَصِيرَةٌ، وَصَوْلَجَانٌ، وَكُرَّةٌ وَطَبْلٌ وَبُوقٌ. فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ؟ قَالَ: عِنْدِي صِغَارٌ أَوْبَاشٌ، فَأَقُولُ لِأَحَدِهِمْ: اقْرَأْ لَوْحَكَ، فَيُصَفِّرُ لِي بِفِيهِ، فَأُضْرِبُهُ بِالْعَصَا الْقَصِيرَةِ، فَيَتَأَخَّرُ فَأُضْرِبُهُ بِالْعَصَا الطَّوِيلَةِ، فَيَقْرُءُ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، فَأَضَعُ الْكُرَّةَ فِي الصَّوْلَجَانِ، وَأُضْرِبُهُ فَأَبْطَحُهُ، فَيَقُومُ إِلَيَّ الصَّغَارُ كُلُّهُمْ بِالْأَلْوَاحِ، فَأَجْعَلُ الطَّبْلَ فِي عُنُقِي، وَالبُوقَ فِي فَمِي، وَأُضْرِبُ الطَّبْلَ وَأَنْفُخُ فِي البُوقِ، فَإِذَا سَمِعَ أَهْلُ الدَّرْبِ ذَلِكَ أَسْرَعُوا إِلَيَّ وَخَلَّصُونِي.

وَقَالَ الْجَاحِظُ أَيضًا: مَرَزْتُ عَلَى خَرِبَةٍ فَإِذَا بِهَا مُعَلِّمٌ وَهُوَ يَنْبُحُ نُبَاحَ الْكِلَابِ، فَوَقَفْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَإِذَا بِصَبِيٍّ قَدْ خَرَجَ مِنْ دَارٍ فَقَبِضَ عَلَيْهِ الْمُعَلِّمُ، وَجَعَلَ يَلْطِمُهُ وَيَسْبُهُ، فَقُلْتُ: عَرَّفْنِي خَبْرَهُ. فَقَالَ: هَذَا صَبِيٌّ لَيْسَ يَكْرَهُ التَّعْلِيمَ وَيَهْرُبُ وَيَدْخُلُ الدَّارَ وَلَا يَخْرُجُ، وَلَهُ كَلْبٌ يَلْعَبُ بِهِ، فَإِذَا سَمِعَ صَوْتِي ظَنَّ أَنَّهُ صَوْتُ الْكَلْبِ فَيَخْرُجُ فَأَمْسِكُهُ.

وقال بعضهم: رأيتُ معلماً وهو يُصلي العَصْرَ، فلما رَكَعَ أَدْخَلَ رَأْسَهُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ وَنَظَرَ إِلَى الصَّغَارِ وَهُمْ يَلْعَبُونَ، وقال: يَا أَبْنَ البَقَالِ، قَدْ رَأَيْتُ الَّذِي عَمِلْتَ وَسَوْفَ أَكْفَيْتُكَ إِذَا فَرَعْتُ مِنَ الصَّلَاةِ.

وقال الجاحِظُ: أَلَفْتُ كِتَابًا فِي نَوَادِرِ الْمُعَلِّمِينَ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّعَقُّلِ. ثُمَّ رَجَعْتُ عَنْ ذَلِكَ وَعَزَمْتُ عَلَى تَقْطِيعِ ذَلِكَ الْكِتَابِ، فَدَخَلْتُ يَوْمًا مَدِينَةَ فَوَجَدْتُ فِيهَا مُعَلِّمًا فِي هَيْئَةٍ حَسَنَةٍ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيَّ أَحْسَنَ رَدٍّ، وَرَحَّبَ بِي، فَجَلَسْتُ عِنْدَهُ وَبَاحَثْتُهُ فِي الْقُرْآنِ فَإِذَا هُوَ مَاهِرٌ فِيهِ، ثُمَّ فَاتَحْتُهُ فِي الْفِقْهِ وَالنَّحْوِ وَعِلْمِ الْمَعْقُولِ وَأَشْعَارِ الْعَرَبِ، فَإِذَا هُوَ كَامِلُ الْأَدَابِ. فَقُلْتُ: هَذَا وَاللَّهِ مِمَّا يُقَوِّي عَزْمِي عَلَى تَقْطِيعِ الْكِتَابِ.

قال: فَكُنْتُ أُخْتَلِفُ إِلَيْهِ وَأُزَوِّرُهُ. فَجِئْتُ يَوْمًا لِزِيَارَتِهِ فَإِذَا بِالْكِتَابِ مُغْلَقٌ وَلَمْ أَجِدْهُ. فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقِيلَ: مَاتَ لَهُ مَيِّتٌ فَحَزِنَ عَلَيْهِ وَجَلَسَ فِي بَيْتِهِ لِلْعَزَاءِ. فَذَهَبْتُ إِلَى بَيْتِهِ وَطَرَفْتُ الْبَابَ فَخَرَجَتْ إِلَيَّ جَارِيَةٌ وَقَالَتْ: مَا تُرِيدُ؟ قُلْتُ: سَيِّدِكَ. فَدَخَلْتُ وَخَرَجْتُ، وَقَالَتْ: بِاسْمِ اللَّهِ، فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ وَإِذَا بِهِ جَالِسٌ. فَقُلْتُ: عَظَّمَ اللَّهُ أَجْرَكَ، لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ، كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ، فَعَلَيْكَ بِالصَّبْرِ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: هَذَا الَّذِي تُوفِّي وَلَدُكَ؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: فَوَالِدُكَ؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: فَأَخْوُوكَ؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: فَرَوْجَتُكَ؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: وَمَا هُوَ مِنْكَ؟ قَالَ: حَبِيبِي. فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذِهِ أَوَّلُ الْمَنَاحِسِ، فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، السُّبْحَانُ كَثِيرٌ، وَسَتَجِدُ غَيْرَهَا. فَقَالَ: أَتَظُنُّ أَنِّي رَأَيْتُهَا؟ قُلْتُ: وَهَذِهِ مَنَحَسَةٌ ثَانِيَةٌ. ثُمَّ قُلْتُ: وَكَيْفَ عَشِقْتَ مَنْ لَمْ تَرَ؟ فَقَالَ: أَعَلِمْتُ أَنِّي كُنْتُ جَالِسًا فِي هَذَا الْمَكَانِ وَأَنَا أَنْظَرُ مِنَ الطَّاقِ، فَرَأَيْتُ رَجُلًا عَلَيْهِ بُرْدٌ وَهُوَ يَقُولُ:

يَا أُمَّ عَمْرٍو جَزَاكِ اللَّهُ مَكْرَمَةً رُدِّي عَلَيَّ فُوَادِي أَيْنَمَا كَانَا

لَا تَأْخُذِينَ فُوَادِي تَلْعَبِينَ بِهِ فَكَيْفَ يُلْعَبُ بِالْإِنْسَانِ إِنْسَانَا

فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَوْلَا أَنْ أُمَّ عَمْرٍو هَذِهِ مَا فِي الدُّنْيَا أَحْسَنُ مِنْهَا مَا قِيلَ

فِيهَا هَذَا الشُّعْر، فَعَشِيقْتُهَا. فَلَمَّا كَانَ مُنْذُ يَوْمَيْنِ مَرَّ ذَلِكَ الرَّجُلُ بِعَيْنَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ:

لَقَدْ ذَهَبَ الْجِمَارُ بِأَمِّ عَمِيرٍ فَلَا رَجَعْتَ وَلَا رَجَعَ الْجِمَارُ
فَعَلِمْتُ أَنَّهَا مَاتَتْ، فَحَزَنْتُ وَأَغْلَقْتُ الْمَكْتَبَ وَجَلَسْتُ فِي الدَّارِ.
فَقُلْتُ: يَا هَذَا، إِنِّي كُنْتُ أَلْفْتُ كِتَابًا فِي نَوَادِرِكُمْ مَعَشَرَ الْمُعَلِّمِينَ وَكُنْتُ حِينَ
صَاحِبَتِكَ عَزَمْتُ عَلَى تَقْطِيعِهِ، وَالآنَ قَدْ قَوَّيْتُ عَزْمِي عَلَى إِبْقَائِهِ، وَأَوَّلُ مَا
أُبْدَأُ بِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

المزاح والظرف (*)

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَثِيرَ الْإِنْتِرِ وَالْفَوْحِشِ إِلَّا اللَّمَمُ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ
الْمَعْفِرِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْشَأَ آجَنَةً فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا
تُرْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّفَقَ ﴿٣٢﴾﴾ [النجم: ٣٢].

وَكَانَ رَجُلٌ يُجَالِسُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيُحَدِّثُهُمْ، فَإِذَا أَكْثَرُوا
وَتَقَلَّ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ، قَالَ: إِنَّ الْأَذْنَ مَجْجَاجَةٌ، وَإِنَّ الْقُلُوبَ حَمِضَةٌ، هَاتُوا مِنْ
أَشْعَارِكُمْ وَحَدِيثِكُمْ.

وَقَالَ أَبُو الدُّدْزَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنِّي لَأَسْتَجِمُ نَفْسِي بِشَيْءٍ مِنَ الْبَاطِلِ
كَرَاهَةً أَنْ أَحْمِلَهَا مِنَ الْحَقِّ مَا يُمْلَأُهَا.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْزَحُ وَلَا يَقُولُ إِلَّا حَقًّا. فَمِنْ مَزْحِهِ أَنَّهُ جَاءَهُ
رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِلْنِي عَلَى جَمَلٍ؛ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:
لَا أَحْمِلُكَ إِلَّا عَلَى وَلَدِ النَّاقَةِ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُطِيقُنِي، فَقَالَ لَهُ
النَّاسُ: وَيَحْكُ! وَهَلِ الْجَمَلُ إِلَّا وَلَدُ النَّاقَةِ!

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَامْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَلْحَقِي زَوْجَكَ فِي عَيْنَيْهِ

(*) المستطرف ٢/ ٢٦٣، أخبار الظرفاء والمتماجنين لابن الجوزي.

بياض، فسعت إلى زوجها مزعوبة، فقال لها: ما دهاك؟ قالت: إن النبي ﷺ قال لي: إن في عينك بياضاً، فقال: نعم والله وسواداً.

وأنته أيضاً عجوز أنصارية، فقالت: يا رسول الله، اذع الله لي أن يدخلني الجنة، فقال لها: يا أم فلان، إن الجنة لا يدخلها عجوز، فولت المرأة تبكي، فبسم رسول الله ﷺ وقال لها: أما قرأت قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنشَاءً﴾ ﴿١٥﴾ ﴿فَجَعَلْنَهُمْ أَجْنَارًا﴾ ﴿١٦﴾ ﴿عُرْيًا أُنْرَابًا﴾ ﴿١٧﴾ [الواقعة: ٣٥ - ٣٧].

وقالت عائشة رضي الله عنها: سأبت رسول الله ﷺ فسبته، فلما كبر لحمي سابته فسبني، فضرب بكتفي، وقال: هذه بتلك. وعنها أيضاً؛ قالت: كان رسول الله ﷺ يدخل وأنا ألعب مع صويحباتي ولا يعيب علي. وسئل أحدهم: هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون؟ قال: نعم، والإيمان في قلوبهم مثل الجبال الرواسي.

* * *

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لإحدى الجوارى: خلقتي خالق الخير، وخلقك خالق الشر، فبكت الجارية، فقال عمر: لا بأس عليك فإن الله خالق الخير والشر.

ووصف رجل عند أحد الحكماء بأنه جد كفه، فقال الحكيم: أعان على نفسه وقصر لها طول المدى ولو فكها بالانتقال من حال إلى حال، لنفس عنها ضيق العقيد، ورجع إلى الجد بنشاط. وقال حكيم: لا بأس بالمزاح ما لم يكن سفاهاً.

وقيل إن يحيى بن زكريا لقي عيسى عليه السلام، فقال: ما لي أراك لاهياً كأنك آمن؟! فقال له عيسى: ما لي أراك عابساً كأنك آيس؟! فقالاً: لا تبرح حتى ينزل علينا الوحي. فأوحى الله إليهما: إن أحبكما إلي أحسنكما ظناً بي. ويروى أن أحبكما إلي أطلق البسام.

وقال هارون الرشيد: التوادير تشخذ الأذهان وتفتق الآذان.

وقال آخر: لا يُحبُّ المُلحَ إلا ذُكرانُ الرِّجالِ، ولا يكرهها إلا مؤنَّثوهم.

وقال حكيم: النفسُ تملُّ من ملاممةِ الجدِّ وترتاحُ إلى المباحِ مِنَ اللُّهُو.

وقال أحدُ الشعراءِ:

أزوح القلبَ ببعضِ الهزلِ تجاهلاً مني بغيرِ جهلِ
أمزح فيه مزحِ أهلِ الفضلِ والمزحُ أحياناً جلاءُ العقلِ
وقال آخر:

إن الصديقَ يريدُ بسطكَ مازحاً فإذا رأى منك الملالَ يقصُرُ
وترى العدوَّ إذا تيقنَ أنه يؤذيكَ بالمزحِ العنيفِ يكثرُ

* * *

وكانَ نُعيْمانُ الصَّحابيُّ من أولعِ النَّاسِ بالمُزاحِ والضحكِ. قيلَ إنَّه يَدْخُلُ الجَنَّةَ وهو يَضْحَكُ. فَمِنْ مُزاحِهِ أَنَّهُ مَرَّ يَوْماً بِمَخْرَمَةَ بْنِ نُوْفَلِ الزُّهْرِيِّ وهو ضَرِيرٌ، فَقَالَ لَهُ: قُدْنِي حَتَّى أَبُولَ، فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ حَتَّى آتَى بِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَأَجْلَسَهُ فِي مُؤَخَّرِهِ، فَصَاحَ بِهِ النَّاسُ: إِنَّكَ فِي الْمَسْجِدِ. فَقَالَ: مَنْ قَادِنِي؟ قَالُوا: نُعَيْمانُ. قَالَ: لِلَّهِ عَلَيَّ نَذْرٌ أَنْ أَضْرِبَهُ بِعَصَايَ هَذِهِ إِنْ وَجَدْتُهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ نُعَيْمانَ، فَجَاءَ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: يَا أبا الْمُتَوَرِّ، هَلْ لَكَ فِي نُعَيْمانَ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ قَالَ: هَا هُوَ قائِمٌ يُصَلِّي، وَأَخَذَ بِيَدِهِ، وَجَاءَ بِهِ إِلَى عُثْمانَ بْنِ عَفَّانَ وهو يُصَلِّي، وَقَالَ: هَذَا نُعَيْمانُ، فَعَلَاةٌ بِعَصَاهُ، فَصَاحَ النَّاسُ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ: مَنْ قَادِنِي؟ قَالُوا: نُعَيْمانُ. فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا تَعَرَّضْتُ لَهُ بِسوءِ بَعْدِهَا.

وقالَ أحدُهُم: كانَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ يَقْصُ عَلَيْنَا حَتَّى يُبَكِّينَا، وَرُبَّمَا لَا يَقُومُ حَتَّى يُضْحِكَنَا. وكانَ رَجُلٌ يُسَمَّى تاجَ الوَعْظِ يَعْظُ النَّاسَ وَيَقْصُ عَلَيْهِمُ مِنَ الْقِصَصِ ما يُبَكِّيهِمُ، ثُمَّ لَا يَتْرُكُهُمْ حَتَّى يُفَرِّجَ عَنْهُمْ الهمومَ وَيُضْحِكَهُمُ.

فَمِنْ لَطَائِفِهِ: أَنَّهُ حُكِيَ يَوْمًا بَعْدَ أَنْ فَرَعَ مِنَ الْوَعْظِ؛ قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَتَكَلَّمُونَ فِي التَّضْحِيفِ وَكُنْتُ لَا أَعْرِفُهُ، فَفَكَّرْتُ فِي أَنْ أَتَعَلَّمَهُ، فَدَخَلْتُ سُوقَ الْكُتُبِ وَأَشْتَرَيْتُ كِتَابًا فِي التَّضْحِيفِ: فَأَوَّلُ مَا تَصَفَّحْتُهُ وَجَدْتُ فِيهِ «سِكْبَاج» تَضْحِيفُهُ «بِكُ تَاج» فَوَمِنْتُ الْكِتَابَ مِنْ يَدِي وَحَلَفْتُ أَنْ لَا أُشْتَغَلَ بِهِ أَبَدًا. فَضَحِكَ النَّاسُ حَتَّى غَشِيَ عَلَيْهِمْ.

* * *

وَدَخَلَ أَحَدُهُمْ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَوَجَدَهُ يَتَأَوَّهُ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْ أَذْخَلْتُ عَلَيْكَ مَنْ يُؤْنِسُكَ بِأَحَادِيثِ الْعَرَبِ وَيُبَاسِطُكَ اسْتَرَحْتَ. فَقَالَ: لَسْتُ بِصَاحِبِ لَهْوٍ. فَقَالَ: مَا الَّذِي تَشْكُوهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: هَاجَ بِي عِرْقُ النَّسَا فِي لَيْلَتِي هَذِهِ فَبَلَغَ مِنِّي مَا تَرَى. فَقَالَ: إِنْ رَجُلًا اسْمُهُ بُدَيْحٌ قَدْ عَالَجَ أَنَا سَا كَثِيرِينَ مِنْ هَذَا الْمَرَضِ عَنْ طَرِيقِ رُقِيَّةٍ خَاصَّةٍ يَتْلُوهَا عَلَى مَوَاضِعِ الْأَلَمِ. فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ اثْنُونِي بِهِ. فَلَمَّا مَثَلَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ: يَا بُدَيْحُ عَالِجُ لِي رَجُلِي، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا وَجَعَلَ يَقُولُ مَا لَا يُسْمَعُ. فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: قَدْ وَجَدْتُ رَاحَةً بِهَذِهِ الرُّقِيَّةِ، أَيْنَ فُلَانَةٌ؟ اثْنُونِي بِهَا لِتَكْتُبَهَا لِي لِأَنَّ يَهِيحَ بِي الْوَجَعُ بِاللَّيْلِ. فَقَالَ بُدَيْحٌ: الطَّلَاقُ يَلْزُمُنِي مَا أَكْتُبُهَا إِلَّا بِتَعْجِيلِ جَائِزَتِي، فَأَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، الطَّلَاقُ يَلْزُمُنِي مَا أَكْتُبُهَا حَتَّى تُحْمَلَ جَائِزَتِي إِلَى بَيْتِي، قَالَ: تُحْمَلُ، فَحَمَلْتُ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، الطَّلَاقُ يَلْزُمُنِي مَا رَقَيْتُ رِجْلَكَ إِلَّا مَبَاسِطَةً بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

أَلَا إِنَّ لَيْلَى الْعَامِرِيَّةَ أَصْبَحَتْ عَلَى الْبُعْدِ مِنِّي ذَنْبَ غَيْرِي تَنْقُمُ

فَقَالَ: وَيَلِّكَ! مَاذَا تَقُولُ؟ فَقَالَ: الطَّلَاقُ يَلْزُمُنِي مَا رَقَيْتُكَ إِلَّا بِهَا، فَقَالَ: اكْتُمَهَا عَلَيَّ. فَقَالَ: كَيْفَ وَقَدْ سَارَتْ بِهَا الرُّكْبَانُ إِلَى أَحْيِكَ بِمِضْرًا! فَضَحِكَ عَبْدُ الْمَلِكِ ضَحِكًا شَدِيدًا، وَأَعْجَبَهُ هَذَا الْبَسْطُ.

* * *

وَقَالَ الْأَضْمَعِيُّ: مَرَزْتُ بِكَئَاسٍ يَكْنِسُ كَنِيفًا وَهُوَ يُعْنِي وَيَقُولُ:

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَى أَضَاعُوا لِيَوْمِ كَرِيهَةِ وَسِدَادِ تُغْرِ
فَقُلْتُ لَهُ: أَمَا سِدَادُ التُّغْرِ فَلَا عِلْمَ لَنَا كَيْفَ أَنْتَ فِيهِ، وَأَمَا سِدَادُ الْكُنْفِ
فَمَعْلُومٌ. قَالَ الْأَضَمَعِيُّ: وَكُنْتُ حَدِيثَ السَّنِّ فَأَرَدْتُ أَنْ أُغَبَّكَ بِهِ، فَأَعْرَضَ
عَنِّي لِحِظَاتٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ وَأَنْشَدَ:

وَأَكْرِمُ نَفْسِي إِنْسِي إِنْ أَهَنْتُهَا وَحَقَّقَ لَمْ تُكْرَمَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدِي
فَقُلْتُ: وَأَيُّ كِرَامَةٍ حَصَلَتْ لَهَا مِنْكَ، وَمَا يَكُونُ مِنَ الْهَوَانِ أَكْثَرَ مِمَّا
أَهَنْتُهَا بِهِ؟ فَقَالَ: بَلْ لَا وَاللَّهِ؛ مِنَ الْهَوَانِ مَا هُوَ أَكْثَرُ وَأَعْظَمُ مِمَّا أَنَا فِيهِ.

فَقُلْتُ لَهُ: وَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: الْحَاجَةُ إِلَيْكَ وَإِلَى أَمْثَالِكَ.

فَقَالَ: فَانصَرَفْتُ وَأَنَا أَخْزَى النَّاسِ.

* * *

وقيل: كَانَ لِأَبِي حَنِيْفَةَ جَارٍ إِسْكَافٍ بِالْكُوفَةِ يَعْمَلُ نَهَارَهُ أَجْمَعَ. فِإِذَا
أَقْبَلَ اللَّيْلَ رَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ بِلَحْمٍ وَسَمَكٍ، فَيَطْبُخُ اللَّحْمَ وَيَشْوِي السَّمَكَ، فِإِذَا
دَبَّ فِيهِ السُّكْرُ أَنْشَدَ:

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَى أَضَاعُوا لِيَوْمِ كَرِيهَةِ وَسِدَادِ تُغْرِ
وَلَا يَزَالُ يَشْرَبُ وَيُرَدُّدُ الْبَيْتَ إِلَى أَنْ يَغْلِبَهُ السُّكْرُ وَيَنَامَ. وَكَانَ أَبُو حَنِيْفَةَ
يُصَلِّي اللَّيْلَ كُلَّهُ، وَيَسْمَعُ حَدِيثَهُ وَإِنْشَادَهُ فَقَعَدَ صَوْتَهُ بَعْضَ اللَّيَالِي فَسَأَلَ عَنْهُ،
فَقِيلَ أَخَذَهُ الْعَسَسُ مِنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَهُوَ مَخْبُوسٌ.

فَصَلَّى الْإِمَامُ الْفَجْرَ وَرَكِبَ بَعْلَتَهُ وَمَشَى وَاسْتَأْذَنَ عَلَى الْأَمِيرِ، فَقَالَ:
اِذْنُوا لَهُ، وَأَقْبِلُوا بِهِ رَاكِبًا حَتَّى يَطَّأ الْبِسَاطَ. فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى الْأَمِيرِ أَجْلَسَهُ
مَكَانَهُ، وَقَالَ: مَا حَاجَةُ الْإِمَامِ؟ فَقَالَ: لِي جَارٌ إِسْكَافٌ أَخَذَهُ الْعَسَسُ مِنْذُ
ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَتَأْمُرُ بِتَخْلِيَّتِي؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَكُلُّ مَنْ أَخَذَ مِنْذُ تِلْكَ اللَّيْلَةِ إِلَى يَوْمِنَا
هَذَا.

ثُمَّ رَكِبَ الْإِمَامُ وَتَبِعَهُ جَارُهُ الْإِسْكَافُ. فَلَمَّا وَصَلَ دَارَهُ قَالَ لَهُ: أَتَرَانَا

أَضَعْنَاكَ؟ قَالَ: لَأَ، بَلْ حَفِظْتُ وَرَعَيْتَ جِزَاكَ اللَّهُ حَيْرًا. وَحَلَفَ الرَّجُلُ أَلَّا
يَشْرَبَ خَمْرًا بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

* * *

وَكَانَ أَحَدُ الْأَدْبَاءِ قَدْ أُصِيبَ بِجَرَبٍ، فَذَهَنَ جِسْمَهُ بِالْكَبْرِيتِ، فَكَتَبَ
إِلَيْهِ شَاعِرٌ مَعْرُوفٌ بِالظَّرْفِ:

أَيْهَا السَّيِّدُ الْأَدِيبُ دُعَاءٌ مِنْ مُجِبِّ خَالٍ عَنِ التَّنْكِيتِ
أَنْتَ شَيْخٌ وَقَدْ قَرُبْتَ مِنَ النَّارِ فَكَيْفَ ادَّهَنْتَ بِالْكَبْرِيتِ؟!
وَحِكْمِي أَنْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَى رَجُلًا عَمَلًا، فَبَلَّغَهُ أَنَّهُ
قَالَ:

أَسْقِنِي شَرْبَةَ الْأَذَى عَلَيْهَا وَاسْقِ بِاللَّهِ مِثْلَهَا ابْنَ هِشَامٍ
فَأَرْسَلَ عُمَرُ يَسْتَدْعِيهِ، وَعَلِمَ الرَّجُلُ بِالْحَالِ، فَضَمَّ إِلَيْهِ بَيْتًا آخَرَ. فَلَمَّا
قَدِمَ عَلَى عُمَرَ، قَالَ لَهُ: أَلَسْتَ الْقَائِلُ:

أَسْقِنِي شَرْبَةَ الْأَذَى عَلَيْهَا وَاسْقِ بِاللَّهِ مِثْلَهَا ابْنَ هِشَامٍ
قَالَ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ لِهَذَا الْبَيْتِ ثَانِيًا وَهُوَ:

عَسَلًا بَارِدًا بِمَاءِ سَحَابٍ إِنَّنِي لَا أَحِبُّ شُرْبَ الْمُدَامِ
فَقَالَ عُمَرُ: اللَّهُ! اللَّهُ! أَرْجِعْ إِلَى عَمَلِكَ.

قَالَ الْمُتَوَكَّلُ يَوْمًا لِحُجَلَسَائِهِ، أَخَذَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى عُثْمَانَ أَشْيَاءَ مِنْهَا أَنْ
الْإِمَامَ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَبَطَ عَنْ مَقَامِ النَّبِيِّ ﷺ دَرَجَةً مِنْ دَرَجَاتِ
الْمِنْبَرِ. وَلَمَّا قَامَ عُمَرُ هَبَطَ دَرَجَةً دُونَ دَرَجَةِ أَبِي بَكْرٍ. وَصَعِدَ عُثْمَانُ إِلَى ذُرْوَةِ
الْمِنْبَرِ فَقَالَ لَهُ أَحَدُ الْحَاضِرِينَ: مَا أَحَدٌ أَعْظَمَ مَنَّةً عَلَيْكَ مِنْ عُثْمَانَ يَا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: وَكَيْفَ وَبَيْتِكَ! قَالَ: لِأَنَّهُ صَعِدَ ذُرْوَةَ الْمِنْبَرِ، وَلَوْ أَنَّهُ
كُلَّمَا قَامَ خَلِيفَةً نَزَلَ دَرَجَةً وَنَزَلَ عُثْمَانُ كَمَنْ تَقَدَّمَهُ كُنْتَ أَنْتَ تَخْطُبُنَا مِنْ بَيْتِهِ.
فَضَحِكَ الْمُتَوَكَّلُ وَمَنْ حَوْلَهُ.

وَاخْتَصَمَتْ بَنُو طُفَاوَةَ وَبَنُو رَاسِبٍ فِي رَجُلٍ ادَّعَى الْفَرِيقَانِ أَنَّهُ مِنْهُمُ .
فَدَهَبُوا يُحَكِّمُونَ أَحَدَ الطَّرْفَاءِ . فَقَالَ لَهُمْ : يُلْقَى فِي الْبَحْرِ فَإِنْ طَفَا فَهُوَ مِنْ
طُفَاوَةَ ، وَإِنْ رَسَبَ فَهُوَ مِنْ رَاسِبٍ . فَقَالَ الرَّجُلُ : إِنْ كَانَ الْحُكْمُ هَكَذَا فَقَدْ
زَهَدْتُ فِي الطَّائِفَتَيْنِ .

وَلَمَّا مَاتَ الْمَهْدِيُّ اجْتَمَعَ النَّاسُ فِي مَسْجِدِ بَعْدَادَ ، فَقَامَ رَجُلٌ فَاعْتَقَدَ
النَّاسُ أَنَّهُ سَيَقْرَأُ عَلَيْهِمْ كِتَابَ النَّعِيِّ ، وَلَكِنَّهُ رَفَعَ صَوْتَهُ قَائِلًا :

مَاتَ الْخَلِيفَةُ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ

فَقَالَ الْحَاضِرُونَ : هَذَا أَشْعَرُ النَّاسِ ، فَإِنَّهُ نَعَى الْخَلِيفَةَ إِلَى الْإِنْسِ وَالْجِنِّ
فِي نِصْفِ بَيْتٍ ، وَمَدُّوا أَبْصَارَهُمْ وَأَسْمَاعَهُمْ إِلَيْهِ ، فَقَالَ :

فَكَأْتَنِي أَفْطَرْتُ فِي رَمَضَانَ

فَضَحِكَ جَمِيعٌ مَنِ فِي الْمَسْجِدِ .

* * *

اختلفَ الرَّشِيدُ وَالْخَيْرَانُ عَلَى الْفَالُوذَجِ وَاللُّوزِينَجِ (١) أَيُّهُمَا أَطِيبُ .
فَحَضَرَ أَحَدَ الْقَضَاةِ فَأَرَادَ الرَّشِيدُ أَنْ يَعْرِفَ رَأْيَهُ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا
يُقْضَى عَلَى غَائِبٍ . فَأَمَرَ الرَّشِيدُ بِإِحْضَارِهِمَا ، فَأَكَلَ الْقَاضِي حَتَّى شَبِعَ ثُمَّ
قَالَ : اضْطَلَحَ الْخَضْمَانِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَضَحِكَ الرَّشِيدُ وَأَمَرَ لَهُ بِالْفِ
دِينَارِ .

وَقَالَ حَكِيمٌ : كَثْرَةُ الْمَزَاحِ تُذْهِبُ الْمُرُوءَةَ . وَكَثْرَةُ الضَّحِكِ تُفْقِدُ الْهَيْبَةَ ،
وَمَنْ لَزِمَ شَيْئًا عَرِفَ بِهِ . وَقَالَ : تَجَنَّبْ سُوءَ الْمَزَاحِ وَنَكَدْ الْهَزْلَ فَإِنَّهُمَا بَابَانِ
إِذَا فُتِحَا لَمْ يُغْلَقَا إِلَّا بَعْدَ عَمٍّ .

وَقَالَ آخَرُ : لِكُلِّ شَيْءٍ بَدْرٌ وَبَدْرُ الْعِدَاوَةِ الْمَزَاحُ . وَقَالَ آخَرُ : الْإِفْرَاطُ

(١) الفالوذج واللوزينج : نوعان من الحلوى .

في المَزَاحِ يُوغِرُ الصُّدُورَ .

وقال أحدُ الشعراءِ :

فإيَّاكَ إيَّاكَ المُزَاحَ فَإِنَّهُ يُجْرِي عَلَيْنِكَ الطُّفْلَ وَالرَّجُلَ التُّذْلًا
ويُذْهِبُ مَاءَ الوَجْهِ بَعْدَ بهائِهِ وَيُورِثُ بَعْدَ العِزِّ صَاحِبَهُ ذُلًا

* * *

ومِمَّا كَانَ يُضْرَبُ بِهِ المَثَلُ فِي مَعْرِضِ المُزَاحِ «مَدَاسُ أَبِي القَاسِمِ» فَقَدْ حُكِيَ أَنَّهُ كَانَ بِبَغْدَادَ شَخْصٌ يُعْرَفُ بِأَبِي القَاسِمِ الطَّنْبُورِي صَاحِبَ نَوَادِرَ وَحِكَايَاتٍ . وَكَانَ لَهُ مَدَاسٌ مَضَتْ عَلَيْهِ أَعْوَامٌ ، وَكُلَّمَا انْقَطَعَ مِنْهُ مَوْضِعٌ جَعَلَ عَلَيْهِ رُفْعَةً إِلَى أَنْ صَارَ فِي غَايَةِ الثَّقَلِ وَصَارَ يُضْرَبُ بِهِ المَثَلُ ، فَيُقَالُ : «أثْقَلُ مِنْ مَدَاسِ أَبِي القَاسِمِ» . فَاتَّفَقَ أَنَّهُ دَخَلَ سُوقَ الرُّجَاجِ فَقَالَ لَهُ سِمَسَارٌ : يَا أَبَا القَاسِمِ ، قَدْ وَصَلَ تَاجِرٌ مِنْ حَلَبٍ وَمَعَهُ جِمْلٌ رُجَاجٍ مُذْهِبٌ قَدْ كَسَدَ فَاثْبَتْهُ مِنْهُ ، وَأَنَا أبيعُهُ لَكَ بَعْدَ مُدَّةٍ بِمَكْسَبِ المِثْلِ مِثْلِينَ . فَاثْبَتْهُ بِسِتِينَ دِينَارًا .

ثُمَّ دَخَلَ سُوقَ العَطَارِينَ فَقَالَ لَهُ سِمَسَارٌ آخَرٌ : قَدْ وَرَدَ تَاجِرٌ مِنْ نَصِيبِينَ بِمَاءٍ وَزِدٍ فِي غَايَةِ الحُسْنِ والرُّخْصِ ؛ فَاثْبَتْهُ مِنْهُ وَأَنَا أبيعُهُ لَكَ بِفَائِدَةٍ كَبِيرَةٍ ؛ فَاثْبَتْهُ بِسِتِينَ دِينَارًا أُخْرَى ، ثُمَّ جَعَلَهُ فِي الرُّجَاجِ المُذْهِبِ ، وَوَضَعَهُ عَلَى رَفِّ فِي صَدْرِ البَيْتِ .

وَفِي أَحَدِ الأَيَّامِ ذَهَبَ إِلَى الحَمَّامِ لَيْلًا . فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْدِقَائِهِ : يَا أَبَا القَاسِمِ ، أَشْتَهِي أَنْ تُغَيِّرَ مَدَاسَكَ فَإِنَّهُ فِي غَايَةِ القُبْحِ ، وَأَنْتَ ذُو مَالٍ . فَقَالَ : السَّمْعُ والطَّاعَةُ . وَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الحَمَّامِ وَلَبَسَ ثِيَابَهُ وَجَدَ إِلَى جَانِبِ مَدَاسِهِ مَدَاسًا جَدِيدًا فَلَبِسَهُ وَمَضَى إِلَى بَيْتِهِ .

وَكَانَ القَاضِي دَخَلَ الحَمَّامَ يَغْتَسِلُ فَقَدَّ مَدَاسَهُ . فَقَالَ : الَّذِي لَبَسَ مَدَاسِي مَا تَرَكَ عَوْضَهُ شَيْئًا؟ فَوَجَدُوا مَدَاسَ أَبِي القَاسِمِ فَإِنَّهُ مَعْرُوفٌ فَكَبَسُوا بَيْتَهُ ، فَلَقُوا مَدَاسَ القَاضِي عِنْدَهُ ، فَأَخَذُوهُ مِنْهُ وَسَاقُوهُ إِلَى الوَالِي فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ وَحَبْسِهِ ، وَفَرَضَ عَلَيْهِ عَرَامَةً .

فلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْحَبْسِ أَخَذَ الْمَدَاسَ وَالْقَاهُ فِي دِجَلَةَ فَعَاصَ فِي الْمَاءِ،
فَرَمَى بَعْضُ الصَّيَّادِينَ شَبَكَةً فَطَلَعَ فِيهَا الْمَدَاسُ. فَقَالَ: هَذَا مَدَاسُ أَبِي
الْقَاسِمِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ سَقَطَ مِنْهُ. فَحَمَلَهُ إِلَى بَيْتِ أَبِي الْقَاسِمِ فَلَمْ يَجِدْهُ فَرَمَاهُ
مِنَ الطَّاقِ إِلَى بَيْتِهِ فَسَقَطَ عَلَى الرَّفِّ الَّذِي عَلَيْهِ الرَّجَاجُ فَتَبَدَّدَ مَاءُ الْوَرْدِ
وَانكَسَرَ الرَّجَاجُ. فَلَمَّا رَأَى أَبُو الْقَاسِمِ ذَلِكَ لَطَمَ وَجْهَهُ وَصَاحَ: وَافْقِرَاهُ،
وَافْقِرِي بِهِذَا الْمَدَاسِ.

ثُمَّ قَامَ يَخْفُرُ لَهُ فِي اللَّيْلِ حُفْرَةً، فَسَمِعَ الْجِيرَانَ صَوْتَ الْحَفْرِ؛ فَظَنُّوا أَنَّهُ
نَثَبَ فَشَكَّوهُ إِلَى الْوَالِي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَنْ اغْتَقَلَهُ. وَقَالَ لَهُ: تَنْقُبُ عَلَى النَّاسِ
حَايِطَهُمْ! اسْجُنُوهُ، وَلَمْ يَخْرُجْ مِنَ السَّجْنِ إِلَّا بَعْدَ دَفْعِ غَرَامَةٍ. ثُمَّ أَخَذَ
الْمَدَاسَ وَرَمَاهُ فِي مُسْتَرَّاحِ الْحَايِ فَسَدَّ قَصَبَةَ الْمُسْتَرَّاحِ وَقَاضَ، فَكَشَفَ الْعَمَالَ
ذَلِكَ حَتَّى وَقَفُّوا عَلَى مَوْضِعِ السَّدِّ، فَوَجَدُوا مَدَاسَ أَبِي الْقَاسِمِ، فَحَمَلُوهُ إِلَى
الْوَالِي وَحَكَّوْا لَهُ مَا وَقَعَ؛ فَقَالَ غَرَمُوهُ جُمْلَةَ التُّنْفَقَاتِ. فَقَالَ: لَنْ أُفَارِقَ هَذَا
الْمَدَاسَ وَعَسَلَهُ وَوَضَعَهُ عَلَى سَطْحِ مَنْزِلِهِ حَتَّى يَجِفَّ.

فَرَأَاهُ كَلَبٌ فَظَنَّهُ رِمَّةً فَحَمَلَهُ وَعَبَّرَ بِهِ إِلَى سَطْحِ آخَرَ، فَسَقَطَ عَلَى امْرَأَةٍ
حَامِلٍ فَازْتَجَعَلَتْ وَأَسْقَطَتْ وَلَدًا ذَكَرًا، فَنَظَرُوا مَا السَّبَبُ، فَإِذَا مَدَاسُ أَبِي
الْقَاسِمِ، فَرَفَعَ الْأَمْرَ إِلَى الْحَاكِمِ فَأَوْجَبَ عَلَيْهِ دَفْعَ تَعْوِيضٍ. وَكَانَتِ النَّيِّبَةُ أَنْ
الْمِسْكِينَ فَقَدْ كَلَّ مَا يَمْلِكُ وَضَاقَتِ الدُّنْيَا فِي وَجْهِهِ، فَحَمَلَ الْمَدَاسَ وَذَهَبَ
بِهِ إِلَى الْقَاضِي. وَالتَّمَسَ مِنْهُ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ شَهَادَةً بِأَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْ هَذَا الْمَدَاسِ
وَمِمَّا قَدْ يَحْدُثُ بِسَبَبِهِ، وَسَلَّمَهُ لِلْقَاضِي لِيَتَصَرَّفَ فِيهِ. فَأَجَابَهُ الْقَاضِي إِلَى
طَلْبِهِ، وَبِذَلِكَ انْتَهَتْ قِصَّةُ هَذَا الْمَدَاسِ.

* * *

وَقَالُوا الظَّرْفُ يَكُونُ فِي صَبَاحَةِ الْوَجْهِ، وَرَشَاقَةِ الْقَدِّ، وَنِظَافَةِ الْجِسْمِ
وَالثُّوبِ وَبِلَاغَةِ اللِّسَانِ، وَعُدُوبَةِ الْمَنْطِقِ، وَطِيبِ الرَّائِحَةِ، وَخِفَّةِ الْحَرَكَةِ،
وَقُوَّةِ الدَّهْنِ، وَمَلَاخَةِ الْفُكَاهَةِ وَالْمُزَاجِ. وَيَكُونُ فِي الْكِرَمِ وَالْجُودِ وَالْعَفْوِ
وَعَبْرَ ذَلِكَ مِنَ الْخِصَالِ اللَّطِيفَةِ.

وكانَ الطَّرْفَ مأخوذاً مِنَ الطَّرْفِ الَّذِي هُوَ الوِعَاءُ . فكأنَّه وِعَاءٌ لِكُلِّ لَطِيفٍ . وقد يُقالُ طَرِيفٌ لِمَنْ حصلَ فِيهِ بَعْضُ هَذِهِ الخِصَالِ .

قالَ بَعْضُهُمْ : إذا كانَ اللُّصُّ طَرِيفاً لَمْ يَفْطَحْ . يُريدُ أَنَّهُ يُدافعُ عَنِ نَفْسِهِ بِبِلاغَتِهِ وَيَحْتَجُّ بِمَا يُسْقِطُ الحَدَّ .

وقالَ حَكِيمٌ : الطَّرْفُ جَوْدَةُ الكَلَامِ وَبِلاغَتُهُ .

وقالَ آخَرُ : الطَّرِيفُ الحَسَنُ الوَجْهِ وَاللِّسَانِ . وقد يُقالُ الطَّرْفُ فِي اللِّبَاسِ وَهُوَ تَخْيِيرُ المُسْتَحْسِنِ اللَّائِقِ بِذَلِكَ اللَّابِيسِ . وقالَ بَعْضُهُمْ : الطَّرْفُ تَرْكُ مَا لَكَ . وأداءُ مَا عَلَيْكَ .

حُكِيَّ أَنَّ رَجُلًا تَقَدَّمَ إِلَى القَاضِي هُوَ وَزَوْجَتُهُ . فقالَ : خَاصَمْتَنِي وَقَالَتْ : أَنَا أَطْرَفُ مِنْكَ ، فقلتُ : إِنْ كُنْتَ أَطْرَفَ مِنِّي فَأَنْتِ طَالِقٌ ثَلَاثًا . فقالَ القَاضِي : الطَّرْفُ صِفَاتٌ تُذَكَّرُ . فليَذْكُرْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا مَا يَرى أَنَّهُ تَفَرَّدَ بِهِ . فقالَ الرَّجُلُ : مُرْها فَلْتَصِفْ نَفْسَها . فقالَتْ : وَاللَّهِ لَا أَعْرِفُ لِنَفْسِي حَالًا أَتَفَرَّدُ بِها تُوجِبُ كَوْنِي مُقَدِّمَةً عَلَى غَيْرِي فِي حُدُودِ الطَّرْفِ .

فقالَ الزَّوْجُ : قد سَبَقْتَنِي بِجَمِيعِ حُدُودِ الطَّرْفِ بِهَذَا القَوْلِ ؛ وَأَرأها قَدْ حَرَمَتْ عَلَيَّ لِكُونِها أَطْرَفَ .

فقالَ القَاضِي : كَذَا عِنْدِي الحُكْمُ .

وَحَكِيَّ بَعْضُهُمْ : دَخَلْنَا جَماعَةً إِلَى المَارِسْتانِ . فرأينا فِيهِ فَتىً مُصابًا فَوَلِعْنَا بِهِ وَأَتَعَبْنَاهُ . فصاحَ : انظروا إِلَى شُعُورِ مُطَرَّرَةٍ وَأجسادِ مُعَطَّرَةٍ ، قد جَعَلُوا الوَلعَ بِضاعَةٍ ، وَالسُّخْفَ صِناعَةً ، وَجانبُوا العِلْمَ رَأْسًا . فقلنا لَهُ : أَتُحْسِنُ العِلْمَ؟ قالَ : إِي وَاللَّهِ ، إِنِّي لِأُحْسِنُ عِلْمًا جَمًّا . قلنا : مِنَ السَّخِي؟ قالَ : الَّذِي رَزَقَ أَمْثالَكُم وَأَنْتُمْ لَا تُساوُونَ قُوَّتَ يَوْمِ . فَضَحِكْنَا مِنْهُ وَقُلْنَا : مَنْ أَقَلَّ النَّاسَ شُكْرًا؟ قالَ : مَنْ عُوْفِيَّ مِنْ بَلِيَّةٍ ، ثُمَّ رَأَها فِي غَيْرِهِ فَتَرَكَ الاغْتِبارَ وَالشُّكْرَ إِلَى الطَّيْبَةِ وَاللَّهُوِ . فقالَ لَهُ قَائِلٌ : ما الطَّرْفُ؟ قالَ : خِلافُ ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ .

قال حكيم: حُمِيَ الرُّوحُ النَّظْرُ إِلَى الثَّقَلَاءِ. دَخَلَ بَعْضُ الثَّقَلَاءِ عِنْدَ أَحَدِ الْعُلَمَاءِ فَقَدَّمَ لَهُمْ طَعَامًا كَثِيرًا فَأَكَلُوهُ وَلَمْ يَشْبَعُوا. فَتَهَضَّ وَأَخْضَرَ لَهُمْ عَلَفَ جِمَارِهِ وَقَالَ لَهُمْ: قَدَّمْتُ لَكُمْ قُوَّتِي وَقُوَّتَ عِيَالِي فَمَا شَبِعْتُمْ، وَلَمْ يَبْقَ عِنْدِي سِوَى قُوَّتِ جِمَارِي فَكَلُّوهُ إِنْ شِئْتُمْ.

وجاء رجلٌ إلى القاضي فقال له: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِينِي فَيَقُولُ: إِنَّكَ قَدْ طَلَقْتَ امْرَأَتَكَ فَيُسْكَكُنِي. فقال القاضي: أَوْلَيْسَ قَدْ طَلَقْتَهَا؟ قَالَ: لَا. قَالَ: أَلَمْ تَأْتِنِي أَمْسَ فَتَطْلُقْهَا عِنْدِي؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا جِئْتُكَ إِلَّا الْيَوْمَ، وَلَا طَلَقْتُهَا بَوَجْهِ مِنَ الْوُجُوهِ. قَالَ الْقَاضِي: فَاحْلِفْ لِلشَّيْطَانِ كَمَا حَلَفْتَ لِي وَأَنْتَ بِخَيْرٍ.

* * *

كَانَ أَحَدُ الْأَدْبَاءِ قَدْ أُعْطِيَ خُفَّهُ إِلَى إِسْكَافٍ لِيُضْلِحَهُ، فَأَهْمَلَهُ الْإِسْكَافُ مُدَّةً طَوِيلَةً، وَكَانَ صَاحِبُهُ يَمُرُّ عَلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ لِيَأْخُذَ خُفَّهُ. فَإِذَا رَأَى الْإِسْكَافُ قَادِمًا مِنْ بَعِيدٍ، أَخَذَ الْخُفَّ وَغَمَسَهُ فِي الْمَاءِ لِيُوَهِّمَ الرَّجُلَ أَنَّهُ يَقُومُ بِإِصْلَاحِهِ. فَقَالَ لَهُ الْأَدِيبُ ذَاتَ يَوْمٍ: إِنِّي أُعْطَيْتُكَ الْخُفَّ لِتُضْلِحَهُ لَا لِتَعْلَمَهُ السَّبَاحَةَ.

وقال أحدُ الوزراءِ: جِئْتُ مِنْ دَارِ السُّلْطَانِ ضَجِرًا مِنْ أَمْرِ عَرَضَ لِي، فَقَالَ لِي رَجُلٌ: مَنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ. فَقُلْتُ: مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ. فَقَالَ: رَدَّ اللَّهُ عَلَيْكَ غُرْبَتَكَ.

وقال أحدُهُمْ: لَقِيتُ بُهْلُولَ الْمَجْنُونِ وَهُوَ يَأْكُلُ فِي السُّوقِ. فَقُلْتُ لَهُ: يَا بُهْلُولُ، أَتَجَالِسُ الْأُمْرَاءَ وَتَأْكُلُ فِي السُّوقِ؟ فَقَالَ: رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَطْلُ الْعَنِيِّ ظُلْمٌ» وَلَقِينِي الْجُوعُ وَخُبْزِي فِي كُمِّي فَمَا أَمَكَّنِي أَمَاطِلُهُ.

ومرَّ بهْلُولُ بِسُوقِ الْبَرَازِينِ فَرَأَى قَوْمًا مُجْتَمِعِينَ عَلَى بَابِ دُكَّانٍ قَدْ نَقَبَ فَنظَرَ فِيهِ وَقَالَ: أَمَا تَعْلَمُونَ مَنْ عَمَلَ هَذَا؟ قَالُوا: لَا. فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ، فَقَالُوا: رَبِّمَا يَكُونُ قَدْ رَأَى الْفَاعِلَ وَلَمْ يَهْتَمَّ بِهِ اللَّصُّ لِاعْتِقَادِهِ أَنَّهُ مَجْنُونٌ. فَتَلَطَّفُوا بِهِ حَتَّى يُدَلِّكُمُ عَلَيْهِ. فَقَالُوا لَهُ: خَبَرْنَا يَا بُهْلُولُ مَنْ نَقَبَ الدُّكَّانَ؟ قَالَ: أَنَا جُوعَانٌ، فَأَخْضَرُوا لَهُ طَعَامًا شَهِيًا وَفَاقِيَةً وَحَلْوَاءً. فَلَمَّا أَكَلَ وَشَبِعَ

قَامَ فَتَنَطَّرَ فِي التَّنْبِ وَقَالَ: هَذَا مِنْ عَمَلِ اللَّصُوصِ .

وَقَالَ أَحَدُهُمْ: مَرَزْتُ بَسَائِلَ وَهُوَ يَقُولُ: مِسْكِينًا ضَرِيرًا، فَدَفَعْتُ لَهُ دِرْهَمًا وَقُلْتُ لَهُ: لِمَ نَصَبْتَ؟ فَقَالَ: بِإِضْمَارِ اِرْحَمُوا.

وَصَحِبَ مَجُوسِيَّ قَدْرِيًّا. فَقَالَ لَهُ الْقَدْرِيُّ: مَا لَكَ لَا تُسَلِّمُ؟ قَالَ: حَتَّى يُرِيدَ اللَّهُ. قَالَ: قَدْ أَرَادَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يُرِيدُ. قَالَ: فَأَنَا مَعَ أَقْوَاهُمَا.

وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَحَدِ الْفُقَهَاءِ وَقَالَ لَهُ: إِنِّي اُعْتَمِسُ فِي النَّهْرِ عَمْسَتَيْنِ وَثَلَاثًا وَلَا أَتَيْقُنُ أَنَّهُ قَدْ عَمِنِي الْمَاءُ وَلَا أَنِّي قَدْ تَطَهَّرْتُ. فَقَالَ لَهُ: لَا تَصَلِّ، قِيلَ لَهُ: كَيْفَ قُلْتَ هَذَا؟ قَالَ: لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يُفِيقَ». وَمَنْ يَنْعَمِسُ فِي النَّهْرِ مَرَّتَيْنِ وَثَلَاثًا، وَيَظُنُّ أَنَّهُ مَا اِعْتَسَلَ فَهُوَ مَجْنُونٌ.

قَالَ رَجُلٌ لِابْنِهِ: أَذْهَبُ فَاشْتَرِ لَنَا حَبَلًا يَكُونُ طُولُهُ ثَلَاثِينَ ذِرَاعًا. فَسَارَ إِلَى مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ، ثُمَّ رَجَعَ وَسَأَلَ وَالِدَهُ: فِي عَرَضِ كَمْ؟ فَقَالَ: فِي عَرَضِ مُصِيبَتِي فِيكَ.

وَدَخَلَ قَوْمٌ مِنْ بَنِي تَيْمِ اللَّهِ عَلَى مَجْنُونٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ فَأَكْثَرُوا الْعَبَثَ بِهِ. فَقَالَ لَهُمْ: يَا بَنِي تَيْمِ اللَّهِ، مَا أَعْلَمُ قَوْمًا خَيْرًا مِنْكُمْ. قَالُوا: كَيْفَ؟ قَالَ: بَنُو أَسَدٍ لَيْسَ فِيهِمْ مَجْنُونٌ غَيْرِي قَدْ قَيْدُونِي، وَأَنْتُمْ كُلُّكُمْ مَجَانِينٌ وَلَيْسَ فِيكُمْ مُقَيَّدٌ.

وَسُقِيَ رَجُلٌ مَاءً بَارِدًا، ثُمَّ عَادَ فَطَلَبَ مَاءً فَسُقِيَ مَاءً حَارًّا. فَقَالَ: لَعَلَّ مِيَاهَكُمْ تَغْتَرِبُهَا الْحُمَى.

كَانَ أَحَدُ النَّاسِ يَأْكُلُ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، فَقِيلَ لَهُ: لِمَاذَا لَا تَنْتَظِرُ حَتَّى طُلُوعِ الشَّمْسِ؟ قَالَ: لَعَنَنِي اللَّهُ إِنْ اِنْتَظَرْتُ غَائِبًا مِنْ وِرَاءِ سَمَرْقَنْدَ، لَا أَذْرِي مَاذَا يَحْدُثُ لَهُ فِي الطَّرِيقِ.

وَحَكَى أَحَدُهُمْ: كَانَ سَبَبُ خُرُوجِي مِنَ الْبَصْرَةِ وَانْتِقَالِي عَنْهَا أَنِّي مَرَزْتُ بِسُوقِ النَّخَاسِيِّنَ يَوْمًا، فَرَأَيْتُ غُلَامًا يُنَادِي عَلَيْهِ وَقَدْ بَلَغَ ثَلَاثِينَ دِينَارًا

وهو يساوي ثلاثمائة دينار. فاشتريته، وكنتُ ابني دارًا، فدفعْتُ إليه عشرين دينارًا على أن يُنفقها على الصُّنَاع، فجاءني بعد أيام يسيرة فقال: قد نفذت الثَّقَّة. قلتُ: هاتِ حسابك، فرَفَع حسابًا بعشرة دنانير. قلتُ: أين الباقي؟ قال: اشتريتُ به ثوبًا. قلتُ: ومن أمرِكَ بهذا؟ قال: يا مولاي لا تُعجل، فإنَّ أهل المُرُوءاتِ والأقْدَارِ لا يعيرونَ على غلمانِهِمْ إذا فعلُوا فعلًا يعودُ بالزَّينِ على موالِيهِمْ، فقلتُ في نفسي أنا اشتريتُ الأضعفِي ولم أعلم.

قال: وكأنت في نفسي امرأة أزدت أن أتزوجها سرًا من ابنة عمي، فقلتُ له يومًا: أفيك خير؟ قال: أي لعمري. فأطلعتُه على الخبر. فقال: أنا نعم العون لك، فتزوجتُ ودفعْتُ إليه دينارًا وقلتُ له: اشترِ لنا كذا وكذا، ويكونُ فيما تشتريه سمك هازبي فمضى ورجع وقد اشترى ما أزدت إلا أنه اشترى سمكًا مازماهيًا. فقلتُ: أليس أمرتك أن تشتري هازبيًا؟ قال: بلى، ولكنني رأيتُ بقراط يقول: إن الهازبي يولد السوداء، ويصف المازماهي ويقول إنه أقل غائلة. فقلتُ: أنا لم أعلم أني اشتريتُ جالينوس؛ وقمتُ إليه فضربته عشر مَقرع. فلما فرغتُ من ضربه أمسكني وتناول المِفرعة وضربني سبع مَقرع، وقال يا مولاي: الأدب ثلاث، والسبع زيادة من عندي، ولذلك قصاصُ فضربتك هذه السبع خوفًا عليك من القصاص يوم القيامة.

فعاظني جدًا فرميتُه فسججته، فمضى من وقته إلى ابنة عمي فقال لها: يا مولاي، الدين النصيحة، وقد قال النبي ﷺ: «من غشنا فليس منا» وأنا أعلمك أن مولاي قد تزوج واستكتمني. فلما قلتُ له: لا بد من إغلام مولاي ضربني بالمقارِع وشجني. قال الرجل: فمنعتني بنتُ عمي من دخول الدار، وحالت بيني وبين ما فيها، فلم أر الأمر يصلح إلا بأن طَلقتُ المرأة التي تزوجتها، فصلح أمري مع ابنة عمي، وعزمتُ على أن أعتق هذا الغلام لأستريح منه. فلما أعتقته لزميني وقال: الآن وجب حَقك علي، ثم إنه أراد الحج فجهزته وزودته وخرج فعاب علي عشرين يومًا، ثم رجعتُ له: لِمَ رجعتُ؟ قال: قطع الطريق وفكرتُ فإذا الله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ

جِئْتُ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَيْلًا ﴿٩٧﴾ [آل عمران: ٩٧] وَكُنْتُ غَيْرَ مُسْتَطِيعٍ، وَفَكَّرْتُ
فَإِذَا حَقُّكَ عَلَيَّ أَوْجِبْ، فَرَجَعْتُ.

ثُمَّ أَرَادَ الْعَزْوَ فَجَهَّزْتُهُ، فَلَمَّا غَابَ عَنِّي بَعْتُ كُلَّ مَا أَمْلِكُ بِالْبَصْرَةَ مِنْ
عَقَارٍ وَغَيْرِهِ، وَخَرَجْتُ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيَّ.

* * *

وَقَالَ رَجُلٌ: أَشْتَهِي أَنْ أَرَى الشَّيْطَانَ، فَقِيلَ لَهُ: انظُرْ فِي الْمِرَاةِ.

وَقَالَ رَجُلٌ لِبَعْضِ الظَّرَافِ: قَدْ لَدَعْتَنِي عَقْرَبٌ، فَهَلْ عِنْدَكَ لِهَذَا دَوَاءٌ؟
فَقَالَ: الصِّبَاخُ إِلَى الصَّبَاحِ.

وَقَالَ ظَرِيفٌ لِآخَرَ: كَيْفَ حَالُكَ؟ قَالَ: إِنِّي مَرِيضٌ مِنْ دَمَامِيلٍ قَدْ
خَرَجَتْ فِي أَقْبَحِ الْمَوَاضِعِ. فَقَالَ لَهُ الظَّرِيفُ: مَا أَرَى فِي وَجْهِكَ مِنْهَا شَيْئًا.

وَقَالَ أَحَدُ الْقُصَّاصِ: إِذَا مَاتَ عَبْدٌ وَهُوَ سَكْرَانٌ دُفِنَ وَهُوَ سَكْرَانٌ،
وَحُشِرَ وَهُوَ سَكْرَانٌ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْحَاضِرِينَ: هَذَا وَاللَّهِ - نَبِيذٌ جَيِّدٌ -
يُسَاوِي الْكَأْسُ مِنْهُ عِشْرِينَ دِرْهَمًا.

نوادير أبي العيناء^(١) ومخاطباته^(٢)

حمله بعض الوزراء على دابة، فانتظر علقها، فلما أبطأ عليه قال: أيها
الوزير هذه الدابة حملتني عليه أو حملته عليّ.

قال له المتوكل يوماً: إلى كم تمدح الناس وتذمهم؟ فقال: ما أحسنوا
وأساؤوا؛ فقد رضي الله عن عبدي فمدحه؛ فقال: ﴿نَعَمْ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾
[ص: الآية ٣٠] وغضب علي آخر فزناه. قال: «ويلك أيزني الله أحداً؟» قال:

(١) أبو العيناء: هو محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر الهاشمي، ولد سنة ١٩١ هـ، أديب فصيح،
من ظرفاء العالم ومن أسرع الناس جواباً، اشتهر بنوادره، كاتب شاعر، ولكنه خبيث اللسان،
كف بصره في الأربعين، وتوفي بالبصرة سنة ٢٨٧ هـ (الأعلام ٦/٣٣٤).

(٢) نثر الدر للآبي ١٣١/٢ - ١٥٥.

نعم . قال الله تعالى : ﴿عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾ [القلم : الآية ١٣] ، والزَّيْمُ : الدخيلُ في القوم وليس منهم .

وقال أبو العيْناء : قال لي المتوكل يوماً : هل رأيتَ طالبياً قطُّ ، حَسَنَ الوجه؟ قلت : نعم ، رأيتُ ببغدادَ منذُ ثلاثين سنةً واحداً . قال : تجده كان يؤاجر وكنت أنت تقودُ عليه . فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد بلغ هذا من فراغي ، أدعُ الموالي مع كثرتهم وأقود على الغرباء . فقال المتوكل للفتح : أردت أن اشتفيَ منهم فاشتفى لهم مني .

قال : وقال لي يوماً : لا تكثر الوقعة في الناس . فقلت : إنَّ لي في بصري شغلاً عن ذلك . فقال : ذاك أشد لحقدك على أهل العافية .

وقال له يوماً المتوكل : إنَّ سعيد بن عبد الملك يضحك منك ، فقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين : الآية ٢٩] .

وقال يوماً بحضرته لخراشة : ابنُ كم أنت؟ قال : ابن نَيْفٍ وخمسين . قال أبو العيْناء : زَانِيَةٌ .

ودخل يوماً إلى ابن ثَوَابَة ؛ فقال : بلغني ما خاطبتَ به أمس أبا الصقر ، وما منعه من استقصاء الجواب إلا أنه لم يجد عِرْضاً فيضعه ، ولا مجدداً فيهدمه ، وبعد فإنه عافَ لحمك أن يأكله ، وسهك دمك أن يسفكَه . فقال : ما أنت والكلام يا مُكدي^(١)؟ فقال أبو العيْناء : لا تنكر على ابن ثمانين ، وقد ذهبَ بصره ، وجفاه سلطانه ، أن يعوّل على إخوانه ، فيأخذ من أموالهم ، ولكن أشدُّ من هذا من يستنزِلُ ماءً أصلاب الرجال ، يستفرغُه في جوفه ؛ فيقطعُ أرزاقهم ، ويُعظمُ إجرامهم .

فقال ابنُ ثَوَابَة : ما تشاجر اثنان إلا غلب الأُمهما . فقال له : بها غلبت أبا الصقر .

(١) المكدي : الشحاذ .

وقال ثوبة يوماً: كَتَبْتُ أنفاس الرجالِ. قال: حيث كانوا وراء ظهرك.

وقال له يوماً نَجَاحُ بن سَلَمَةَ: ما ظهوركُ وقد خرجَ توقيعُ أمير المؤمنين في الزنادقة؟ فقال: نستدفعُ الله عنكَ وعن أصهارك.

ودخل على عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر وهو يلعبُ بالشطرنج، فقال: في أي الحيزين أنت؟ فقال: في حيزِ الأمير أيده الله.

وعُلب عبيدُ الله فقال: يا أبا العيناء؛ قد غُلبنا، وقد أصابك من النَّدب خمسون رطلاً ثلجاً. فكن أنت في حيلتها. قال: فقام ومضى إلى ابن ثوبة، وقال: إن الأمير يدعوك؛ فلما دخلا قال: أيَّد الله الأمير، قد جئتُك بجبل همدان وماسيدان، فخذُ منه ما شئت.

وقال يوماً لولد حجاج بن هارون: في أي باب أنت من النحو؟ قال: في باب الفاعل والمفعول. فقال: أنت في باب أبويك إذا.

ومرَّ على دار عدو له؛ فقال: ما خبرُ أبي محمد؟ فقالوا: كما تحبُّ. قال: فما بالي لا أسمعُ الرئَةَ والصُّراخَ؟.

ووعده ابن المدبِّر بدَابَّةٍ، فلما طالبه قال: أخافُ أن أحملك عليه فتقطعتني ولا أراك. فقال: عِدني أن تَضُمَّ إليه حماراً لأواظبَ مقتضياً.

ووعده أن يحمله على بَعْلِ، فلقية في الطريق؛ فقال: كيف أصبحت يا أبا العيناء؟ قال: أصبحتُ بلا بَعْلِ؛ فضحك من قوله، وبعثه إليه.

وحمله بعضهم على دَابَّةٍ، فاشتراها ابنُ الرجل منه بَشْمِنْ آخره، ولقيه بعدَ أيام؛ فقال: كيف أنت يا أبا العيناء؟ قال: بخيرٍ يا مَنْ أبوه يحمل وهو يُرَجِّل.

وقالت له قَيْنَةٌ: هَبْ لي خاتمَكَ أذكركُ به. فقال: اذكريني بالمنع.

وقالت له قَيْنَةٌ: أنت أيضاً يا أعمى! فقال لها: ما أستعينُ على وجهك بشيءٍ أصلح من العمى.

وقال لصاعد: أنت خير من رسول الله فقال: ويلك! كيف؟ قال: إن الله تعالى قال له: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّصُومًا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: الآية ١٥٩]؛ وأنت فظ ولسنا نَنْفُضُ.

وقال له ابن السكيت يوماً: تُرَاكَ أَحَطَّتْ بِمَا لَمْ أَحِطْ بِهِ. قال: ما أنكرت؛ فوالله لقد قال الهدهد، وهو أخس طائر لسليمان: ﴿أَحَطَّتْ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ [الشم: الآية ٢٢].

وقال: - وقُدِّمَ إلى مائدة - عليها أبو هقَّان وأبو العيناء - فالزوج، فقال أبو هقَّان: لهذه أحر من مكانك في جهنم. فقال أبو العيناء: إن كانت هذه حارة فبرِّذها بشعرك.

وقال له صاعد يوماً: ما الذي أحرَّكَ عنا؟ قال: بُنِّيَّتِي. قال: وكيف؟ قال: قالت: يا أبة؛ قد كنت تغدو من عندنا فتأتي بالخلعة السريَّة، والجائزة السنيَّة، ثم أنت الآن تغدو مُسْدِفاً، وترجع مُعْتَمًا، فإلى من؟ قلت: إلى أبي العلاء ذي الوزارتين. قالت: أيعطيك؟ قلت: لا. قالت: أيسفَعك؟ قلت: لا. قالت: أفيرفع مجلسك؟ قلت: لا. فقالت: يا أبة، ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مریم: الآية ٤٢].

وقال له عبید الله بن سليمان: إن الأخبار المذكورة في السخاء وكثرة العطاء أكثرها تصنيفُ الوراقين، وأكاذيبهم قال: ولم لا يكذبون على الوزير أيده الله.

وقال له محمد بن مكرم: لهممْتُ أن أمر غلامي بدوسِ بطنك. فقال: الذي تخلفه على عيالك إذا ركبت، أو الذي تحمله على ظهركَ إذا نزلت؟.

وقال يوماً لقينة: كم تعدِّين؟ قالت: ثلاثين سنة. قال: أنتِ ابنة ثلاثين سنة منذ ثلاثين سنة.

وقيل له: إلى من تختلف اليوم؟ قال: إلى من يُخْتَلَفُ عليه.

وأكل عنده سائل فأكثر؛ فقال: يا هذا أطعمناك رحمة فصيرتنا رحمة.
وقال له بعض من ناظره: أبلعني رريقي؛ فقال: قد أبلعتك دجلة
والفرات.

وقيل له: ما تقول في ابني وهب؟ قال: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ
فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [فاطر: الآية ١٢] سليمان أفضل. قيل:
وكيف؟ قال: ﴿أَمَّنْ يَمْشِي مُكْبَأً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
﴾ [الملك: الآية ٢٢].

وقيل له: ما تقول في محمد بن مكرم والعباس بن رستم؟ قال: هما
الخمير والميسر وإثمهما أكبر من نفعهما.
وقال يوماً لرجل دخل من النصرانية في الإسلام: أشرب الخمر؟ قال:
بلى. قال: لقد أصبت عين الرأي، إذ دخلت في عزة هذه الدعوة، وثبتت
على شرائط تلك النحلة.

ولما استوزر صاعد بعقب دخوله من النصرانية في الإسلام صار أبو
العيناء إلى بابه، فقيل: يصلي. فعاد فقيل: يصلي. فقال: معذور لكل جديد
لذة.

وقال يوماً لرجل سلم عليه: من أنت؟ قال: رجل من ولد آدم. قال:
ادن مني عانقني، فما ظننت أنه بقي من هذا النسل أحد.

وقال له أحمد بن سعيد الباهلي: إني أصبت لباهلة فضيلة لا توجد في
سائر العرب. قال: وما هي؟ قال: لا يُصاب فيهم دعي. فقال: لأنه ليس
فوقهم من يقبلهم، ولا دونهم أحد فينزلون إليه.

وحضره يوماً ابن مكرم فأخذ يؤذيه؛ فقال له ابن مكرم: الساعة والله
أنصرف. فقال: ما رأيت من يتهدد بالعافية غيرك.

وقال له يوماً ما يعرض به: كم عدد المكدين بالبصرة؟ قال: مثل عدد
البعائن ببغداد.

وقدم ابن مكرم من سفر، فقال له أبو العيناء: ما أهديت لي؟ قال: قدمت في حُفٍّ. قال: لو قدمت في حُفٍّ لخلقت نفسك.

وقال له ابن مكرم: مذهبي الجمع بين الصلاتين. قال: صدقت، ولكن تجمع بينهما بالترك.

وقال له ابنُ بذرٍ يوماً وهو على بابه: أهذا المنزل؟ قال: نعم، فإن أردت أن ترى سوءَ أثرِكَ فانزل.

قال له أبو الجمّاز: كيف ترى غنائبي؟ قال: كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: الآية ١٩].

ولقي أبا الحمار يوماً على حمار صغير؛ فقال: لقد ساءني حين اضطرك الدهرُ إلى ركوبِ أصغرِ أولادك.

وقال له يوماً: هل تذكر سالفَ معاشرتنا؟ قال: إذ تُعَنِّيْنَا ونحن نستعفيك.

وقال لعلبي بن الجهم: إنما تُبغِضُ عليَّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - لأنه كان يقتل الفاعل والمفعول، وأنت أحدهما. قال له: يا مخنث. فقال: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ [يس: الآية ٧٨].

وقيل له: إن ابن نوح النَّصراني عاتبَ عليك؛ فقال: ﴿وَلَنْ رَضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: الآية ١٢٠].

وقال له بعضهم: إني لا أرتضي نيتك. فقال: أجل؛ لأنني أعتقد الإسلام.

وقال له عُبيد الله بن يحيى بن سليمان: اعذرني، فإني مشغول. فقال: إذا فرغت لم أحتج إليك.

وسُلم نجاح بن سلمة إلى موسى بن عبد الملك ليستأديه مالا، فتلّف في المطالبة؛ فلقي بعضُ الرؤساء أبا العيناء، وقال له: ما عندك من خبر

نجاح؟ قال: ﴿فَوَكَّرُوا مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ [القَصَص: الآية ١٥]؛ فبلغت كلمته موسى بن عبد الملك؛ فلقية فقال: أبي تُولع؟ والله لأقوَمَنَّكَ. فقال: ﴿أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتَلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ [القَصَص: الآية ١٩].

وقال يوماً لابن مكرم: ألسْتُ عَفِيفًا؟ قال: بلى، ولكِنَّكَ عَفِيفُ الْفَرْجِ زَانِي الْحُرْمِ. فقال: إنما ذاك مُنْذُ تَزَوَّجْتُ بِأَمِّكَ. وغداه ابن مكرم؛ فقدم إليه عِرَاقًا، فلما جَسَّهُ قال: قَدْرُكُمْ هَذِهِ طَبَخْتَ بِالشُّطْرَنْجِ.

وقَدَّمَ إليه يوماً قَدْرًا فوجدها كثيرة العظام؛ فقال: هذه قَدْرٌ أم قَبْرٌ؟ وأخبر أن ابنه أعتق عبده؛ فقال: إن جاز له هذا فليطلق على أمه الزانية.

وقال له رجلٌ من بني هاشم: بلغني أنك بَغَاءٌ. قال: ولم أنكرتْ ذَاكَ مع قولِ رسولِ الله ﷺ: «مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ»؟ قال: إنك دعيتُ فينا. قال: بغائي صَحَّحَ نَسْبِي فِيكُمْ.

وسأل الجاحظ كتابًا إلى محمد بن عبد الملك في شفاعته لصاحبٍ له؛ فكتب الكتابَ، وناولهُ الرجلَ، فعاد به إلى أبي العيناء، وقال: قد أسعَفَ. قال: فهل قرأته؟ قال: لا؛ لأنه مختوم. قال: ويحك، فَضُّ طِينَةَ أُولَى مِنْ حَمَلِ طِينَةٍ، لا يكون صحيفة المَتَلَمَّسِ؛ فَفَضَّ الكتابَ؛ فإذا فيه: مُوَصِّلِ كِتَابِي سَأَلَنِي فِيهِ أَبُو الْعِيْنَاءِ، وقد عرفتُ سَفَهَهُ وبذاء لسانه، وما أراه لمعروفك أهلاً، فإن أحسنتَ إليه فلا تحسبهُ عليّ يَدًا، وإن لم تُحسِنِ لم أعتدْهُ عليك ذنبًا والسلام.

فركب أبو العيناء إلى الجاحظ. وقال له: قد قرأتُ الكتابَ يا أبا عثمان، فحجل الجاحظُ، وقال: يا أبا العيناء، هذه علامتي فيمن أعتني به. قال: فإذا بلغك أن صاحبي قد شتمك فاعلم أنه علامته فيمن شكر معروفه.

وأكل عند ابن مكرم، فسُقِيَ على المائدة ثلاثَ شرباتٍ باردة، ثم استسقى فسقى شربةً حارة؛ فقال: لعل مُزَمِّلَتَكُمْ تعترِبها حُمَى الرَّبْعِ.

وممن انتصف من أبي العيناء محمد بن مكرم، فإنه صادقاً ساجداً وهو يقول: يا ربِّ سائلك ببابك. فقال: تمتنَّ على الله بأنك سائله وأنت سائل كلِّ باب!! .

وسمع محمد بن مكرم رجلاً يقول: من ذهب بصره قلت حيلته. فقال له: ما أغفلك عن أبي العيناء! .

وولد لأبي العيناء ابنٌ؛ فأهدى إليه حجراً. يريد قول النبي ﷺ: «وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ» .

ومنهم العباس بن رستم؛ فإنه قال يوماً لأبي العيناء: أنا أكفرُ منك. فقال: ولم؟ قال: لأنك تكفرُ ومعك خفيرٌ مثلُ عبيدِ الله بن يحيى وابن أبي دواد، وأنا أكفرُ بلا خفارة.

صحب رجلٌ مفلسٌ جماعةً فقسموا له قسمة، فاشتري دابةً وكسوةً، فكان إذا حلف يقول: وإلاً فدأبتي حبيسٌ وثيابي صدقة. ثم قسموا له قسمة أخرى؛ فاشتري داراً وخادماً، فكان إذا حلف يقول: وإلاً فدأبتي حبيسٌ وثيابي صدقةً وغلامي حرٌّ، وداري مقبرة. فقال أبو العيناء: طالت أيمانه ابن الزانية.

كان لمحمد بن مكرم غلامٌ يتعشقه، وكان يُرمي به؛ فدخل أبو العيناء يوماً إليه؟، فقال له: يا أبا العيناء، أما ترى غلامي سديفاً^(١) مع إكرامي له، وفعلي به ومحبتي له، وكثرة ما أصله به من الأموال، وينتفعُ بجاهي، ولا يشكر لي ذلك، ولا تظهر عليه النعمة، ولا يرى عنده دينارٌ ولا درهم! . قال أبو العيناء: نعم يا سيدي كَسِبَ الكُنَّاسِين لا يكون له بركة.

وقال له أبو علي البصير يوماً: ويلك إن لم تغضب لي بالصناعة فاغضب لي وتعصب بالعمى!؛ فقال أبو العيناء: كذبت يا عاصِرٌ بظُر أمه. أنا من عُميان الحمير، وأنت من عُميان العصا.

(١) السديف: المغتم والمهتم.

وقال الكافي له: كيف أكتب «اللؤم»، بلام أو لامين؟ فقال: صوّر نفسك.

ودخل إلى المتوكّل، فقدّم إليه طعام؛ فغمس أبو العيناء لقمته في خَلّ كان حامضاً، فأكلها وتأدّى بالحموضة، وفطن المتوكّل فجعل يضحك فقال: لا تلمني يا أمير المؤمنين، فقد مَحَتِ الإيمان من قلبي.

وقال له السُّدْرِيُّ: أشتهي أن أرى الشيطان. فقال: انظر في المرأة.

قال أبو العيناء: رأيت محمد بن مكرم يصلي صلواته كلّها ركعتين ركعتين؛ فقلت: يا محمد، ما هذا الذي أراك تفعله؟ قال: عزمتُ وحياتك على الخروج إلى قم إلى عند أبي.

قيل لأبي العيناء: لم اتخذتَ خادمين أسودين؟ فقال: أما أسودان فلئلا أتهم بهما، وأما خادمان فلئلا يتهمَا بي.

ونظر إلى رجل قبيح الوجه؛ فقال: كأنما خلقت هذا الرجل ليعلم الناس نعمة الله عليهم.

وقدم صديق له من بعض الأعمال السلطانية؛ فدعاهُ إلى منزله وأطعمه وجعل الرجلُ يكثرُ الكذب، فالتفت أبو العيناء إلى مَنْ كان معه فقال: نحن كما قال الله تعالى: ﴿سَتَعْلَمُونَ لِلْكَذِبِ أَكْثَرُونَ لِلسَّحْتِ﴾ [المائدة: الآية ٤٢].

وقيل: ابنُ كم أنت؟ فقال: قبضة، يعني: ثلاثاً وتسعين.

وقيل له: كيف حمدك لفلان؟ فقال أحمدُه للؤم الزمان، فأما عن حسن اختيار فلا.

وقال أبو العيناء: قلتُ لغلام ابن مكرم - ومعه دراهم - : من أين لك هذه الدراهم؟ فقال: أليّ تقول هذا ودارُ الضُّرب في سراويلي؟

قال ابن مكرم لأبي العيناء: أحسبُك لا تصووم شهر رمضان!. فقال: ويحك!. وتدعني امرأتك أن أصوم.

قال أبو العيناء: مررت يوماً في دربٍ بسُرٍّ من رأى. فقال لي غلامٌ: يا مولاي؛ في الدربِ حَمَلٌ سمين، والدربُ خالٍ، فأمرتهُ أن يأخذه، وغطيته بطيلساني، وصيرتُ به إلى منزلي؛ فلما كان الغدُ جاءتني رقعةٌ من بعض رؤساء ذلك الدربِ مكتوب فيها: جُعِلتُ فداك، ضاع لنا بالأمس في الدربِ حَمَلٌ؛ فأخبرني صبيانُ دَرِينا أنك أنتَ سرقته؛ فتأمر برده متفضلاً.

قال أبو العيناء: فكتبتُ إليه: يا سبحان الله ما أعجب هذا الأمر مشايخ دَرِينا يزعمون أنك بغاءٌ وأكذبهم أنا، ولا أصدقهم، وتصدق أنتَ صبيانَ دربكم أني أنا سرتُ الحَمَلُ!.

قال: فسكت وما عاودني بشيء.

قال أبو العيناء: أنا أواكل الناس منذُ ثلاثين سنة، ما آثرني إنسانٌ على نَفْسِهِ بباذنجانةٍ مَضِيرة قط.

وأكل مرة ديكبراة، وغَسَلَ يده عدة مرات فلم تنق؛ فقال: كادت هذه القدر أن تكون نسباً وصِهْرًا.

قال يوماً لابن ثوبة: إذا شَهِدْتَ على الناس ألسِنَتَهُم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون شَهِد عليك أنتنُ عَضُو فيك.

قال بعضُ الهاشميين لأبي العيناء: بلغني أنك تحبُّ العَصَا. قال: وهو ذا تدعونها تظهَرُ حتى أخبأها أنا!.

ودقُّ عليه إنسانٌ البابَ فقال: من هذا؟ قال: أنا. قال: هذا والدقُّ سواء.

وقال أبو العيناء: أدخل على المتوكل رجلٌ قد تنبأ؛ فقال له: ما علامة نبوتك؟ قال: أن يدفَع إليَّ أحدكم امرأته؛ فإني أحبلها في الحال. فقال يا أبا العيناء: هل لك أن تعطيه بعض الأهل؟ فقلت: إنما يعطيه من كفر به؛ فضحك وخلاه.

ولقيه رجلٌ من إخوانه فقال له: أطال الله بقاءك، وأدام عزك وتأييدك وسعادتك، فقال أبو العيناء: هذا العنوان، فكتاب من أنت؟.

وقال له يوماً عبید الله بن يحيى الوزير - في أمر شهد عليه فيه بشهادة؛ فقال أبو العيناء: لو كان هذا في غير دولتك لتمنيتُ له دولتك. فقال: إن الشهود عليك كثيرٌ. قال: أكثرُ منهم الذين شهدوا عليك بإغلاء السعر والزيادة فيه؛ فإن صدقتهم عليّ فصدقتهم عليك.

وقال له يوماً: أعزَّ الله الوزير نحنُ في عطلتِكَ مرحومون، وفي وزارتكُ محرومون. ويوم القيامة كلُّ نفسٍ بما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ.

ولما تَقَطَّرَ بعبيد الله فَرَسُهُ قال أبو العيناء: قتل الجوادُ الجوادَ^(١).

واستجفَى بعضُ الرؤساءِ أبا العيناء؛ فقال له: أنا والله على بابك أوجدُ من الكذبِ على أبوابِ بني خاقان.

وصار يوماً إلى باب عبید الله فقال له سعدٌ حاجِبُهُ: هو مشغول يا أبا عبد الله فقال: ففي شغله أريدُ لقاءه. قال: ليس إلى ذلك سبيل. فقال له: رزقكم الله العودَ إلى البيت الحرام وانصرف. فقال سعد: دعا علينا لعنةُ الله، والله إن كنا بمكة إلا حيثُ نفينا.

قال أبو العيناء، هنأتُ عبید الله بن يحيى يوماً بالعيد، ودعوتُ له دعاءً طويلاً؛ فقال لي الحسن بن مخلد: حسبك يا أبا عبد الله فقلت: يا أبا الحسن، أعزك الله إن أبا محمد يَسْتَثْقِلُ الدعاءَ لأنه لا يثقُ بالمدعو.

وقال له عبید الله ما دعاك إلى الوقعة في موسى بن عبد الملك بحضرة أمير المؤمنين؟ فقال: إني والله ما استعذبتُ الوقعةَ فيه حتى ذممت لك سريرته.

ودخل عليه يوماً وعنده نجاح بن سلمة، وأحمد بن إسرائيل وهما

(١) الجواد الأولى: هو الفرس، والثانية: الكريم.

يُسَارِئِهِ؛ فقال: يا أبا الحسن: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر: الآية ١٤]؛ فقال نجاح: كذبت يا عدو الله فقال: ﴿لِكُلِّ نَبْرٍ مُسْتَفْرٌ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: الآية ٦٧].

ودخل إلى نجاح بن سلمة؛ فقال: لا تُدْنَسَ حَصِيرَ صَلَاتِي قَبْحَكَ اللهُ فقال أبو العيناء له: لا. ولكن مُتَمَرِّغٌ فَسَقَكَ.

وسقط نجاح عن دابته؛ فوثبت إليه إبراهيم بن عتاب، فأخذه من الأرض؛ فقال أبو العيناء: يا أبا الفضل، لَمِيئَةٌ مُجَهِّزَةٌ أَصْلَحَ مِنْ عَافِيَةٍ عَلَى يَدِ ابْنِ عَتَّابٍ.

وقيل له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت والله من المُمْلِقِينَ الَّذِينَ لَا يَطْمَعُ فِيهِمْ نَجَاحُ بْنُ سَلْمَةَ.

وقال يوماً لابن ثوبان: يحتاج عقلك إلى صمتٍ يستره، ونطقك إلى عقلٍ يسدده.

وقال له ابن مكرم: كان ابن الكلبى صاحب البريد يحب أن يشم الخراء فقال: لو رآك لترشفتك.

وقال ابن مكرم يوماً: ما في الدنيا عقلٌ من القحبة؛ لأنها تُطعم أطايب الطعام، وتُسقى ألدّ الشراب وتأخذ دراهم وتتلذذ. فقال له أبو العيناء: فكيف عقلٌ والدتك؟ قال: أحقق من دُعة^(١) يا عاض كذا.

وعرضت له حاجة إلى بُعَا، فلقيه، فقال: ألق الفتح بن خاقان فلقيه فوعده، ثم لقيه فوعده؛ فلما كان في المرة الثالثة ألقاه على سبيل ضجر فقال: أما علمت أن من طالب السلطان احتاج إلى ثلاث خلال؟ فقال: وما هن؟ أعز الله الأمير. قال: عقلٌ وصبرٌ ومالٌ. فقال أبو العيناء: لو كان لي

(١) انظر مجمع الأمثال ١٩٣/٢.

عقلٌ لعقلتُ عن الله أمره ونهيه، ولو كان لي صبرٌ لصبرتُ منتظرًا لرزقي أن يأتيني، ولو كان لي مالٌ لاستغنيتُ به عن تأمير الأمير، والوقوفِ ببابه.

وسأل أحمد بن صالح حاجةً فوعده، ثم اقتضاه إياها فقال: حالٌ دونها هذا المطرُ والوحلُ؛ فقال أبو العيناء: فحاجتي إذا صيفية.

ودخل على عبد الرحمن بن خاقان - وكان شاتياً - فقال له عبد الرحمن: كيف ترى هذا البردَ يا أبا عبد الله فقال: تأبى نِعْمَاك أن أجده.

وكان بحضرة عبيد الله بن سليمان؛ فأقبل الطائي فعرف مجيئه، فقال: هذا رجلٌ إذا رضي عشنا في نوافل فضله، وإذا غضب تقوئنا بقايا بره.

وسأل إبراهيم بن ميمون حاجةً فدفعه عنها، واعتذر إليه وأعلمه أنه قد صدقه؛ فقال له: قد والله سررتني صدقك؛ لِعَوَزِ الصدقِ عنك، فمن صدقه حرمانٌ فكيف يكون كذبه؟.

وقال لبعضهم: أعطيتني برك تفاريق، وعقوقك جُملة!

وقال: رأيتُ حملاً قد حمل على رأسه شيئاً بنصف درهم؛ فلما أراد الرجوع اكرتري إلى ذلك الموضع حملاً بأربعة دوانيق.

وقال له رجلٌ: كان أبوك أكمل منك؛ فقال: إنَّ أبي كنتُ أنا به، ولم يكُ بي، فهو أولى بالكمال مني.

وقال في رجلين فسد ما بينهما: تنازعا ثوبَ العقوق، متى صدعاه صدعَ الزجاجة ما لها من جابر.

قال: قال لي المتوكل: امضِ إلى موسى بن عبد الملك. واعتذر، ولا تعرفه أني وجهتُك. فقلت له: تستكتمني بحضرة ألف؟ قال: إنما عليك أن تنفذ كما تؤمر به. قلت: وعليّ أن أحترس مما أخاف منه.

وقال له المتوكل: أكان أبوك مثلك في البيان؟ قال: والله يا أمير المؤمنين لو رأيته لرأيتُ عبداً لك لا ترضاني عبداً له.

ووعده أبو الصقر شيئاً وقال له: غَدَا؛ فقال أبو العيناء: إن الدهر كله غد، فهل عندك موعد مخلّى من المَعَارِيضِ؟ قال له رجلٌ قد حضر: قد استعمل المَعَارِيضَ قَوْمٌ صالحون: حَدَّثْنَا فلانٌ عن فلانٍ... ، فقال أبو العيناء: من هذا المتحدثُ في جِزْمَانِنَا بالأسانيد؟.

وداس رجلٌ نبئاً له وقال: باسم الله فقال: لم ترضَ بذبحها حتى تَذَكِّيَتَهَا.

وداس آخر يده، وقال: باسم الله فقال: البقرة تُذبح ويقول ذابحُها: باسم الله.

وشكا إليه رجلٌ ابنه؛ فقال أبو العيناء: لقد دخلَ في العُدَدِ وخرج من العُدَدِ.

ولقيه بعضُ الكتاب في السَّحَرِ؛ فقال له متعجباً منه ومن بُكوره: يا أبا عبد الله أتبكرُ في مثلِ هذا الوقت؟ فقال: أشاركني في الفعل، وتفردني في المتعجب؟.

ودخل على محمد بن عبد الملك، فجعل لا يكلمه إلا بأطرافه؛ فقال: إن من حقِّ نعمه أن تجعل البسطةَ لأهل الحاجةِ إليك، فإنَّ من أوجس انقبضَ عن المسألة، وبكثرة المسألة مع التُّجَّحِ يدومُ السرور. فقال له محمد: أما إني أعرفك فُضُولِيًا كثير الكلام وأمر به إلى الحبس؛ فكتب إليه:

قد علمت أنَّ الحبسَ لم يكن من جُرم تقدّم إليك، ولكن أحببت أن تُريني مقدارَ قُدْرَتِكَ عليّ؛ لأنَّ كلَّ جديدٍ يُستلذَّ، ولا بأس أن تُرينا من عفوك حسبَ ما أرينا من قُدْرَتِكَ.

فأمر بإطلاقه، ثم لقيه بعد أيام، فقال: يا أبا العيناء، ما تزورنا حسبَ نيتنا فيك؟. فقال: أما نيتك فمتأكّدة، ولكن أرى أن الذي جدّد الاستبطاء فراغَ حبسِكَ، فأحببت أن تشغله بي.

واعترضه يوماً أحمد بن سعيد، فسلم عليه؛ فقال أبو العيناء: من أنت؟

قال: أحمد بن سعيد؛ فقال: إني بك لعارف، ولكن عهدي بصوتك يرتفع إلي من أسفل، فما له ينحدر علي من علو؟ قال: لأنني راكب. قال: لا إله إلا الله لعهدي بك وأنت في طمرين لو أقسمت على الله في رغيف لأعضك بما تكره.

وقال يوماً لعبيد الله بن سليمان: إلى كم يرفعني الوزير، ولا يرفع بي رأساً؟

وقال له يوماً: كيف حالك؟ فقال: أنت الحال، فإذا صلحت صلحت. وقربه يوماً؛ فقال: تقريب الولي وحرمان العدو.

وقيل له: أتشرب النبيذ؟ فقال: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: الآية ١٣٠].

وقال يوماً لعبيد الله بن يحيى: أيها الوزير، قد برح بي حجابك؛ فقال له: ارفق. فقال: لو رفق بي فغلك رفق بك قولي.

وقال يوماً لعيسى بن فرخانشاه، وقد بالغ أحمد بن المدبر: أتبالغه، وشطرُ اسمك عني، وما بقي فثلثا مُسي؟

وقيل له: لا تعجل، فإن العجلة من الشيطان؛ فقال: لو كان كذلك لما قال موسى عليه السلام: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: الآية ٨٤].

قال ابن وثاب لأبي العيناء يوماً: أنا والله أحبك بكليتي. فقال أبو العيناء: إلا عضو واحد منك أيدك الله فبلغ ذلك ابن أبي دؤاد، فقال: قد وفق في التحديد عليه.

وقال: أنا أول من أظهر العفوق بالبصرة. قال لي أبي: يا بني؛ إن الله قرن طاعته بطاعتي؛ فقال: ﴿أَشْكُرُ لِي وَلَوْلَا ذَلِكَ﴾ [لقمان: الآية ١٤]. فقلت: يا أبت إن الله ائتمني عليك، ولم يَأْتِمُنْكَ علي؛ فقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةً إِمْلَاقًا﴾ [الإسراء: الآية ٣١].

وقبّل يد سليمان بن وهب؛ فقال: أنا أرفعك عن هذا. فقال أبو العيناء: أترفعني عمّا يرتفع الناس إليه؟.

وقيل له: ما تقول في مالك بن طوق؟ فقال: لو كان في زمان بني إسرائيل، ثم نزلت آية البقرة ما دَبَحوا غيره.

وقال لبعض الكتّاب: والله ما هو إلا أن يُزيلك القدر عن القدرة حتى تحصل على المذمة والحسرة.

وقال: فُلج بعض المجان، فرأيته وهو يأكل سمكًا ولبنًا، فعاتبته على ذلك؛ فقال: آمن ما يكون الطريق إذا قطع.

وقال: ما لقي إبليس من المبلّغين! كلما نسوا لعنوه.

ودخل على المتوكل وهو يبني الجعفرّي؛ فقال له: يا أبا العيناء؛ كيف ترى دارنا؟ فقال: يا أمير المؤمنين، الناس بينون الدور في الدنيا، وأنت تبني الدنيا في دارك.

وسأله المتوكل عن ميمون بن إبراهيم صاحب البريد؛ فقال: يد تسرق، واستت تضطر، مثله مثل يهودي سرق نصف جزيته، فله إقدام بما أدى، وإحجام بما أبقى، إساءته عمد، وإحسانه تكلف.

وتكلم ابن ثوابة يومًا فتقرّ ثم لحن؛ فقال له أبو العيناء: تقرّرت حتى خفتك، ثم تكشفت حتى عفتك.

وقال له أبو الصقر: ما أخرك عنا؟ قال: سرق حماري، وكرهت منة العواري، وذلة المكاري.

قال يومًا لجارية مغنية: أنا أشتهي أن أنيكك، قالت: ذاك يوم عماك. قال: يا ستي؛ فالساعة بالنقد فقد سبق الشرط - يعني: العمى.

قال: قلتُ لغلّامي وقد رأيتُ في السوق مشجبًا: اشتر لنا هذا المشجب. فقال: يا سيدي فما تلبس إذا ألقىت ثيابك على المشجب؟.

بات أبو العيناء عند ابن مكرم، فجعل ابن مكرم يَفُسو عليه، فقام أبو العيناء وصعد السرير، فارتفع إليه فُساؤه، فصعد السطح فبلغته رائحته، فقال: يا ابن الفاعلة، ما فساؤك إلا دعوةً مظلوم.

وذكر أبو العيناء للعباس بن رستم. فقال: ليس تهضمه معدتي، وتأدي^(١) ذلك إلى أبي العيناء؛ فقال: قُلْ له: إن كان من تُحِبُّ يجبُ أن تهضمه معدتك فيجب أن تكونَ قد سلحت أباك وأمك منذ ثلاثين سنةً.

وكان أبو العيناء في مجلس، وإلى جنبه مُعَنَّ باردٌ، فأقبل على أبي العيناء وقال: يا سيدي كم بيننا وبين الشتاء؟ قال: هذه المسورة. دعا أبو العيناء بعضَ أصدقائه، فقال: أتوصأ وأجيئك. فقال: أخشى ألا ترجع إن ذهبَت تتوصأ. قال: ولم؟ قال: لأنك كما أنتَ وضوء.

وقال له يوماً ابن مكرم: يا أبا العيناء، كلُّ شيء لك من الناس حتى أولادك.

وقال أبو العيناء في ابن مكرم: هو إذا غزا فمطيئةً جنده، وإذا قفل فطعيئةً عبده.

أهدى أبو علي البصير إلى أبي العيناء كيرينجات، وكتب عليها: ﴿أَتَخْلَوْهَا بِسَلْكِ ءَامِينٍ﴾ [الحجر: الآية ٤٦] فردّها وكتبَ عليها: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أَيْدِي كَيْ نَقَرَ عَيْنَهَا﴾ [القصاص: الآية ١٣].

وقال لرجل: ما بال الأحمق يُرزق والأديب يُحرّم؟ فقال: إن هذه الدنيا لدارُ اختبارٍ، فأحبُّ الرّازقُ أن يعلمهم أنّ الأمورَ ليست إليهم.

وقال أبو العيناء: غلّأت السّواد كلها تباع بكف المودح فهلا اكتفى من ذلك بتقر يسير.

قيل له: كيف تركت فلاناً مع قومه؟ قال: ﴿يَعِدُّهُمْ وَيَمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ

(١) تأدي القول إليه: انتهى إليه ووصل.

السَّيِّطُنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ [النساء: الآية ١٢٠].

وقال له أبو عليّ البصير: في أيّ وقت وُلدت؟ قال: قبل طلوع الشمس، قال: لذلك خرجت سائلاً؛ لأنه وقت انتشار السّؤال.

وقال أبو العيّن لرئيس كان عنده وهو يخفض كلامه: كأنك قد طفّل بك في منزلك.

وقدّم إليه ابنُ مكرم جنّب شواء. قال: ليس هذا جنباً، هذا شريحة قصب.

وذكر ولد عيسى بن موسى، فقال: كأن أنفهم قبورٌ نصبت على غير القبلة.

ودخل على إسماعيل القاضي، وجعل يردُّ عليه إذا غلط، اسم رجلٍ وكنية آخر، فقال له بعضُ من حضر: أتردُّ على القاضي أعزّه الله؟، كأنك أحطت بما لم يُحط به، فقال: نعم، لم لا أزدُ على القاضي؟، وقد ردّ الهدهدُ على سليمان؟ فقال: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ يُحِطْ بِهِ﴾ [التَّمَل: الآية ٢٢] وأنا أعلمُ من الهدهد، وسليمان أعلمُ من القاضي.

وقال رجل: ما أتتني إبطك! قال: نلقاك - أعزك الله - بما يُشبهك.

وقال له رجلٌ من ولد سعيد بن مسلم: إنَّ أبي يبغضك. فقال: يا بني؛ إنَّ لي أسوةً بآل محمد ﷺ.

وقال لرجل: والله ما فيك من العقل شيءٌ إلا مقدار ما تجبُّ به الحجة عليك، والتأرُّ لك.

قال أبو العيّن: وُصفت الحمّامات بحضرة ابن عتاب، فقال: دعوني من هذا. ما قامت النساء عن حمامٍ أطيب من حمامِ أصحابِ الخنّاء.

قال المتوكّل: لولا ذهاب بصرِ أبي العيّن لأردتُ منادمتّه، وبلغه ذلك، فقال: قولوا له: إنني إن أعفيتُ من قراءة نقوش الخواتم، ورؤية الأهلّة

صلحتُ لغير ذلك . وأنهى ذلك إلى المتوكلِ فضحك وأمرَ بمنادمته .

قال أبو العيناء: سمعتُ جازاً لي أحمقٌ وهو يقول لجارٍ له: والله لهممتُ أن أوكّل بك مَنْ يصفعُ رقبتك، ويُخرجُ هذه الجفون من أقصى حجرٍ بخراسانَ .

ودخل إلى ابن مكرمٍ؛ فقال له: كيف أنت؟ قال: كما تحبُّ؛ فقال: فلم أنت مطلقٌ؟ .

ومن رسائل أبي العيناء وكلامه المستحسن

كتب إلى أبي الوليد بن أبي داود: جعلتُ فداك، مسنّاً وأهلنا الضرّ، وبضاعتنا المودة والشكر؛ فإن تعطنا أكن كما قال الشاعر: [البيسط]

أنا الشهابُ الذي يحمي دياركم لا يخمدُ الدهرَ إلا ضوءه يقدُ

وإن لم تفعل فلسنا ممن يلمزك في الصدقات؛ ﴿فَإِنْ أَعْطُوا مِنْهَا رِضْوَانًا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ﴾ [التوبة: الآية ٥٨].

قال ابن مكرم: من زعم أن عبد الحميد أكتب من أبي العيناء إذا أحس بكرمٍ أو شرع في طمعٍ فقد وهم .

كتب إلى عبيد الله بن سليمان وقد نكبه وأباه المعتمد، وهما مطالبان بمال، يبيعان له ما يملكان من عقار وأثاث، وعبيد وأمة. وأعطى بخادمٍ أسودٍ لعبيد الله خمسون ديناراً؛ فكتب إليه أبو العيناء .

قد علمت - أطال الله بقاءك - أن الكريم المنكوب أجدى على الأحرار من اللئيم الموفور؛ لأن اللئيم يزيد مع النعمة لؤماً، ولا تزيد محنة الكريم إلا كرمًا، هذا متكل على رازقه، وهذا يسيء الظن بخالقه . وعبدك إلى ملكٍ كافرٍ فقيرٍ، وثمنه على ما أتصل به يسير؛ فإن سمحت فتلك منك عادتني، وإن أمرت بأخذ ثمنه فمالك منه مادتي . أدام الله لنا دولتك، واستقبل بالنعمة نكبتك، وأدام عزك وكرامتك .

فوهب الخادم إليه .

قال أبو العيناء: قال ملك لبنييه: صِفُوا لي شَهواتِكُمْ من النساء . فقال الأكبر: تُعجِبُنِي القُدودُ والخُدودُ والنهودُ . وقال الأوسط: تُعجِبُنِي الأطرافُ والأعطافُ والأردافُ . وقال الأصغر: تُعجِبُنِي الشعورُ والثغورُ والنحورُ .

كان بين أبي العيناء وبين إبراهيم بن رباح خَلَّةٌ ومودةٌ وصداقةٌ قديمة؛ فلما نُكِبَ مع الكتاب في أول خلافة الواثق أنشأ أبو العيناء كلامًا حكاها عن بعض الأعراب؛ فلما وصلَ إلى الواثق وقُرِئَ عليه . قال: واضِعُ هذا الكلام ما أراد به غير إبراهيم بن رباح، وكان أحد أسباب الرضا عنه . ونسخة الكلام: قال:

لقيتُ أعرابياً من أهلِ البادية، فقلتُ: ما عندك من خَبَرِ البلادِ؟ قال: قتلَ أرضاً عالمُها . قلتُ: فما عندك من خَبَرِ الخليفةِ؟ قال: تبَحِّحَ في عَزَّةٍ فضربَ بجرانِه، وأخذَ الدرهمَ من مِصره، وأرَعَفَ كل قلم خيانتَه .

قلتُ: فما عندك من خَبَرِ ابنِ أبي دُؤادِ؟ قال: عُضَلَةٌ لا تُطاق، وجندَلَةٌ لا تُرام، يُتَنَحَّى بالمدى لَتَحْرِهِ فتحور، وتُنصَبُ له الحبالُّ حتى يقول: الآن، ثم يَضِيرُ^(١) ضِبْرَةَ الذئب، ويتملَّسُ تَمَلَّسَ الضَّب، والخليفةُ يحنو عليه، والعراقُ يأخذُ بَضْبَعِيهِ .

قلتُ: فما عندك من خَبَرِ عُمرِ بنِ فَرَجِ؟ فقال: ضُخامٌ حِضَجِر^(٢) وغضوبٌ هِزْبِر، قد أهدَفَه القومُ لبعيهم، وانتَصَمُوا له عن قِسيهم، وأخِرَ له بمثلِ مصرِ مَنْ يصرعُ منهم!

قلت: فما عندك من خَبَرِ ابنِ الزياتِ؟ قال: ذاكَ رجلٌ وسِعَ الورى بِشْرَه، وبطنَ بالأُمورِ خَبْرَه . فله في كل يومٍ صرِيحٌ لا تَظْهَرُ فيه آثارُ مِخْلَبِ

(١) يضير: يشب. والضبير أصله نوع من سير الفرس.

(٢) الحضجر: العظيم البطن الواسعة.

ولا ناب، إلا بتسديد الرأي.

قلت: فما عندك من خبر إبراهيم بن رباح؟ قال: ذاك رجلٌ أوبقه كرمه، وإن يُفَزَّ للكرام قِدْحٌ فأحرِّ بمنجاته، ومعه دُعاءٌ لا يخذله، وفوقه خليفة لا يظلمه.

قلت: فما عندك من خبر نجاح بن سلمة؟ قال: لا درّه من خافضٍ أوتادٍ، يقدُّ كأنه لهبٌ نارٍ، له في الفئنة بعد الفينة جلُسة عند الخليفة كحُسنوة طائر، أو كخِلْسة سارق، يقومُ عنها، وقد أفادَ نِعْمًا، وأوقَعَ نِقْمًا.

قلت: فما عندك من خبر الفضل بن مروان؟ قال: ذاك رجلٌ حُشِر بعدما قُبِر، فله نشرةُ الأحياء، وفيه خفوتُ الموتى.

قلت: فما عندك من خبر أبي الوزير فقال: إخاله كبش الزنادقة. ألا ترى أن الخليفة إذا أهمله خَضِمَ فرتع، حتى إذا أمرَ بنقضه أمطر فأمرع؟.

قلت: فما عندك من خبر أحمد بن الخصيب؟ فقال: أحمدٌ أكلَ إكله نَهَم؛ فأخلفَ خِلْفَةً بِشَم.

قلت: فما عندك من خبر المعلّى بن أيوب؟ قال: ذاك رجلٌ قُدَّ من صَخْرَة، فصبره صبرها، ومسه مسها.

قلت: فما عندك من خبر أحمد بن إسرائيل؟ قال: كتومٌ غرورٌ، وجلدٌ صبورٌ، له جلد نَمِر، كلما قُدوا له إهابًا أنشأ الله له إهابًا.

قلت: فما عندك من خبر عبد الله بن يعقوب؟ قال: ﴿أَمُوتَ غَيْرَ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [التحل: الآية ٢١].

قلت: فما عندك من خبر سليمان بن وهب؟ فقال: ذاك رجلٌ اتَّخَذَهُ السلطانُ أحمًا، فاتَّخَذَ نفسه للسلطانِ عبداً.

قلت: فما عندك من خبر أخيه الحسن؟ فقال: شد ما استنوقت مسألتك! ذاك حرمةٌ حُبِسَتْ بجريرة المجرم، ليس في القوم في خلٍ ولا

خَمْرٍ، هِنَهَات^(١): [الخفيف]

كُتِبَ الْحَبْسُ وَالْحَرَاجُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى الْمُحَصَّنَاتِ جَرُّ الدُّيُولِ
قال: قلتُ: أين منزلك فأؤمك؟ قال: ما لي منزلٌ. إنما أستترُ في الليلِ
إذا التَّبسُ، وأظهر في النهار إذا تَنَفَّسَ.

وهذا كلامٌ لأبي العيناء، نسبه إلى جماعةٍ من كتاب الحضرة وغيرهم
في ذم أحمد بن الخَصِيب وزير المستعين، قال:

ذكر عند أبي العباس محمد بن عبد الله بن طاهر أحمد بن الخَصِيب؛
فقال: ما زال يَحْرِقُ ولا يَرْقَعُ، وما زِلْتُ منذ ارتَفَعُ، أتذَكِّرُ الذي فيه وَقَعُ.
وَذَكَرَ بَعَا؛ فقال: أَبْطَرْتُهُ النِّعْمَةَ، فَعَاجَلْتُهُ النِّقْمَةَ.

وذكر جعفر بن عبد الواحد فقال: أَحْسَنُ حَسَنَاتِهِ سَيِّئَةٌ، وَأَصْغَرُ سَيِّئَاتِهِ
كَبِيرَةٌ.

وذكر هارون بن عيسى فقال: كانت دولته دولة المجانين خرجت من
الدنيا والدين.

وذكر عبد الله بن محمد بن داود الهاشمي المعروف بأثرَجَّة، فقال: بَعُدَ
من الشرفِ فتحامل عليه، وقُرُبٌ مِن ضَلِّ فَمَالٌ إِلَيْهِ.

وذكر إسحاق بن إبراهيم المصعبي؛ فقال: ما كان أتمَّ شِرَّتَهُ^(٢)، إن
دنوت منه غرَّك، وإن بعدت منه ضمرَّك.

وذكره وصيف فقال: ترك العقلاء على يأسٍ من مرتبته، والجهال على
رجاءٍ لدرجته.

(١) مأخوذ من البيت:

كتب القتل والقتال علينا وعلى المحصنات جرّ الديول
والبيت لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص ٣٥٩.

(٢) الشرة: الجهل والتعدي.

وذكره موسى بن بُغا؛ فقال: لولا أنَّ القدر يُغشي البصر ما نهي بيئنا ولا أمر.

وذكره صالح بن وصيف؛ فقال: تجبر وتكبر وتذمر ودبر فدمر.

وذكره سليمان بن يحيى فقال: لم تتم له نعمة؛ لأنه لم تكن في الخير همة.

وذكره الفضل بن عباس فقال: إن لم يكن تاريخ البلاء فما أعظم البلوى!

وذكره الفضل بن مروان قال: فما أجهل من يستجهله! أو لم يخبر بأمر يجهله؟

وذكر عيسى بن فرخان شاه؛ فقال: أعقل منه مجنون، وأحسن منه معلوم.

وذكره إسحاق بن منصور؛ فقال: لو طلب العافية لوجدتها، ما أدبرت عنه حتى أدبر عنها.

وذكره الحسن بن مخلد، فقال: لئن كان دخل مَدْخلاً لا يشبهه لقد خرج مَخْرَجاً يُشبهه.

وذكره أحمد بن إسرائيل؛ فقال: كُنَّا إذا عصيناهُ عرضنا بأنفسنا، وإذا أطعناه فسد تديرونا.

وذكره داود بن محمد الطوسي. فقال: ما أحسن قط إلا غلطاً، ولا أساء إلا تعمدًا.

وذكره المُعلّى، فقال: ما أعجب ما نكب! ونعمته أعجب من نكبته.

وذكره ميمون بن إبراهيم، فقال: لو تأمل رجل أفعاله فاجتنبها، لاستغنى عن الآداب أن يطلبها.

وذكره ابن أبي الشوارب، فقال: كان يحمّد المحسنين، ويجتنب أفعالهم، ويذمّ المسيئين، ويعمل أعمالهم.

وذكره خالد بن صبيح، فقال: هو كما قال فلان: ملأ يساره سلخاً، وبسط يمينه سطحاً، وقال: انظروا في سطحي، وإلا لَطَخْتُكُمْ بسلجي.

وذكره شجاع بن القاسم، فقال: الحزم ما فعلنا، ولو لم نعاجله لعَاجَلْنَا.

وذكره داود بن الجراح، فقال: كان لا يرضى أحداً ولا يرضاه أحد، فضرّوه إذ لم يرضوه، ولم يضرّهم إذ لم يرضهم.

وذكره أحمد بن صالح، فقال: كان لا يغمّ إلا لما فاتهُ من الشرِّ ولا يُسرُّ إلا بما فاتهُ من الخير.

وذكره محمد بن نحاح، فقال: لئن كانت النعمة عظمت على قوم خرجت عنهم، لقد عظمت المصيبة على قوم نزلت فيهم.

وذكره علي بن يحيى، فقال: لم يكن له أول يرجع إليه، ولا آخر يُعوّل عليه، ولا عقلٌ فيذكر عاقلٌ لديه.

وذكره علي بن الحسن الإسكاف، فقال: كان الجاهلُ يغبطنا بتكريمته، والعاقلُ يرحمنا من سوءِ عشرته.

وذكره ابن محمد بن فيروز، فقال: حظُّ في السحاب، وعقلٌ في التراب.

وذكره محمد بن موسى بن شاكر المنجم، فقال: قبحه الله إن ذكرت له ذأ فضلٍ تنقّصه لما فيه من ضده، أو ذكرت ذأ نقص تولاّه لما فيه من شكله.

وذكره يزيد المهلبي، فقال: كانت يده تمنع، ونفسه لا تشبع، ويترع ولا يُرتع.

وذكره ابنُ طالوت، فقال: كان العقلُ مأسوراً في سلطانه، فلما سيره أطلق من لسانه.

وذكره محمد بن علي بن عصمة، فقال: ما كان أقربَ وليه مما يكره، وعدوه مما يحب! .

وذكره ابن جبل؛ فقال: ما زال ينقصُ ولا يزيد، ويتوعدُّ حتى حلَّ به الوعيد.

وذكره عبدُ الله بن محمد؛ فقال: لو أقام لسِرنا؛ فأما إذ سار فقد أقمنا.

وذكره ابن حمدون؛ فقال: لئن فضحتهُ القدرة لقد جمَّته النكبة.

وذكره ابن أبي الأصبح، فقال: ما علمتُ خدمةَ الشياطين، إلا أيسر من خدمة المجانين؛ كان غضبه علينا إذا أطعناه أشدَّ من غضبه إذا خالفناه.

وذكره إبراهيم بن رباح؛ فقال: كان لا يفهم ولا يفهم، وينقُض ما يُبرم.

وذكره سعيد بن حميد؛ فقال: كان إذا أصاب أحجم، وإذا أخطأ صمم.

وذكره سعيد بن عبد الملك، فقال: كان يخافهُ الناصح، ولا يأمنهُ الغاش، ولا يبالي أن يراه الله مُسيئًا.

وقال المتوكل يومًا لأبي العيناء: كيف شربك النبيذ؟ قال: أعجزُ عن قليله، وأفتضحُ عند كثيره. فقال: دَع هذا عنك ونامنا. فقال: يا أمير المؤمنين إن أجهلَ الناسِ من جهلَ نفسه، ومهما جهلتُ من الأمر فلن أجهل نفسي، أنا امرؤٌ محجوب، والمحجوبُ مخطوفٌ؟ إشارته، ملحودٌ بصره، وينظرُ إلى مَنْ لا ينظرُ إليه؛ وكل من في مجلسك يخدمك، وأنا أحتاجُ أن أُخدم، وأخرى، فلستُ آمنُ أن تنظرَ إلي بعينِ غضبانٍ وقلبك راضٍ، أو بعينِ راضٍ وقلبك غضبان، ومتى لم أميزَ بينَ هاتين هلكت. ولم أقل هذا جهلاً بما لي في المجلس من الفائدة؛ فأختار العافية على التَّعرضِ للبلية.

قال أبو العيناء، قال لي المتوكل يومًا: بلغني أنك رافضي. فقلت:

ألدين أم لِدُنْيا؟ فإن أكُ للدين ترفُضتُ فأبوك مُستنزلُ الغيث، وإن أكُ للدينيا ففي يدكُ خزائنُ الأرضِ. وكيف أكون رافِضِيًّا، وأنا مولاك، ومولدي البصرة، وأستاذي الأصمعي، وجيراني باهلة؟ فقال: إن ابن سعدان زعم ذلك. قلت: ومن ابنُ سعدان؟ والله ما يُفرِّقُ بين الإمام والمأموم، والتابع والمتبوع؛ إنما ذاكُ حاملُ دِرَّة، ومعلِّمُ صِبية، وآخذُ على كتاب الله أجرة. قال: لا تقل؛ فإنه مؤدَّبُ المؤيد. قال: قلت: يا أمير المؤمنين: لم يؤدبه حِسبة، إنما أدَّبه بأجرة، فإذا أعطيته حقَّه فقد قضيت ذمامه.

عزى أبو العيناء ابن الرضا رضي الله عنهما عن ابنه؛ فقال له: أنت تجلُّ عن وصيتنا، ونحن نقلُّ عن عِظتِكَ. وفي علم الله ما كفَّاك، وفي ثواب الله ما عزَّاك.

وكتب إلى عبید الله بن سليمان: أنا وولدي وعيالي زرْعٌ من زرعك؛ إن سقيته راعٍ وزكَّا، وإن جفوته ذبلٌ ودوى. وقد مسني منك جفَاءً بعد برٍّ، وإغفالاً بعد تعهدٍ، حتى شمتَ عدوُّ، وتكلم حاسدٌ، ولعبت بي ظنونُ رجالٍ^(١): [الرملة]

وشديدُ عادةٍ منتزعة

وعزاه عن أبيه، فقال: عقمَ والله البيان، وخرست الأقلامُ، ووهى النظام.

وكتب إلى عيسى بن فرخان شاه: أنا أحمد الله على ما تأتت إليه أحوالك؛ ولئن كانت أخطأت فيك النعمة، لقد أصابت فيك النقمة، ولئن أبدت الأيام مقابحها بالإقبال عليك، لقد أظهرت محاسنها بالانصرافِ عنك.

وكتب إلى صديق له تولى ناحية:

(١) صدره:

لا تهني بعد إكرامك لي

والبيت لأبي الأسود الدؤلي في ملحق ديوانه ص ٣٥٠، وبلا نسبة في عيون الأخبار ٣/ ١٩٥.

أما بعد؛ فإني لا أعظك بموعظة الله؛ لأنك غني عنها، ولا أرغبك في الآخرة؛ لمعرفتي بزهدك فيها. ولكني أقول كما قال الشاعر^(١): [الطويل]

أحارِبِنِ عَمْرٍ قَدْ وَلِيَتْ وَلايَةَ فَكُنْ جُرْدًا فِيهَا تَخُونُ وَتَسْرِقُ
وَكَائِزٌ تَمِيمًا بِالغَنَى، إِنَّ لِلغَنَى لِسَانًا بِهِ المَرءُ الهَيُوبَةُ يَنْطِقُ
وَاعْلَمْ أَنَّ الخِيَانَةَ فِطْنَةٌ، وَالأَمَانَةَ خُرْقٌ، وَالجَمْعَ كَيْسٌ، وَالمَنْعَ صِرَامَةٌ،
وَلَيْسَتْ كُلُّ يَوْمٍ وَلايَةً، فَادْكُرْ أَيَّامَ العُطْلَةِ، وَلا تَحْقِرَنَّ صَغِيرًا، فَمَنْ الدُّودِ إِلَى
الدُّودِ إِيْلٍ، وَالوَلايَةُ رَقْدَةٌ، فَتَبَّهْ قَبْلَ أَنْ تُتَبَّهَ، وَأخُو السُّلْطَانِ أَعْمَى، عَنِ القَلِيلِ
سَوْفَ يُبْصِرُ. وَما هَذِهِ الوَصِيَّةُ الَّتِي أَوْصَى بِهَا يَعْقُوبُ بَنِيهِ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُ
الحَزْمَ أَخَذَ العَاجِلِ، وَتَرَكَ الآجَلَ.

وكتب إلى عيسى بن فرخان شاه: أصبحت منك بين أمرين عجيبين، إن غبت عنا - ولا يُغيبُكَ اللهُ - لزمنا الخوف، واستخف بنا الناس، ولاحظونا بالوعيد، وسدوا علينا أبواب المنافع؛ فإذا ظهرت فققر حاضر، وأمل كاذب، وجرمان شامل، كنت أسألك كذا فاستكثرته، وما ظننتك تستكثر. هذا الولي مؤمل بي إليك، فكيف لولدك الذي غُدِّي بنعمتك وتخرَّج في دواوينك، فوالله ما كان أمل سيواك، ولا خطر من مكاره الدنيا شيء فأخطرتك بقلبي إلا هان وخف عني.

وكتب إلى بعضهم: نحن أعز الله الأمير إذا سألنا الناس كف الأذى سألناك بذل الندى، وإذا سألناهم العدل، سألناك الفضل، وإذا سررناهم ببسط العذر سررناك باستدعاء البر.

(١) البيت الأول لأنس بن زعيم في ديوانه ص ١١٤، ولسان العرب (سرق)، والمقاصد النحوية ٤/ ٢٩٦، وله أو لأنس بن أبي أنيس في الدرر ٣/ ٥٤، ولأبي الأسود الدؤلي في ديوانه ص ١٧٧، والعقد الفريد ٣/ ٦٠، ولأنس بن أبي أنيس أو لابن أبي إياس الديلي، أو لأبي الأسود الدؤلي في أمالي المرتضى ١/ ٣٨٤، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٦/ ٤٤، وشرح الأشموني ٢/ ٤٦٩، وجمع الهوامع ١/ ١٨٣.

وكتب في فصل: قد آمن الله خائفك من ظلمك، وسائلك من بؤخك،
والعائد بك من مالك، والمستزيد لك من علمك، وإن الله لم يزل يعطيك إذا
أعطيت، ويزيدك إذا زدت.

أخبرنا الصاحب - رحمة الله عليه - أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن
كامل قال: أخبرنا أبو العيناء، وقال مرة أخرى أحمد بن خلف قال أبو
العيناء: أتيت عبد الله بن داود الخريبي؛ فقال: ما جاء بك؟ فقلت: طلب
الحديث، قال: اذهب فتحفظ القرآن، قلت: قد حفظ القرآن. قال: فاقرا:
﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ [يونس: الآية ٧١]. قال: فقرأت العشر،
قال: فاذهب الآن وتعلم الفرائض. قال: قلت: قد تعلمت الجَدَّ والصُّلْبَ
والكبد، قال: فأيما أقرب إليك: ابن أخيك أو ابن عمك؟ قال: قلت: ابن
أخي، قال: ولم؟ قلت: لأن أخي من أبي، وعمي من جدي. قال: اذهب
الآن وتعلم العربية. قلت: علمت ذلك قبل هذين. قال: فلم؟ قال عمر بن
الخطاب: يا الله، يا للمسلمين. قال: قلت فتَح تلك للاستغاثة، وكسر هذه
للاستنصار. قال: لو حدثت أحدا حدثك.

سب رجل من العلوية أبا العيناء، فقال له أبو العيناء: ما أحوج شرفك
إلى من يصونه حتى تكون فوق من أنت دونه.

وكتب إلى بعضهم: ثقتي بك تمنعني من استبطائك، وعلمي بشغلك
يدعوني إلى إذكارك. ولست آمن مع استحكام ثقتي بطولك، والمعرفة بعلو
همتك احترام الأجل فإن الآجال آفات الآمال، فسح الله في أجلك، وبلغك
منتهى أملك.

نوادر مزبد (١)(٢)

صب مزبد يوماً الماء على نفسه، فسألته امرأته عن ذلك؛ فقال:

(١) هو مزبد المدني ضرب به المثل في الهزل، (انظر: المقابسات ص ٥٠، فوات الوفيات ٢/ ٣٠٣، التبصير ص ١٢٧٥).

(٢) نثر الدر للآبي ١٥٦/٢ - ١٦٦.

«جلدتُ عُميرة»، ثم رآها بعد أيام تصبُّ الماء على نفسها فسألها فقالت: «جلدتُ عميرة فجلدتني».

أخذه بعضُ الولاة وقد اتهمه بالشرب، فاستنكَّه، فلم يجد منه رائحةً، فقال: قيؤه. قال: من يضمنُ عَشائِي أصلحك الله؟.

قيل له مرة - وقد أفحش في كلامه -: أملِ على كَاتِبِيكَ خَيْرًا. قال: أكرهُ أن أُخْلِطَ عليهما.

وَادَّعَى رجل عليه شيئًا، وقَدَّمه إلى القاضي، فأنكره، وسأله إقامة البينة؛ فقال: ليس لي بينة. قال: فاستحلفه لك؟ قال: وَمَا يَمِينُ مزبَّد أصلحك الله فقال مزبَّد: ابعث، أصلحك الله إلى ابن أبي ذئب فاستحلفه له.

وتناول رجلٌ من لحيته شيئًا، فسكت عنه، وكان الرجلُ قبيحَ الوجه، فقال: ويحك لم لا تدعو لي؟ فقال: كرهتُ أن أقولَ صرفَ الله عنكَ السوء فتبقى بلا وجه. وقيل له: أيسرُك أن هذه الجُبَّة لك؟ قال: نعم، وأضربُ عشرين سوطًا. قيل: ولم تقول ذلك؟ قال: لآثَةُ لا يكونُ شيءٌ إلا بشيءٍ.

وأناه أصحابٌ له يومًا؛ فقالوا له: يا أبا إسحاق؛ هل لك في الخروج بنا إلى العقيق، وإلى قُباء، وإلى أحد ناحية قبور الشهداء؛ فإن يومنا كما ترى يوم طيب. قال: اليومُ يوم الأربعاء ولستُ أبرحُ من منزلي. قالوا: وما تكره؟ يوم الأربعاء فيه وُلِدَ يونسُ بن متى عليه السلام. قال: بأبي وأمي أنتم فقد التَّقمَةُ الحوث. قالوا: فهو اليوم الذي نُصِرَ فيه النبيُّ عليه السلام يومَ الأحزاب. قال: أجل، ولكن بعدَ إذ رَاغَتِ الأبصارُ، وبلغتِ القلوبُ الحناجرُ، وظنُّوا بالله الظنون.

أردف مُزبَّد رجلًا على بغلة، فلما استوى الرجل قال: اللهم أنزلنا منزلًا مَبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ؛ فقال مزبَّد: اللهم قَنَعُهُ حربَةً، يسألُ ربَّه منزلًا مَبَارَكًا وهو بين استي واست البغلة.

استأذن مُزَبَّدٌ على بعض البخلاء وقد أهدي له تين في أول أوانه، فلما أحسَّ بدخوله تناول الطبق، فوضعه تحت السرير، وبقيث يده معلقة، ثم قال لمزبَّد: ما جاء بك في هذا الوقت؟ قال: يا سيدي؛ مررت الساعة ببابِ فلان، فسمعتُ جاريته تقرأ لحناً ما سمعتُ قطُّ أحسنَ منه، فليما علمتُ من شدة محبتك للقرآن، وسماعك للألحان، حفظته، وجئتُ لأقرأه عليك. قال: فهاته، فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾﴾ [التين: الآيتان ١، ٢].

فقال: ويلك! أين التين؟ قال: تحت السرير!!

هبَّت ريحٌ شديدة، فصاح الناس: القيامة، القيامة. فقال مزبَّد: هذه قيامة على الريق بلا دابة الأرض والدجال ولا القائم.

ونظر يوماً إلى مغربيٍّ أسود وهو ينك غلاماً روميًّا، فقال: كأن أيره في استه كُراع عَنز في صحن أرز. مرض مرة، فعاده رجل وقال له: احتّم. فقال: يا هذا؛ أنا ما أقدر على شيءٍ إلا على الأمانى أن أحتمي منها.

ورأى مزبَّدًا رجلًا بالرَّها، وعليه جبة خزٌ، وكان قد خرج إليها فحسنت حاله، وقال: يا مزبَّد؛ هب لي هذه الجبة. فقال: ما أملك غيرها، فقال الرجل: فإن الله تعالى يقول: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: الآية ٩] فقال: والله أرحم بعباده أن يُنزّل هذه الآية بالرَّها، في كانوا وكانون، وإنما نزلت بالحجاز في حزيرانَ وتموز.

قيل له - وقد اشترى حمازًا -: ما في هذا الحمار عيبٌ إلا أنه ناقصُ النفسِ بليدٌ يحتاج إلى عصا. قال: إنما كنتُ أغتمُّ لو كانَ يُحتاجُ إلى بزْمَاورد^(١). فأما العصا فإنها سهل.

(١) البزماورد: طعام من بيض ولحم، فارسي معرب.

احتاج مزبّد أن يبيع جُبتَه لسوء حاله، فنادى عليها المنادي، فلم يطلب بشيء؛ فقال: مزبّد: ما كنتُ أعلمُ أنني كنتُ عُريانا إلى الساعة.

وقع بينه وبين رجل كلامًا! فقال له الرجل: تكلمني وقد زيد... ستُ أمك فرجع مزبّد إلى أمه، فقال لها: يا أمّه، تعرفين بلبل؟ قالت: أبو عليّة؟ قال: نا... لكِ يشهدُ الله... أنا أسألك عن اسمه، فتجيبيني عن كُنيتِه.

قيل لمزبّد: لم لا تكون كفلان؟ - يعني رجلاً موسراً - فقال: بأبي أنتم، كيف أتشبه بمن يضرط ويُشمت، وأعطس فألطم.

ونظر إلى رجل كثير شعر الوجه؛ فقال له: يا هذا؛ خنديقٌ علي وجهك لا يتحوّل رأساً.

وقال له رجل: مَنْ شجك ههنا؟ - وأشار إلى استه - قال: الذي شجّ أمك في موضعين.

ودخل بيته، وبين رجلَي امرأته رجل ين... بها وباب الدار مفتوح؛ فقال: سبحان الله أنتِ على هذه الحال والباب مفتوح؟ أليس لو دخل غيري كانت الفضيحة.

ونظر يوماً إلى امرأته تصعد في درجة؛ فقال: أنتِ الطلاق إن صعدت، وأنتِ الطلاق إن وقفت، وأنتِ الطلاق إن نزلت. فرمت بنفسها من حيث بلغت. فقال لها: فداك أبي وأمي! إن مات مالك احتاج إليك أهل المدينة في أحكامهم.

وسكر يوماً؛ فقالت امرأته: أسأل الله أن يُبغضَ النبيذَ إليك. فقال: والفتيتَ إليك.

ورثي مع امرأة يكلمها؛ فقيل: ما تُريدُ منها؟ قال: أناظرها في مسألة من النكاح.

وقيل له: ما نقولُ في القبلة؟ قال: السبابُ قبل اللطام.

ونظروا إليه وبين يديه نبيذ أسود؛ فقالوا له: ما نبيذك هذا؟ قال: أما ترون ظلمة الحلال فيه؟

واشترى مرةً جاريةً فسئِلَ عنها، فقال: فيها خلَّتَانِ من خلالِ الجنة: بردٌ وسعة.

وقال مرة: إنَّ أخي يلقي الله منذ ثلاثين سنة بصحيفتيه مملوءةً خمراً، وهو لم يشرب منها جرعة؛ فقليل له: كيف ذلك؟ قال: هو منذ ثلاثين سنة يبكر كل يوم في طلب الخمر، فلا يجدُ إليها سبيلاً لفاقته، وعزمه صحيح على شربها لو وجدها.

قيل له: ما بال حمارك يتبلدُ إذا توجه نحو المنزل، وحُمُر الناس إلى منازلها أسرع؟ قال: لأنه يعرف سوء المنقلب.

دخل يوماً على قينة وهي تغني^(١): [الخفيف]

عادا قلبي من الطويلة عادا

وإنما هو عيد. فقال مُزبد: وثمود، فإن الله لم يفرق بينهما.

وقيل له: أيولد لابن ثمانين؟ قال: نعم. إذا كان له جارٌ ابنُ ثلاثين.

وأتهمه رجل بشيء، فاعتذر إليه، وقال: إن كنتُ فعلتُ هذا فمسخني الله كلباً أنهسُ عراقيب الملائكة في الموقف.

وقالت امرأةٌ مُزبد - وكانت حُبلى، ونظرتُ إلى قُبْح وجهه -: الويلُ لي إن كان الذي في بطني يُشبهك؛ فقال لها: الويل لي إن كان الذي في بطني لا يشبهني.

(١) يروى البيت بتمامه:

عاد قلبي من الطويلة عيدٌ واعتراني من حبها تسهيدٌ

والبيت بلا نسبة في لسان العرب (عود)، (طول)، وتاج العروس (عود)، وتهذيب اللغة ٣/

١٣٢.

لقي مُزَيْدٌ رجلاً، فقال له: مَنْ أَنْتَ؟ قال: قرشي والحمد لله؛ فقال مُزَيْدٌ: الحمد لله في هذا الموضع ريبة.

سمع مزيدٌ رجلاً يقول عن ابن عباس: «مَنْ نَوَى حُجَّةً وَعَاقَهُ عَائِقٌ كُتِبَتْ لَهُ». فقال مُزَيْدٌ: ما خرج العامَّ كلُّه كراءً أرخصُ من هذا.

وقيل له: ما ورثتُ أختك عن زوجها؟ فقال: أربعة أشهرٍ وعشراً.

أسلم نصراني، وفعل في الإسلام فعلاً قبيحاً؛ فقال مُزَيْدٌ: انظروا إلى هذا الذي أسخطَ المسيحَ، ولم يُرضِ محمداً.

دُفِعَ مرّةً إلى والي مكة، وقد أفطر في شهر رمضان؛ فقال له الوالي: يا عدوَّ الله تُفطِرُ في شهر رمضان! قال: أنتَ أمرتني بذلك. قال: هذا شرٌّ، كيف أمرتُك؟ ويملك. قال: حدثت عن ابن عباس: أنه من صامَ يومَ عرفةَ عدلَ صومه سنة، وقد صُمِّمته. فضحك الوالي وخلاًه.

واعتلَّ علةً، وأشرف منها إلى الهلاك، وأراد أن يُوصي، فدعا بعض أوليائه، وأوصى إليه، وكتب كتاب وصيته، وأمر للوصي بشيء؛ فلما فرغ من الكتابة رآه مُزَيْدٌ وهو يُتْرِبُ الكِتَابَ؛ فقال وهو على تلك الحال: نعم يا سيدي، فهو أفضى للحاجة.

ونظر إلى قومٍ مكتففين يُذْهَبُ بهم إلى السجن؛ فقال: ما قصَّةُ هؤلاء؟ قالوا: خيرٌ. قال: إن كان خيراً فاكْتَفُونِي معهم.

وطلب من دَارِهِ بعض جيرانه مِلْعَقَةً، فقال: ليت لنا ما نأكله بالأصابع.

وجلس يوماً يأكل السمكَ والجبنَ وقال: ومن أين يَعْلَمُ السمكُ وهو ميتٌ أني أكلت الجبنَ؟ وخاصم مرةً امرأته، وأراد أن يُطَلِّقَهَا؛ فقالت له: اذكر طُولَ الصبْجَةِ. قال: والله ما لكِ عندي ذنبٌ غيره.

وقال يوماً لامرأته: اتخذي لي قَريصاً فقد اشتهيته. قالت: فأين حوائجُه؟ قال: فلا حصرَ البردِ لفقده حتى ننظر في باقي الحوائجِ.

وحضر مع محبوبٍ مجلسًا فعربدوا عليهما، فقام محبوبٌ يقاتلهم، ويفتري عليهم؛ فقال مُزبد: اسكت يا أخي، فإنَّ القومَ سكارى، يذهبُ شتمنا ضياعًا.

ومرت به امرأةٌ قبيحة؛ فقال: لعنها الله كأَنَّ وجهها وجهٌ إنسانٍ رأى شيئًا فزع منه.

وهبَّت بالمدينة ريحٌ صرصر، أنكرها الناس وفزعوا؛ فجعل مُزبد يدقُّ أبواب جيرانه ويقول: لا تعجلوا بالتوبة؛ فإنما هي - وحياتكم - زوبعة، وسوف تنكشف الساعة.

ونام مرةً بالمسجد، فدخل رجلٌ فصلّى، فلما فرغ قال: يا رب؛ أنا أصلي وهذا نائم.

فقال مُزبد: يا ابن أم؛ سل ربك حاجتك. ولا تُحرّشه علينا.

وقالت له امرأته مرةً: قد تمزّق خُفي، ولا يتهيأ لي أن أخرج. قال لها: أيما أحبُّ إليك؟ أن تشتري خُفًا أو أئيب... لك الليلة أربعة. قالت: هذا الخلق يتهيأ أن يُدافع به الوقت.

وكانت ليلةَ الفِطر مرةً، فعلا مُزبد منارةً مسجدِ رسول الله - ﷺ - ثم نادى: ألا سمع سامع، إنا قد شردنا رمضان، فمن آواه فقد برئت منه الذمّة. فسمعه الوالي؛ فضربه مائةً سوطٍ؛ فقال: ما أبالي! ما كنت لأدع لذتها.

وكانت بالمدينة جاريةً، يقال لها: بَصْبَص، مغنّية، يجتمع الأشراف عند مولاها لسماع غنائها، فاجتمع عندها يوماً محمد بن عيسى الجعفري، وعبد الله بن مصعب الزُبيري، في جماعةٍ من أشرافِ المدينة، فتذاكروا أمرَ مُزبد وبُخله، فقالت بَصْبَص: أنا آخذ لكم منه درهماً. فقال لها مولاها: أنتِ حرةٌ إن لم أشتري لك مِخْتَقَةً بمائةٍ دينلو إن فعلتِ هذا، وأشتري لك مع ذلك ثوب وشي بمائةٍ دينار، وأجعل لك مجلسًا بالعقيق أنحرُ فيه بدنةً لم تُركب،

ولم تُقْتَب. فقالت: جىء به، وارفع الغيرة عني. قال: أنت حرة إن منعتك منه ولو رأيتُه قد رفع رجلك، ولا عاديتُه على ذلك إن حصلت منه الدرهم؛ فقال عبد الله بن مصعب: أنا لكم به زعيم.

قال عبد الله فصليتُ الغداة في مسجد المدينة، فإذا أنا به قد أقبل؛ فقلت: أبا إسحق؛ أما تحب أن ترى بضبص؟ فقال: بلى والله امرأته طالق إن لم يكن الله ساخطاً علي في أمرها فقد جفنتني، وإلاً فأنا أسأله منذ سنة أن ألقاها فلا تُجيبني.

فقلتُ: إذا صليتَ العصر فأتيني ههنا. فقال: امرأته طالق إن برح يومه من ههنا إلى العصر.

قال: فتصرفتُ في حوائجي حتى فاتتِ العصر، فدخلتُ المسجد فوجدته؛ فأخذتُ بيده فأتيهم به، وأكل القوم، وشربوا حتى صليتُ العتمة، ثم تساكروا وتناؤموا.

فأقبلتُ بضبص على مُزَبَّد؛ فقالت له: يا أبا إسحق؛ كاني - والله - في نفسك تشتهي أن أغنيك الساعة^(١): [الهمزج]

لقد رحلوا الجمالَ ليهـ رُبُوا منا فلم يَئِلُوا

قال لها: امرأته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في اللوح المحفوظ. فغنته إياه فقالت له: أي أبا إسحق كاني بك تشتهي أن أقوم من مجلسي فأجلس إلى جنبك، فتدخل يدك في جلبابي، فتقرص عكبي قرصات وأغنيك:

قالت وأبشئتها وجدِي فَبُحْتُ بِهِ

فقال لها: امرأته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في الأرحام. وما تكسبه الأنفس غداً، وبأي أرضٍ تموت. قالت: نعم؛ فقام فجلس إلى جنبها وأدخل

(١) البيت للحكم بن عبدل في تجريد الأغاني ص ٣٠٦.

يده في جلبابها، وقرصها وغنّت له .

ثم قالت: برح الخفاء . أنا أعلم أنك تشتهي أن تُقبّلني شقّ التين،
وأغنيك هزجًا: [الهزج]

أنا أبصرتُ بالليلِ غلامًا حسنَ الدّلِّ
كغصن البانِ قد أضبَّ حَ مَسْقِيًّا من الطلِّ
فقال: امرأته طالق إن لم تكوني نبيّة مرسلّة فقبّلها، وغنّته .

ثم قالت: يا أبا إسحاق ما رأيت قط أنذل من هؤلاء؟ يدعونك،
ويُخرجوني إليك، ولا يشترون لنا ريحانًا بدرهم، هلم درهمًا نشترى به
ريحانًا. فوثب وصاح: واحرباه أي زانية! أخطأت استك الحفرة، انقطع والله
عنك الوحي الذي كان يُوحى إليك، ووثب من عندها وجلس ناحية. فَعَطَّعَ
بها القوم، وعلموا أنّ حيلتها لم تنفذ عليه، وعادوا لمجلسهم، وخرج مزبّد
من عندهم فلم يعد إليهم .

وقيل لمزبّد: أيسرُك أن يكون عندك قنينة شراب؟ فقال: يا ابن أم؛
ومن يسره دخول النار بالمجان .

وضعت امرأته المنخل على فراشه، فجاء، فلما رآه تعلق بوتره كان في
داره، فقالت امرأته: ما هذا؟ قال: وجدت المنخل في موضعي، فصرت في
موضعه .

قالت امرأة مزبّد لجارة لها: يا أختي؛ كيف صار الرجل يتزوج
بأربعة، ويملك من الإماء ما يشاء، والمرأة لا تتزوج إلا واحدًا! ولا
تستبد بمملوك؟ قالت لها: يا حبيبتي؛ قوم الأنبياء منهم، والخلفاء
منهم، والقضاة منهم، والشرط منهم، تحكّموا فينا كما شاؤوا، وحكموا
لأنفسهم بما أرادوا .

قال مزبّد: جاءني صديق لي فقال: ألا تسأل فلانًا التاجر أن يقرضني
مائة درهم؟ على رهنٍ وثيق، فإني بضيق، مُنقطع بي، فقلت: إنه يفعل، فما

الرهن؟ قال: اكتب لي على نفسي بالقذف، وأشهد العدول، فإن وفيتُه حقُّه وقت المحل، وإلا استعدى عليّ، وأقام البيّنة بأني قذفته، حتى أحدّد حدّ القاذف. فقلتُ له: يا أخي؛ هذا رهنٌ تَقُلُّ رغبةً التجار فيه.

كان لمُزبّد غلام، وكان إذا بعثه في حاجةٍ جعل بينه وبينه علامة، أن يكون إذا رجع سأله فقال: حنطة أو شعير، فإن كان عاد بالتحج قال: حنطة، وإن لم يقض الحاجة قال: شعير. فبعثه يوماً في حاجة، فلما انصرف قال: حنطة أم شعير؟ قال: خرا. قال: ويلك! وكيف ذلك؟ قال: لأنهم لم يقضوا الحاجة، وضربوني وشتموك.

صلى مزبّد ذات يوم في منزله، وجعل يدعو في دُبر صلاته، وسمعته امرأته. فقال: اللهم أصليني. فقالت: أما هذا يا رب فلا تشركني فيه. فقال: يا فاعلة، ﴿تِلْكَ إِذَا قَسَمَةُ ضَيْبِئَا﴾ ﴿٢٢﴾ [النجم: الآية ٢٢].

وسمع رجلاً يقول لآخر: إذا استقبلك الكلب في الليل فاقرأ:

﴿يَمْعَشَرِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ ﴿٢٣﴾ [الرحمن: الآية ٣٣] فقال مُزبّد: الوجهُ عندي أن يكون معك عصاً أو حجر، فليس كلُّ كلبٍ يحفظ القرآن.

ووقع بينه وبين امرأته خصومةً، فحلف: لا يجتمع رأسي ورأسك على مخدة سنة؛ فلما طال ذلك عليه قال: نقتنعُ باجتماع الأرجلِ إلى وقت حلولِ الأجل.

وغضب عليه بعضُ الوُلاة وأمر بحلِّق لحيته؛ فقال له الحجّام: انفخ فمك حتى أحلِّق. قال: يا ابنَ الفاعلة؛ أمرك أن تحلق لحيتي أو تعلمني الزمّر؟

واشتهت امرأته فالودجّا، فقال: ما أيسر ما طلبتِ! عندنا من آلتِه أربعةُ أشياء، وبقي شيثان تحتالين فيهما أنت. قالت: وما الذي عندنا؟ قال:

الطنجير والإسطام^(١) والنار والماء. وبقي: الدهن والعسل؛ وهما عليك.
وسُئل يوماً عن عدد أولاده، فقال: عهد الله في رقبتة إن لم تكن امرأته
تلد أكثر مما ينيد... بها.

قال يوماً: قد عزمْتُ في هذه السنة على الحج، وأصلحتُ أكثر ما
أحتاجُ إليه، قالوا: وما الذي أصلحت؟ قال: تحفَّطُ التلية.
وقيل له: كيف حبُّك لأبي بكر وعمر؟ قال: ما ترك الطعام في قلبي
حبًّا لأحد.

ودخل على بعض العلوية؛ فجعل يعبث به ويؤذيه، فتنفَّس مُزبِّد
الصَّعداء وقال: صلوات الله على المسيح، أصحابه منه في راحة. لم يخلف
عليهم ولداً يؤذيهم.

وجاء غريمٌ له يوماً يطالبه بحقِّ له؛ فقال له: ليس لك اليومَ عندي
شيء، وحشره الله كلباً عقوراً ينهشُ عراقيبَ الناس في الموقف، ولو علقته
من الثريا بزغبة قثاءة ما أعطيتك اليومَ شيئاً.

باع جاريةً على أنها طباخة، ولم تُحسن شيئاً فردَّت، فلم يقبلها، وقُدِّم
إلى القاضي، وطُوب بأن يحلف أنه ملكها وكانت تطبخ وتُحسن فاندفع
وحلف بيمين غليظة أنه دفع إليها جرادةً فطبخت منها خمسة ألوانٍ وفصلت
منها شريحتين بالقديد سوى الجنب، فإنها شوته. فضحك من حضر، وأيس
خصومه من الوصول منه إلى شيء فخلَّوه.

وقالت له امرأته في خصومةٍ بينهما: يا مُفلس، يا قرنان^(٢). قال: إن
صدقتِ فواحدةٌ من الله والأخرى منك.

وقيل له: كم كانت سنُّك أيام قتل عثمان؟ فقال: كنت أول ما قاذفت.

(١) الإسطام: المسعر الذي يحرك به النار.

(٢) القرنان: الديوث المشارك في قرينته.

جمع مزبّد بين رجل وعشيقته في منزله، فعابثها ساعة، ثم أراد أن يمدّ يده إليها، فقالت: ليس هذا موضعه، وسمع مزبّد قولها فقال: يا زانية، فأين موضعه؟ بين الركن والمقام؟ أم بين القبر والمنبر؟ والله ما بُنيت هذه الدار إلا للقحاب والقوادات، ولا دُفَع ثمن خشبها إلا من القمار، فأأي موضع للزنى أحقُّ منها؟.

وشكا إليه رجلٌ سوءَ خُلُقِ امرأته؛ فقال له مزبّد: بَخْرُها بمثلثة. يريد: الطلاق.

وقيل له: صَوْمُ يومِ عرفة يعدل صَوْمَ سنة. فصام إلى الظُّهر ثم أفطَرَ فقال: يكفيني صَوْمُ نصفِ سنةٍ فيه شهر رمضان.

قيل لمزبّد وقد عَضَّه كلب: إن أردت أن يسكن فأطعم الكلبَ الثريد، فقال: إذا لا يبقى في الدنيا كلبٌ إلا جاعني وعضني.

وقيل له: إن النبي عليه السلام قال: «إِذَا رَأَيْتَ شَخْصًا بِاللَّيْلِ فَكُنْ بِالْإِقْدَامِ عَلَيْهِ أُولَى مِنْهُ عَلَيْكَ» قال: أخاف أن يكون قد سَمِعَ هذا الحديث فأقع فيما أكره.

كان مزبّد الغاضري في حبس محمد بن عبد الله - رضي الله عنه - حين ظهر بالمدينة؛ فلما أمسى في الليلة التي قُتِلَ محمدٌ في صبيحتها وجعل يقول: معنا علم الغيب. قيل: وكيف ذلك؟ قال: ما في الدنيا قومٌ يعرفون آجالهم غيرنا، إذا أصبحنا جاءت.

وقيل له: قد بيّض الناس جميعًا في سائر الآفاق. فقال: وما ينفَعنا من ذلك؟ وهذا عيسى بن موسى بعقوبنا، اعملوا على أن الدنيا كلها زُبدة. قال: فهذا سمي مزبّدًا.

كان لامرأة مزبّد صديقٌ فضربها وشجّها، ودخل مزبّد فرآها على تلك الحال؛ فقال لها: ما لك ويئلك؟ قالت: سقطت من الدرجة، فقال لها مزبّد: أنت طالق، إنك لو سقطت من بنات نَعش ما أصابك هذا كله.

رُفَّت إلى مزبّد امرأة قبيحة، فجاءت إليه الماشطة، فقالت: بأي شيء تُصَبِّحُها؟ قال: بالطلاق.

دُفِعَ مزبّد إلى والي المدينة ومعه زق، فأمر بضربه، فقال: لم تضربني؟ قال: لأنّ معك آلة الخمر. قال: وأنت - أعزك الله - معك آلة الزنى.

وجلس مرة على الطريق يبُول وهو سكران، وعليه طيلسان خلق، فمرّ به رجل فأخذ طيلسانه؛ فالتفت إليه مزبّد وقال: يا بني، صُرف عنك السوء.

وقال مُزبّد لرجل: كم تعلفُ حمارك؟ قال: نخرةً بالغداة، ونخرةً بالعشي؛ فقال: اتق الله لا تخمر عليك.

دُفِعَ مزبّد في ذنْبِ إلى الوالي؛ فضربه خمسةً وسبعين سوطاً، ثم ظهر له براءةٌ ساحتها، فأحضره واستحلّه، فقال مزبّد: لا، ولكن تقاضني بها كلّما أذنبت ذنباً، فكان يسحبُ كل مرة إذا أذنب بعشرةٍ ومثلها إلى أن نفدت وفضل عليه شيء.

وقال مزبّد يوماً: مجالسةُ العضاة^(١) الحُمُرِ التي لا ورَقَ لها خيرٌ من مُجالسةِ الناسِ اليوم. لم يبقَ إلاّ ظروفٌ قد عُصِرَتْ أرواحهم فأخْرِجَتْ، وليس في أجسادهم أرواح، أطوفُ نهاري أجمع ما أرى إلا ظرفاً. فقال له إنسان: قد بقيت في الناس بقيةً. فقال مُزبّد: تلك البقية مثلث البلح ثلاثة في ثفروق^(٢).

نوادر أبي الحارث جُمَيْنِ (٣)(٤)

قيل له: ما تقول في فالوذجة؟ قال: والله لو أنّ موسى لقي فرعونَ

(١) العضاة: كل شجر ذي شوك.

(٢) الثفروق: قمع التمر.

(٣) أبو الحارث جُمَيْنِ: من المشهورين بالمزاح والنوادر، (انظر التبصير ص ١٢٧٥، المشتبه في أسماء الرجال ص ٢٥٢)، وفي القاموس المحيط (جمن): أبو الحارث جُمَيْنِ، كقُبيط، المدني ضبطه المحدثون بالنون، والصواب بالزاي المعجمة (جميز)، أنشد أبو بكر بن مقسم:

إنّ أبا الحارث جُمِيْزا قد أوتى الحكمة والميزا

(٤) نثر الدر للآبي ١٦٧/٢ - ١٧٠.

بفالودجة لآمن، ولكنه لقيَه بَعْصًا.

وقيل له يومًا: ما تشتهي؟ فقال: نَشِيشٌ مِقْلَاةٌ بين غليانِ قَدْرِ على رائحة شِوَاءٍ.

وكان لا يأكل الباذنجانَ، فكأيده محمد بن يحيى واتخذَ ألوانَه كُلَّها بباذنجان؛ فجعل كلما قدم لون فرابه الباذنجانُ فيه توقَّاه، وأقبل على الخبز والملح؛ فلما عطش قال: يا غلامُ، اسقني ماءً ليس فيه باذنجان.

وكتب يومًا إلى صديق له:

أوصيك بتقوى الله إلا أن ترى غير ذلك خيرًا منه.

وقيل له: سبقت ببردونك هذا قط؟ قال: بلى، مرة، دخلنا زقاقًا لا منفذَ له وكنت آخر القوم؛ فلما رجعنا كنتُ أولَ الموكب.

ودخل جماعة من إخوانه، فاشتَهوا عليه لونا يطبخه لهم، فدنا أحدهم من القدر ليدوقها، وأخرج قطعة لحم وأكلها، وفعل كلُّ واحد منهم كذلك؛ فقال أحدهم: هي طيبةٌ لكنها تحتاج إلى شيءٍ لا أدري ما هو؟ فقال أبو الحارث: أنا أعلمُ، هو ذا تحتاج إلى اللحم.

وحكى دِعْبَلٌ قال: بلغني أن أبا الحارثِ قد فُلج، فاغتممتُ لظرفه وملاحظته، فصرتُ إليه فوجدته في عافية؛ فحمدتُ الله وسألته عن خبره؟ فقال: دخلتُ الحَمَّامَ وأكلتُ السمك، ودعوتُ المزيّنَ فأخذ شعري، فظن الفالِحُ لما رأى المزيّنَ عندي أنني احتجمتُ؛ فلما علم أنه أخذ من شعري تركني وانصرف.

ونظر يومًا إلى بَرْدُونٍ يُسْتَقَى عليه، فقال^(١): [الطويل]

(١) عجزه:

ففي صالح الأخلاق نفسك فاجعل

والبيت لمنقر بن فروة المنقري في البيان والتبيين ٣/٢٢٨، وبلا نسبة في البيان والتبيين ٢/

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ

لو أن هذا هَمَلَجٌ^(١) ما كان هذا.

وأكل يوماً مع الرؤساء بيضاً مسلوقاً، فجعل يأكل الصفرة، وينحّي البياض إلى بين يدي أبي الحارث عبثاً به؛ فقال لما طال ذلك عليه - وتنفس الصعداء - : سقى الله روح العجّة فما أعدلها.

ودخل إلى بعض أصدقائه يوماً، فقال له : ما تشتهي؟ قال : أما اليوم فماء حِضْرَم، وأما غداً فهَرِيْسَة.

قال بعضهم : دخلتُ على جَمِين أعوده من مرضٍ به، فقلت له : ما تشتهي؟ فقال : أعيّن الرقباء، وألْسَن الوشاة، وأكباد الحُساد.

مرّ رجلٌ به فسَلَّم عليه بسوطه، فلم يرد عليه؛ فقبل له في ذلك؛ فقال : سَلَّم علي بالإيماء، فرددتُ عليه بالضمير.

وسأله يحيى بن خالد عن مائدة ابنه؛ فقال : أمّا مائدته فمن نصفِ كسرة، وأمّا صحافه فمَنْقورةٌ من قشورِ حبِّ الخشخاش، وما بين الرغيفِ والرغيفِ مَدُّ البصر، وما بين اللونِ واللونِ فَتْرَةٌ ما بين نبيٍّ ونبيٍّ. قال : فمن يحضرها؟ قال : خلقٌ كثيرٌ من الكرامِ الكاتِبين. قال : فيأكل معه أحد؟ قال : نعم، الذَّبَّان. قال : سوءة له هذا، فثوبك مخرق وأنت بفنائته يطور، فلو رَقعتَ قميصك! قال : ما أقدر على إبرة، قال : هو يعطيك، قال : والله لو ملك بيتاً من بغداد إلى النوبة مملوءاً إبراً من كل إبرة حَيْطٌ، ثم جاء جبريلُ وميكائيلُ ومعهما يعقوبُ النبي عليه السلام يسألونه إبرة يخيظ بها يوسف قميصه الذي قُدَّ من دُبُرٍ ما أعطاهم!.

وجاء إليه رجل يسأله شيئاً، وقال : قد قُطِعَ عليّ الطريق. قال : فعليّ إذا قطع الطريق.

(١) هملج : أسرع في سيره.

وَلَقِيَهُ رَجُلٌ - وقد تعلقَ به غلام - فقال: يا أبا الحارث؛ مَنْ هذا؟ قال: هذا غلام الفضل بن يحيى، كنتُ عند مولى هذا أمس، فقدمَ إلينا مائدةً عليها رغيفانِ عَمِلا من نصف خشخاشة سوى ما ذهبَ عند النَّحت، وثريدة في سكرُجِة، وخَيْبِصَة في مِسْعَط، فتنفستُ الصعداء فدخل الخوانُ وما عليه في أنفِي، فمولاهُ يطالبني بالقيمة. قال الرجل: استغفر الله مما تقول، فأوماً إلى غلامٍ معه وقال: غلامي هذا حُرٌّ إن لم يكن لو أنَّ عصفورًا وقع على بعض قشورِ ذلك الخشخاش الذي عُمِلَ منه ذلك، لما رضي مولى هذا حتى يُؤتى بذلك العصفور مشويًا بين رغيفين والرغيفان من عند العصفور. ثم قال: وعليَّ المَشْيُ إلى بيت الله الحرام، إذا عطشتُ بالقرعَاء رجعتُ إلى دجلة العوراء حتى أشرب منها ماءً، لو أنَّ مولى هذا كلَّف في يومٍ قاطِئٍ شديدٍ الحر أن يصعدَ على سُلَّم من زبد، حتى يلتقطَ كواكب بنات نعشٍ كوكبًا كوكبًا؛ لكان ذلك أسهل عليه من أن يشمَّ شامُ تلك الثريدة، أو يذرق ذائقَ تلك الخَيْبِصَة.

فقال الرجل: عليك لعنةُ الله وعليَّ إن سمعتُ منك شيئًا بعد هذا.

وقيل له وهو على نَبِيذ: كُل من هذا الطين السيرانيِّ فإنه نظيف؛ فقال: ومتى بلغك أنَّ في بطني وَكْفًا.

وقيل له: ما تغدَّيتَ عند فلان؟ قال: لا، ولكنني مررتُ ببابه وهو يتغدى. قيل: وكيف علمتَ ذلك؟ قال: رأيتُ غلمانَه ببابه، بأيديهم قسيُّ البنادقِ يرمون الطيرَ في الهواء.

وقال له الرشيد: لم لا تدخلُ إلى محمد بن يحيى؟ فقال: أدخلُ والله يا أمير المؤمنين، وأنا أكَسَى مِنَ الكعبة، وأخرجُ وأنا أعرى من الحجر الأسود. قيل لأبي الحارث: ما تقولُ في جُوزاب^(١) بَطُّ في يوم صائف؟ قال: نعم، في يوم من أيام تموز في حمام حارٍّ بومنى.

(١) الجوزاب: طعام يتخذ من اللحم والرز والسكر والبنديق.

قيل لجمين - وقد رأى سوداء قبيحة -: ابتلاك الله بحبها قال: يا بغيض، لو ابتلاني بحبها كانت عندي من الحُور العين، ولكن ابتلاك الله بأن تكون في بيتك وأنت تبغضها.

وقال له الرشيد: اللوزينج أطيب أم الفالوذج؟ قال: أحضرهما يا أمير المؤمنين، فأحضرا، فجعل يأكل من هذا وهذا، ثم قال: يا أمير المؤمنين، كلما أردت أن أشهد لأحدهما غمزني الآخر بحاجبه.

قال بصري لجمين: يأتينا المد والجزر في كل يوم مرتين. قال: يستأذن الله في هلاككم مرتين، وكأن قد.

ورأوا عليه جبة قد تخرقت، فقيل له: ما هذا؟ قال: غنّت بقول الشاعر: [المنسرح]

لقا فؤادي، لقد بلى جزعا قطعه البين والهوى قطعاً
ثم قيل له بعد ذلك: كيف تُغني جبتك؟ فقال: قد كانت تُغني، وقد صارت تُلطم في مأم.

ودعته امرأة كان يحبها، فجعلت تحادثه ولا تذكر الطعام، فلما طال ذلك به قال: جعلني الله فداءك، لا أسمع للغداء ذكراً. قالت له: أما تستحي! أما في وجهي ما يشغلك عن هذا؟ قال: جعلني الله فداءك، لو أن جميلاً وبئينة قعدا ساعة لا يأكلان شيئاً لَبَزَقَ كل منهما في وجه صاحبه.

نوادير الجَمَّاز (١)(٢)

قال الجَمَّازُ لأبي شراعة: كيف تجدك؟ قال: أجدني وقيداً (٣) من

(١) الجَمَّاز: هو أبو عبد الله محمد بن عمرو الجمّاز، من أهل البصرة، شاعر صاحب مقطعات، كان خبيب اللسان ماجناً، وهو ابن أخي سلم بن عمرو الخاسر الشاعر، توفي سنة ٢٥٠ هـ في أيام المتوكل (معجم الشعراء ص ٣٧٤).

(٢) نثر الدر للأبي ٢/ ١٧١/ ١٧٥.

(٣) الوقيذ: المريض المشرف على الموت.

دماميل قد ظهرت في أقبح المَوَاضِع . قال: ما أرى في وَجْهِكَ منها شيئاً .
قال بعضُ إخوانِ الجَمَّازِ - وقد دخل إليه وهو يطبخُ قِدْرًا -: لا إله إلا الله ما أعجب الرزق! فقال الجمَّاز: أعجبُ منه الحرمان . امرأته طالق إن دُفَّتْها .

وقال له السهري: وُلِد لي البارحة ابنُ كأنه الدينار المنقوش . فقال الجمَّاز: لا عينُ أُمَّة .

صَلَّى رجلٌ صلاةً خفيفةً؛ فقال له الجمَّاز: لو رَأكَ العجاج لسُرَّ بك . قال: ولم؟ قال: لأنَّ صلاتك رجز .

وتغَدَّى عند إنسان هاشمي ومرَّ الغلام بصَحْفَةٍ؛ ففطر منها شيئاً على ثوبِ الجمَّاز، فقال الهاشمي: يا غلام؛ اغسل ثوبه . فقال الجمَّاز: دعه، فمرقتكم لا تدسم الثوب .

وسمع محبوباً يقول: اللهم احفظني؛ فقال: قُلِ اللهم ضيِّعني حتى تنفلت .

وقالت له امرأته في يوم غائم: ما يطيبُ في هذا اليوم؟ فقال: الطلاق . أدخل يوماً غلاماً إلى منزله، فلماً خرج ادَّعى أنه هو فعل بالجمَّاز، فبلغه ذلك؛ فقال: قد حُرِّم اللواط إلا بوليِّ وشاهدين .

ودخل مع صاحبٍ له إلى قُثم بن جعفر؛ فتغَدَّى عنده وتحدثا، وأراد قُثم أن يقيل، فدعا غلاماً روميّاً وضيئاً فقال: قف ههنا، فقال الجمَّاز لصاحبه: قم بنا نعرُج . قال: إلى أين؟ قال: إلى السماء، فقد نزلت ملائكة الليل .

رأى رجلٌ من ولد عبيد الله بن زياد كأن النبيَّ وعليَّ وفاطمة - عليهم السلام - في داره، فصامَ وتصدَّق تبركاً برؤياه، وقصَّها والجمَّاز حاضر؛ فقال: أتدري لم جاؤوك؟ قال: لا . قال: جاؤوك ليشكروك على فعل أبيك بابنهم، فانخذل الرجلُ وودَّ أنه لم يذكر من ذلك شيئاً .

وذكر يوماً رجلاً قام من عنده؛ فقال: كأنَّ قيامه من عندنا سقوطُ جمرةٍ من الشتاء.

وقيل له: ما بقي من شهوتك للنساء؟ فقال: القيادةُ عليهن.

قال الجَمَّازُ: رأيتُ عجوزًا تسأل وتقول: مَنْ تَصَدَّقَ علينا بكسرةٍ أطعمه الله من طيباتِ باب الطَّاق.

وقال: قلتُ لرجلٍ: قد زادَ سعرُ الدقيقِ؛ فقال: أنا لا أبالي لأنني اشتري الخبز.

قال: قلتُ لرجلٍ رَمِدَ العين: بأي شيءٍ تُداوي عينيك؟ فقال: بالقرآن ودعاءِ الوالدة. قلتُ: اجعل معهما شيئًا يُقال له: العَنزُوتُ^(١).

قال: رأيتُ بالكوفة رجلاً وقف على بَقَالٍ فأخرج إليه رغيفًا صحيحًا؛ فقال: أعطني كِسْرًا، وبَصْرَفِهِ جَزْرًا.

وقال: حُرِّمَ النَبِيذُ على ثلاثة عشر نفسًا: على من غَتَّى الخطأ، وأتكَأ على اليمنى، وأكثر أكلَ النُّقْل، وكسر الزجاج، وسرق الريحان، وبلَّ ما بين يديه، وطلب العشاء، وقطع البُم^(٢)، وحبس أولَّ قدح، وأكثر الحديث، وامتخطَّ في منديل الشراب، وبات في موضع لا يحتمل المبيت.

طالب الجَمَّازُ امرأته بالجماع، فقالت: أنا حائض، وتحركت فضرطت؛ فقال لها: قد حرمتنا خير حرِّك، فاكفينا شرَّ استِك.

قال ابنُ عمار: تذاكرنا ضيقَ المنازل، فقال الجَمَّازُ: كئنا على نبيذٍ لنا، فكان أحدنا إذا دخل الكنيف، وجاء القدح، مدَّ يده إلى السَّاقِي فناوله إيَّاه...

قال الجَمَّازُ: مرزْتُ بنجادٍ - في قنطرة البردان طويل اللحية - وامراته

(١) العنزوت: نوع من الصمغ، فارسي معرب.

(٢) البُم: من أوتار العود، وهو أغلظها.

تُطالبه بشيء لها عنده وهو يقول: رَحِمَكَ اللهُ مَتَاعُكَ جَافٌ وَيَحْتَاجُ إِلَى حَشْوٍ كَثِيرٍ، وَأَنْتَ مِنَ الْعَجَلَةِ تَمْشِينَ عَلَى أَرْبَعٍ.

أَمَلَى خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ أَحَادِيثَ حَمِيدٍ عَنْ أَنَسٍ، فَكَانَتْ نَسَخَتُهُ فِيهَا سَقَطَ. وَكَانَ الْجَمَّازُ يَسْتَمْلِي عَلَيْهِ، فَقَالَ خَالِدٌ: حَدَّثَنَا حَمِيدٌ عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَكَذَا فِي نَسَخَتِي، وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَقَالَ الْجَمَّازُ: حَدَّثَكُمْ حَمِيدُ بْنُ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَشَكَ أَبُو عَثْمَانَ فِي اللَّهِ فَقَالَ خَالِدٌ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ مَا شَكَّكَتُ فِي اللَّهِ، وَتَضَاحَكَ أَهْلُ الْمَجْلِسِ، وَأَصْلَحَتِ النِّسْخَةُ.

وَكَانَ يَأْكُلُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ سَلْمٍ عَلَى مَائِدَةٍ دُونَ مَائِدَتِهِ، فِإِذَا رَفَعَ مِنْ مَائِدَةِ سَعِيدٍ شَيْءٌ وَضَعَ عَلَى الْمَائِدَةِ الَّتِي عَلَيْهَا الْجَمَّازُ؛ فَالْتَفَتَ الْجَمَّازُ؛ فَقَالَ: يَا أَبَا عَمْرٍو، وَهَذِهِ عَصَبَةٌ لَتَلِكْ، كَمَا يُقَالُ: وَمَا بَقِيَ فَلَلعَصْبَةِ.

وَقَالَ لَهُ الْمُتَوَكَّلُ: أَيُّ شَيْءٍ أَهْدَيْتَ لِي يَوْمَ الْعِيدِ؟ قَالَ: حَلَقَةٌ رَأْسِي.

وَأَدْخَلَ يَوْمًا غَلَامًا، فَلَمَّا بَطَّحَهُ فَسَا فَسُوَّةً مُنْكَرَةً. فَقَالَ الْجَمَّازُ: وَيَلِكْ! هُوَ ذَا، تُذَرِّي مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذْرُسَ.

وَدَخَلَ عَلَيْهِ ثَقِيلٌ يَعُودُهُ مِنْ مَرَضِهِ؛ فَلَمَّا نَهَضَ قَالَ لِلْجَمَّازِ: تَأْمُرُ بِشَيْءٍ. قَالَ: نَعَمْ بِتَرْكِ الْعَوْدَةِ.

وَقَالَ لِرَجُلٍ: مَا أَخْرَكَ عَنَّا؟ فَقَالَ: أَصَابَتْني خَلْفَةٌ؛ فَقَالَ الْجَمَّازُ: مَا أَبِينِ الْخَلْفَةَ فِي وَجْهِكَ.

شَهَى جَعْفَرُ بْنُ سَلِيمَانَ أَصْحَابَهُ؛ فَتَشَهَّى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ جِنْسًا مِنَ الطَّعَامِ؛ فَقَالَ لِلْجَمَّازِ: فَأَنْتَ مَا تَشْتَهِي؟ قَالَ: أَنْ يَصْحَّ مَا اشْتَهَوْا.

وَسَأَلَ يَوْمًا غَلَامًا، وَأَدْخَلَهُ مَسْجِدًا؛ فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهُ أَقْبَلَ الْمُؤَذِّنَ، فَقَامَ الْجَمَّازُ، وَخَرِيَ فِي الْمِحْرَابِ؛ فَقَالَ الْمُؤَذِّنُ: يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَعْلَمَ عَلَى أَنْكَ فَجَرْتَ بِالْغَلَامِ فِي الْمَسْجِدِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَكَ بَيْتٌ. مَا حَجَّكَتَ فِي أَنْ قَدَّرْتَ بِالْمِحْرَابِ؟ قَالَ: عَلِمْتُ أَنَّهُ يَشْهَدُ عَلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَجْعَلَهُ

خصمي لثلاثا تُقبَل شهادته عليّ .

ودفع إلى القصار قميصاً ليغسله، فضيقه، وردّ عليه قميصاً صغيراً؛ فقال: ليس هذا قميصي. قال: بلى هو قميصك ولكنه توّزي وفي كل غسلةٍ يتقلّص ويقصر؛ فقال الجمّاز: فأحب أن تعرفني في كم غسلةٍ يصيرُ القميص زراً؟.

وقيل له: لم تقصر شعرك؟ قال: أليس قليل ما أجيء به كثيراً في جنب ما يُعطونني .

وحضر دعوة بعض الناس فجعل رب البيت يدخل ويخرج ويقول: عندنا سكباجة تطير طيراناً، عندنا قليّة تطير في السماء، فلما طال ذلك على الجمّاز وجاع قال: يا سيدي، أحب أن تخرج لي رغيفاً مقصوص الجناح إلى أن تقع ألوانك الطيارات .

ونظر إلى غلام؛ فقال: هذا كان من المُطْفَفين . قيل: وكيف ذاك؟ قال: كان إذا ناكه الواحد، وكان وقت الفراغ، فرّج بين فخذه .

ووجد مع غلام في موضع خالٍ، وقد حلاً سراويلهما، فقيل له: ما تصنع؟ قال: نتخاير بالتكك .

قال الجمّاز: اجتزت بباب دارٍ وصاحب الدار يقاثل امرأته ويقول: لأحملنّ عليك اليوم مائة رجل، فجلس شيخ كان خلفي على الباب ينتظر؛ فلما طال دق الباب وقال: تريد أن تحمل على هذه القحبة أو أنصرف .

رأى رجل الهلال فاستحسنه؛ فقال له الجمّاز: وما تستحسن منه؟ فوالله إن فيه لخصلاً لو كانت إحداهنّ في الحمار لردّ بها، قال: وما هي؟ قال: إنه يدخل الروازن^(١)، ويمنع من الدبيب، ويدل على اللصوص، ويسخن من الماء، ويحرق الكتان، ويورث الزكام، ويحل الدين، ويؤهم اللحم .

(١) الروازن: جمع روزن، وهي الكوة في حائط البيت .

كان المتوكل يُحدِّث عن الجَمَّاز؛ فكتبَ في حَمَلِهِ، فلما دخل عليه لم يقع الموقع الذي ظنَّه؛ فقال المتوكل: تكلم فإني أريد أن أستبرئكَ. فقال الجَمَّاز: بحيضةٍ أو بحيضتين؛ فضحكت الجماعة.

وقال له الفتح: قد كلَّمتُ أميرَ المؤمنين فيكَ حتى ولأكَ جزيرة القروءِ، فقال له الجَمَّاز: أفَلَسْتَ في السمع والطاعةِ أصلحك الله فحُصِرَ الفَتْحُ وسكت.

فقال له بعضُ مَنْ حضر: إنَّ أميرَ المؤمنين يريد أن يهبَ لك جاريةً. فقال: ليس مثلي مَنْ عَرَّم نفسه، ولا كَذَبَ عندَ أمير المؤمنين. إن أرادتني أن أقودَ عليها، وإلَّا فما لها عندي شيء؛ فأمر له المتوكل بعشرة آلاف درهم، وأخذها وانحدر؛ فمات فرحاً.

وقال له بعضُ ولدِ المتوكل في هذا المجلس: يا شيخ، ألا تستحي مما تقول؟ قال: لا. قال: ولم؟ قال: حتى أرى من يُستَحيا منه.

رُئيَ الجَمَّازَ يَبِي... كُ غلاماً خلفَ الدرب من قيام؛ فقيل له: إيش تعمل؟ قال: هوذا، أبصر أنا أطولُ أم هو!.

نوادر المجانين^(١)

قال مجنونٌ - ولقي الناسَ منصرفين من الجمعة - : أيها الناس: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: الآية ١٥٨]. فقال له مجنونٌ آخر: ﴿وَلَا تَعَجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ [طه: الآية ١١٤].

وكان بهلول^(٢) من مجانين الكوفة، وكان يتشيع؛ فقال له إسحق بن الصباح: أكثر الله في الشيعة مثلك. قال: بل أكثر الله في المرَجِنَةِ مثلي،

(١) نثر الدر للآبي ١٧٦/٢ - ١٨٧.

(٢) هو بهلول بن عمرو الصيرفي، الكوفي المجنون، استقدمه الرشيد وغيره لسمع نوادره، توفي سنة ١٩٠ هـ (فوات الوفيات ١/١٥٣).

وأكثر في الشيعة مثلك .

ومرَّ موسى بن أبي الروقاء، فناداه صباحَ الموسوس: يا ابنَ أبي الروقاء
أسمنتَ بردونك، وهزلت دينك، أما والله إنَّ أمامك لعقبة لا يجوزها إلا
المخيفُ فحبس موسى بردونه؛ فقيل له: هذا صباحَ الموسوس . قال: ما هو
بموسوس؟ .

قال ثُمّامة: قال لي مجنون مرة: يا ثُمّامة، تزعم أنت أن الاستطاعة
إليك؟ قلت: نعم . قال: فإن كنت صادقًا فأخر ولا تبُل .

وقف رجلٌ على بُهلول؛ فقال له: تعرفني؟ فقال بُهلول: إي والله،
وأنسبك نسبة الكمأة، لا أصلٌ ثابت، ولا فرعٌ ثابت .

ودعا الرشيدُ بُهلولاً ليضحك منه؛ فلما دخلَ دعا له بمائدةٍ فقدمَ عليها
خبزٌ وخده، فولى بُهلولٌ هاربًا؛ فقال له: إلى أين؟ قال: أجيئكم يوم
الأضحى، فعسى أن يكون عندكم لحمٌ .

أخرج بلال بن أبي بردة من حبيسه مجنونًا يمازحه، فقال له: أتدري لم
أخرجتك؟ قال: لا . قال: لأسخرَ منك . قال: إنَّ المسلمينَ حكّموا حكّمين
فسخر أحدهما بالآخر .

قال المُبرّد: دخلتُ يومًا دَيْرَ هزقل، فرأيتُ في صحنِ الدارِ مجنونًا،
فدلّغتُ لِساني في وجهه، فنظر إلى السماء، وقال: الحمدُ والشكرُ من حلّوا
ومن ربطُوا .

قال بعضهم: رأيتُ بحمصٍ مجنونًا يقول: يا قوم، من يتعلم: «لا
أدري»؟ يا هذا، تعلم: «لا أدري»؛ فإنك إذا قلت: «لا أدري» علموك حتى
تدري وإذا قلت: «أدري» سألوكم حتى لا تدري .

رمى بُهلولٌ رجلًا فشجّه؛ فقدم إلى الوالي، فقال له: لم رميتَ هذا؟
قال: ما رميته ولكنّه دخل تحت رميتي .

وقال بهلول يوماً: أنا والله أشتهي من فالوذج ومن سرقين، فقالوا: والله لنبصرته كيف يأكل، فاشتروا له الفالوذج، وأحضروا السرقين؛ فأقبل علي الفالوذج واكتسحه، وترك السرقين، فقالوا له: لِمَ تركت هذا؟ قال: أقول لكم، أنا - والله - يقع لي أنه مسموم، من شاء منكم يأكل ربع رطلٍ حتى آكل أنا الباقي.

وجاء مجنونٌ فوقفَ عند شجرة مَلساء، فقال: مَنْ يعطيني نصفَ درهم حتى أصعد؟ فعجبَ الناسُ وأعطوه، فأحرزَه، ثم قال: هاتوا سلماً. قالوا: ما كان السلم في الشرط. قال: وكان بلا سلم في الشرط؟ ووقف بهلول على رَجُل، وقال: خبّرني عن قول الشاعر^(١):
[الطويل]

وإذا نَبَا بك منزلٌ فتحولِ

كيف هو عندك؟ قال: جيدٌ. قال: فإن كنت في الحبس فكيف تتحول؟ قال: فانقطع الرجل، فقال بهلول: الصواب قولٌ غيره^(٢): [الكامل]

إذا كُنْتَ في دارٍ يسوءُك أهلها ولم تك مَكْبُولاً بها فتحوّلِ

أصيب إسحاقُ بن محمد بن الصَّبَّاح الكندي بابن له، فجزع؛ فدخل أهل الكوفة يعزُّونه، ودخل فيهم بهلول؛ فقال: أيسرُّك أنه بقيَ وأنه مثلي؟ قال: لا والله، وإنما لتعزية!

قال بعضهم: جاءنا جُعيفران في سوقِ أصحاب اللؤلؤ، فوهب له إنسانٌ حبةً من الحبِّ الصغار؛ فقال له رجل: أتبيعها بطسوج؟، فقال: إن كان

(١) صدره:

واحذر محلَّ السوء لا تخلُّ به

والبيت لعبد قيس بن خفاف البرجمي في لسان العرب (كرب)، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ١٥/ ٤٨٥، وأساس البلاغة (نبو)، وتاج العروس (نبا)، ولسان العرب (نبا).

(٢) البيت بلا نسبة في لسان العرب (كبل)، وتهذيب اللغة ١٠/ ٢٦١، وتاج العروس (كبل).

بطشوج بادرونا فنعمة .

هرب مجنون من الصبيان، ودخل دهليزًا، وأغلق الباب في وجوههم وجلس؛ فخرج إليه صاحب الدار، فقال: لِمَ دخلت دَارِي؟ قال: من أيدي هؤلاء أولاد الزنى. فدخل صاحب الدار، وأخرج طبقًا عليه رُطْبٌ كثير، فجلس المجنون يأكل، والصبيان يصيحون على الباب؛ فأخرج المجنون رأسه إلى صاحب الدار، فقال: بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ.

قيل لمجنون كان بالبصرة: عُدْنَا لَنَا مَجَانِينَ الْبَصْرَةَ. قال: كلفتموني شَطَطًا، أَنَا عَلَى عَدِّ عَقْلَائِهِمْ أَفْذَرُ.

كان ببغداد مجنونٌ يلبس قَرَوَةً مقلوبة، فإذا قيل له في ذلك قال: لو عَلِمَ اللهُ أَنَّ الصَّوْفَ إِلَى دَاخِلِ أَجْوَدُ عَمَلِ الصَّوْفِ إِلَى دَاخِلِ.

قال الفزاري: رأيتُ مجنونًا يسوي رأس سكران، ويقول له: يؤيؤ، والله لا أفلحت أبدًا.

قيل لمجنون: أين المولد؟ قال: المولد البصرة، والمنشأ ذَيْرُ هِرْقَلِ.

شدَّ مجنونٌ على رجل بالبصرة، فأخذه الرجل فضربه. فقال الناس: إنه مجنون، وجعل المجنون يقول مِنْ تَحْتِهِ: ويحكم أفهموه.

قيل لمجنون: أيسرُّك أن تُصَلِّبَ في صلاح هذه الأمة؟ قال: لا، ولكن يسرنِي أن تُصَلِّبَ الأمة في صلاحِي.

قال داود المصاب لصديق له: رأيتُ البارحة رُؤْيَا نَصَفُهَا حَقٌّ، وَنَصَفُهَا باطل، رأيتُ كأنِّي قد حَمَلْتُ على عاتقي بَدْرَةَ، فمن ثقلها خريت فانتبهتُ فرأيتُ الخرا، ولم أر البدرَةَ.

سمع مجنونٌ رجلاً يقول: اللهم لا تأخذنا على غفلة. فقال: إذا لا يَأْخُذُكَ أَبَدًا.

قال بعضهم: كان بالشام مجنونٌ يُسْتَطْرَفُ حديثه، قال: رأيته يوماً وقد رفع رأسه إلى السماء وهو يقول: الناسُ كذا يعملون، وهذيانٌ كثير. قيل له: ما تقول؟ ويحك. قال: أعاتبُ ربي. قيل: فكذا يخاطبُ الله!. قال: قلت له: بدل ما خلقت مائةً وجوعتَهم لو كنت تخلق عشرةً وتشبعهم لكان خيراً.

جاء مجنونٌ إلى يزيد بن هارون، فقال له: يا أبا خالد؛ أليس النبي ﷺ قال: «لولا أن الكلابَ أُمَّةٌ من الأمم لأمرتُ بقتلها، ولكن اقتلوا منها كلَّ أسودَ بهيم» قال يزيد: نعم. فقال المجنون: أليس قد قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: الآية ٢٤]. فمن نذير الكلاب؟ قال: فتحير يزيد في جوابه. فقال له المجنون: تحبُّ يا أبا خالد أن أعرفك نذير الكلاب؟ قال: نعم، فأخذ حجراً فرمى به كلباً بالقرب منه؛ فعدا الكلبُ يعوي ويئسج؛ فقال: يا أبا خالد؛ الحجِرُ نذير الكلاب.

سأل بعضُ الولاة عن أبي نصر الهروي ليعبر له رؤياً رآها، فقيل له: هو بمزرو بأوي الصحراء؛ فبعث إليه، فأتي به؛ فقال: إني رأيتُ كأن في كُمي عصفير؛ فجعلتُ تفلتُ واحدةً واحدةً، وتطير؛ فلما كان آخرُ عصفورةٍ كادت تفلت، فحبستها.

قال المجنون: أكلت عدسيةً، فبت تضربُ ليلتك؛ فلما كان آخرُها أردت أن تسلح فحبستها. فقال الوالي: اسكت قبحك الله قال: هو والله ما قلت. فلما خرج قال الرجل: والله ما أخطأ شيئاً.

رُئي بهلول مغموماً يبكي، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: كيف لا أبكي؟ وقد جاء الشتاء وليس لي جُبة. فقيل له: لا تبك؛ فإن الله لا يدعك بلا جُبة. قال: بلى والله عامٌ أولٌ تركني بلا جُبة ولا سراويل، وأخاف أن يدعني العام بلا جُبة ولا سراويل ولا قلنسوة.

قال بعضهم: مررتُ يوماً ببهلول، وهو يأكل فُرنيةً حُوَارَى مع دجاجة،

فقلتُ له: يا بهلول؛ أطعمني مما تأكل، فقال: ليس هذا لي - وحياتك - هذا دفعته إليَّ أمُ جعفرٍ أكله لها.

نظر رجلٌ إلى جماعةٍ من المجانٍ حول مجنون، فقال له: ادخل إلى بعضِ المواضع حتى يتفرَّقوا عنك. قال: إذا جاؤوا انصرفوا.

قيل لبهلول: تأخذ درهماً وتشتم فاطمة؟ قال: لا، ولكن هاتوا نصفَ درهمٍ حتى أشتَمَ عائشة، وأزيدكم أباهاً.

كان الجهجاهُ مجنوناً، وكان يدَّعي الخلافةَ، فأدخلَ على الرشيد، وعنده أبو يوسف القاضي، فقال: جعفر بن يحيى كالهازيء به: هذا أميرُ الضَّراطين. يزعمُ أنه أميرُ المؤمنين. قال: لو كنت كذلك كنت أوسع إمرةً من صاحبك؛ لأنَّ الضراطَ عامٌّ، والإيمان خاصٌّ.

قال له الرشيدُ: لأضربنَّك بالسيِّاطِ حتى تُقر بالزندقة. قال: فإذا أقررتُ ترى قتلي؟ قال: نعم، قال: فالتفتَ إلى أبي يوسف، وقال: يا يعقوب؛ ليس لصاحبنا فقهٌ.

قيل لبهلول: أيكفي اثنينِ رأسٌ واحد؟ قال: إذا كان أحدهما نائمًا.

وحضر مجلسًا فيه قوم يتذكرونَ الحديثَ، فرووا عن عائشة أنَّها قالت: لو أدركتُ ليلةَ القدرِ ما سألتُ ربي إلاَّ العفوَ والعافيةَ. فقال بهلول: والظفرُ بعليٍّ يومَ الجمل.

وحكي أنَّ صاحبَ المارستانِ أتاه يقدر فيه دواء، وقال له: اشرب يا ابن الزانية؛ فقال: هاتِ حتى أشربه والله أعلمُ أنك أحقُّ به مني.

ولما حُمِلَ إلى المارستانِ سألَ الناسَ أن يَأدُّنوا له في أن يُلِمَّ ببَيْتِهِ، ويوصي أهله بشيءٍ، فمنعوه، فقرأ: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ [يس: الآية ٥٥].

وقيل له: ما تشتهي من الفاكهة الرطبة؟ قال: لحمٌ. قيل: فمن

اليابسة؟ قال: قديدٌ، قيل: فمن الشرابِ؟ قال: مَرَقَةٌ. قيل: فمن السَّماعِ؟ قال: نَشِيشُ المَقَالِي.

قال قوم لمجنون بالبصرة أديب: عِظْنَا، وهم يهزؤون به؛ فقال: هذه قصورهم، وهذه قبورهم. فأبكاهم.

قال أبو العيناء: حضرت أبا دينارٍ وأبا لقمان الممرورين يتناظرانِ عند ابن أبي دُوَادٍ؛ فقال أبو لقمان لأبي دينار: من أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ؟ فقال أبو دينار: أبو بكر الصديق. فقال أبو لقمان: أم الكاذب زانية. قال ابن أبي دُوَادٍ: هذا كلام قد انتهى إلى آخره.

كان بهلولٌ يجمع ما يُوهب عند مولاة له مِنْ كِنْدَةٍ، وكانت له كالأُمِّ، وربما أخفى عنها شيئاً ودَفَنَهُ، فجاء يوماً بعشرة دراهم كانت معه إلى خربة فدفتها فيها، ولمحه رجلٌ؛ فلما خرج بهلولٌ ذهب الرجل فأخذ الدراهم، وعاد بهلول فلم يجدها. وقد كان رأى الرجل يوم دفنها فعلم أنه صاحبه، فجاء إليه فقال: اعلم يا أخي أن لي دراهم مدفونة في مواضع كثيرة متفرقة، وأريد أن أجمعها في موضع دفنتُ فيه في هذه الأيام عشرة دراهم؛ فإنه أحرز من كل موضع، فاحسب بالله كم تبلغ جُمْلَتُها. قال: هات. قال: خذ عشرين درهماً في موضع كذا، وخمسين في موضع كذا، حتى طرح عليه مقداراً ثلاثمائة درهم. ثم قام من بين يديه ومراً؛ فقال الرجل في نفسه: الصوابُ أن أردَّ العشرة إلى موضعها، حتى يجمع إليها هذه الجملة ثم أخذها، فردها. وجاء بهلول فدخل الخربة، وأخذ العشرة، وخرى مكانها، وغطَّاه بالتراب ومراً، وكان الرجل مترصداً لبهلول وقت دخوله وخروجه؛ فلما خرج مراً بالعجلة، فكشف عن الموضع، وتلوثت يده بالخرأ، ولم يجد شيئاً، وفطنَ لحيلة بهلول عليه. ثم إن بهلولاً عاد إليه بعد يومين فقال: احسب يا سيدي؛ عشرين درهماً، وخمسة عشر درهماً، وعشرة دراهم، وشمَّ يدك. فوثب الرجل ليضربه، وعدَّ بهلول.

وولي بعض بني هاشم الكوفة، فلما صعد المنبر قال: الحمد لله، وارتج عليه، فجعل يكرّر ذلك؛ فقال بهلول: الذي ابتلانا بك.

وجاز بهلول بسوق البزازين، فرأى قوماً مُستجمعين على باب دكان ينظرون إلى نقبٍ قد نُقبَ على بعضهم، فاطّلع في النقب، ثم قال: وكلكم لا تعلمون ذا من عملٍ من؟ قالوا: لا. قال: فإني أعلم. فقال الناس: هذا مجنونٌ يراهم بالليل ولا يتحاشونه، فأنعموا له القول لعله يخبر بذلك. فسألوه أن يخبرهم. فقال: إني جائع، فهاتوا أربعة أرطال رقاقٍ ورأسين، فأحضروا ذلك وأكل، فلما استوفى قال: هو ذا أشتهي شيئاً حلواً، فأحضروا له رطلين فالزوج فأكله، وفرغ منه وقام وتأمّل النقب، ثم قال: كأنكم الساعة لستم تعلمون هذا من عملٍ من؟ قالوا: لا. قال: هذا من عمل اللصوص لا شك. وعدا.

ولع الصبيان بعيناوة، وصاحوا عليه، ورموه، فهرب منهم فاستقبلته امرأةٌ معها صبيٌّ صغير، فدنا منها ولطم الطفل لطمَةً كادت تأتي عليه، فقالت المرأة: قطعت يدك! إيش أذنب هذا إليك. قال: يا قحبة؛ هذا يكونُ غداً شراً من هؤلاء الكشاختة^(١).

ركب الهادي يوماً، فنظر إلى مجنون يُلقَّب بكسرة؛ ويرمي من يقول هذا اللقب، ويعمل العجائب؛ فأمر بحمله إلى الدار، فقال له: لم تشتّم الناس إذا قالوا لك: كسرة؟ قال: ولم تضرب الأعناق إذا قيل لك: موسى اطبق؟ قال: أنا لا أغضب من هذا. قال: فصح أنت بي ثلاث مرات، وأصيح مرتين فننظر من يحدد. قال: قد رضيت. فقال الهادي: يا كسرة؛ يا كسرة. ثلاث مرات، وطولها، فلم يلتفت المجنون، ولم يتحرك ولم يحدد، ثم صاح: يا موسى اطبق. فلم يتحرك الهادي، فقال المجنون: ما يتغافل إلا من أمه قحبة. فحدّ الهادي، ودعا بالنطع والسيف، فقال المجنون: كيف

(١) الكشاختة: جمع كشخان، وهو الديوث.

رأيت؟ كان المجنون واحدًا، صرنا اثنين. وأنا أيضًا هكذا؛ لو قالوا: يا كسرة؛ يا رغيف. ألف سنة ما باليت، ولكن كذا يقولون لي إذا تغافلت. فضحك الهادي وأمر له بجائزة.

قال بعضهم: رأيت مجنونين قد رُفعا إلى بعض أصحاب الشرط، وقد توثبا وتخاصما؛ فقال لأحدهما: لِمَ فعلت هذا؟ قال: لأنه وثب عليّ وشجني؛ فقال: لم بدأته بالرّفس، ومددت خصيته، قال: يا ولدّ النجس من بين الأمراء؛ بهذا اللباس الذي عليه لا تكفيه فردّ خصية؟.

ونظروا إلى ماني الموسوس^(١) يأكل تمرًا، ويبتلع نواه، فقيل: لم لا ترمي بالنوى؟ قال: هكذا وزنوه عليّ.

قيل لبهلول: يقع في الطفشيل^(٢) قَتٌّ؟ قال: نعم، إذا كان للبلبل.

وكتب مجنون إلى آخر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وأمتع بك؛ كتبت إليك ودجلة تطفح، وسفن الموصلي تنحدر، وما يزداد الصبيان إلا لعنة، والحجر إلا قلة؛ فلا تنم إلا وعند رأسك حجران، وكن كما قال الأول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: الآية ٦٠]. وإياك والموت فإنه طعام سوء. وكتبت لأربع عشر يومًا بقيت إلى عاشوراء الأول سنة افتصد عجيف.

كان بمكة رجل يُرمى بأنه لقيط، ولا يعرف له أب، وكان موسرًا،

(١) ماني الموسوس: هو محمد بن القاسم، أبو الحسن، المعروف بماني الموسوس، شاعر، من أهل مصر، كان من أظرف الناس وألطفهم، رحل إلى بغداد في أيام المتوكل العباسي، فكانت له فيها أخبار، توفي سنة ٢٤٥ هـ (انظر: الأغاني ٢٠/٨٥، الوافي بالوفيات ٤/٣٤٦، تاريخ بغداد ٣/١٦٩، فوات الوفيات ٢/٢٦٢).

(٢) الطفشيل: كذا في الأصل، بتقديم الشين على الياء، والصحيح: الطفيشل، بتقديم الياء على الشين، وهو نوع من المرق.

وكان بها مجنونٌ يقصدُه كثيرًا فيبرُهُ ويحسنُ إليه، فجاء المجنون يومًا، فرآه قاعدًا محزونًا مُتَقَبِّضًا؛ فقال: جُعِلْتُ فِدَاكَ! مالك كذا؟ قال: لا شيء. قال المجنون: بلى، قد عرفتُ، ترى ليس بمكة ولد زنى غيرك! هم أكثرُ من ذاك فلا تغتم.

قيل لمجنون: لِمَ صار الدينارُ خيرًا من الدرهم، والدرهمُ خيرًا من الفلّس؟ قال: لأنَّ الفلّسَ ثلاثةُ أحرف، والدرهمُ أربعةُ أحرف، والدينارُ خمسةُ أحرف.

ولي العلاء بن عمرو بلادَ سارية، وكان جائرًا فأصاب الناسَ القحطُ، وأمسكتِ السماءُ قطرها؛ فخرجوا يستسقون، وصعد العلاء المنبر؛ فقال في دعائه: اللهم ارفع عنا البلاءَ والغلاء. فوثب معتوهٌ كان بها فقال: والعلاء؛ فإنه شرٌّ من الغلاء، وأغلظُ من البلاء. فضحك الناس، وخجل العلاء وانصرف.

ودخل داود المصاب بُستانًا، فتعلقت بثوبه شوكةٌ، فالتفت وقال: والله لولا أنك بهيمةٌ لكسرتُ أنفك.

قال بعضهم: مررت بعليان المجنون، وهو جالسٌ في محلّة بني ضبة، فقلت له: يا أبا الحسن؛ من أفضل عندك؟ أبو بكرٍ أم علي؟ فقال: أمّا في بني ضبة فأبو بكر.

حجّ موسى بن عيسى ببهلول معه، فأقبل موسى يدعُو عند البيت ويتضرّع، وبُهلول يقول: لأبّيك ولا سعديك! فقال له ابْنُه العباس: ويلك تقول هذا القولَ للأميرِ في مثلِ هذا الموقف! قال: أقول له ما أعلم أن الله يقولُ له.

قيل لبهلول: عُدّ لنا مجانيّن البصرة. قال: هذا يكثرُ ويبعدُ جدًّا، ولكن إن أردتُم عَدَدتُ لكم عقلاءهم.

سأل بعضهم أبا لقمان الممرور عن الجزء الذي لا يتجزأ ما هو؟ فقال:

الجزء الذي لا يتجزأ هو عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه . فقال له : وليس في الأرض لا يتجزأ غيره . قال : بلى ، حمزةُ جزءٌ لا يتجزأ ، وجعفرُ جزءٌ لا يتجزأ . قال : فما تقول في أبي بكر وعمر؟ قال : أبو بكر يتجزأ ، وعمرُ يتجزأ ، وعثمانُ يتجزأ مرتين ، وطلحةُ يتجزأ مرتين . قال : فما تقول في معاوية؟ قال : معاويةُ جزءٌ لا يتجزأ ولا يُتجزأ .

قيل لأبي زيد المجنون : ما العشق؟ قال : نيكُ كله .

قيل لمجنون : ما فعلت حتى ضربك الصبيان؟ قال^(١) : [الطويل]

وإنَّ امرءاً يُمسي ويُصبح سالماً من الناسِ إلا ما جنى لسعيد
لما مات والدٌ بهلول خلف ستمائة درهم ، فحظّر عليها القاضي ، فجاءه يوماً ، وقال : أيها القاضي ؛ ادفع إليّ مائة درهم ، حتى أقعد في الحلقات فإن أحسنت أن أتجربها دفعت إليّ الباقي . فدفع إليه ذلك ، فذهب وأتلفه وعاد إلى مجلس القاضي . وقال : إني قد أتلفت المائة ، فتفضل بردها فقد أسأت إذ دفعت إليّ ذلك ، ولم يثبت عندك رشدي . فقال القاضي : صدقت ، والتزم المائة في ماله .

كان مجنونٌ يؤذيه الصبيان ، فقال له رجلٌ : تريد أن أطردهم عنك؟ فقال : نعم ، وتنطرد أيضاً معهم .

قال مجنونٌ : ليس في الدنيا أجلٌ مني ، لا أحاسب في الدنيا ولا في الآخرة .

قال الرشيدُ لبهلول : من أحبُّ الناس إليك؟ فقال : من أشبع بطني . فقال : أنا أشبعك ، فهل تحبني؟ قال : الحبُّ بالنسيئة لا يكون .

كان مجنونٌ يختلفُ إلى المآتم ، ويدعو ، ورسمه أن يُعطى درهمين ،

(١) البيت لحسان بن ثابت في عيون الأخبار ١٢/٢ ، وليس في ديوانه ، ولرجل من بني قريع في ديوان الحماسة ١٣/٢ .

فاتفق أن آل الزبير كان لم يمُت منهم أحدٌ سنين كثيرة، ثم مات منهم واحد فحضر المجنون، وأعطى درهمًا واحدًا. فقال: من كثرة ما تموتون حتى نقصتم رسمي .

وكان مجنونٌ آخر يحضر المآتم، ورسومه أن يعطي ثلاثة أرغفة فحضر يومًا بعض المواضع وأعطى ستة أرغفة؛ فلما أراد أن يخرج قال لأصحاب التعزية: اذكروا أنه قد بقي لكم عليّ ميت آخر .

قال: لما ضُمَّت المدينة إلى الحجاج مع مكة خرج إليها؛ فبينما هو يسير إذ قال لأصحابه: تأخروا حتى أحدث نفسي؛ فتأخروا. ومضى على حماره حتى انتهى إلى مَبْقَلَة، فإذا رجلٌ جالسٌ على شَفِيرِ بئرٍ، فوقف عليه فقال: ما يقول الناسُ في أميرهم؟. فقال: يقولون: ظالمٌ متعدُّ ملعونٌ. قال الحجاج: أتعرفيني؟ قال: لا. قال: أنا الحجاج. قال الرجلُ: أتعرفيني أنت؟ قال: لا. قال: أنا مولى بني ثور، أصرع في كل شهرٍ ثلاثة أيام، اليوم أولها وأشدّها؛ فضحك الحجاج ولم يتمالك، ومضى، ولحقه الناس .

قيل لبهلول: أتأكلُ في السوق وأنت تُجالس جعفر بن محمد رضي الله عنه؟ قال: حدّثني مالكٌ عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ» لقيني الجوعُ، والخبزُ في كميّ؛ فكرهتُ أن أمطله .

ورثي في مقبرة؛ فقليل له: هلاً خالطت الناس؟ فقال: إني بين قوم إن حضرتُ لم يؤذوني، وإن غبتُ لم يَغْتَابُونِي. قيل له: فادعُ الله، فإنَّ الناس في ضرٍ وشِدةٍ من الغلاء. فقال: وما عليّ من ذلك، ولو بلغت الحبة دينارًا، وإنما عليّ أن أعبدُ الله كما أمرني، وعليه أن يرزُقني كما وعدني .

قيل لبهلول: وُزن أبو بكر وعمر رضي الله عنهما بالأمة فرجحا. فقال: كان بالميزان غبن .

وجاء بهلولٌ فوقف بجِذَاء حَفْص بن غياث القاضي، فقال: هوذا، أجدُ البردَ في قدمي ورأسِي. فأمر له بقلنسوةٍ وخُفَّين. فلما كان اليوم الثاني وقف

بُهلول بجذائه؛ فقال له: ما لك؟ قال: جزى الله القاضي عن الأطراف خيراً؛ فأمر له بقميصٍ وسراويلٍ.

جاءت امرأةٌ دندانَ المجنونِ إلى القاضي؛ فقالت: أصلحك الله إنه يُجيعُنِي ويضربُنِي! قال القاضي: ما تقول؟ قال دندان: أما الضرب فنعم، وأما الجوعُ فهي طالقٌ ثلاثاً إن لم تجيء معي إلى منزلي مع أصحابك أيها القاضي، فقال لأصحابه: قوموا بنا لا يحنث. فقام القاضي، وذهب معه، فلما دخل جاء به إلى مَزيلَةٍ فيها رَجِيعٌ عظيم، فقال: أصلحك الله هذا يخرجُ مِنْ بطنِ جائعٍ؟ قال: أخزأك الله فإنك أحمق. قال: أحمقُ مني مَنْ أطاع المجانين.

كان بُهلول يوماً جالساً والصبيانُ يؤذونه وهو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله يُعيدهُ مِراراً، فلما طال أذاهم له أخذَ عصاه وقال: حَمِي الوطيس، وطابتِ الحربُ، وأنا على بَيْنَةٍ من رَبِّي. ثم حمل عليهم وهو يقول^(١):

[الوافر]

أشدُّ على الكتيبةِ لا أبالي أفيها كان حَنفي أم سِواها
فتساقط الصبيانُ بعضُهم على بعض، وتهازَبُوا، فقال: هُزِمَ القومُ وولُوا
الدبر. أمرنا أمير المؤمنين - رضي الله عنه - ألا نَتَّبِعَ مُوَلِّيَا، ولا نُدَفِّقَ على
جريح، ثم رجع وجلس وطرحَ عَصَاهُ، وقال^(٢): [الطويل]

فألَقَّتْ عَصَاهَا واستقرَّ بِهَا النَّوَى كما قرَّ عَيْنًا بالإيابِ المُسافرُ
وقفده^(٣) رجلٌ كانت قد أرضعته امرأةٌ يقال لها مجيبة، وكانت رعناء،

(١) البيت للعباس بن مرداس في خزانة الأدب ٤٣٨/٢، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ١٥٨، وبلا نسبة في الإنصاف ٢٩٦/١.

(٢) البيت لمعمر بن أوس بن حمار في الاشتقاق ص ٤٨١، ولسان العرب (نوى)، وله أو لعبد ربه السلمي أو لسليم بن ثمامة الحنفي في لسان العرب (عصا)، وبلا نسبة في خزانة الأدب ٦/١٣، ١٧/٧، ورفص المباني ص ٤٨.

(٣) قفده: صنعه.

فقال بهلول: كيف لا تكونُ أعرنَ، وقد أرضعتكُ مُجبية؟ فوالله لقد كانت تزق لي الفَرْخَ فأرى الرعونَةَ في طيرانه! .

وقف رجلٌ على بهلول، فقال له: قد وقفتَ أنتَ ههنا، والأميرُ يُعطي المجانينَ كلَّ واحدٍ درهمين، فقال بهلول: فاعرض عليَّ درهميك .

قال الفضل بن يحيى لجعيفران المجنون: لِمَ لا تصيرُ إليَّ؟ فقال: أنتَ بحرٌّ ولا أحسنُ أن أسبح، فوصله بمالٍ .

قيل لبهلول: ما تقولُ في رَجُلٍ ماتَ وخَلَفَ أُمًّا وزوجةَ وبنْتًا؟ فقال: للأُمِ الشكْلُ، وللابنةِ اليَتَمُ، وللزوجةِ الحربُ، وما بقي فللعصبة .

وقال له الرشيد: أبو بكر وعمرُ خيرٌ من عليٍّ، فقال واحدٌ: لا يجوز بإزاء اثنين، ولكن عليٌّ والعباسُ خيرٌ من أبي بكرٍ وعمر .

قال بعضهم: رأيتُ شيخًا قد سكر وسقط وسط الطريق، وهو ينخر، ومجنون واقفٌ على رأسه يقول: يا مخذول، تسكر وتنخر؟ ما تركت للصلح موضعًا .

نوادير البخلاء^(١)

قال بعضهم لبخيل: لم لا تدعوني يومًا؟ قال: لأنك جيّد المضحغ، سريعُ البَلْع، إذا أكلتَ لقمة هيأتُ أخرى . قال: فتريدُ مني إذا أكلت لقمة أن أصلي ركعتين، ثم أعود إلى الثانية؟ .

دخل واحدٌ إلى بعضهم وهو يأكل، ومعه آخر؛ فقال للدَّاخِل: تعال كُلْ . قال: قد تغدّيت . فقال: هذا أيضًا زعم أنه تغدّى .

ودخل آخرٌ على بعضهم وبين يديه طبق عليه تين؛ فلما أحسَّ بالدَّاخِل غطّى الطبق بذيّله، وأدخَلَ رأسه في جيبه، وقال للدَّاخِل: كن أنتَ في

(١) نثر الدر للآبي ١٨٨/٢ - ٢٠١ .

الحجرة الأخرى حتى أفرغ من بخوري .

أكل ابن المدبّر يوماً عند ابن الفيّاض ، فقدّمت جوذابة في نهاية الجودة ، وأمعن ابن المدبّر فيها؛ فلم يصبر ابن الفيّاض حتى قال له : أليس زعمت أنك لست صاحبَ جوذاب؟

قال بعضهم : حضرتُ مائدة بعضهم فضربَ ربُّ البيت يده إلى رغيّف ، ثم قال : يقولون خُبزي صِغار . أي : أخو قحبة . يتمُّ من هذا رغيّفًا؟ وقال بعضُ المبخّلين لرجلٍ على مائدته : اكسر ذلك الرّغيّف . فقال : دعه يبتلي به غيري .

دعا بخيلٌ قومًا ، واتّخذ لهم طعامًا ، فلما جلسوا يأكلون وهو قائم يخدمهم ، وأمعنوا في الأكل جعل صاحبُ البيت يتلو فيما بينه وبين نفسه : ﴿وَجَزَّهَمَ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان : الآية ١٢] .

وكان جعفرُ بن سليمان بخيلًا على الطعام ، فرُفَعَت المائدة من بين يديه وعليها دجاجة ، فوثب عليها بعضُ بنيه وأكل منها ، وأعيدت عليه من غد؛ فلما رآها وقد أُكِلَ منها شيء . قال : من هذا الذي تعاطى فعقر؟ قالوا : ابنكُ فلان . فقطع أرزاقَ بنيه كلّهم ، فلما طال عليهم قال بعضُ بنيه : أفتنهلكنّا بما فعل السفهاء منّا ، فأمر بردٌ نصفَ أرزاقهم .

وقف واحدٌ على الحُطَيْيئة ليستَقْرِيه فمنعه ، فقال : إنّ الرمضاء قد أحرقت قدمي . قال : بلُ عليهما تبردا . قال : وما عندك غير هذا؟ قال : بلي ، هراوةٌ من أرزن معجّرة . قال : إني ضيف . قال : للضيفان أعددتها .

قال أبو الأسود الدؤلي - وكان بخيلًا - : لو أطعنا المساكينَ في أموالنا كُنّا أسوأ حالاً منهم .

قال الجاحظ : حدّثني بعضُ أصحابنا قال : كنا منطلقين إلى رجلٍ من كبار أهل العسكر ، وقد كان لبثنا عنده يطولُ؛ فقال له بعضنا : إن رأيت أن تجعل لنا أمانة إذا ظهرتْ خففتنا ، ولم تُنْعِبك بالْقعود ، فقد قال

أصحاب معاوية مثل الذي قلنا لك؛ فقال: أمارة ذلك إذا قلت: إذا شئتم. وقال أصحاب يزيد مثل ذلك، فقال: إذا قلت: على بركة الله وقيل لعبد الملك؛ فقال: إذا ألقى الخيزرانة من يدي، فأى شيء تجعل لنا أصلحك الله فقال: إذا قلت: يا غلام، الفداء.

نظر الكندي إلى رجل يكسِرُ درهمًا صحيحًا؛ فقال: ويحك! لا تُفرِّق بين الله ورسوله.

قال جحظة: دخلت وأنا في بقايا علة على كاتب، فقدم إلينا مضيرة، فأمعنت فيها، فقال: جعلت فداك، أنت عليل، وبدنك نحيل، واللبن يستحيل، فقلت: والعظيم الجليل لا تركت منها كثيرة ولا قليل، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

قال رجل من أهل المدينة: أتيت صاحب بُرٍّ، وكان بخيلًا؛ فقلت له: هَب لي فُلَسًا. قال: ليس معي. قلت: فهب لي من هذا البُرِّ ما أشرب به ماء. قال: فأعطاني خمسَ حَبَّات؛ فقلت له: لا يسقيني الشاربُ بها ماء؛ فقال: احمل عليه كما حملت علي.

كان يُعمل لمعاوية لونٌ من المنخ، لا يشاركه فيه أحد، فأُتِيَ به فضرب عبد الله بن جعفر بيده فيه، وقال: إنما أردت به أنسك يا أمير المؤمنين. قال: ما أنستني! ثم استخيا؛ فأرسل إليه عشرة آلاف؛ فقال عبد الله كم في هذه من لون منخ؟.

وقال لرجلٍ وأكله: ارفق بيدك؛ فقال له: وأنت فاغضض بصرك.

قيل لبعضهم: كيف سخاء فلان؟ قال: عيئه دولا ب اللقم في أيدي الأضياف.

تغذى أعرابيٌّ عند معاوية؛ فنظر معاوية إلى شجرة في لقمته؛ فقال: يا أعرابي خذ الشعرة من لقمتك؛ فقال: وإنك لتراعييني حتى تبصر الشعرة في لقمتي، والله لا أكلت معك أبدًا.

كان خالد بن صفوان بخيلاً، فحدث ذارع من أهل البصرة قال: دعاني خالد فقسمتُ له مالاً، وأقمتُ حسابَه، فلما كان عند الظهر دعا بالغداء فجاؤوه بدجاجة، وجاؤوني بزيتونٍ وبصلٍ؛ فقال: تشتهي أن تأكل من هذه الدجاجة؟ فقلتُ: وما عليك لو أكلتُ منها؟ قال: إذا كنتُ أنا وأنتُ في مالي سواء فما ينفعني مالي؟.

وقال آخر: كنتُ عند رجلٍ من جِلَّةِ الناس، فقدمتُ له زينة رطبة، فأكل واحدة وأكلتُ واحدة، ثم أكل أخرى وأكلتُ أخرى؛ فالتفت إليّ؛ فقال: إذا أكلتُ كما أكلُ فأين فضلُ المالك؟.

أكل عند بخيل، وأمعنوا في الأكل، وأراد أن يقطعهم؛ فقال: ليس هذا أكل من يريد أن يتعشى.

حقن عمر بن يزيد الأسدي بحقنة فيها دهن؛ فلما حركه بطنه كره أن يذهب الدهنُ ضياعاً، فدعا بطستٍ وجلس عليه، ثم قال: صَفُوا هذا الدهنَ فإنه يصلح للسراج.

وأوصى بعضهم ابنه؛ فقال: كُنْ مع الناسِ كلاعِبِ الشُّطرنجِ يحفظُ شَيْئَه.

كان بالكوفة رجلٌ من المُصلِحين - وهذا لقبُ المقدمين منهم في اللؤم - فبلغه أن بالبصرة رجلاً من المصلحين مقدماً في شأنه، فقام الكوفيُّ، وصارَ إلى البصرة ليُلقيَ صاحبه، فلما قدم عليه قال له: مَنْ أنت؟ قال: أنا مصلحٌ من أهل الكوفة، وقد بلغني خبرُك، فرحَّب به، وأدخله البيت وأجلسه، وأخذ قطعة ومرَّ ليشتري له شيئاً يأكله، فلما خرج إلى السوق دنا من البقال؛ فقال: عندك خبز؟ فقال: عندي خبزٌ كأنه السمْنُ؛ فقال المصلحُ في نفسه: لِمَ لا أشتري ما نعته به؟ فذهب إلى آخر، وقال: أعندك سمْن؟ فقال: عندي سمْنٌ كأنه الزيت؛ فقال في نفسه: أذهبُ فأخذُ ما نعته به، فذهب إلى بقالٍ آخر؛ فقال: عندك زيت؟

قال: عندي زيت كأنه الماء، فقال في نفسه: عندي والله راوية ماء. فرجع إلى البيت، وأخذ الماء في غَضارة وقدمه إلى الكوفي وقال: كُل هذا، فإنه نعتُ النَّعت، فقال الكوفي: أنا أشهدُ أنكم أحذقُ بالإصلاح منَّا بألفِ دَرَجَة.

قال مزبَّد: أهل الكوفة إذا عتق عندهم التنور دَفَّوه وجعلوه في الفتيت.

قال بعضهم: بثُّ عند رجلٍ من أهل الكوفة. وهو من المُوسرين المعروفين بحُسنِ الحال، ولهُ صبيان نيامٌ بحيث أراهم، فرأيتُهُ في الليل يقومُ فيقلبُهُم من جنب إلى جنب؛ فلما أصبحنا قلت له: رأيتك يا أبا جعفر البارحة تفعلُ كيت وكيت. قال: نعم، هؤلاء الصبيانُ يأكلون وينامون على اليسار، فيُمِرِّهم الطعام فيصبحون جياعًا، فأنا أقلبُهُم من اليسار إلى اليمين؛ لئلا ينهَضَ ما أكلوه سريعًا.

قال بعضهم: دخلتُ الكوفة فسمعتُ امرأةً تقول: يا أبا جعفر الدقاق، حَسْبُكَ اللهُ - وقد اجتمعَ الناسَ عليهما - فقال الدقاق: ما لك؟ قالت: أعطيتني كيلجةً دقيقٍ ما جاء منها إلا ثمانون رغيًا. قال: يا مُسرفة، إذا كنتِ تخبزين رُغفانًا مثل الأرحبة فأئي ذنب لي؟.

وقال بعضهم: رأيتُ بالكوفة سائلاً يتصدَّق، ومعه منهزة، فقلتُ له: ما هذه؟ قال: أصيدُ بها الكسرَ. قال: وإذا هو كلُّما رموا إليه بكسرةٍ من تلك الرِّوازين طارت بها الرِّيحُ، فتلقَّها بالمنهزة.

قال آخرُ: رأيتُ بالكوفة صبيًا ومعه قُرصة، وهو يكسر لقمَةً لقمَةً، ويرمي بها إلى شقِّ في بعض الحيطان يخرج منه دُخانٌ، ويأكلها. قال: فبقيتُ أتعجَّبُ منه، إذ وقفَ عليه أبوه يسأله عن خَبَره؛ فقال الصبي: هؤلاء قد طبخُوا سكباجةَ حامضةً كثيرة التوابل؛ فأنا أتأدِّمُ برائحتها. قال: فصفَّعه أبوه صفعةً صلبةً كاد يقطع بها رأسه وقال: تريدُ تُعوِّد نفسك من اليوم الأُ تَأكل خبزًا إلا بأدم.

انتقل قَصَابٌ من بغداد إلى الكوفة، وفتح بها دُكَّانًا، وذبح شاةً سميئة، وقعد من غدوة إلى العصر لم يبيع شيئًا، ولم يقف عليه أحدٌ؛ فلما كان العصر إذا هو بعجوزٍ معها زَبِيلٌ نُخَّالَةٌ؛ فقالت له: يا ابني، أعطني بهذه النخالة لحمًا، وقطعه بحياتك تقطيعًا حسنًا. قال: فحَرَدَ البغدادي، وقال: لعن الله بلدًا يُباع فيه اللحم بالنُّخالة. فولَّت العجوز مُتَعَجِّبَةً منه وهي تقول: ويلٌ لي! هذا بغداديٌّ صلف، لا يبيع إلا بالتَّوَى.

قال: ورأيتُ صبيةً قد وقفت على بَقَالٍ بالكوفة، وأخرجت إليه رغيف شعير، وقالت له: قالت أختي: أبدل هذا الرغيف بالكِسر وأعطها بصَرْفه جَزْرًا.

قال بعضهم: احتججتُ بالكوفة إلى دقيق الحُوَّارَى، فسألتُ عنه وعن موضعه. فقالوا: لا تصيِّههُ إلا عند الصَّيادلة، يبيعونه للدماويل.

وقال آخر: كنتُ عند صديقٍ لي بالكوفة، فإذا بجاريةٍ أمه قد جاءت ومعها كوزٌ فارغ؛ فقالت: تقولُ أمُّك إنَّ يومنا يومٌ شديد الحر. فاملأ لي هذا الكوز من مزْمَلَتِكُمْ؛ فقال لها: كذبتِ، فإنَّ أُمِّي أعقلُ من أن تبعث كوزًا فارغًا. اذهبي واملئي الكوزَ من ماء حُبِّكم، حتى نَصُبَّهُ في حُبْنَا، ثم نملأه من المَزْمَلَةِ، حتى يكون شيءٌ بشيءٍ.

قال ورأيتُ واحدًا بالكوفة قد دنا من بَقَالٍ وأعطاه مقدارَ حبة. وقال: أعطني بهذا جُبْنًا؛ فقال له البقالُ: شمّه وانصرف، ويبقى عليك طَسُوج.

نزل بكوفيٌّ ضَيْفٌ، فقال لجاريته: يا جارية، أصلحي لضيفنا فالوذجًا. قالت الجارية: ليس عندنا شيء. قال: ويلك! فهاتي قطيفةً إبريسم^(١) حتى ينام.

قال الضيفُ: يا سيدي، فليس بين الفالوذجِ والقطيفةِ رغيفٌ وقليلُ جن؟.

(١) الإبريسم: الحرير.

وقال آخر: رأيتُ كوفياً يُخاصِمُ جازاً له ويقَاتله، فقلت: ما قَصَّتكما؟ فقال أحدهما: زارني زائرٌ، فتشهيَّ عليَّ رُؤوساً، فأطعمته، وأخذتُ العظام؛ فرميتُ بها على بابِ داري أتجمَلُ بها، وأكبتُ العدوَّ، فجاء هذا، وأخذها من بابِ داري، وجعلها على بابِ داره.

وكان بعضُ المياسيرِ منهم له والدةٌ عجوز: فقيل لها: كم يُجري عليك ابنُك؟ قالت: درهمًا في كلِّ أضحى. قيل: يا سبحانَ الله درهم في كلِّ أضحى! قالت: نعم، وربما أدخلَ الأضحى في الأضحى.

وكان بعضهم يأكلُ ومعه على المائدة ابنه وزوجته؛ فقال: لعن الله الزحمة؛ فقال له ابنته: يا أبه، تعينيني؟ فليس ههنا غيري وغيرُ أُمي. قال: أفترى أعني نفسي؟

خرج نفرٌ من أهل مَرُو في سفرٍ، وصبروا على تركِ السراج للارتفاق بما يرجعُ عليهم منه حتى أبلغ ذلك إليهم، فانفقوا على أن يخرج كلُّ واحدٍ منهم شيئاً للسراج، وامتنع واحدٌ منهم من أن يُعطي شيئاً؛ فكانوا إذا أسرجوا شدوا عينيه بمنديل إلى وقتِ النوم ورفع السراج.

حكى عن بعض البُخلاء أنه قال: إذا رأيتُ الجبنَ على مائدةٍ رحمت صاحبها لكثرة ما يؤكل من خُبزه.

ودعا آخرٌ منهم على صاحبه؛ فقال له: إن كنتَ كاذباً فعشيتَ السكاري بجنين، فأرى أنه قد بالغَ في مُلاعنته والدعاء عليه.

عمل سهل بن هارون كتاباً مدح فيه البخل، وأهداهُ إلى الحسن بن سهل، فوقع على ظهره: قد جعلنا ثوابك عليه ما أمرت به فيه.

قال رجلٌ لغلام: بِكم تعملُ معي؟ قال: بطعامي. قال له: أحسن قليلاً. قال: فأصوم الاثنين والخميس.

قال أبو نواس: قلتُ لرجلٍ من البُخلاء: لِمَ تأكلُ وحدك؟ فقال: ليس هذا سؤالاً، وإنما السؤال على مَنْ أكلَ مع الجماعة؛ لأن ذلك تكلفٌ وهذا هو الأصل.

قيل لرجل: من يحضرُ مائدةَ فلان؟ قال: الملائكة. قال: لم أريد هذا.
مَنْ يأكل معه؟ قال: الذَّبَّان.

ومدح رجلٌ البخل؛ فقال: كفاكَ من كرمِ الملائكة أنه لم يُبَلِّهم بالنفقة،
وقولِ العيال: هات، هات.

قال دينارُ الحجام: حجمت أبا جعفر المنصور في خلافته؛ فأعطاني
أربعة دوانق فضة، وأخذتُ شَعْرَ سعيد بن أبي عروبة؛ فأمر لي بقَوْصرة^(١)
فارغة.

قال بعضُ البخلاء: فرحة السكرِ قلَّةُ الاحتشام، وفرحة الخُمار قلَّةُ
الإنفاق.

وقال آخر: مَنْ كثرت نفقته كَثُرَ ندمُه، ومن كثر ندمه قلَّت دعواته.

قيل على مائدة بعض البخلاء: ما أحسن الأيدي على المائدة! فقال
صاحب المائدة: مقطعة!!

قال الكندي: مِنْ ذُلِّ البذل أنك تقول: نعم. مطأطأاً رأسك، ومن عزِّ
المنع أنك تقول: لا. رافعاً رأسك.

اشترى كوفيٌّ مزادةً ماءٍ برغيف؛ فقال لصاحبه: كيف ترى استرخاصي
هذه المزادة؟ قال: فيها غلاءٌ عَضَّة.

استسلف بعض الصيارفة مِنْ بقال كان على بابهِ درهمين وقيراطاً؛
فقضاه بعد سنَّةٍ أشهرٍ درهمين وثلاثَ حبات.

فقال البقالُ: سبحان الله ألا تستحي؟ أنت ربُّ مائة ألف درهم، وأنا
بقالٌ لا أملك مائة فلس، تنقضني بعد هذه المدة الطويلة؛ فقال: ما توهمت
منك ما ظهر لي من قلَّة معرفتك بالحساب. أسلفتني - أبقاك الله - في الصيفِ
درهمين وأربع شعيرات؛ فقضيتك في الشتاء درهمين وثلاث شعيرات شتوية

(١) القوصرة: وعاء من قصب يوضع فيه التمر.

نديّة أرزن من أربع شعيرات يابسة صيفية، وما أشك أن معك فضلاً.
دخل هشام بن عبد الملك حائطاً له فيه أشجار فاكهة، ومعه أصحابه،
فجعلوا يأكلون منه، ويدعون له بالبركة؛ فقال هشام: كيف يبارك فيه وأنتم
تأكلون؟ ثم قال: يا غلام. اقلع هذا واغرس مكانه الزيتون.

قال المنصور للوضين بن عطاء: ما عيالك؟ قال: ثلاث بنات والمرأة.
قال؛ فقال: أربع في بيتك! قال: فردد ذلك حتى ظننت أنه سيصلني. قال:
ثم رفع رأسه؛ فقال: أنت أيسر العرب، أربعة مغازل تدور في بيتك.

أرسل مروان بن أبي حفصة غلامه بفلس وسكرجة يشتري له زيتاً؛ فلما
جاء بالزيت استقله، وقال للغلام: خنتني يا خبيث. قال الغلام: كيف
أخونك من فلس؟! قال: أخذت الفلس لنفسك، واستوهبت الزيت.

وكان مروان من أبخل الخلق: اجتاز مرةً بامرأة من العرب، فأضافته؛
فقال لها: عليّ إن وهب لي أمير المؤمنين مائة ألف درهم أن أهب لك
درهماً، فأعطاه سبعين ألفاً، فأعطاهم أربعة دوانيق.

وسقى إنساناً بخيل ضيفاً له نبيذاً عتيقاً على الريق، فتأوه الرجل؛
ف قيل له: لِمَ لا تتكلم؟ فقال: إن سكّ مت، وإن تكلمت مات ربّ
البيت.

وكان بعضُ البخلاء يأكل نصف الليل، فقيل له في ذلك، فقال:
يبرد الماء وينقمع الذباب، وأمن فجأة الدّاخل، وصرخة السائل، وصياح
الصبيان.

دخل أبو الأسود الدؤلي السوق يشتري شيئاً، فقال الرجل: ادنْ
أقاربك؛ فقال: إن لم تقاربني أنت باعدتُك أنا. قال: بكم؟ قال: طُلب
بكذا. قال: أراك تحدّث بخيرٍ قد فات.

شكا بعضُ البخلاء بُخله إلى بعض الحكماء؛ فقال له: ما أنت ببخيل؛
لأن البخيل هو الذي لا يُعطى من ماله شيئاً، ولست أيضاً بمتوسط الجود؛

لأن المتوسط هو الذي يُعطي بعض ماله، ويمنع بعضه، ولكنك في غاية الجود؛ لأنك تريد أن تعطي مالك كله. يعني: أنه يدعه كله لوارثه.

قال صعصعة: أكلت عند معاوية لقمة؛ فقام بها خطيباً. قيل له: وكيف ذاك؟ قال: كنت آكل معه، فهياً لقمة ليتنا وألها، وأغفلها، فأخذتها فسمعته بعد ذلك يقول في خطبته: أيها الناس، أجملوا في الطلبِ فربُّ رافع لقمة إلى فيه تناولها غيره.

استأذن جحظة على صديق له مُبَخِّل؛ فقال غلمانُه: هو محمومٌ؛ فقال لهم: كلوا بين يديه حتى يعرق.

وقال جحظة: أكلت مع بخيلٍ مرة؛ فقال لي: يا هذا، ما رأيتُ أذلَّ من الرغيفِ في يدك.

أصاب أعرابيٌّ درهماً في كناسة الكوفة؛ فقال: أبشر أيها الدرهم، وقرِّ قرارك فطالما خيض فيك الغمار، وقُطعت فيك الأسفار، وتُعْرَضُ فيك للنار.

أهلُ مَزوٍ موصوفون بالبخل، ومن عادتهم إذا ترافقوا في سفرٍ أن يشتري كلُّ واحدٍ منهم قطعة لحم، ويشدها في خيط، ويجمعون اللحم كله في قدر، ويصبون عليه الماء ويطبخونه، ويمسك كل واحدٍ منهم طرف الخيط الذي قد شده في لحمه، فإذا نضجت القدر جرَّ كل واحد خيطه، وتفرَّد بأكل ما فيه، وتساعدوا على المرقَّة.

ويحكى أن واحداً منهم لم يخرج ثمن البرر للسراج؛ فشدوا عينه لثلا يرى السراج.

قال: ومن طرائف أمورهم أنهم يستعملون الخادم في ستّة أعمالٍ في وقتٍ واحدٍ: تحملُ الصبي، وتشدُّ يد البربند في صدرها، فتدور وتطحن وفي ظهرها سقاء تمخضه باختلافها وحركتها، وتدوس طعاماً قد ألقى تحت رجليها، وتلقى الحنطة في الرِّحَا، وتطرُد العصافير عن طعام قد وكَّلت به.

كان بعضُ البخلاء، إذا صار الدرهم في يده خاطبه وناجاه، وفدّاه واستبطاه، وقال: بأبي أنت وأمي. كم من أرضٍ قطعت، وكيسٍ خرقت، وكم من خاملٍ رفعت، وكم من رفيعٍ أخلمت! لك عندي ألا تعرى ولا تضحى، ثم يُلقيه في كيسه ويقول: اسكن على اسم الله في مكانٍ لا تزولُ عنه، ولا تُزعج منه.

ذكر ثمامة محمد بن الجهم، فقال: لم يُطعم أحدًا في ماله إلا ليشغله بالطمع فيه عن غيره، ولا شفَع لصديقٍ، ولا تكلم في حاجةٍ إلا ليلقنَ المسؤولَ حجةً منع، وليفتَح على السائل باب حرمان.

تناول رجلٌ من بين يدي بعضِ الأمراء البخلاء بيضةً؛ فقال: خذها؛ فإنها بيضةُ العُقر^(١)، وحجبه بعد ذلك.

قال الواقدي: خرجتُ أنا وابن أبي الزناد إلى بعض المواضع بالمدينة، ورجعنا نصفَ النهار في يوم صائفٍ؛ فقال: ما أحوجنا إلى شربة ماءٍ باردٍ! فإذا نحنُ بسعيدٍ مولى ابن أبي الزناد؛ فقلت له: ابعث لنا شربة ماء؛ فقال: نعم وكرامة - اجلس - وبأدر مستعجلاً، فدخل الدار ومكث طويلاً، ثم خرج إلينا؛ فقال: تعودون العشيّة إن شاء الله.

قال العتيبي: لو بُدلت الجثة للأصمعي بدرهم لاستنقص شيئاً. سأل مُتكفّف الأصمعي؛ فقال: لا أرتضي لك ما يحضرنني؛ فقال السائل: أنا أرضى به؛ فقال الأصمعي: هو، بُورك فيك.

أعطى المنصور بعضهم شيئاً ثم ندم؛ فقال له: لا تنفق هذا المال واحتفظ به، وجعل يكرّر عليه ذلك؛ فقال: يا أمير المؤمنين، إن رأيت فاختمه حتى ألقاك به يوم القيامة؛ فضحك وخلاه.

كان رجلٌ على طعام بعض البخلاء؛ فأخذ عُراقاً فلم يجد عليه لحمًا، فوضعه ليأخذ غيره؛ فقال صاحبُ البيت: العب بمسك.

(١) بيضة العقر: بيضة يزعمون أن الديك يضعها مرة واحدة في العمر.

قال بعضهم: فلان عينه دولا ب لقم أضيفه.

قال بعضهم لغلامه: هات الطعام وأغلق الباب؛ فقال الغلام: هذا خطأ. أغلق الباب، ثم أقدم الطعام؛ فقال: أحسنت أنت حُرٌّ.

قال أبو العيناء: أكلت مع بعض أمراء البصرة؛ فقدم إلينا جدي سمين، فضرب القوم بأيديهم إليه؛ فقال: ارفقوا به فإنه بهيمة.

أكل أعرابي مع أبي الأسود رطبًا وأكثر، ومد يده أبو الأسود إلى رطبة يأخذها؛ فسبقه الأعرابي إليها وأخذها فسقطت في التراب؛ فأخذها وجعل يمسحها ويقول: لا أدعها للشيطان؛ فقال أبو الأسود: ولجبريل وميكائيل لو نزلوا.

قال بعض الكوفيين: علامة نجابة الصبي في ثلاث: عرامته، وجبته وبخله؛ فإنه لا يكون شديد العرامة إلا من جودة نفسه، ولا يبخل إلا من معرفته، ولا يجبن إلا من عقله.

كان زيد بن محمد بن زيد الداعي مبخلًا؛ فلما أسر بعد مقتل أبيه بجرجان، وحمل إلى بخارى وحبس مدة، ثم أفرج عنه سعى به بعض أعدائه إلى السلطان؛ فقال: إن زيدًا قد حدث نفسه بالخروج عليك والدعاء إلى نفسه، وإثارة الفتنة؛ فقال أبو عبد الله الجبهاني - وكان وزيرًا -: إن زيدًا ما دام بيني الحمّام من اللين والطين ببخارى لا يسمو بنفسه إلى ذلك. وكان قد فعل ذلك مع عفونة أرض بخارى، وقلة ثبات الأبنية بها. فصدّقوه وأمّنوا جانبه ولم يتعرضوا له.

سأل رجل أبا الأسود شيئًا فمنعه؛ فقال له: يا أبا الأسود، ما أصبحت حاتميا؛ فقال: بل أصبحت حاتميا. أما سمعت حاتمًا يقول^(١): [الطويل]

أما وي، إمامان فمبين وإمام عطاء لا يتهنهنه الزجر

(١) البيت في ديوان حاتم الطائي ص ١٩٩.

كان أحيحة بن الجلاح بخيلاً، فكان إذا هبت الصبا طلع من أطميه^(١)؛ فنظر إلى ناحية هبوبها، ثم يقول: هبّي هبوبك. قد أعددت لك ثلاثمائة وستين صاعاً من عجوة، أدفعُ إلى الوليدِ منها خمسَ تمرات فيردُّ عليّ ثلاثاً لصلابتها.

كان خالد بن صفوان قد أجرى لولده في الشهر ثلاثين درهماً؛ فكان يقول: إن الثلاثين لأعبث في المال من السوس في الصوف في الصيف. عذِل بعضُ البخلاء على بخله؛ فقال: يا قوم؛ هب الناس يلومونا على التقصير فيما بيننا وبينهم، ما بالهم يلومونا على التقصير فيما بيننا وبين أنفسنا؟

سمع أبو الأسود رجلاً يقول: مَنْ يُعْشِي الجائع؟ فعشاه، ثم ذهب السائل ليخرج، فقال: هيهات. على الأثؤذي المسلمين الليلة؛ فوضع رجله في الأدهم، وقال: لا تُرَوِّع مسلماً سائراً الليلة.

ووقف على بابِه سائلٌ وهو يأكل؛ فقال: السلام عليكم. قال: كلمة مَقُولَة. قال: أدخل؟ قال: وراءك أوسع. قال: إنَّ الرَّمضاء قد أحرقت رجلي. قال: بُل عليها. وأغلق دونه الباب.

وكان يمرُّ به فتى، وأبو الأسود يأكلُ على باب داره، فيدعوه إلى الغداء فيتورَّك على دابته ويأكل وأبو الأسود على دكان له صغير؛ فلما كثر ذلك دَسَّ إليه إنساناً معه دابةٌ فيها حصى؛ فلما تورَّك الفتى ليأكلَ حرَّكَ الدابة فنفرت الدابة وسقط الفتى، فاندقَّت عُنقه.

أرسلت امرأةٌ من قوم أبي الأسود ابنها إليه أن يعيرها القدر، ويُعلمه أنَّ أمه نذرت أن تجعلَ للحَيِّ طعاماً؛ فقال أبو الأسود: سلوها؛ فإن كانت قدَرنا دخلت في نذرِها، وإلا فلتطلب غيرها.

(١) الأطم: القصر، وكل حصن مبني بحجارة، وكل بيت مربع مسطح.

وقف أعرابيٌّ على أبو الأسود وهو يتغذى، فسلم عليه، فردَّ عليه، ثم أقبل على الأكل، ولم يعرض عليه؛ فقال له الأعرابي: أما إني قد مررتُ بأهلك. قال: ذاك كان طريقك. قال: هم صالحون. قال: كذاك فارقتهم. قال: وامراتك حُبلى. قال: كذاك عهدتها. قال: ولدت. قال: ما كان لها بدُّ من أن تلد. قال: ولدت غلامين. قال: كذاك كانت أمها. قال: مات أحدهما. قال: ما كانت تقوى على إرضاع اثنين. قال: ثم مات الآخر. قال: ما كان ليبقى بعد أخيه. قال: وماتت الأم. قال: حزننا على ولدها. قال: ما أطيَّب طعامك! قال: ذلك حداني على أكله. قال: أف لك! ما الأملك! قال: من شاء سبَّ صاحبه.

سأل رجلٌ يحيى بن أكثم شيئاً؛ فقال: كيف أعطيك وفيّ أربع خلال: أنا تميمي، ومولدي البصرة، ومثنتي بمرو، وأنا قاضٍ.

وذكر بعضهم أنه أكل معه، فأتوا بشريدة عظيمة؛ فلما أمعن فيه وجد في وسطها قصعةً مكبوبة، والثريدُ فوقها.

وذكر بعض مَنْ كان ينادم بعض كبراء هذا الوقت. قال: أكلتُ معه من قصعة واحدة؛ فكان الذي يليه من الثريد خبز حواري، والذي يليني خبز خشكار^(١).

قال أبو سهل الرازي القاضي: دخلتُ على يحيى بن أكثم يوماً، والمائدة بين يديه، والغلام واقف؛ فقال لي: يا محمّد، هذا غلامي، يأتي عليّ وقت لا أدري ما اسمه؛ وهذا حدا سلم الحادي بالمنصور في طريقه إلى الحج؛ فحدا يوماً بقول الشاعر^(٢): [الرجز]

أغرب بين حاجبَيْهِ نورُهُ يزيئُهُ حياؤُهُ وخيرُهُ
ومسكُهُ يشوبُهُ كأفوره

(١) الخشكار: ما خشن من الطحين، فارسي معرب.

(٢) الرجز بلا نسبة في نهاية الأرب ٣/٣٠٨.

فطرب المنصور حتى ضرب برجله المحمل، ثم قال: يا ربيع؛ أعطه نصف درهم؛ فقال سلم: نصف درهم يا أمير المؤمنين؟! والله لقد حدث لهشام فأمر لي بثلاثين ألف درهم؛ فقال له المنصور: ما كان له أن يعطيك ثلاثين ألف درهم من بيت مال المسلمين. يا ربيع، وكُلْ به من يستخرج منه هذا المال. قال الربيع: فما زلت أسفر بينهما حتى شرط عليه ألا يُلزِمه مؤونة في خروجه وقُفوله، ويحدو له.

تزوج عمرو بن حريث ابنة أسماء بن خارجة؛ فقالت له يوماً: ما أحسبك وأبي تقرأن من كتاب الله إلا حرفين. قال: وما هما؟ قالت: كان أبي يقرأ: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾ [سبأ: الآية ٣٩] وأنت تقرأ: ﴿إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ [الإسراء: الآية ٢٧].

قال أبو العيناء: دعاني جاز إلى وليمة، وكان بخيلاً، فرأيتُه يدور على المائدة ويتنفس الصُعداء، ويقول: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: الآية ١٢].

قال محمد بن أبي المعافى: كان أبي مُتَنَحِيًّا عن المدينة، وكانت إلى جنبه مزرعة فيها قثاء، وكنتُ صبيًّا قد ترعرعتُ؛ فجاءني من جيراننا أقران لي، وكلمتُ أبي ليهب لي درهماً اشتري لهم به قثاء، فقال لي: أتعرفُ حال الدرهم؟ كان في حجر في جبل، فضربَ بالمعاول حتى استخرج، ثم طحن، ثم أدخل القدور، وضب عليه الماء، وجمع بالزئبق، ثم أدخل النار فسبك، ثم أخرج فضرب، وكتب في أحد شقيه: لا إله إلا الله وفي الآخر: محمد رسول الله ثم صير إلى أمير المؤمنين فأمر بإدخاله بيت ماله، ووكل به عوج القلائس، صُهب السبال، ثم وهبَ لجارية حسناء جميلة. وأنت والله أقبح من قرد، أو رزقه رجلاً شجاعاً، وأنت والله أجبن من صفر، فهل ينبغي لك أن تمس الدرهم إلا بثوب؟.

حكى بعضهم أنه أكل على مائدة بعضهم، قال: فطأفت علينا هرة

وصاحت، فألقيت إليها لُقمةً من حُواري؛ فقال صاحبُ الدارِ: إن كان ولا بدَّ فمن الخُشكار.

وذكر غيره أنه كان في دَعوةٍ بعض التجارِ الميَاسير، فألقى للسُّور لقمة خُبزٍ، ثم أراد أن يُثنيها؛ فقال التاجر: دع، فليستِ الهرةُ لنا، إنما هي للجيران.

كان زيادُ بن عُبيد الله الحارثي على المدينة، وكان فيه جَفَاءٌ وبخلٌ، فأهدى إليه كاتبٌ له سِلالاً فيها أطعمة، قد تَنَوَّقَ فيها، فوافَقَهُ وقد تغدى، فقال: ما هذا؟ قالوا: غذاءٌ بعث به الكاتب، فغضب وقال: يبعث أحدُهم ابنَ اللخناء بالشيء في غير وقته. يا خيثم بن مالك - يعني: صاحب الشرط - ادعُ أهل الصَّفَّة يأكلون هذا. فبعث خيثم الحرسَ يدعون أهل الصَّفَّة. فقال الرسول الذي جاء بالسلال: أضحك الله الأمير. لو أمرت بهذه السلال تُفتح وينظر إلى ما فيها. قال: اكشفوها، فكُشِفَتْ؛ فإذا طعامٌ حسنٌ من سمكٍ ودجاجٍ وفراخٍ وجِداءٍ، وأخِصَّةٍ وحلوى؛ فقال: ارفعوا هذه السلال. قال: وجاء أهل الصَّفَّة؛ فقال: ما هذا؟ قالوا: أهل الصَّفَّة، أمر الأميرُ بإحضارهم؛ فقال: يا خيثم، اضربهم عشرة أسواط... فإنه بلغني أنهم يفسون في مسجدِ رسول الله ﷺ.

كلام الشَّطارِ ومَن يجري مجراهم، ونواديرهم^(١)

حكى بعضهم أن شاطرًا افتخر. قال: فحفظتُ من كلامه:

أنا الموجُ الكدير، أنا القُفل العسير، هذا وجهي إلى الآخرة، تأمر بشيء؟ لك حاجة إلى مالكٍ خازن النار؟ أنا النَّارُ، أنا العارُ، أنا الرِّحَا إذا دار، أنا مشيتُ سُبوعين بلا رأس، لولا أنني عليلٌ لَنَحَرْتُ نخرة نصفها صاعقة ونصفها زلزلة. أضعك في جيبي، وأنساك حتى تعفن الساعة، أقطعُ رأسك

(١) نشر الدر للآبي ٢/٢٠٢ - ٢٠٩.

وأجعلُهُ زَرَّ قميصي، أو أستنشقُك فلا أعطسُك إلا في الجحيم، أو أشربُك فلا أبولُك إلا على الصراطِ إذا صاح آدمُ: وامفقوداه. واليك لو كلمني الفيلُ لم يخرس، أو البحرُ لم ييبس، أو عَضَّني الأسد لم يضرس، أو رأني نمرودُ لم يتقدس. أصدقائي أكثرُ من حُوص البصرة، وحردل مصر، وعدس الشام، وحصى الجزيرة، وشوك القاطول، وجنطة الموصل وقصب البطائح، ونبق الأهواز، وزيتون فلسطين. واليك أنا أشرب الرمل أخرى صخرًا، أبلع النوى أخرى نخلًا. قال: وسمعت واعظًا منهم يقول: يا بني، لو طُوا؛ فإنَّ الناس يلوطنون، وازنوا؛ فإنَّ الناس يزنون، وإياكم أن تُثنا... وا؛ فوالله ما يسرني أن رجلاً أوماً إلى استي بأير من خراسان، وأنه بُويع لي بالخلافة.

سمعتُ فقيهاً لهم يقول: سألتُ سابلويه الباقلاني: لم لا يجوز الن... لك بين الفخذين؟ فقال: لأنه يكره الجمع بين الأختين.

قال سعيد بن حميد: رأيتُ حارساً يشكو إلى آخرٍ واحداً منهم خَبَبَ غلامه؛ فأطال الشكاية، ثم تنفس الصعداء وأنشأ يقول:

كلما قلتُ قد رضي وتعشَّى وكل شي
جاء عمرو فخبَّبه وبقينا بغير شي

قال بعضهم: مررتُ بباب الطاق، وحارسان يأكلان، فمرَّ بهما حارسٌ آخر وخَلَفَه كلب؛ فقال أحدهما لصاحبه: رأيتَ مثلَ هذا الكلب؟ أجرش أبرش حسن الشَّيَّة، أعزل الدُّنْب. فقال الآخر: لا ونورِ الله إن كان الكلبُ كلبه، وإنما استعاره يتجمل به.

قال بعضهم: نزلتُ في معسكرٍ بإزاء قومٍ من الجند، ومعهم مغنٌ يتغنَّى بالعجائب، سمعته يغني: [الرمل]

مَنْ لقلبٍ ما يُفيقُ من ألمٍ هائمًا يهذي بخرازِ الأدم

قال: فطرب أحدهم وقال: ويلاه سنة. وحَاتِك، أَلِمَنَ الشَّعر؟ سيدي.

قال: للخنساء. قال: ومن الخنساء؟ قال: فتى من الأنباء.

قال بعضهم: رأيت يوماً مُكاريًا - وهو عُريان - وعليه سراويلٌ خِلَقٌ متمزقٌ وفيه نكَّةٌ تساوي دينارًا؛ فقلتُ: لو بعتَ هذه النكَّةَ! فقال: لا تفعل يا شاطر مُرؤةَ الرجل تكتهُ.

قال: ورأيتُ واحدًا منهم وقد قام في جماعةٍ من أصحابه؛ فقال: يا فتيان هو ذا، أشربُ وأسقيكم؛ فقال له واحد منهم: اشربْ فديتُك كلنا، واسقِ أيَّ بعضنا شئتُ.

قال: ورأيتُ شاطرًا وقد وقف على قبر شاطر؛ فقال: رحمك الله أبا لاش. كنتُ والله - ما علمتُ - حادًّا السكين، فارةَ الصديق، إن نقبتَ فَجُرْدٌ، وإن تسلفتُ فسِنُور، وإن استلبتَ فِحْدأة، وإن ضُربتَ فأَرْضٌ، وإن شربتَ فُحْبٌ، ولكنك اليوم وقعتَ في زاويةٍ سوء.

قيل لبعض الشُّطار: كلما شهد شاهد قبلتَ شهادته؟ قال: لا حتى أعلم أنه ابتلي فصبر، وأنه لا يخبُّبُ على الأصدقاء، ولا يسرقُ الجيران.

وقال بعضهم: إن الله تبارك وتعالى كان أرحم بالفتيان أن يجعل الناس كلهم فتيانًا؛ فإنه لا يجوز لفتى أن يسرقَ متاعَ فتى، ولا يخبِّبَ صديق فتى، ولا يطلب أثر فتى إلا أن يكون الغلامُ هو الذي يريده، ونحن لا بدُّ لنا من مال نُنفِقه، وصديق نَتَّخِذه، فلو كان الناس كلُّهم فتيانًا هلكنّا.

ضرب حارسٌ أمه، فعُوتب على ذلك؛ فقال: قد قلتُ لها عشرين مرة، وهذه الثالثة: إذا كنتُ سكرانًا فلا تكلميني، فإنَّ الشيطانَ نارٌ يرتعد!

وذكر بعضهم أنه حضر مجلسًا فيه غلامٌ وَضِيءُ الوجه أديب، وهناك شابٌ مخنجر اللحية، فأخذ الغلامُ تفاحةً، فعبتَ بها ساعةً، ثم حيا بها الفتى الشاطر، فلم ينهه أن أكلها والغلامُ ينظر إليه؛ فقال الغلام: سوءةٌ لك ولو ما، أتأكل التحيات؟ فقال: إي والله، والصلوات الطيبات.

قال بعضهم: كنتُ في بيت قمري الخبني، ودخل عليه صاحبٌ له، فأبلغه عن آخر من أصحابه أنه زنَّاه؛ فأعْتَظ، وجعل يلعنه؛ فقلنا له: زنُّه كما

زَنَّاكَ أَوْ اسكَتَ . قال : أَنَا لَا أَزْنِيهِ ، وَلَا أَكُونُ سَفِيهًا ، وَلَكِنِّي أَرْجُو أَنْ يُزْنِيَهُ اللَّهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ .

قال : سَمِعْتُ حَارِسًا يَقُولُ : أَنَا أَنِي . . . كُ أُمُّ مِنْ زَعَمَ أَنَّ النَّارَ فِي النَّوْمِ لَيْسَ هِيَ سُلْطَانٌ عُرِلْتُ ، فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ النَّارَ أَحْرَقَتْ كَوْحِي ، وَشَرَائِحَ عَمَلِي حَتَّى لَمْ تَتْرِكْ لِي قَصَبَةً ؛ فَفَزَعَتْ فَلَمْ أَصْبِحْ حَسَنًا ، حَتَّى سَمِعْتُ دَقَّ الْبَابِ فِإِذَا نُوْفِيلُ الْمَصْلُحِي قَدْ وَضَعَ فِي يَدِي الْمِزْرَاقَ ، وَمَقُودُ قِلَادَةِ قَرطَاسٍ ، وَخَاتَمُ طِينٍ بِتَسْلُمِ الْعَمَلِ ، فَإِنَّ الْمَلِكَ عَقِيمٌ .

قال بعضهم : كَانَ لِي صَدِيقٌ يَقَامِرُ ، وَكُنْتُ أُوْبِّخُهُ وَأَلُومُهُ أَبَدًا عَلَى ذَلِكَ ؛ فَأَتَانِي يَوْمًا وَقَالَ : يَا أَبَا فُلَانٍ . تَقُولُ لِي : لَا تُقَامِرُ . قَدْ رَهَنْتُ وَاللَّهِ مَنَدِيلِي الَّذِي اشْتَرَيْتُهُ بِثَلَاثَةِ عَشْرٍ دَرَهْمًا عَلَى عَشْرِينَ دَرَهْمًا ، وَهَذَا يَا أَبَا فُلَانٍ رِيحٌ عَظِيمٌ .

قال بعضهم : سَمِعْتُ بِيَابَ الطَّاقِ شَيْخًا مِنْ سَفَلَةِ النَّاسِ يَقُولُ لِآخِرِ أَسْفَلٍ مِنْهُ : وَيْحَكَ يَا مُحَمَّدُ ، لَا تَتَعَجَّبْ مِنْ ابْنِي عَفْوِيهِ ، أَخْوِينِ أَحَدَهُمْ : مَرْعُوشِي وَالْآخِرُ فَضْلِي . قَالَ لَهُ : وَإَيْشٌ فِي هَذَا - هُوَ ذَا - الْقُرْآنُ فِيهِ جَيِّدٌ وَفِيهِ رَدِيءٌ . قَالَ : وَيْحَكَ ، كَيْفَ يَكُونُ الرَّدِيءُ فِي الْقُرْآنِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: الآية ١] بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَبِجَنْبِهَا ﴿ تَبَّتْ ﴾ [المسد: الآية ١] تَسَاوِي حَبَّتَيْنِ اسْتَغْفَرَ اللَّهُ .

قال بعضهم : قَلْتُ لِشَاطِرٍ : فُلَانٌ لَيْسَ يَعِدُّكَ شَيْئًا ؛ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ لَيْسَ أَنَا أَنَا ، وَأَنَا ابْنُ مَنْ أَنَا مِنْهُ لَكُنْتُ أَنَا أَنَا وَأَنَا ابْنُ مَنْ أَنَا مِنْهُ . فَكَيْفَ ؟ وَأَنَا أَنَا وَأَنَا ابْنُ مَنْ أَنَا مِنْهُ .

اِخْتَصَمَ اثْنَانِ مِنَ الشُّطَارِ إِلَى قَاضٍ لَهُمْ ، يَقُولُ كُلُّ وَاحِدٍ : أَنَا أَقْتَى مِنْكَ ؛ فَقَالَ الْقَاضِي لِأَحَدِهِمَا : الْخَبِيصُ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ الْفَالْوُذْجُ ؟ فَقَالَ : الْخَبِيصُ . وَقَالَ الْآخَرُ : الْفَالْوُذْجُ . فَحَكَمَ لِلَّذِي فَضَّلَ الْفَالْوُذْجَ ، فَسُئِلَ عَنِ

الحجة؛ فقال: لأنَّ الخبيص يُعملُ من السُّكَّر، والسُّكَّرُ من القَنْد^(١)، والقَنْدُ من القصب، والقصبُ يمضُّه الصبيان في الكتاتيب، والصبيانُ ليس لهم فتوة؛ والفالوذج يُعمل من العسلِ، والعسلُ من الشُّهدِ، والشُّهدُ من النحل، والنحلُ يأوي الجبل، والجبلُ يكون فيه الصعاليك، والصعاليك فتیان.

قال الجمّاز: رأيتُ شاطرًا وقف على جماعةٍ وقد جرّد سيكّينه وقال: مَنْ كَلَّم منكم حمدان الغلام؟ فقال أحدهم: أنا. قال: فلا حَسَنٌ ولا جميل. قال: فاجهد جهدك؛ فقال: خذلني الله لو كان غيرك. قال: أنا غيري. قال: والله لو كان غير هذا الموضع. قال: فنحن بفرغانة. فردّ صاحبه السكين في قوابه وقال: ويحك، أنت طالب شرّ فتیان باب الشام كلهم سعائر^(٢). مالك كذا روش؟ أي: جدبة.

اجتمع أربعة نفرٍ من الشطّارِ يقالُ لأحدهم: صحناء، ولآخر حرملة، وللثالث: غزون، وللرابع: طفشيّة، ومعهم غلام أمرد يريد أن ينقطع إلى واحد منهم. وكل واحدٍ يطلبه لنفسه؛ فتحاكموا إلى شيخٍ منهم؛ فقال الشيخ: ليذكر كلُّ واحدٍ ما فعله، وما يقدرُ عليه حتى أخيرَ الغلام؛ فيصير إلى من أحبّ؛ فقام صحناء؛ فقال:

وال أمك، لو تراني، ضبعوني في عينك، يا ابن العلامة. أنا هامان
أنا فرعون، أنا عاد، أنا الشيطانُ الأقف، أنا الدبُّ الأكشف، أنا البغلُ
الحرّون، أنا الحربُ الزّبون، أنا الجملُ الهائج، أنا الكركدُ المعالج، أنا
الفيلُ المغتلم، أنا الدهرُ المصطلح، أنا العيرُ الشاردُ، أنا السبعُ الوارد، أنا
سردابُ التضريب، أنا بوقُ الحرب، أنا طبلُ الشغب، محبوبسُ شرقي
غربي، مضرّبُ قائم نائم مبطوطُ الإليتين، معطلُ الدفتين. أبلغُ أسنةً أخرى
جواشن، لو ضربَ ربكُ عنقي ما مت بعد سنة. وهذا حمدان فروج في

(١) القند: عسل السكر.

(٢) السعائر: جمع سعتر، وهو الشاطر.

حجري بالأمس، حتى جنى جنايةً رُزِقَ الطلب، وحملانٌ - وبيته - ضرب ألقاً فما عبس عسى ينطقُ أحداً!! .

فقال حرملة: يا ابنَ الصفعان، أنا حُبِست في أجمَةٍ، أكلتُ ما فيها من السباع، وجعلتُ الحشيشَ نُقلَى، أنا طُوف الله الجائح في بحر قلزم. لو كلمني رجلٌ يعثرُ بسبالي لعقدتُ شَعْرَ أنفه إلى شَعْرِ استه، وأديرُه حتى يشمَّ فساه، يابه القنفذ؛ لو كلمني رجلٌ لم ألكمه لكمةً فأبددَ عظامه، فلا تجتمعُ في شهر، لو كلمني رجلٌ لم أخرج أنفه وأحرزه في قربة، وأصفعه صفة، فأبلع رأسه مع رطلين خرا. يابه الجرادة املأ عينك مني والكَ وأنت زريقُ الجنى: طعامي الصبر، وريحاني الدَّم، ونقلي أدمغةُ الأفاعي. أنا أسستُ الشطارة، أنا بَوِّبْتُ العيارة. يا ابنَ الزارعة الفارشة الهارشة القلاشة النفاشة. من يتكلم؟ قولوا.

فقام غزون وقال: إيش تقول لي يا ابنَ الطبزدانة؟ أنا القدر والجذر والممزوج بالضجر، أنا أبو إيوان كسرى، حولتُ المحابسَ والمطابقَ، وقطعتُ أكبادَ الخلائق، أنا أخرجُ الصقَّين، وأضربُ العسكرين، رفيقي صياح الكلم، وجعفرُ ابنُ الكلب، وموسى سَلْحَة، وعيسى رُكبة، وكردويه الباقلائي.

وفروج السماط، ودكرويه المُكاري. اتفوني - ونور الله - إلى الشاش وفرغانة، وزُدُونِي إلى: طنجة، وإفرنجة، وأندلس، وإفريقية. ابعثوا بي إلى قاف، وخلف الروم وإلى السدِّ، وإلى يأجوجَ ومأجوجَ إلى موضع لم يبلغ دُو القرنين، ولم يعرفه الخضر، أنا شهدتُ العول عند نفاسها، وحملت جنازة الشيطان غير جبان، أنا فرعونُ ذو الأتاد. إن لم أقبض رُوحك مشيتُ سبعةً بلا رأس، قُطِعَ دَنْبِي في كل كَرَم، قُطِعَت عروقي بكل خِنَجَر، رُضَّت عظامي بكل منجل، لو نَحَرْتُ نخرةً لَحَرَّتْ صوامعُ النصارى، وتحطمت قصورُ بني إسرائيل. لو عَضَّنِي - ونور الله - الأسدُ لَضَرِس، ولو كلمني إبليسُ لخرس، ولو رأني العفريتُ لحنس.

قال طفشيّة: أنا قتلتُ ألف، وجرحتُ ألف، وأنا في طلب ألف، يا ابن الخادمة، يتهبأ لفرعون أخي القحبة أن يقطب في وجهي، أو يقوم بقربي، أو يناظرني كلمة وكلمة، رأسي مُدورة ولحيتي خنجريّة، وسبالي مفصلي، واستي خرساء، وأنا مشهور في الآفاق بضرب الأعناق، لا يجوز عليّ المخراق؛ أنا الربيع إذا قحط الناس، أنا العنى إذا كثر الإفلاس، أنا أشهر من العيد، سلّ عني الحديد، وفي المطبق الجديد. البيضة مني تسوى ألف، لو حضنت خرج منها ألف شيطان، أنا شققتُ شفق النمر، وصيرت على الأسد الإكاف، يا كلب انبح، أنا الشجر، أنا الأبحر، أنا تنور يسجر، صديق صديقي، وزور من عتتر، من الجلندا، من كركز، من الأسد، من طاهر الأعور. إبليس إذ أتى قطر. لو كلمني رجل رأسه من نحاس، ورجليه من رصاص، أصفعه صفة فأصير أنه في قفاه، أنا السهل الهائل، أنا المقت الشاطر، أنا بلاغ القناطر، إن لم ألعب بك في الطبطاب^(١)، وأفسيك فسو الصعو^(٢) في الرطاب باسم شيطاني مستلاب، أنا أقسى من الحجر، وأهدى من القطة، وأزهى من الغراب، وأحذر من العقق، وأولع من الذباب، وألج من الخنفساء، وأحد من النورة وأعلى من الترياق، وأعز من السم، وأمر من العلقم، وأشهر من الزرافة.

أنا الموج الكدر، أنا القفل العسر، رأسي سندان، نابي سكين جزار، يدي مطرقة حداد: إيش تقول؟ صادقني وسل عني، أنا صعصعة الحي. أنا خير لك من غيري. هو ذا وجهي إلى الآخرة، لك حاجة إلى ربك؟ هو ذا أجد ربح الدم. إيش ترون؟ من ينطق؟.

فسكت القوم، وبادر الغلام وأخذ بيده وصادقه.

كان بمرور رجل يتفتى ويتشطر، ولم يكن له يوم من أيام الفتیان قط ولا

(١) الطبطاب: جمع طبطابة، وهي عصا عريضة يلعب بها الكرة.

(٢) الصغو: العصفور الصغير، وقيل: طائر أصغر من العصفور أحمر الرأس.

فتكئة من فتكائهم، إلى أن وقع بينه وبين رجل قصارٍ ضعيفٍ شرٌّ، فضربه ضربًا وجيعًا وأذله فكان يفتخرُ بذلك ويتناولُ عند الفتيانِ به، فتأذى جيرانه بواحدٍ قصابٍ جلد؛ فجاؤوه وقالوا: فلان قد تأذينا به، فتكفُ عنا شره وتذله. وتكفيئناه. فقال: لا أدري من فلان؟ ولكن إن شئتم ضربتُ لكم القصار وأنزلتُ كلَّ مكروه به.

وقع بين شاطرٍ وشيبه له كلامٌ؛ فقال أحدهما للآخر: لولا أنك أكبر سنًا مني لجرحتُك، ثم مضى غير بعيد، فوقع بينه وبين آخر. فقال: والله لولا أنك أصغرُ مني لقاتلتُك، فقال له رفيقه: يا ابن الزانية، متى يتفق لك توأمٌ تقاتله؟.

قال بعضهم: مررتُ بواحدٍ وهو يقول: يا مَنْ أمه زورق تسعُ ألف كُرٍّ بالمعدل خردل.

قال بعضهم: رأيتُ شاطرًا يضرب بالقلنس^(١)، وهو ينظر إلى الأرض؛ فلما بلغ الضرب مائة قال له الوالي: ارفع رأسك. فقال: يا سيدي، بقي رأسيها. قال: وما معنى: بقي رأسيها؟ قال الجلاد: كنت أضربه وهو يصورُ برجله في الأرضِ بطَّةً وقد بقي رأسيها.

قال إسحق بن إبراهيم الموصلي: دخلتُ على فتیانٍ من أهل المدينة يشربون، وإذا هم متكئون على كلابٍ كُرديّة؛ فقال بعضهم: هاتوا وسادة لأبي محمد؛ فجاؤوا بكلب؛ فلما اتكأت عليه قالوا: هاتوا له أيضًا مخدة؛ فجاؤوا بجرو؛ فلما تناولوا الأقداح جاء غلامٌ وفي يده قداحة يقدحُ في لحيّة من يحبسُ القدح.

عزّل حارسٌ ناحية؛ فجاء قومٌ إلى المعزولٍ يتوجعون له؛ فقال بعضهم: لو كان غريبًا عذرناه، وإنما العجبُ أنه أخوك؛ فقال: اعذروه فإن الملكَ عقيقٌ، يريد عقيم.

(١) القلس: جبل غليظ من حبال السفن، أو جبل ضخم من الليف.

كان عثمانُ الخياطُ من كبارِ الفتيانِ والشطّارِ؛ فقال: ما سرقتُ جازًا قط ولو كان عدوًّا، ولا سرقتُ كريماً وأنا أعرفُهُ، ولا حُنْتُ مَنْ خانني، ولا كافأْتُ غدرًا بغدر، ولقد قَتَلْتُ بيدي أكثرَ من مائةِ حَتّاقٍ ومُبْجِحٍ؛ لأنهما لا يقتلان ولا يسلبان إلا عند وجوبِ الحُرمةِ، وعند الاسترسالِ والثقةِ.

وكان يُسمّى الخياطُ لأنه نَقَبَ نَقَبًا فأخرج كلَّ شيءٍ كان في البيتِ، حتى دثارِ الدارِ صاحبِ الدارِ وشعاره، ثم خرج وسدَّ النقبَ، وسوّاه تسويةً كأنه خاطه أو رَفَاه، فَلُقِّبَ بالخياطِ.

وكان سليمان بن طرادٍ منهم، وكان لا يقعدُ في دهليزه، ولا يشرب من جناحه، بل يصير في قَصْرِ من قصور الأبلّة، ولا يطلع في كوةٍ، ويأمرُ بذلك أصدقاءه وأصحابه، ويقول: إنْ تَعَوَّدْتُم النظرَ إلى الماءِ والخروجِ إلى المتنزهاتِ جرعتُم من الحبسِ لم تدفعوا ضيماً، ولم تكسبوا مالاً.

وكان يقول: لا يُعجبني الفتى يكونُ لحاظًا. وكان صاحبَ إطراقٍ.

وكان يقول: إياكم وفضولَ النظرِ، يدعو إلى فضولِ القولِ والعملِ.

ومنهم بابويه، وكان شيخًا كبيرًا ذا رأيٍ ونجدة، وصدق وأمانة، وهمةٌ بعيدة، وأنفةٌ شديدة.

وكان محبوسًا بعدةِ دماءٍ فلما نقب حمير بن مالك السجن، وقام على باب الثقبِ يُشربُ الناسَ ويحميهم؛ ليستتمَّ الكرامة، وجاء رسوله إلى بابويه، فقال: أبو نعامة ينتظرك، وليس له همٌّ سِوَاكَ، وما بردت مسمارًا، ولا فككت حلقة، وأنت قاعد غيرُ مكترثٍ ولا محتفلٍ وقد خرج الناسُ حتى الضعفاء؛ فقال بابويه: ليس مثلي يخرجُ في العِمارِ، وتدفع عنه الرجال. لم أشاور ولم أوامر. ثم يقال لي الآن: كن كالظَّعينة، والأمة، والشيخ الفاني. والله لا أكونُ في الجنةِ تابعًا ذليلًا.

فلم يبرح، وخرج سائرُ الناسِ - وإجرامه وحده كإجرام الجميع - فلما جاء الأميرُ ودخل السجن فلم ير فيه غيره قال للحرس: ما بال هذا؟ فقضوا

عليه القصّة؛ فضحك وقال له: خُذْ أَيَّ طَرِيقٍ شِئْتَ؛ فقال بابويه: هذا عاقبة الصّبر.

العي ومكاتبات الحمقى^(١)

كتب بعض الرؤساء إلى وكيل له في ضيعة: وقد وصلت النعاج، وهي: تسع نعاج. وتسع نعاج نصفها أربع ونصف نعاج.

وكتب فلان ابن فلان في الوقت المؤرخ فيه.

قال بعضهم: ما من شر من دين؛ فليل له: ولم ذاك؟ قال: من جرّاء يتعلّقون.

قال قاسم التّمار في كلام له: بينهما كما بين السماء إلى قريب من الأرض.

وقال أيضًا: لو رأيت إيوان كسرى كأنما رُفعت عنه الأيدي أول من أمس.

وقال الجاحظ: قال لي ابن بركة: يا أبا عثمان، لا تثقنّ بقحبة ولو كانت أمك. قال: فلم أر تأديبًا قط أبعد من جميع الرشد من هذا.

قرأت لبعض كتاب الزمان في كتاب سلطان أنشان: ما سمع قرعي هذا. يريد: ما قرع سمعي.

وبعض كتاب الأمراء يوقّع في الصّكاك والمناشير: اللهم ألبسنا العافية.

وكان بعض أكابر كُتاب عضد الدولة يوقّع في الصّكاك:

الحمدُ لله فتّاح المغاليق؛

فكتب بعض البغداديين تحت توقيعته:

(١) نثر الدر للآبي ٢/ ٢١٠-٢١٦.

شُرِبِي وشربُكَ مُذْ جِئْنَا عَلَى الرَّيْقِ .

تظلم أهل «قم» إلى عبد الله القمي وزير ركن الدولة من أخيه - وكان واليهم - ورفعوا إليه رُفْعَةً؛ فوَقَّعَ فِي قِصَّتِهِمْ: مَنْ دَفَعَ فِي أَخِي دَرَهْمًا دَفَعْتُ فِيهِ دِينَارًا؛ فَإِنَّ وَدَى وَدَى، وَإِنْ لَا وَدَى خَرَجَ مِنْ دَقِّهِ وَجِلْدُهُ حَتَّى وَدَى؛ وَالسَّلَامُ .

قال بعضهم: جئتُ إلى كاتبٍ وسألته كتابَ شفاعَةِ إلى بعضِ أصدقائه؛ فكتب: يجبُ أن تصونه وتُحَوِّطَهُ، وتردُّ عليه خُطوطَهُ . قال: فقلتُ: الرجلُ لم يعرفني قط، وليس معه شيءٌ من خطوطي؛ فقال: إن أردت أن تأخذَ الكِتَابَ فخذْهُ، وإلاَّ فَإِنِّي لَا أُضَيِّعُ سَجْعِي .

قال بعضهم: كتب إلى جامع الصيدلاني كتابًا؛ فكتب جوابه . وجعل عنوانه مني إلى ذلك الذي كتب إلي .

كتب ابن المتوكل إلى محمد بن عبيد الله يطلبُ فهدًا؛ فكتب إليه: نُجِرْتُ عِنْدَ مَقَامِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِي فَدَيْتُهُ، إِنْ كَانَ عِنْدِي مِمَّا طَلَبْتَهُ وَزَنَ دَبِقٍ فَلَا تَنْظُرْ يَا سَيِّدِي أَنِّي أَبْخُلُ عَلَيْكَ بِالْقَلِيلِ دُونَ الْكَثِيرِ فَضْلًا عَنِ الْكَثِيرِ، وَالسَّلَامُ .

وكتب معاوية بن مروان - وكان مُحَمِّمًا - إلى الوليد بن عبد الملك: قد بعثتُ إليك بقطيفةِ حَمْرَاءِ حَمْرَاءِ حَمْرَاءِ؛ فكتب في جوابه: قد وصلتُ، وَأَنْتَ أَحْمَقُ أَحْمَقُ أَحْمَقُ .

قال أبو العيْناء: كتب بعضهم إلى صديق له:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وأمتع بك، حفظك الله وأتقى لك من النارِ سوء الحساب . كتبتُ إليك والدجلةُ تطفحُ، وسفنُ الموصل هلهنا، والخبزُ رطلين؛ فعليك بتقوى الله وإياك والموت؛ فإنه طعامٌ سوءٍ، وَالسَّلَامُ .

وكتب بعض الهاشميين إلى السُّنْدِي بن شاهك .

باسم الله وأمتع بك : إِنَّ أَخَا خَادِمِي أَخَذَ رَجُلًا مِنَ الشَّرْطِ بِسَبَبِ كَلْبٍ يُقَالُ لَهُ مُوسَى ، وَمُوسَى لَيْسَ عِنْدَنَا يُدَاعَى ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَأْمُرَ بِسَبِيلِ تَخْلِيَتِهِ فَعَلْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وكتب بعضٌ ولد المتوكل إلى أبي أحمد الموفق : أطال الله بقاءك يا عمي ، وأدام عزك وأبقاك : أنا - وحق النبي ﷺ - أُحِبُّكَ أَشَدَّ مِنَ الْمُتَوَكِّلِ وَأَشَدَّ مِنَ وَالِدِي ، وَلَا أُحْتَشِمُكَ أَيضًا . وَقَدْ جَاءُوا لَكَ مَطْبُوحٌ مِنْ عُكْبَرَاءَ ، فَأَحِبُّ أَنْ تَبْعَثَ إِلَيَّ مِنْهُ خَمْسَ دِينَارٍ وَإِلَّا ثَلَاثَ خُمَاسِيَاتٍ ، وَلَا تَرُدَّنِي فَأُحْرَدَ بِحَيَاتِي .

وكتب بعض الهاشميين إلى علي بن يحيى بن المنجم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أستوهبُ الله المكارهَ كلها فيك يا سيدي برحمته ، وأحب يا سيدي أنت أن تسقينني زيب نبيذٍ وعسلٍ ، فإنني عندي رجلٌ يشربُ المطبوخَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وكتب إلى صديقٍ له : فَدَتَكَ نَفْسِي . أَنَا وَحَدِي ، وَالْجَوَارِي عِنْدِي ، وَأَنَا وَأَبُو إِسْحَاقَ وَأَبِي الْعَبَّاسِ فِي الْبَسْتَانِ ، مُوَفَّقًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وكتب إلى آخر يستعيرُ منه دابة : أَرَدْتُ الرُّكُوبَ فِي حَاجَةٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَكُتِبَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ : فِي حِفْظِ اللَّهِ .

قال أبو العيناء : شكَا بعضُ جيرانِ محمد بن عبيد الله بن المهدي إليه أَدَى غِلْمَانِهِ لِلْجِيرَانِ ؛ وَسَأَلَهُ أَنْ يَنْهَاهُمْ فَكُتِبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ : قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ؛ فَصَحْبِكَ اللَّهُ أَمَا لِي بِخَيْرٍ حِينَ تَشْكُو الْغُلْمَانَ بِسَبَبِ الْجِيرَانِ لَمْ هُمْ مَمْلُوكِينَ . وَكَمْ ثَمَنُ دَارِكٍ؟ لَوْ كَانَتْ مِثْلَ قَصْرِ الْخَلِيفَةِ حَتَّى ، لَمْ أَكُنْ أَمْتَنُ مِنْ هَبْتِهَا لِغَلَامِكَ وَلَوْ خَرَجْتُ عَنْ دُخُولِ بَغْدَادِ . إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ حَارِسَ الْكَلْبِ إِذَا كُنْتُ غَائِبًا عَنْهَا . وَأَعُوذُ بِاللَّهِ لَوْ كَلِمَتُكَ عَشْرَ سَنِينَ ؛ فَانظُرِ الْآنَ أَنْتَ إِلَيَّ ،

عليّ المشي إلى بيت الله - أعني به الطلاق - وثلاثين حجةً أحرار لوجه الله وسبيلي حُبسٌ في دوابّ الله فعلت موفّقًا إن شاء الله .

قال : وكتب زنقاح - وهو محمد بن أحمد بن علي بن المهدي - إلى طبيبه : ويلك يا أبو حنا، وأتمّ نعمته عليك قد شربت الدواء خمسين مقعدًا، المغصُ والتقطيع يقتلان بطني، والرأس فلا تسل له مصدعًا بعصاةٍ مذ بعد أمس، فلا تؤخر احتباسك عني . فسوف أعلم أنني سأموت، وتبقى أنت بلا أنا . فعلت موفّقًا إن شاء الله .

وكتب إلى صديقي له يطلبُ منه بخورًا .

شممتُ منك اليومَ - وحق الله عزك الله - رائحةً طيبةً وذلك وحياتك باطراح الحِشمة موفّقًا، إن شاء الله .

قال : وكتب آخرُ إلى أبيه من البصرة :

كتابي هذا ولم يحدث علينا إلا خير والحمد لله، إلا أنّ حائطنا وقع، فقتل أُمِّي وأختي وجاريتنا، ونجوتُ أنا والسُّور والحِمَارُ . فعلت إن شاء الله .

قال أبو العيناء : شكنا بعضُ الكتاب في نكبته وكان قد ورّر فقال : أخذوا مالي، وقلعوا أسناني إلا أنّ داري لم تبرح مكاني .

قال أبو هفان : سمعتُ بعض الحمقى يخاصمُ امرأته، وفي جيرتهم أحمقٌ آخر، فأطلع عليهم؛ فقال : يا هذا، اعمل مع هذه كما قال الله تعالى : «إما إمساكٌ بإيش اسمه، وإما تسريحٌ بإيش يقال له»^(١) فضحكت من حُسنِ بيانه .

وكتب آخرُ إلى صديقي له يعزّيه عن دابته :

بسم الله الرحمن الرحيم . جعلني الله فداك، بلغني منيتك بدابّتك،

(١) يشير إلى قول الله تعالى : ﴿فَأِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِخْسَانٍ﴾ [البقرة: الآية ٢٢٩].

ولولا علة نسيئها لسرت إليك حتى أعزبك في نفسي .

جاء رجلٌ إلى الرَّشيد؛ فقال: يا أميرَ المؤمنين، إني قد هجوتُ
الرافضةَ. فقال: هات. فأنشده: [البيسط]

رغيفًا وسَمْنَا وزيتونًا ومظلمةً من أن ينالوا من الشيخين طُغيانًا
فقال: ويلك! فسره لي. قال: يا أمير المؤمنين، معك مائة ألفِ رجلٍ
من الجُند لا تعرفه، كيف أعرفه أنا وحدي؟ .

قال أبو عثمان: حدّثني مسعدة بن طارق قال: والله إننا لوقوفٌ على
حدود دارِ فلانٍ للقسمة - ونحن في خصومةٍ - إذا أقبل سيدُ بني تميمٍ
وموسرهم، والذي يُصلي على جنائزهم؛ فلما رأيناه مُقبلاً أمسكنا عن
الكلام؛ فأقبل علينا؛ فقال: حدّثوني عن هذه الدارِ هلّ ضمَّ منها بعضٌ إلى
بعضٍ أحدًا؟ قال مسعدة: فأنا منذ ستين سنة أفكّر في كلامه، ما أدري ما عنى
به .

كانت علامة أبي الحمار لما تقلّد ديوانَ الخراج في سنة الفتنة، التي
كان يوقعها في الصُّكّاء: لا إله إلا الله ما أعجب ما نحن فيه! فكان بعضُ
الكتّاب بعد ذلك يقول: لا والله ما نحن إلا في علامة أبي الحمار .

حُكي عن حمزة بن نصر - مع جلالته عند سلطانه، وموضعه من
ولائه -: أنه دخل على امرأته، وعندها ثوبٌ وشي؛ فقالت له: كيف هذا
الثوب؟ قال: بكم اشتريته؟ قالت: بألف درهم. قال: قد - والله - وضَعُوا في
استك مثل ذا، وأشار بكفه مقبوضة مع ساعده؛ فقالت: لم أزن الثمن بعد .
قال: فحَصّاهم بعدُ في يدك. قالت: فأخْتُك قد اشتريت شراً منه بألفين .
قال: إنَّ أختي تضطر من استٍ واسعة. قالت: ولكنَّ أمك عرض عليها فلم
ترده. قال: لأن تلك في استها شعرة .

قال أحمد بن الطيب: هذا كلامُ الخرس أحسن منه .

قال أبو هفّان: رأيت شيخًا بالكوفة قاعدًا على باب دار، وله زيٌّ وهيئة

وفي الدار صُراخ . فقلت : يا شيخ ، ما هذا الصراخ؟ فقال : هذا رجلٌ افتصد أمس فبلغ المبضع شاذزوانه فمات . يريد : بلغ المبضع شريانه .

وصف بعضهم امرأة؛ فقال : عيُتها الأخرى أكبرُ من عيُنها الأخرى .

كتب بعضٌ من وزر بالريِّ أنفاً كتاباً في معنى أبيه إلى صديق له ببغداد - وكان قد حجَّ أبوه - : هذا الكتابُ يوصله فلانُ ابن فلان ، وهو والدي ، وقديمُ الصحبة لي ، واجبُ الحق عليّ ، ولي بأمره عناية .

ودخل أبو طالب صاحب الطعام على هاشمية جارية حمدونة بنت الرشيد؛ على أن يشتري طعاماً من طعامهم في بعض البيادر؛ فقال لها : إني قد رأيتُ متاعك . فقالت هاشميةُ : قُل طعامك . قال : وقد أدخلتُ فيه يدي فإذا متاعك قد ختم وحمى . وقد صار مثل الجيفة . قالت : يا أبا طالب ، أليس قد قلبت الشّعير ، فأعطينا ما شئت ، وإن وجدته فاسدًا .

ودخل أبو طالب هذا على المأمون؛ فقال : كان أبوك يابا خيرًا لنا منك ، وأنت يابا ليس تعدنا ، وليس تبعثُ إلينا ، ونحن يابا تجاركَ وجيرانك . والمأمون في كل ذلك يتبسّم .

قال الجاحظُ : كتب رجلٌ إلى صديق له : بلغني أنّ في بُستانك آسًا بهمنيًا فهَب لي أمرًا من أمر الله العظيم .

قال : وهو الذي قال : كان عياشٌ وثمامةٌ حيٌّ يُعظمني تعظيمًا ليس في الدنيا مثله .

فلما مات ثمامةٌ صار ليس يُعظمني تعظيمًا ليس في الدنيا مثله .

وكان ابنُ لسعيد الجوهري يقول : صلّى الله تبارك وتعالى على محمدٍ ﷺ .

وكان بالريِّ ورّاقٌ حسن الخط ، وكان إذا كتب اسم الله تعالى أو اسم النبي في القرآن أو الشعر كتبَ بعدهما ما يكتبه الإنسان في سائر المواضع ؛

فكان يكتب في القرآن: ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ - عزَّ وجلَّ - ﴿يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: الآية ٩٠]. ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ﴾ - ﷺ - ﴿إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: الآية ١٤٤].

وكان يكتب في الشعر^(١): [الرمل]

إِنَّ تَقْوَى رَبَّنَا - عَزَّ وَجَلَّ - خَيْرُ نَفْلٍ

وبإذن الله - تبارك وتعالى - ريشي وعجل

ويكتب^(٢): [الوافر]

هجوَتُ مُحَمَّدًا - ﷺ - فَأَجِبْتُ عَنْهُ

وعِندَ اللَّهِ - تَعَالَى - فِي ذَلِكَ الْجِزَاءِ

وقال الجاحظ قلتُ لنفيس غلامي: بعثتك إلى السوق في حاجة فلم تقضها؛ فقال: يا مولاي، أنا ناقةٌ من مرضي، وليس في ركبتي دماغ.

وقال الجاحظ: قال الحجاجُ لأبي الجهير الخراساني النخاس: أتبيع الدوابَّ المعيبة من جُنْدِ السلطان؟ فقال: شريكاتنا في هواها وشريكاتنا في مدائنها، وكما يجيء يكون. قال الحجاجُ: ما تقول؟ قال بعضُ من كان قد اعتاد الخطأ وكلام العلوج بالعربية يقول: شركاؤنا بالأهواز وبالمدائن يبعثون إلينا هذه الدوابَّ؛ فنحن نبيعها على وجوهها.

قال ابن أبي فتن: طلبتُ من عبد الله بن أحمد بن الخصب بُخورًا؛ فكتب إليه: فدثك نفسي من السوء برحمته، كتابي إليك وأنا وحدي، والجواري عندي؛ فأما البخور فإنَّ أبا العباس في الحمام إن شاء الله.

(١) البيت فيه زيادة (عزَّ وجلَّ) و(تبارك وتعالى)، وهو للبيد بن ربيعة في ديوانه ص ١٧٤، ولسان العرب (نفل)، ومقاييس اللغة ٢/ ٤٦٤، وتاج العروس (نفل).

(٢) البيت فيه زيادة (ﷺ) في الشطر الأول، و(تعالى) في الشطر الثاني، والبيت لحسان بن ثابت في ديوانه ص ٧٦، ومقاييس اللغة ٤/ ٢٧٤.

وكتب بعضُ الشيوخ الفضلاء إلى شيخ من العدول بالري نفقت بغلته:
نُبِّئْتُ أَنَّ الشَّيْخَ قَد مَاتَ بَغْلَتَهُ، هِيَهَاتَ هِيَهَاتَ.

وحسبنا الله ونعم الوكيل، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا
محمد نبيه وعلى آله الطاهرين وسلّم تسليمًا.

نوادير من النحو واللحن^(١)

سمع رسول الله ﷺ رجلاً قرأ، فَلَحنَ، فقال: أرشدوا أخاكم.

قال الأَصْمَعِيُّ: قلتُ لأبي مَهْدِيَةَ كيف تقولُ: لا طيبَ إلاَّ المسكُ قال:
فأينَ أنتَ عن العنبر؟ قلتُ: فقل لا طيبَ إلاَّ المسكُ والعنبر. فقال: أينَ أنتَ
عن البان؟ قلتُ: قل لا طيبَ إلاَّ المسكُ والعنبرُ والبانُ. قال: فأينَ أنتَ عن
أدهانِ محمر^(٢)؟ قال قلتُ: فقل لا طيبَ إلاَّ المسكُ والعنبرُ والبانُ وأدهانُ
محمر. قال: فأينَ أنتَ عن فارة^(٣) الإبلِ صادرة؟

عَمِلَ بعضُ النُّحويين كتابًا في التَّصْغِيرِ، وأهداهُ إلى رئيس كان يختلفُ
إليه فَتَقَصَّ عَطِيَّتَهُ، فَصَنَّفَ كتابًا في العَطْفِ، وأهداهُ إليه، وكتبَ معه: رأيتُ
بابَ التَّصْغِيرِ قد صَعَّرَني عِنْدَ الوَازِرِ، وأرجو أن يعطِفَهُ عليَّ بابُ العَطْفِ.

سمعتُ الصَّاحِبَ - رحمه الله - يقول: كان سببُ اتِّصَالِ ابنِ قَريعةَ
القاضي بالوزير أبي محمد المهلبِي أن ابنَ قَريعةَ كان قَيِّمَ رَحَى له، فرَفَعَ إليه
حسابًا، فيه درهمان ودانقان، وَحَبَّتَانِ، فدعاهُ، وأنكرَ عليه الإِعرَابَ في
الحساب.

فقال: أيُّها الوزيرُ، صارَ لي طَبْعًا، فلستُ أستطيعُ له دَفْعًا. فقال: أنا
أزِيلُهُ عنكَ صَفْعًا. ثم استدناهُ بعد ذلك، وقرَّبَهُ.

(١) نثر الدر للآبي ١٧٦/٣ - ١٨٣.

(٢) أدهان محمر: نوع من العشب طيب الرائحة.

(٣) الفأرة: المسك.

قال نحوِّي لرجل: هل ينصرف إسماعيلُ؟ قال: نعم، إذا صَلَّى العشاءَ فما فُعوده؟

وحكي أن جماعةً عند محمد بن بحر اختلّفوا في بناء سَراويل، فدخل البرقيّ.

وقال: فيما كنتم؟ قالوا: في بناء سَراويل. فما عندك فيه؟ قال: مثلُ ذراع البكر أو أشدّ.

قال النوشجانيّ: حضرتُ مجلسَ المبرّد، فسمِعنا واحدًا يقول: في حرامِ أذربهان.

فقال أبو العباس: هذا قد شتمك على مذهب قول الله تعالى: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢].

سمع ذو الرّمة رجلاً يقول: على فلان لغنة الله. فقال: لم يرَضَ بواحدة حتى شقّعها بأخزي. وذلك أنه لما سمِعهُ مفتوحاً قدّر أنه أراد التّثنية: لعنتا الله.

قيل لرجل كان يكثر اللّحن في كلامه: لو كنت إذا شككت في إعراب حَزَف تخلصت منه إلى غيره، من غير أن تُزيل المعنى عن جهته كان الكلام واسِعاً عليك، فلقيّ رجلاً كان مشهوراً بالأدب، فأراد أن يسأله عن أخيه، وخشي أن يلحن في مخاطبته، فذهب إلى أن يتخلّص عند نفسه إلى الصّواب. فقال: أخوك، أخيك، أخاك ها هنا؟ فقال له الرجل: لا، لو، لي، ما هو حاضر.

وقف نحوِّي على صاحب باذنجان، فقال له: كيف تبع؟ قال: عشرين بدانق. قال: ما عليك أن تقول: عشرون بدانق!! فقدّر أنه يستزيده. فقال: ثلاثين بدانق. فقال: وما عليك أن تقول: ثلاثون؟ فما زال على ذلك إلى أن بلغ تسعين. فقال: وما عليك أن تقول بتسعون؟ فقال: أراك تدور على المائتون، وهذا ما لا يكون.

ومر نحوئي بقصّاب - وهو يسْلُخُ شاةً - فقال كيفَ المستطرقُ إلى دزب الرّأسين؟ فقال القصّابُ: اصبر قليلاً حتى يخرج الكرشُ، وأدلك على الطّريق.

وقدّم نحوئي خضماً له إلى القاضي، وقال له: لي عليك مائتان وخمسون درهماً.

فقال لخضمه: ما تقول؟ فقال: أصلح اللّه القاضي، الطلاق لازم له إن كان إلا ثلاثمائة. وإنما ترك منها خمسين ليُعلم القاضي أنه نحوئي.

وقدّم آخر خضماً له إلى القاضي، وقال: لي عليه ديناران، صحیحان، جيّدان. قال القاضي: ما تقول؟ قال: أعزّ اللّه القاضي، هذا بغیض. قال: بلّی. قال: فاضفّعه؟

قال: إذن «تزن». قال: لا أبالي. قال القاضي: وأنا شريكك. زن أنت (دينار) وأزن أنا (دينار) وأضفّعه.

دقّ رجل باب بغضِ النحويين، فقال صاحبُ الدّار: مَنْ ذا؟ قال: أنا الذي أبو عمرو الجصاص عقد طاق باب هذه الدار. قال النّحوي: ما أرى لك في صلّة الذي شيئاً. فانصرف راشداً.

قيل: النحو ملُح العلم، ومتى استُكثِرَ من الملح في الطّعام فسَدَ.

سمع المازني قرقرّة من بطن رجل، فقال: هذه ضرطة مضمرة.

قيل لأبي سعيد السيرافي: ما علامة النّصب في عمرو. فقال: بغض علي بن أبي طالب. وأنشد ذو الرمة^(١): [الطويل]

وعينان قال الله كونا فكانتا «فُعولان» بالألّباب ما تفعل الخمر

فقال له عيسى بن عمر: فُعولين. فقال ذو الرمة: لو سلّحت كان خيراً

(١) البيت في ديوان ذي الرمة ص ٢١٣.

لك . أتري الله أمرَهُما أن يسحرا .

مرَّ أبو علقمة بأغلال قد كُتِبَ عليها رُبُّ سلِّم لأبي فلان . فقال لأصحابه : لا إله إلا الله يلحئون ويربحون .

قال رجل للحسن البصري : يا بُو سعيد : أنا أفسِي في ثوبي ، وأصلِّي يجورُ؟

قال : نَعَمْ . لا أكثرَ الله في المسلمين مثلك .

وجاء إليه رجلٌ فقال : ما تقولُ في رجل مات ، وترك أبيه وأخيه؟ فقال له الحسنُ : ترك أباه ، وأخاه ، فقال : فما لأباه وأخاه ، فقال الحسنُ فما لأبيه وأخيه؟ فقال الرجلُ : إني أراك كلِّما طاوَعْتُك تخالفني .

قال سعيدُ بن سلم : دخلت على الرشيد فجهدني ، وملاً قلبي ، فلحن ، فخفَّ على أمره .

قال الزُّهري : أخذتُ الناس مروءةً أحبُّ إليَّ من طلب النحو .

سمع أبو عمرو أبا حنيفة يتكلَّم في الفقه ، ويلحنُ ، فاستحسن كلامه ، واستقبح لحنه .

فقال : إنه لخطابٌ لو ساعده صواب . ثم قال لأبي حنيفة : إنك أحوجُّ إلى إصلاح لسانك من جميع الناس .

قال أبو سعيد السِّيرافي : سمعتُ نفطويه يقول : لحنُ الكُبراء النَّصبُ ، ولحنُ الأوساطِ الرَّفعُ ، ولحنُ السُّفلةِ الكسْرُ .

دخل خالدُ بنُ صفوان الحمام . وفيه رجلٌ مع ابنه - فأراد أن يُعرِّف خالدًا بلاغته . فقال لابنه : يا بني ؛ ابدأ «بيداك» وثنَّ «برجلاك» . ثم التفت إلى خالد ، فقال : يا أبا صفوان ؛ هذا كلامٌ قد ذهب أهله . فقال خالدٌ : هذا كلامٌ ما خلق الله له أهلاً .

قال أبو هِشام : رأيت بعضَ الحَمَمي يقول لآخرَ : قد تعلمتُ النحوَ كلَّه

إِلَّا ثَلَاثَ مَسَائِلَ . قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : أَبُو فُلَانٍ ، وَأَبَا فُلَانٍ ، وَأَبِي فُلَانٍ .
قَالَ : هَذَا سَهْلٌ . أَمَا أَبُو فُلَانٍ فَالْمَلُوكُ ، وَالْأُمَرَاءُ وَالسَّلَاطِينُ ، وَالْقَضَاةُ ، وَأَمَّا
أَبَا فُلَانٍ فَلِلْبِنَاةِ وَالتُّجَارِ ، وَالكُتَّابِ . وَأَمَّا أَبِي فُلَانٍ فَلِلسُّفْلِ وَالْأَوْغَادِ .

قَالَ السِّيرَافِيُّ : رَأَيْتُ رَجُلًا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ بِبَغْدَادٍ بَلَغَ بِهِ نَقْصُهُ فِي مَعْرِفَةِ
العَرَبِيَّةِ أَنَّهُ قَالَ فِي مَجْلِسِ مَشْهُورٍ ، بَيْنَ جَمَاعَةِ حُضُورٍ : إِنَّ العَبْدَ مُضْطَرًّا ، وَإِنَّ
اللَّهَ مُضْطَرًّا . بِكسرِ الطَّاءِ . وَرَعَمَ أَنَّ القَائِلَ : اللهُ مُضْطَرُّ كَافِرٌ .

قَالَ رَجُلٌ لِلْحَسَنِ البَصْرِيِّ : إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ زَوَّجَ أُمَّهُ مِنْ رَجُلٍ نَبْطِيٍّ
فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : يَا بُو سَعِيدَ . هَذَا مُحْرَمٌ . يَرِيدُ (مَحْرَمٌ) . فَقَالَ الحَسَنُ : كَذَا
أَشْتَهِي أَنْ تَكُونَ لُغَةً مِنْ زَوْجِ أُمَّهُ .

قِيلَ لِأَعْرَابِيِّ : هَذَا قَصْرٌ . «بِمَا» ارْتَفَعَ . فَقَالَ : بِالْجِصِّ وَالْأَجْرِ .

مَدَحَ شَاعِرٌ طَلْحَةَ صَاحِبِ البَرِيدِ بِأَصْبَهَانَ ، فَلَمْ يُثْبِتْهُ . فَقَالَ : لَوْ كُنْتُ
مِنْ مَدْحِي بَلَا صَفْدَ لَأَكْتَلْتُ مِنْ طَلْحَةَ كُرَيْنٍ مِنْ خَيْرٍ . فَقَالَ لَهُ طَلْحَةُ :
لَحَنْتَ ، لِأَنَّكَ صَرَفْتَ طَلْحَةَ ، وَطَلْحَةُ لَا يَنْصَرَفُ ، فَقَالَ لَهُ : الَّذِي لَا يَنْصَرَفُ
طَلْحَةُ الطَّلْحَاتِ ، فَأَمَّا أَنْتِ فَتَبْلُغُ الصَّيْنَ بِنَفْحَةٍ .

قِيلَ لِأَعْرَابِيِّ : كَيْفَ تَقُولُ : ضَرَبَ عِبْدَ اللهِ زَيْدٌ ؟ فَقَالَ : كَمَا قُلْتُ .
قِيلَ : لِمَ ؟ قَالَ : لِشَرِّ أَحْسَبِهِ وَقَعَ بَيْنَهُمَا .

قَدِيمٌ رَجُلٌ عَلَى بَعْضِ الوَلَاةِ ، فَقَالَ لَهُ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ قَالَ : مِنْ أَرْضِ
اللَّهِ .

قَالَ : وَأَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ : بَيْتَ اللَّهِ . قَالَ : وَمِمَّنْ أَنْتِ لَا أُمَّ لَكَ ؟ قَالَ :
مِنْ «تَيْمٍ» اللهُ فَأَمَرَ بوجيءِ عُنُقِهِ . فَقَالَ : بِسْمِ اللهِ فَقَالَ : اتْرَكُوا ابْنَ الخَبِيثَةِ .
فَلَوْ تَرَكَ الرِّفْعَ وَقَتًا تَرَكَهُ السَّاعَةَ .

قَالَ أَبُو العَيْنَاءِ : دَخَلَ رَجُلٌ إِلَى عَلِيلٍ : فَقَالَ لَهُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَإِنْ
شِئْتَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَالْأُولَى أَحَبُّ إِلَيَّ سَيَبُوهِ^(١) . فَقَالَ أَبُو العَلِيلِ : حَرَمَنِي

(١) سَيَبُوهِ : هُوَ أَبُو بَشْرٍ عَمْرُو بْنُ عَثْمَانَ بْنِ قَنْبَرٍ ، الْمَلَقَبُ بِسَيَبُوهِ ، مَوْلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ =

اللَّهُ أَجْرَهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَشْهُدُكَ لَهُ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ مُؤْتِهِ .

قال رجلٌ لآخر: تأمُرُ «بشيئاً»؟ قال: بتقوى الله، وإسقاطِ الألف .

قال خلف قلتُ لأعرابيٍّ: أَلْقِي عَلَيْنِكَ بَيْتًا؟ قال: على نفسك فألقه .

قال رجلٌ من البلديين لأعرابي - وأراد مسأَلته عن أهله - كيف «أهلك»؟

قال - بكسر اللام . فقال الأعرابي: صَلْبًا . لأنه أجابه على فهمه، ولم يعلم أنه أراد المسألة عن أهله .

قال الجاحظ: قال بشر المريسي لجلسائه: قضى الله لكم الحوائج على

أحسن الوجوه، «وأهنؤها» . فقال له قاسم التَّمَارُ: هذا على قوله^(١):

[المنسرح]

إِنَّ سُلَيْمَى وَاللَّهُ يَكْلُؤُهَا ضَنْتٌ بِشَيْءٍ مَا كَانَ يَزْرُؤُهَا

فصار احتجاجُ قاسمٍ أطيَّبَ من لخنٍ بشر .

وقال: قدَّم رجلٌ من النحويين رجلاً إلى السلطان في دين له عليه،

فقال: أصلح الله الأمير، لي عليه درهمان . فقال خصمه له: والله - أضلحك

الله - ثلاثة دراهم ولكنه لظهور الإعراب ترك من حقّه درهماً .

وكان سابقُ الأعمى يقرأ: ﴿الْخَلْقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤] . فكان

ابنُ جابان إذا لقيه قال: يا فاسقُ ما فعل الحرفُ الذي تُشركُ بالله فيه؟

قال: وقرأ مرةً: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ [البقرة: ٢٢١] بفتح

تاء تنكحوا، فقال ابن جابان: وإن آمنوا لم ننكحهم .

سمع أعرابي رجلاً يقول: أشهد أن محمدًا رسول الله بالفتح فقال:

يفعل ماذا؟

= كعب، سكن البصرة، وتوفي بمدينة ساوة سنة ١٧٧، له «الكتاب» في النحو مشهور . (كشف
الظنون ٨٠٢/٥).

(١) البيت لإبراهيم بن حرمة في ديوانه ص ٥٥، وشرح شواهد المغني ص ٨٢٦، ومغني اللبيب
ص ٣٨٨، ٣٩٦، وبلا نسبة في لسان العرب (كلا) .

قيل لأعرابي: كيف تقول استخذت أو استخزيت؟ فقال: لا أقولهما.
قيل: ولم؟

قال: العرب لا تستخذي.

سكر هارون بن محمد بن عبد الملك ليلة بين يدي الموفق، فقام لينصرف، فغلبه السكر، فقام في المضرب. فلما انصرف الناس جاء راشد الحاجب، فأنبهه وقال: يا هارون انصرف.

فقال بسكره: هارون لا ينصرف. فسمع الموفق فقال: هارون لا ينصرف فتركه راشد فلما أصبح الموفق وقف على أن هارون بات في مضربه. فقال: يا راشد أبيت في مضربي رجل لا أعلم به؟ فقال: أنت أمرتني بهذا، قلت: هارون لا ينصرف. فقال: إنا لله - وضحك - أردت الإعراب وظننت أنت غيره.

يقال: إن يزيد بن المهلب كان فصيحاً لم يؤخذ عليه زلة في لفظ إلا واحدة، فإنه قال على المنبر - وذكر عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب. فقال: وهذه الضبعة العزجاء. فاعتدت عليه لحناً، لأن الأثني إنما يقال لها الضبع، ويقال للذكر الضبعان.

قيل: كان خالد بن صفوان يدخل على بلال بن أبي بردة يحدثه، فيلحن. فلما كثر ذلك على بلال قال له: أتحدثني أحاديث الخلفاء، وتلحن لحن الستات. وكان خالد بعد ذلك يأتي المسجد ويتعلم الإعراب.

كان الشيرجي إماماً من أئمة الحنبلية، اجتاز بمسجد فيه مغزى فخرج عليه من نحووي بغيص. فقال له الشيرجي: من المتوقى؟ فقال النحوي: الله نبيه. وقال زنديق: والله رفعه إلى صاحب الحشر.

قرأ الوليد بن عبد الملك يوماً على المنبر: ﴿يَلْتَمِتَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ﴾ ﴿٧٧﴾
[الحاقة: ٢٧] فقال عمر بن عبد العزيز: عليك.

سئل نحووي عن تصغير عبيد الله فقال: ليس في سجدي السهو سهو.

وذكر أنّ معاوية قال: كيف أبو زياد؟ فقالوا: ظريفٌ على أنه يلحنُ.
فقال: أو ليسَ ذاكَ أظرفَ له؟ أرادوا اللّحنَ الذي هو الخطأ. وذهب
معاويةُ إلى اللّحنِ الذي هو الفطنةُ.

قالوا: كان سببَ عملِ أبي الأسودِ الدؤلي^(١) النَّحْوُ هو أولُ من وضعه
وقيل إنَّ أميرَ المؤمنين عليًّا عليه السلام جعل له مثلاً فبنى عليه واختذاه أن أبا
الأسود سمع رجلاً يقرأ: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٣]
بالخفض. وسمع ابنته تقول: ما أطيبُ الرُّطْبِ؟ وهي تُريدُ التَّعجبَ، وظنَّ
أنها تريد الاستفهام، فعمل شيئاً من النَّحو، وعرضه على أمير المؤمنين عليه
السلام. فقال: ما أحسنَ هذا النَّحوَ الذي أخذتَ فيه فسميَ نحوًا.

مرَّ الشعبيُّ بناسٍ من الموالي يتذكرون النَّحو، فقال: لئن أضلحتموه
إنَّكم لأوَّلُ من أفسدهُ.

وروي أن الحجاج قرأ: إنا من «المجرمون» مُتَقِمُونَ^(٢).

وكان محمَّد بنُ سليمان يقول في خطبته: «إن الله وملائكته»^(٣) برفع
الملائكة. فقيل له في ذلك. قال: فخرَّجوا لها وجهًا، ولم يدعِ الرَّفعَ.

قال بعضهم: قلتُ لواحدٍ من أين جئت؟ قال: من عند أهلونا. قال:
فقلتُ له: قل: أهلينا. قال: سبحان الله نعدِلُ عن قول الله تعالى: ﴿سَعَلْتَنَّا
أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا﴾ [الفتح: ١١].

قديمُ العريَّانُ بنُ الهيثمِ على عبد الملك، فقيل له: تحفَّظْ من مسلمةٍ فإنه
يقول: لأنَّ يلقمني رجلٌ حجرًا أحبُّ إليَّ من أن يُسمعني لحنًا، فأتاه العريَّانُ

(١) أبو الأسود الدؤلي: هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكناني، واضع علم النحو،
سكن البصرة في خلافة عمر، وولي إمارتها في خلافة علي، وهو في أكثر الأقوال أول من نقط
المصحف، وله شعر جيد، توفي سنة ٦٩ هـ. (الأعلام ٣/٢٢٦).

(٢) في القرآن الكريم: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

(٣) في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، بفتح التاء.

ذات يوم، فسلم عليه. فقال له مسلمة: كم عطاءك؟ فقال العزيان ألفين.
فقال: كم عطاؤك؟

قال: ألفان. فقال: ما الذي دعاك إلى اللحن الأول؟ فقال: لحن
الأمير، فكرهت أن أعرب، وأعرب فأعربت. فاستحسن قوله، وزاد عطاءه.
قال رجل لآخر: ما فعل فلان بحماره؟ قال: أنا بسرت بالباء. قال:
وأنا أيضًا بسرت بالباء.

وقال أعرابي: كنت أظن أبا المهاجر رجلاً صالحاً، فإذا هو يلحن.
قال يونس: كنا ننظر إلى الشاب في المسجد الجامع بالبصرة يخطر بين
السوّاري. فنقول: إما أن يكون قرشياً أو نحويًا.
قيل لبعض النحويين: ما تقول فيمن سها في سجدتي السهو؟ فقال:
ليس للتصغير تصغير.

نوادر المختثين^(١)

قال بعضهم: شهدت مجلساً فيه قينة تغني، فذهبت تتكلم صيحةً
شديدةً فانقطعت. فصاحت من الخجل: اللصوص اللصوص. فقال لها
مختث كان في المجلس: والله يا زانية ما سرق من البيت شيء غير حلقك.

استوهب رجل من مختث في الحمّام خطميًا^(٢)، فمنعه. فقال: سبحان
الله!! تمنعني الخطميّ وقيز منه بدرهم؟ فقال المختث: فأحسب حسابك
أنت على أربعة أفضرة بدرهم، كم يصيبك بلا شيء؟

قال جحظة^(٣): فاخرني بعض المختثين فقال: يا أبا الحسن، وفي
الدنيا مثل المختثين؟

(١) نثر الدر للآبي ٣/ ١٨٤ - ١٩٥.

(٢) الخطمي: نبات يغسل به.

(٣) جحظة البرمكي: هو أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك، المعروف بجحظة
البرمكي، الأديب البغدادي، ولد سنة ٢٢٤ هـ، وتوفي سنة ٣٢٤ هـ، من تصانيفه: «ديوان =

قلت: كيف؟ قال: إن حدثوا ضحككم، وإن غنوا أظربتم، وإن ناموا نكتكم.

قال المتوكل لعبادة: ما تقول في تطويل سلمان المخنث؟ قال: هو حسن، ولكئه مثل الهيضة^(١) يأتي بأكثر مما يحتاج إليه.

سمع مخنث أن صوم عرفة كفارة سنة، فصام إلى الظهر، ثم أفطر، وقال: يكفيني سنة أشهر.

قيل لآخر: تذاك في الاست؟ فقال: أو لي موضع آخر؟

وقيل لآخر: أما تستحي من أن تذاك؟ فقال: ذوقوا، ثم لوموا.

ودخل مخنث الحمام، فنظر إلى رجل طويل الخصيتين، قصير الأير، فقال: سخنت عينك. الغلالة أطول من القميص.

وسمع آخر قوماً يقولون: إن من كثرة الحجامه يعرض الارتعاش. وأخذ شعره يوماً وارتعش، فقال: يا رب أخذت شعري. لم أحتجم.

مر عيسى بن موسى بعد أن خلعه المنصور - وكان ولي عهد بعده وقدم المهدي عليه - بمخنث.

فقال: إنسان من هذا؟ قال المخنث: هذا الذي كان غداً فصار بغد غد.

قيل لعبادة: من يضرب على ابن أبي العلاء؟ قال: ضربه.

مرث امرأة بمخنث حسن الوجه - ومعها ابنة لها - فقالت: ليت لابنتي حسن وجهك.

= شعره، «فضائل السكياج»، «كتاب الطبخ»، «كتاب الطنبورين»، «كتاب ما شاهده مما جربه المنجمون فصح من الأحكام»، «كتاب ما جمعه من أمر المعتمد»، «كتاب المشاهدات»، «كتاب النديم». (كشف الظنون ٥٩/٥ - ٦٠).

(١) الهيضة: معاودة الهم والحزن، والمرضة بعد المرضة، والقياء.

قال: وطلاقي. قالت: تَعِسْتَ. قال: فتأخذين ما صفا وتتركين ما كدر؟

وصف مخنث امرأة فقال: كأن ركبها داره القمر، وكأن شفرها أير حمار فلوى.

سمع آخر رجلاً يقول: دعا أبي أربعة أنفس، وأثفق عليهم أربعمائة دينار، فقال: يا بن البغيضة لعله ذبح لهم مئتين، وزامرة، وإلا فأربعمائة في «أيش» أفقها؟

قال شيخ لقرقر المخنث: أبو من أنت؟ قال: أم أحمد. فديتك!

سمع شاهك المخنث رجلاً يصف الكرفس، وأنه جيد لفتح السدد. فقال: لا كان الله لك. أنا إلى سدّ الفتح أحوج.

تاب مخنث، فلقيه مخنث آخر، فقال: يا أبا فلان: أيش حالك؟ قال: قد بُت.

قال: فمن أين معاشك؟ قال: بقيت لي فضيلة من الكسب القديم فأنا أتمزّر لها.

قال: إذا كانت نفقتك من ذلك الكسب فلحم الخنزير طري خير من قديد.

رأى عبادة دابة مخارق - وهي تقزمط مشيها - فقال: يا مخارق بردونك هذا يمشي على استحياء.

عرض على عبادة خادم فقال: أنا لا أركب سفينة بغير دقل^(١).

قدّم إلى عبادة رغيّف يابس، فقال: هذا نسيج في أيام بني أمية ولكن بلا طراز.

(١) دقل السفينة: خشبة طويلة تشد في وسط السفينة يمدّ عليها الشراع.

ضُرِبَ طويسٌ في الشَّرَابِ فقليل له: كَيْفَ كَانَ جَلْدَكَ عَلَى وَقَعِ السَّيَاطِ؟
قال: بلغني أنني كنتُ صَبُورًا.

كان للمتوكل مضحكاً مخنثان يقال لأحدهما شعرةٌ وللآخر بكرة.
فقال أحدهما لصاحبه: ما فعل فلانٌ في حاجتك؟ قال: ما فتني ولا قَطَعَكَ.
ذُكِرَتِ العِرَاقُ لمخنثٍ من أهل الشَّامِ، فقال: لَعَنَ اللَّهُ العِرَاقَ؛ لا
يُشْرَبُ ماؤها أو يَضْلَبُ، ولا يشربُ نبيذها أو يضربُ.

قال الجمَّاز: مات مخنثٌ يقال له نُوفِلٌ فرآه إنسانٌ في النَّوْمِ كأنه يقول
له: أيش خَبْرِكَ يا نُوفِلُ؟ فقال: لا تسأل. فيقولُ له: إلى أين صِرْتَ يا
نوفيل؟ قال: إلى النار. قال: ويلك! فمن ينيك في النَّارِ؟ قال: ثمَّ يزيد بن
معاوية ليس يُقَصِّرُ في أمري.

نظر مخنثٌ إلى رجلٍ دَمِيمِ الوَجْهِ فقال: وجهك هذا نموذجُ جهنم.
أخرج إلى الدنيا.

قال عبادة لمكار: نِكْنِي «يَخْت» أي يَخْتُ قال: وكيف ذاك؟ قال:
تُدْخِلُهُ يابسًا فإما أن يَنْدُقَ أيرك. وإما أن يَنْشُقَ استي.

كان لمخنثٍ جاريةٌ نفيسةٌ، فقالت له يومًا: ويلك! من أبلاني بك؟
فقال: من أبلاك بحرك، سوّد وجهه وشقَّ وسطه، وقطع لسانه، وجعل إلى
جانبه صُرَّةً له.

قال ابن قريعة كان لبعض المخنثين أير عظيم. فكان يقول: أشتهي من
ينيكني بأيري.

وقيل لمخنث: لا تتنور^(١)؟ قال: إذا كثر الدَّغْلُ^(٢) أخذ الناس طريق
الجدادة.

قال آخر: الاستُ مِسْنُ الأير، والقبلة بريد التيك.

(١) الثُّورَةُ: الهناء، وحجر الكلس، وأخلاق من أملاح تستعمل لإزالة الشعر، وتنور: تطلّى بها
لإزالة الشعر.

(٢) الدَّغْلُ: الشجر الكثير الملتف.

نَظَرَ مَخْنَثٌ إِلَى مَسْجِدٍ صَغِيرٍ لَطِيفٍ، فَقَالَ لِآخِرٍ: أَمَا تَرِيدُ هَذَا الْمَسْجِدَ. مَا أَمْلَحُهُ، لَا يَصْلِحُ وَاللَّهِ إِلَّا أَنْ يُحْمَلَ فِي السَّفَرِ.

نَظَرَ مَخْنَثٌ إِلَى رَجُلٍ مِنْ وَلَدِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ يَمْشِي وَهُوَ يَتَبَخَّرُ، فَقَالَ: انظُرُوا إِلَى مَشِيَّةٍ مَنْ خَدَعَ أَبَاهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ.

أَصَابَ رَجُلًا الْحُضْرَ. فَقِيلَ لَهُ: احْتَقِنْ. قَالَ: لَوْ كَانَ قَدْرُ حُمْصَةٍ مَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ مَخْنَثٌ كَانَ حَاضِرًا، لِأَنَّكَ ضَيَعْتَ نَفْسَكَ فِي صَغْرِكَ.

تَقَرَّى مَخْنَثٌ فَأَتَى جَبَلَ لُكَّامٍ عَلَى أَنْ يَتَعَبَّدَ فِيهِ، فَأَخَذَ زَادَهُ وَصَعَدَ، وَسَارَ عَلَى سَهْلٍ، فَنَفَذَ زَادَهُ وَجَلَسَ وَقَدَّ أَعْيَا فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَبَلِ مَسَافَةٌ، وَتَطَلَّعَ إِلَى أَسْفَلٍ، فَإِذَا هُوَ قَدْ قَطَعَ أَكْثَرَهُ، فَنَظَرَ إِلَى الْجَبَلِ وَقَالَ: وَاشْمَاتِي بِكَ فِي يَوْمِ أَرَاكَ كَالْعِهْنِ الْمُنْفُوشِ.

جَلَسَ قَوْمٌ فِي مَجْلِسٍ وَمَعَهُمْ مَخْنَثٌ وَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: أَنَا أَشْتَهِي كَشْكِيَّةَ حَامِضَةٍ وَضُرْطَ. فَقَالَ الْمَخْنَثُ: قَطَعَ اللَّهُ ظَهَرَ الْكَشْكِيَّةِ، مَا أَسْرَعَ مَا تَنْفُخُ الْبَطْنَ!

قَالَ عِبَادَةُ يَوْمًا لِلْمَتَوَكَّلِ: قَدْ عَمِلَ بِي الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا دَفْعَةً. فَقَالَ لَهُ الْمَتَوَكَّلُ: وَيْحَكَ! أَمَا أُعْيَيْتَ؟ قَالَ: إِنَّمَا يَغِيَا الْبَرِيدَ لَا الطَّرِيقَ.

ضُرِبَ مَخْنَثٌ بِالسَّيَاطِ فَسَلَّحَ. فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ. فَقَالَ: وَيَلَكُمْ! فَمَا ذِي أَدْحِرُهُ إِذَا؟

قَالَ: إِذَا أَرَادَ الْمَخْنَثُ أَنْ يَعِيبَ صَاحِبَهُ قَالَ: لَا وَاللَّهِ بَلَى مَا أَنْتَ بِمَخْنَثٍ وَلَا أَنْتَ إِلَّا رَجُلٌ جَيِّدٌ.

كَانَ عِبَادَةُ يُسَمِّي السَّرَاوِيلَ مَقْطَرَةَ الْاِسْتِ.

نَظَرَ مُخْنَثٌ إِلَى رَجُلٍ يَغْسُلُ اسْتَهُ، وَيَسْتَقْصِي جَدًّا^(١). قَالَ: عَفَاكَ اللَّهُ! تُرِيدُ: «يُشْرَبُ» بِهَا سَوِيْقٌ؟

(١) يستقصي جدًا: أي يبالغ في النظافة.

كَانَ بِالْمَدِينَةِ مَخْنَثٌ يُكْنَى أَبُو الْخَزْزِ، وَكَانَ مَلِيحًا، فَدَخَلَ عَلَيْهِ لِصِّ لَيْلَةً، فَجَمَعَ مَا وَجَدَ فِي بَيْتِهِ، وَأَبُو الْخَزْزِ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، لَا يَجْتَرِءُ عَلَى أَنْ يُكَلِّمَهُ، فَلَمَّا أَرَادَ اللَّصُّ الْخُرُوجَ قَالَ لَهُ: فَدَيْتِكَ. مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: نَافِعٌ. قَالَ: نَافِعٌ وَاللَّهِ لَغَيْرِي.

تَلَبَّسَ مُخْنَثٌ، وَاحْتَارَ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: إِلَى أَيِّنَ يَا خَزْرَاءُ؟ قَالَ: إِلَى شَارِيكَ.

قَالَ الْمَتَوَكِّلُ يَوْمًا لِحُلَسَائِهِ: أَتَعْلَمُونَ مَا أَوَّلُ مَا عَتَبَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى عُثْمَانَ؟ فَقَالَ أَحَدُهُمْ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّهُ لَمَّا قُبِضَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَامَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى الْمَنْبَرِ دُونَ مَقَامِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَرْقَاةٍ^(١)، ثُمَّ قَامَ عُمَرُ دُونَ مَقَامِ أَبِي بَكْرٍ بِمَرْقَاةٍ.

فَلَمَّا وَلِيَ عُثْمَانُ صَعَدَ ذِرْوَةَ الْمَنْبَرِ، فَأَنْكَرَ الْمُسْلِمُونَ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَكَانُوا أَرَادُوا مِنْهُ أَنْ يَنْزَلَ عَنِ مَقَامِ عُمَرَ بِمَرْقَاةٍ. فَقَالَ عِبَادَةُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَحَدٌ أَعْظَمُ مِنْهُ عَلَيْكَ، وَلَا أَسْبَغَ مَعْرُوفًا مِنْ عُثْمَانَ. قَالَ: وَكَيْفَ وَيْلَكَ! قَالَ: لِأَنَّهُ صَعَدَ ذِرْوَةَ الْمَنْبَرِ، فَلَوْ أَنَّهُ كَلَّمَا قَامَ خَلِيفَةً نَزَلَ عَنْ مَقَامِ مَنْ تَقَدَّمَهُ مَرْقَاةً كُنْتَ أَنْتَ تَخْطُبُ عَلَيْنَا مِنْ بَيْنِ جَلُوتِي.

دَخَلَ مَخْنَثٌ ذَاتَ يَوْمٍ نَهْرًا لِيَغْتَسِلَ، فَجَاءَ قَوْمٌ مِنْ آلِ أَبِي مُعَيْطٍ، وَجَعَلُوا يَرْمُونَهُ، وَعَرَفَهُمْ، فَقَالَ: لَا تَزْمُونِي فَلَسْتُ بِنَبِيٍّ.

نَظَرَ عِبَادَةُ إِلَى زُنَامِ الزَّامِرِ يَبْكِي عَلَى بِنْتٍ لَهُ مَاتَتْ، فَقَالَ: قُطِعَ ظَهْرُكَ! كَأَنَّكَ وَاللَّهِ مَطْبِخُ يَكْفٍ.

وَقَالَ عِبَادَةُ: كُلُّ شَيْءٍ لِلرَّجُلِ لَهُ مَعْنَى إِلَّا اللَّحْيَ، وَالخُصْيَ.

وَقَالَ بَعْضُ الْمُخْنَثِينَ: إِذَا كَانَ الْمَعْنَى بَارِدًا فَصَاحِبُ الْبَيْتِ عَلِيلٌ الْقَفَا..

(١) المرقاة: الدرجة.

أخذ مخنث في شيء، وأخضر عند الوالي، فأمر بضربه، فصاح: يا سيدي. كذبوا والله علي كما كذبوا على المرّي. قال: وكيف كذبوا على المرّي؟ قال: هو من البر؟ يقولون هو من الكامخ فضحك الوالي، وخلاه.

وقيل لمخنث كان يتجر: لم لا تركب البحر فإن فيه الغنى والتمول؟ قال: يا غافل. أنا أعصيه منذ أربعين سنة؛ أذهب فأضع يدي في يده.

اجتاز مخنث بنائحة جالسة على باب دار، فقال لها: ما جلوسك ها هنا؟ قالت: خير. قال: لو كان خيراً كنت أنا ها هنا لا أنت.

نظر مخنث إلى رجل مقيد قد أخرج للعرض، وهو ينظر إلى غلام أمرد فقال: العصفور في الفخ وقلبه في سوق العلف.

قال سمسنة المخنث لرجل كان يكتب كتاباً إلى معرفة لسمسنة: اقرئه سلامي في كتابك. قال: قد فعلت. قال: فأرني اسمي الذي يشبه الدابة التي تدخل الأذان.

ووصف مخنث الحر، فقال: كأنه أنوشروان في صدر الإيوان، مكوّر كأنه سنام ناقة صالح، موطاً كأنه ألية كبش إبراهيم، غليظ الشفتين، كأنه شفة بقرة بني إسرائيل.

لقي مخنث آخر ليودعه، فقال: أحمد الله على بُعد سفرك، وانقطاع أثرك، وشدة صررك. فقال له: أنا أستودعك العمى. والضنى، وانقطاع الرزق من السما.

وقال مخنث لآخر: أراني الله في وجهك الساطور، وفي عينيك الكافور، وفي شقّ استك التأسور.

وقال آخر: ضحك الحر يوم الختان ضحك التّعجة بين الذئاب، ضحك الذب بين الكلاب، ضحك الرأس عند الراسي، ضحك البغاية إذا عزلتها الدابة.

ومرَّ آخر بقاضٍ وهو يقول: إِنَّ إِسْرَافِيلَ مُلْتَقِمَ الصُّورِ، يَنْظُرُ مَتَى يُؤَمَّرُ
بِالنَّفْعِ.

فقال: إِنَّا لِلَّهِ، إِنَّ عَطَسَ افْتَضَحْنَا.

قال عَلَانٌ شِدْقٌ - وكان قبيحًا جدًا: مررتُ بمخنثٍ يغزلُ على حائطٍ،
فقال لي: مِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ؟ قلتُ: مِنَ البَصْرَةِ. فقال: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ! تَغْيِيرُ كُلِّ
شَيْءٍ حَتَّى هَذَا! كَانَتْ القُرُودُ تُجْلِبُ مِنَ اليَمَنِ. الآنَ تَجِيءُ مِنَ العِرَاقِ.

وحجَّ مخنثٌ فرأى إنسانًا قبيحًا يزمي بالجمار، فقال له المخنثُ: بأبي
أنت. لستُ أشيرُ عليك أن تعودَ إلى هذا المكان. قال: ولم؟ ألسْتُ مسلمًا؟
قال: بلى، ولكن لا أرى لك أن تبخل على أهل النار بهذا الوجه.

نظرَ مخنثٌ إلى رجلٍ قصيرٍ على جِمارٍ صَغيرٍ، فقال: هُما توأمان.

وقال بعضُ المخنثين: كان لي أستاذٌ مخنثٌ يقالُ له زائدةٌ، فمات،
فرأيتُه في النَّومِ فقلتُ له: ما فعل اللهُ ربُّك بك؟ قال: أدخلني النار. قلتُ:
فَمَنْ تَوَزَّكُ^(١) فيها؟

قال: هيهات! انقلبتُ المسألةُ أنا «توزُّ» فرعون.

غمز عبادةً رجلاً في دزب، ووقف له على باب دار، وجعل الرجلُ
يدفع فيه، فأشرفت عليه امرأةٌ، وصاحت: اللُّصُوصَ. فرفع عبادةً رأسه إليها،
وقال لها: يا بظراء. النُقب في حائطي أو حائطك!

قيل لمخنثٍ: ما أقيحَ استك! قال: تراها لا تصلحُ للخرا!

ضرب عاملُ المدينة مخنثًا عشرَ درر، فضرطَ إحدى عشرة، فقال له:
ويملك! ضربتكَ عشرًا، وتضرطَ إحدى عشرة؟ قال له: ويملك أصلحك اللهُ،
البدءُ كان مِنِّي، فضحك، وخلاه.

(١) التور: الرسول بين القوم، وبهاء: التورة: الجارية ترسل بين العشاق.

قال بعضهم لمخنث: لقد قمتُ إليك لأدخلك من حيث خرجت، فنظر إلى نفسه، وكان عظيمَ الجثة، ثم قال: يا أخي. إن فعلت ذلك إنك لرفيق.

قيل لمخنث: مَنْ ترى يرغبُ فيكَ مع قُبْحِكَ؟ فقال: الحمارُ إذا جاع أكل المكنسة.

نظرَ رجلٌ إلى أير ابنه في الحمام - وهو كبيرٌ - فضربه، وقال: ما طال أيرك إلا من كثرة ما تُناك. فقال مخنثُ كان معه في الحمام: لا تفعل، فلو كان هذا حقًا لكان أيري وبظر أمه قد بلغا مكة.

قال مخنثُ لامرأة: لولا أن الحق مُرٌ لسألتك عن شيء. قالت: ما يغضب من الحق إلا أحمق، فسألني يا بن الفاجرة. فقال لها: لم صار فمك بالعرضِ وحركِ بالطول؟ قالت: اسكت يا بن الفاجرة. قال: هذا مما كُنَّا فيه.

ناك رجلٌ مخنثًا في بيت فيه تبنٌ، وكان أيره يزلق من استِ المخنثِ ويتلوَّث بالتبن، ويردُّه الرجلُ. فقال المخنثُ؛ حبيبي. هو ذا نيكك أو تحشو مسورة؟

قيل لمخنث: كم سنوك؟ قال: خمسٌ وتسعون. قيل: فلم لا تتزوج؟ قال: ليس في رجال هذا الزمان خيرٌ.

قيل لآخر: ما تحب في الثياب؟ قال: التكة. قيل: فمن السلاح؟ قال: العمود. قيل: فمن اللحم؟ قال: العصيب. قيل: فمن البقول؟ قال: القثاء. قيل: فمن البوارد؟ قال: الهليون. قيل: فمن الفاكهة؟ قال: الموز. قيل: فمن الحلواء؟ قال: الحلّاقيم. قيل: فأئي منازل مكة أفضل؟ قال: ذات عرق. قيل: فمن خير الصحابة؟ قال: الزبير. قيل: فما أحسن شيء في الإنسان؟ قال: الأير.

قال رجل لمخنث: صح لي بذلك المُجتاز، فقال: وما اسمه؟ قال:

هَلالٌ . فجعل يناديه : يا رأسَ الشَّهر .

ضرب مخنثٌ يده إلى أير رجل ، وجعل يشغله بالكلام ، ثم قال له في كلامه : مَنْ بقيَ مِنْ أهل بيتك؟ فقال : هَذَا الَّذِي فِي يدك؟

تاب مخنثٌ ، فلمَّا كانَ فِي بعض الأيَّام لَقِيَهُ مخنثٌ آخر ، فقال له التَّائبُ : أَمَا أَنْ لَكَ أَنْ تَتوبَ؟ وَيَلٌ مِنْ عاصِم . قال : وَمَنْ عاصِمٌ؟ قال : خازنُ جهنَّم . قال : أَخِي ، لو تَخَشتَ خَمْسِينَ سَنَةً أُخْرَى كانَ أَصْلحَ لَكَ مِنْ أَنْ تُرَجِفَ بالملائِكَةِ . متى عزلوا «مليك» وولوا عاصِمٌ؟

سمع مخنثٌ طبيبًا يذكرُ الطبائعَ الأربَع ، فقال : الطبائعُ الأربَع عندنا : الأَكْلُ ، والشُّرْبُ ، وَأَنْ تَنيكَ وتُنَّاك .

جمع مخنثٌ بين نفسين ، فأخذوا جميعًا ، وأفرجَ عنهُما ، ورفَعَ المخنثُ إلى السلطان فسأله عن قِصَّتِهِ ، فقال : هؤُلاءِ وَجَدُوا طائِرَيْنِ فِي قفص ، فَخَلُّوا الطائِرَيْنِ وَحَسَبوا القَفَصَ .

نظر رجلٌ قبيحَ الوجهِ إلى المرآة ، فقال : الحمدُ لله الذي أَحسَنَ خَلْقِي فقال مخنثٌ حَضْرَهُ : أُمٌّ مَنْ يَبْهتُ رَبَّهُ زانِيَةً .

رأى عبادةَ دينارَ بن عبدِ الله وقد ولىَ مصرَ - فقال : يا فِرْعونُ ارفعِ رأسك وانظرَ مَنْ نُدِبَ لمكانِكَ .

واشْتكى مخنثٌ ، ثم تماثل ، فقيل له : كيف أنت؟ فقال : جاءني العَلَّةُ باقَاتٍ وتجيئني العافيةُ طاقات .

سمع مخنثٌ قول ابنة الخُسِّ لَمَّا قيل لها : ما حملك على الزنى؟ فقالت : طولُ السَّوادِ وقُزْبُ الوَساد . فقال المخنثُ : وَحِبُّ السَّفاد .

سمع مخنثٌ رجلاً يقرأ قِراءةً قبيحَةً ، فقال : أَظنُّ أَنَّ هَذَا القرآنُ هو الذي يزعم ابنُ أبي دِوادِ أَنه مخلُوقٌ .

سمع مخنثٌ رجلاً يقول : اللهم اجْعَلِ الموتَ خَيْرَ غائبٍ أنتظِرُهُ .

فقال: إِذَا غيَابُكَ غيَابُ سِوَاءِ .

قال المتوكل لعبادة: كَمْ سِنَّكَ؟ قال: واللَّهِ ما أعرفُ الحِسَابَ، ولكن تعرفُ أنتُ عَفْرُونِهِ . قال: لا واللهِ وَمَنْ عَفْرُونِهِ؟ قال: الذي يقولُ فيه القائل [الرجز]

* ضراطُ عَفْرُونِهِ بَلِيلِ طَرَقَا *

احسب الآن كيف شئت .

وتزوجت أم مخنث، فلما كان ليلة الزفاف جعل يتسمعُ عليهما، فلما سمعَ الحِسَّ . قال: يا أُمِّي . هُوَ ذَا تَأْكُلِينَ وَخُدَّكَ لا هُنَّاكَ اللَّهُ . قيل لمخنث: كيف ترى الدنيا؟ قال: مثلنا . نحن يوماً عند الأَسْخِيَاءِ، ويوماً عند البِخْلَاءِ .

قالت امرأة لعبادة: اشتريتُ قَفِيْزاً بثلاثة عَشْرَ درهماً، كم يصيبني بثلاثة دراهم؟ فقال: أنت طُولُكَ وَعَرَضُكَ لا تعرفين هذا! يصيبك قَفِيْزٌ إلا بعشرة دراهم .

دخل عبادة الحمام يوماً فرأى غلاماً كبيرَ الأَيرِ، فبادر فقبضَ عليه، فقال الغلام، ما هذا . عافاك اللهُ قال: أَمَا سَمِعْتَ قول الشاعر^(١): [الوافر]
إِذَا ما رَايَةً رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ
ألزم المتوكلُ عبادةً في يومٍ من شهر رمضان أن يقرأ في المُصْحَفِ، فقرأ وجعل يصحف، ويغلطُ حتى بلغ إلى قوله: «وبشّر المخبّتين»، فصحفه وقال: وبشّر المخبّثين فطرده .

نظر مخنث إلى إنسان وحش الخَلْقَةِ، فقال: هذا نموذج جَهَنَّمَ أُخْرِجَ إلى الدنيا .

(١) البيت للشماخ في ديوانه ص ٣٣٦، ولسان العرب (عرب)، (يمن)، وتهذيب اللغة ٨/٢٢١، وجمهرة اللغة ص ٣١٩، ٩٩٤، وتاج العروس (عرب)، ومقاييس اللغة ٦/١٥٨ .

طلب رجل منزلاً يكثره، فجاء إلى باب دار ودفعه، وقال: لكم منزل للكبراء؟ وإذا في الدار مخنث - وفوقه رجل - فصاح من تحته: أليس ترانا بغضنا فوق بعض من ضيق المكان؟ من أين لنا منزل يُكرى؟ قال مخنث لآخر: ذهبت الأيور الباستانية التي كنا نعرفها. فقال ما ذهبت الأيور ولكن اتسعنا نحن.

رأى إنساناً مخنثاً ينتف لحيته، فقال له: ويلك، لأي شيء تنتف لحيته؟ فقال: يسرك أن مثلها في استك؟ قال: لا. قال المخنث: فشيء تأنف لاستك منه، لا آنف لوجهي منه؟

كان المتوكل على بزكة يصيد السمك - وعنده عبادة المخنث فتحرك المتوكل، فضرط، وقال لعبادة: اكنمها علي فإنك إن ذكرتها ضربت عنقك. ودخل الفتخ فقال: أيش صدتم من العداة؟ فقال له عبادة ما صدنا شيئاً، وما كان معنا أيضاً أفلت.

ركب المتوكل يوماً زلاًلاً^(١) ومعه جماعة، فعصفت الرياح، وفزع الناس، فقال عبادة، يا أمير المؤمنين، أما كُنيزُ دُبَّةٍ فإنه لا يخاف العرق، فقال المتوكل، وكيف ذلك؟

قال: لأنه يسبح على رق، وكان كُنيزُ مخنثاً آدر.

كان بعض ولد الفضل بن الربيع يتخنث، فوكل به أبوه غلاماً يمنعه من نتف لحيته، فبات ليلة، فلما أصبح رآه منتوف اللحية، فقال أهلكني - والله - أين لحيته؟ قال: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ ﴿٢٠﴾ فَاصْبَحَ كَالصَّرِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [القلم: ١٩ - ٢٠].

قيل لمخنث: كيف تتهجي بكمرة؟ فقال: كاف، ميم، راء، هاء قالوا: هذه كمره^(٢). قال: كل إنسان يتهجي ما يشتهي.

(١) الزلال: نوع من السفن.

(٢) الكمره: محركة: رأس الذكر، والبكرة: البسرة.

لقي الطائف - وكان ماجئا - جماعة من المخنثين، فقال: نيكوا بني الزواني، واضربوا بني القحّاب، فقال مخنث منهم: يا سيدي سبقت رحمتك غَضَبَكَ.

أدخل مخنث على العُريان بن الهيثم - وهو أمير الكوفة - فقالوا: إنه يفعلُ ويصنعُ. فقال له العريان: يا عدو الله، لِمَ تفعلُ هذا؟ قال: كذبوا عليّ - أيها الأمير - كما كذبوا عليك. فغضب العريان، واستوى جالسا، وقال: وما قيلَ فيّ؟ قال: يُسمونك العريانَ وعليكِ عشرون قطعة ثياب. فضحك وخلاه.

قال مخنث: رمضانُ بينَ شوالٍ وشعبانٍ مخشلةً بين دُرّتين.

وقيل لمخنث: ما الذي أفدت من التّخنيث؟ قال: است مخرفة، واسم قبيح.

قال هيتُ المخنث لعمرَ ابن أمّ سلمة: إن فتح الله عليكم الطائف فسل رسول الله ﷺ أن يهب لك بادنّة بنت غيلان بن سلمة، فإنها كخلاء، سموغ، نجلاء، حُمصانة، هيفاء، إن مشت تثنت، وإن جلست تدنت، وإن تكلمت تغنت، تُقبلُ بأرفع، وتدبرُ بثمان، فخذنها كالإناء المكفأ.

فروي أن كلامه بلغ رسول الله ﷺ، فمنع المخنثين من الدخول على النساء.

نظر مخنث إلى إنسان كبير الأنف، قد أشرف على فمه. فقال: انظروا إليه كأن أنفه أير يتطلع في بثر الخلا.

نوادرُ اللاطة^(١)

روادَ إنسانٌ متقرُّ على الفُجور، فقال: ما تُعطيني؟ فقال: أستغفرُ لك

(١) نثر الدر للآبي ١٩٦/٣ - ٢٠٢.

وأقرأ لك كل يوم آيات أعوذك بها، فقال الغلام [(١)] اليوم عاجلاً. ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٥].

رثي بعضُ اللأطمة مع غلام أسود، ف قيل له في ذلك، قال: الأسود طيبُ التُّكْهَةِ لِيُنْ الْأَفْحَاذِ، مُلْتَهَبُ الْجَوْفِ، رَخِيصُ الْجِذْرِ، سَرِيْعُ الْإِجَابَةِ لِأَنَّكَ تَدْعُوهُ لِتُنِيكِهِ، فَيُظَنُّ أَنَّكَ دَعْوَتُهُ لِتُنِيكَكَ.

قيل لبعض المتصوِّفة: أنت لوطي. فقال: ما تقول في لص لا يسرق هل يلزمه القطع؟

قال بعضهم: رأيت شيخاً يطاف به؟ وينادى عليه: هذا جزاء من يلوط، والشيخ يقول: بخ بخ لواط محض، لا زنى، ولا سرق. قيل لشيخ لأط: ألا تستحي؟ فقال: أستحي وأشتهي.

قال بعضهم: الغلام استطاعة المعتزلة، لأنه يصلح للضدين؛ يفعل ويفعل به.

والمرأة استطاعة المجبرة لا تصلح إلا لعمل واحد.

قيل لأعرابي: ما تقول في نيك الغلمان؟ فقال: اغرب، قبحك الله، والله إني لأعارف الخرا أن أمر به، فكيف ألج عليه في وكره؟

وجد شيخ في مسجد، وتحتة صبي، فلما هجم عليه عدا الصبي، وقام الشيخ متأسفاً وجعل ينظر إلى متاعه ويقول [(٢)].

كان ببغداد لوطي مؤسّر، فكان إذا جاء وقت الزكاة وزن زكاة ماله، ووضعهُ. فإذا حصل عنده مؤاجر وزن جذره منه، وقال: ألك أم أو أخت تستحق الزكاة؟ فيدفعه إليه، ويقول: خذها من زكاة مالي، وأعطني ما أريده منك تفضلاً.

(١) بياض في الأصل.

(٢) بياض في الأصل بمقدار كلمتين.

وكان بعض المؤاجرين يتحرَّجُ، فكان إذا أعطاه إنسانَ جذرَهُ أخرج تُفَاحَةً أو ما يشبهُهَا، وقال للرجل: قد اشتريتَ مِنِّي هذا بهذه الدَّرَاهِمِ. فيقول اللُّوطِيُّ: نعم.

فيقول: فأما الآنَ فأعطيك ما تريدُ من غيرِ جذرِ.

قيل لواحد: لم فَضَّلْتَ الغلامَ على الجاريةِ؟ قال: لأنَّه في الطريقِ صاحبٌ ومع الإخوانِ نديمٌ، وفي الخُلُوةِ أهلٌ.

قال ابنُ قريعةِ القاضي: مررت بِشَيْخٍ قد خَرَجَ من خَرِبةٍ، وبِيده أيرُهُ وهو يقول: ما أعجَبَ أسبابَ التِيك؟ فقلتُ له: يا هذا، إنما يُقالُ: ما أعجَبَ أسبابَ الرزقِ؟ قال: حُذِّ حديثي؛ دخلتُ هذا الخرابَ لأبُولَ، فَأَنعَظْتُ فهِممتُ أن أجِلِدَ عميرة^(١). فدخلَ صبيَّانَ كالقمرينِ، فلم يريانِي، وأخذَا يتبادلانِ فقامت إلي هذا فنكتته، وإلي هذا فنكتته. وخرجتُ كما تراني متعجِّبًا بالله ما هذا بعجب؟ قلت: بلى والله انصرف لا حَفِظَكَ اللهُ.

جاؤوا إلي أبي نُؤاسٍ بـغلامٍ مليحٍ، إلا أنه أعرجُ، فقال: ما أصنعُ به وهو أعرجُ؟ فقال الغلامُ: إن أردتني لأن تضربَ عليَّ بالصَّوَالِجَةَ فلا أصلحُ لذلك وإن أردتني للنيكِ فقم.

كتب رجلٌ إلي غلامٍ كلانٍ يعشقه: وضعتُ على الثرى حُدِّي لترضى. فكتب إليه الغلامُ: زنْ عشرة دَرَاهِمِ، وضَعْ خَدَّكَ على حُدِّي. وصفوا غلامًا عند بعض اللاطة، فقيل: هو فاسدٌ قال: في فساده صلاحِي.

نظر غلامٌ في المرأة، فرأى لحيته قد بدت وقال: [(٢)] فقال قَوَّادُه:
[(٣)] .

(١) جلد عميرة: هي العادة السرية.

(٢) بياض في الأصل.

(٣) بياض في الأصل.

بعث المبرّد غلامه، وقال بحضرة الناس: امضِ فإن رأيتَه فلا تَقُلْ له، وإن لم ترَه فقل له، فذهب الغلام، ورجع، فقال: لم أره، فقلتُ له، فجاء فلم يجيء، فسئل الغلامُ بعد ذلك، فقال: أنفَذني إلى غلام، فقال: إن رأيت مولاةً فلا تَقُلْ له شيئاً، وإن لم تره فادعُه. فذهبتُ فلم أرَ مولاةً، فقلتُ: فجاء المولى، فلم يجيء الغلام.

أدخل ابنُ سَيَّابَةَ غلاماً ليفسِقَ به، فقال له الغلامُ: أنت ابنُ سَيَّابَةَ الزنديقِ؟ قال: نعم. قال: أين الزندقةُ؟ ونومَه، وأدخل عليه، ثم قال: يا بُني: [...]^(١).

قيل لأبي نواسٍ لِمَ تُؤثرُ الغلامَ الفحلَ على الخصيِّ؟ فقال: لأنَّ الغلامَ معه بينقان في وَسَطِ الرُقعةِ يدفعُ بهما الشاةَ.

قيل للوطيِّ: كيف رأيتَ فلاناً؟ لغلامٍ كان يتعاطاهُ. فقال: يجعلُ البيدقَ فِرْزَانَا.

غمزَ لوطيُّ غلاماً، فقال الغلامُ: أنا لا أصلحُ لما تريدُ. فقال اللوطيُّ: وأما أجعلُك بحيثُ تصلحُ.

قال بعضهم: سمعتُ شيخاً قد خرف بعد شطارةٍ يقول: نكثُ غلاماً في دهليزي أمس فأردتُ أن أدخُلَ عليه، فقال لي: لا تفعلْ، فإنني مسحتُ على خُفي، وأكرهُ أن ينتقضَ وُضوئي، فقلتُ: أن نيكَ الغلمانَ بين الفخذين لا ينتقضُ وُضوءُهم.

وقال آخر: رأيتُ شيخاً من كبار الشُّطار، يمرُّ ومعه صبيٌّ صَغِيرٌ. فقلتُ: بلغنا هذه الحال. فقال: يا سيدي، إن الأسدَ إذا كَبَرَ يَصِيدُ الضفادِعَ.

وُجِدَ شيخٌ مع صبيٍّ خَلَفَ كَرَبَ فقالوا له: يا شيخ. أما تَسْتحي وأنت رجلٌ عاقلٌ؟ لم لا تحصنُ نفسَكَ؟ فأخرجَ مِنْ فِيهِ قطعةً فيها قيراطٌ، وقال:

(١) بياض في الأصل.

واللَّهِ ما أملكُ غيرها، وقد رضي بها هذا الصَّبِيُّ . فهل فيكم من يزوِّجني بها حتى أتحصَّن؟

سأل بعضهم غلامًا، وأعطاه درهمين، فأراد أن يدخل عليه، فامتنع وقال: لا أقوى. فقال الرجل: قد خيرتُك في إحدى ثلاث - وكان يعلم أن الغلام يذهب مذهب الجماعة - إما أن تردَّ الدرهمين، أو تدعني أدخله، أو تقول: القرآن مخلوق. قال الغلام: أما ردُّ شيءٍ من الدرهمين فلا سبيل إليه، وأما القرآن فلو ضربت عنقي ما قلتُ إنَّه مخلوق، وأما الثالثة فأتحمَّلها [(١)] فأدخل عليه، وصاح الغلامُ وجعل يقول [(٢)] .

صاح الصبيُّانُ بأبي سعيد الخريزي: يا لوطي يا لوطي، فجعل يضحك فقليل له: يا شيخ. أما تستحي؟ يصيح بك الصبيُّان - وأنت تضحك -؟ قال: فديتُك. إذا صدقوا أيش يمكنني أن أقول؟

غضب سعيد بن وهب يومًا على غلام له، فأمر به، فبطخ، وكشف الثوب عنه ليضربه، وقال: يا بن الفاعلة. إنَّما غرتك استك هذه حتَّى اجترأت عليَّ هذه الجزأة، وسأريك هوانها عليَّ. فقال الغلامُ: طالما غرتك هذه الاستُ حتى اجترأت على الله، وسوف ترى هوانك عليه، قال سعيدٌ: فورد عليَّ من حاله ما حيرني، وسقط السوطُ من يدي.

قسَم بعضُ الولاة بالمدينة قسَمًا في الزمَنِ، فأتاه أبو خزيمَةَ، فقال: أعطني فإني زمِنُ. قال: ما أرى بك زمانةً، قال: بلى، قال: ما هي؟ قال: أنا لوطي. قال: نعم، إنَّك لزمِنُ من عقلك، وأعطاه.

سئل ابنُ سيابة عن مؤاجر، فقال: [(٣)] وكان يقول: [نيك] (٤) وكان يترافق اثنان: أحدهما «يقود الصبيَّان الصغار، والآخر بالبالغين الكبار، وكلُّ واحد يعيبُ صاحبه، ويعتقه، حتى أخذ في بعض الأيام صاحبُ الصغار مع صبيٍّ، ورُفِع إلى السُلطان فُضرب، وحَمِل الصبيُّ على عاتقه ليطاف به في

(١) و(٢) و(٣) بياض في الأصل.

(٤) بياض في الأصل نحو ست كلمات.

البلد، فلقية رفيقه، وهو على تلك الحال، فقال: قد كنت أنهاك عن الصغار حذرًا عليك من مثل هذا، ولو كان كبيرًا لم ينكر كونه معك في البيت. فقال: اسكت يا أحمق، فلو قبلت منك وكان مكان هذا الصغير ذاك الكبير، فكان يدق عنقي بثقله.

ووجد آخر مع صبي في منارة المسجد، وسراويلاتهما محلولة، فقيل: ما هذا؟ فقال: أريد أن أبدل تكته بتكتي.

قال بعضهم: إذا كان للغلام أير ضخم فهو فخذ ثالث.

قيل لبعضهم: اللوط إذا استحكم صار حلاقًا، قال: هذا من أراجيف الزناة.

قال بعضهم: نزل بي ضيف فنومته في الدار، فوجدته في بعض الليل معي على السرير في البيت ينيكني، فقلت: ونحك! لم دخلت البيت؟ قال: وجدت البرد. قلت: فلم سعدت السرير؟ قال: من البراغيث. قلت: فلم تنيكني؟ قال: ليس هذا موضع المسألة.

دب واحد إلى غلام، فانتبه الغلام، وأخذ شيئًا فرماه به، وشجّه. فلما أضحى، قيل له، استعد عليه. فقال: يا قوم أنيكنهم من غير أن أستأذنهم. ثم أستعدي عليهم إذا ضربوني؟ هذا لا يجوز.

كان غلامان يلعبان بالطيور، فقال أحدهما لصاحبه: إذا كان غداً وتسابقنا تنيكنا، قال صاحبه: وإن لم نتسابق لم تنيكنا؟

قال الجاحظ: كان بعض المؤاجرين يغطي في الشمال بأربعة دراهم وفي الجنوب بدرهمين فقيل له في ذلك. فقال: في الشمال الریح عليّ وفي الجنوب الریح معي.

أراد رجل أن ينيك غلامًا بين فخذه، فصاح، وقال: لا [(١)] أنا لا

(١) بياض في الأصل بمقدار كلمة واحدة.

أطبق «خارج» .

نظر رجلٌ إلى غلامٍ وفي وجهه وجبينه أثرٌ، فقال له الغلام - وقد أذمن النظرَ إليه: يسألك الله عن سوء ظنك. قال: بل يسألك عن سوء مضرعك .

نظر بعضهم إلى غلامٍ أمردٍ وهو يتكلم بقحة، ورقاعة. فقال: هذا وجهٌ من يشمُّ التراب .

أخذ رجلٌ مع غلامٍ، فرفع إلى صاحب الشرطة، فأدبه، ثم وجدَ بعد ذلك مع امرأةٍ وعوقب، وبعد ذلك مع مخنثٍ فأدب، ثم وجدَ في خربة بينك أتانًا. فقال له صاحبُ الشرطة: ويلك! لم لا تُغمد أيرك؟ قال: يا سيدي هذا غمده، ولكن لستم تتركوني أن أغمده. فضحك وخلاه.

قيل للوطي: ويحك؟ إن من الناس من يسرق ويزني، ويعمل العظام سنين كثيرة، وأمره مستور، وأنت إنما لُطت منذُ شهور. وقد شُهرت وافتضحت .

فقال: من يكون سره عند الصبيان، كيف يكون حاله؟

نظر بعضهم إلى غلامٍ وأذمن النظر. قال: فقال الغلام: لم هذا النظر؟ فقلت: سيدي: أين منزلكم؟ قال: في النار، تطلب أثرا بعد عين [(١) أن تؤخر اليوم لغد، وتتبع ما لا تأمن السائق عليه .

دخل بعضهم الحمام فرأى فيه غلامًا صبيحًا، فأرادَه على نفسه، فامتنع، فكابر، وأخذه وأقلت الغلام، وصاح، فدخل القيم وجماعة معه فقالوا للرجل، ألا تستحي سوءة لك؟ قال: قلت له: صب الماء علي فامتنع. قالوا: فما بال أيرك قائمًا؟ قال: قام من شدة العصب .

قيل للوطي: متى عهدك بالحر؟ قال: مذ خرجت منه .

(١) بياض في الأصل .

ذكر يونس بعض اللاطة فقال: يضرب ما بين الكركي إلى العندليب .
يقول: لا يدع رجلاً ولا صبياً إلا عَفَجَهُ^(١) .

حكى بعضهم قال: رأيت بعض اللاطة يضرب غلاماً له ضرب التلّف،
ويدعي عليه []^(٢) فسألته عن ذنبه . قال: ليس قلبه في العمل؛ نكته اليوم
وكان أيره «نائم» .

قيل []^(٣) الفتيان: نيك الرجال ريبة، وقال: هذا من أراجيف الزناة .

رأى يحيى بن أكنم غلاماً حسن الوجه في دار المأمون فقال []^(٤) فرُفع
ذلك إلى المأمون، فعاتبه . فقال: يا أمير المؤمنين . كان انتهى دَرْسي إلى
ذلك الموضوع . فَضَحَك .

استنقع بعضهم في الماء متكشفاً، فمرّ به غلامٌ عمريّ كان يتعسفُ
فأنكر ذلك على الرجل كالمحتسب . فقال له الرجل: بأبي أنت! أردت إِماتة
منكر، فأحييت أنكر منه، وأومى إلى متاعه .

قال بعضهم: كنتُ عند يحيى بن أكنم عشيّة، فدخل إليه عبد الملك بن
عثمان بن عبد الوهاب - وكان يُزَمَى به - فقال: أصلح الله القاضي، إنك
أدخلت علينا أميتاً في وقفنا، ففعل، وفعل . فقال له: وتدع أنت إنساناً يدخل
عليك؟ فلما سمعتها نهضت . فلما كنتُ في صحن الدار سمعته يقول له: حُلّ
حُلّ .

وكان يحيى يقول بالبصرة لي رجلان أبعثهما ليأتيا لي بالغلمان،
فأحدهما لا يأتيني بالغلّام حتى ينيك الغلام، وهو إسماعيل بن إسحاق .
والآخر لا يأتيني حتى ينيك الغلام وهو صلّت بن مسعود .

قال العدلي الشطرنجي: كنتُ غلاماً، فضمّني المأمونُ إلى يحيى فإني

(١) عَجَفَهُ: أي لاطه .

(٢) و(٣) و(٤) يابض في الأصل .

لِعَنْدَهُ يَوْمًا إِذْ جَذَبَنِي إِلَى مَخْدَعٍ فِي مَجْلِسِهِ، وَأَضْجَعَنِي الْفَاحِشَةَ وَنَظَرَ مِنْ وَرَاءِ السُّتْرِ، فَرَأَى ابْنَ الْعَلَاءِ بْنِ الْوَضَاحِ، وَكَانَ مَفْرَطَ الْجَمَالِ فَضْرَبَ عَلَيَّ جَنْبِي، وَقَالَ: قُمْ [(١)] .

نوادير البغائين (٢)

قال بعضهم: قلتُ لرجل كان يتعاطى الأدبَ - وكان متهما - : ما معنى قولهم: «إِذَا عَزَّ أَخُوكَ فَهَنْ»؟ قال: إِذَا لَمْ يَنْتُمْ لَتِنِكَهَ فَنَمُ حَتَّى يَنْيَكَكَ .

دخل عبادة على المتوكل وهو نائمٌ، ومعه في الفراش أسود قد ظهرت رجلاه من اللحاف، فقال عبادة: يا أمير المؤمنين بت البارحة في خُفِّكَ . وكان المتوكل ممن يُرمى ويتَّهم بذلك، وخبره في أمر بشياطين الهليوف معروفٌ . قيل لمأبون: إن ابنك به أبتة فقال [(٣)] .

قيل لابن عون: إن المتوكل قد بنى بناءين سماهما الشاة والعروس فقال: قد فرغ من تحميل الناس على الناس حتى صار يُنايك بين الأبتية فقال [(٤)] .

وقع بين أحمد بن السندي وبين غلامه كلامٌ، فهجره الغلام أيامًا، فكاد أن يُجنَّ، فتحمل عليه بعرسة المحتسب، فلم يُجنه الغلام . وكان غرسه أيضًا مأبونا . فقال: يا غلام لو كان أيرك مثل أير بغل سماعة ما زاد على هذا . فقال أحمد بن السندي هو [(٥)] قريب منه وتحمل عليه بإخوانه حتى صالحه، واتخذ دعوة أرعد فيها وأبرق، فقيل للحنظلي: عند من كنتم أمس؟ قال: كنا في دعوة أير غلام أحمد بن السندي .

(١) بياض في الأصل .

(٢) نثر الدر للآبي ٣/٢٠٣ - ٢٠٦ .

(٣) بياض في الأصل .

(٤) بياض في الأصل بمقدار خمس كلمات .

(٥) بياض في الأصل .

ومرَّ أحمدُ السندي ببغل أبي كامل الطحان - وقد أذلى - فوقفَ بإزائه ثم تنفَّس الصَّعداءَ، فقالَ: هذا الأير! لا ما نُعلُّلُ به استاهنا أربعين سنةً.

قيلَ: وكان هذا البغلُ إذا أذلى أخذ من الأرض برأسِ غُرموله الثُّرابَ، فإذا ضربَ به بطنه رأيتَ الغبارَ يتطاير عن يمينه وشماله.

قال بعضهم: دخلتُ إلى رجل من كبار الناس ببغداد فُجاءةً، وإذا غلامٌ له فوَّقه. فلما رأني استخيا وقالَ: زعمَ هذا الغلامُ أنه اختلم البارحة، فأردتُ أن أُجرِّبه.

وقال أبو العيناء: دخلتُ على أبي العلاء المنقري - وغلامه على ظهره - فقلتُ: ما الخير؟ فقال: إنَّ هذا الغلامَ زعمَ أنَّه قد اختلم، فظننتُ أنه يكسَلُ عن خِدمةِ النساءِ، فأحْبَبْتُ أن أمتحنه، قال: فحدثتُ بهذا المعتصمَ، فقال: لعنه اللهُ تركني [(١)].

قيل لرجلٍ من ولد بشر بن داود، وكان مأبوتًا: أما تستحي وأبوك وكان سيفَ السُّلطان؟ قال: فأنا جُعبتُه.

وقال له آخر: إنَّ أباك ينيك، وأنت تناك، قال: نقضني دينه.

قال ابنُ حمدون: بات عِندي المراكبيُّ الشُّطرُنجي - وكان مأبوتًا - فسمعتُه يقولُ لغلامٍ كان قد باتَ أيضًا عِندي: أعطيك دينارًا وتبادليني، وأعطيك أنا قبلاً، وإن صغرت لم أبال؟

قيل لبعضهم: لوطي أنت أم صاحبُ نساء؟ قال: أنا لوطي، وزان، وأميلُ إلى المُخثئين، وأدبُ بالليل أيَّ دباب، ويعتريني قليلُ بغاء.

أخضرتُ بصليَّةً في منزلٍ كبيرٍ من أهل بغداد - وابنُ الهفتي حاضرٌ - وكان يعاتبه كثيرًا، فتسرَّعَ ابنُ الهفتي أيضًا، فقال له: أتعجبك بالأبنة قال: هي ألدُّ من طيبِ الطعام عِندي. قال خذوها من بين أيدينا، فإني لا أشتهيها.

(١) يياض في الأصل بمقدار خمس كلمات.

قال: هذه أيضًا فضيلة من فضائل البصليّة لا يشتهيها البغّاؤون .
وكان الرجل مرّميًا بالأبنة . وقال له يومًا وقد رأى له كنيفًا لا يدخله
غيره: استك عامة وكينفك «خاصة» .

كان بعض آل الجنيد إذا رأى إنسانًا يُرمى بالبغاء دعا لفتحتته بأن [(١)]
عافية . فقال له عبادة [(٢)] ما صحّت نيتك في الدعاء ، لأنك بعد تسأل بأن
[(٣)] .

قيل لأبي سوار: قد امتهنتك غلامك هذا الأسود . قال: ما امتهنتني ، لكنني
أمتهنته . عمدت إلى أكرم علق فيه ، واستعملته في أفذر مدخل في .
أشرفت امرأة من منظره لها فرأت فتى جميلًا أعجبها ، فقالت لجارتها:
أدخله فأدخلته ، فقدمت الطعام ، وأكلًا ، وأحضرت الشراب ، وآتسته ، فلم
تجد عنده شيئًا ، فقالت: ما أخرجنا إلى من كان ينيكنا جميعًا . فقال:
«أخذتها من فمي» .

أدخل بعض البغّائين واحداً من السقّائين ، وحمله على نفسه ، فلمّا
واقعه ، قال: أوجعتني ، لا تدخله كلّهُ . قال السقاء: فأخرجه؟ قال: لا .
قال: فما أصنع؟ قال: دعه مكانه ، قال السقاء: فمن يحفظ البغل؟

كان الناصر وليّ واحدًا عمل البندرة (٤) بجرجان ، وكان يُرمى
بالأبنة (٥) ، فاستقصره يومًا في سبب مال وجب لمن يجبيه . فقال: أيها
الناصر ، إنما أحتاج إلى رجال جلد يُعيئونني . قال: قد بلغني ذلك .

ورّد على الصّاحب رحمه الله بعض الكتّاب من العراق ممن كان عرفه
وقت مقامه ببغداد ، وشكى سوء حاله ، فأحسن إليه ، وولاه عملاً ، وأجرى له

(١) و(٢) و(٣) يياض في الأصل .

(٤) البندار: التاجر يحتكر البضائع ويتربّص بها غلاء السعر ، والبندرة ، تخزين البضائع أو المعادن
للغلاء .

(٥) الأبنة ، بالضم: العيب ، والحقد ، والرجل الخيف (أي الضروط) .

في كل شهر خمسمائة درهم. وكتب صكَّه بذلك، فحسده بعض الحاضرين وقال للصاحب: إن هذا رجل مأبون، معروف الطريقة بالفساد، وجميع ما تصله به، وتوصله إليه ينفقه على من يرتكب معه الفضيحة، وأفرط في ذم الرجل، والدلالة على قبائحهِ حتى ظن أنه قد أفسد حاله.

فلما رُدَّ الصكُّ إليه للتوقيع فيه لم يشك الساعي أنه يُبطله أو يمزقه. فلما أخذه، ونظر فيه كتب تحت ما كان قد ر له كل شهر: ولغلام يخدمه، ويستعين به خمسون درهماً، ووقع في الصك وردّه إليه.

كان لعبادة غلام كبير الفححة. فقيل له: أنت بغاء فيا لك غلام كبير الفححة؟

قال: يا حمقى: ما يدريكم: كلما ثقلت المرزبة كان أشدَّ لدخول الوتر.

نوادير جحا^(١)

حكى الجاحظ: أن اسمه نوح، وكنيته أبو الغصن، وأنه أزيى على المائة، وفيه يقول عمر بن أبي ربيعة: [السريع]
ولَهت عَقلي وتلقبت بي حَتَّى كَأني مِن جُنوني جُحا
ثم أدرك أبا حعفر، ونزل الكوفة.

قيل لجحا: أتعلمت الحساب؟ قال: نعم. فما يُشكل عليّ شيء منه. قال له: أفسم أربعة دراهم على ثلاثة، فقال: لرجلين درهمان، درهمان وليس للثالث شيء.

وأراد المهدئي أن يعبت به فدعا بالنطع^(٢) والسيف، فلما أقعد في النطع، وقام السيف على رأسه وهز سيفه، رفع إليه رأسه، فقال: انظر لا

(١) نثر الدر للآبي ٢٠٧/٣ - ٢١١.

(٢) النطع: بساط من أديم يمد تحت الذي يحكم عليه بقطع الرأس.

تُصِيبُ مُحَاجِمِي السَّيْفِ، فَإِنِّي قَدْ احْتَجَمْتُ، فَضَحَكَ الْمَهْدِيُّ وَأَجَازَهُ.
 وماتت لأبيه جارية حبشية: فبعث به إلى السوق ليشتري لها كفنًا، فأبطأ
 عليه حتى أنفذ غيره، وحمل الكفن، وحملت جنازتها فجاء جحا وقد حملت
 - فجعل يعدو في المقابر، ويقول: رأيتم جنازة جارية حبشية، كفنها معي؟
 وجمحت به بغلة يومًا، فأخذت به في غير الطريق الذي أرادته، فلقبه
 صديق له، فقال: أين عزمت يا أبا العُصْنِ؟ فقال: في حاجة للبعلة.
 وكان يأكل يومًا مع أمه خبزًا وبقلاً، فقال لها: يا أمي، لا تأكلي
 الجزجِيرَ فَإِنَّهُ يَقيِمُ الأير.

ومرت به جنازة، فقال: بارك الله لنا في الموت وفيما بعد الموت.
 فقيل: إنها جنازة نصراني. فقال: إذن لا بارك الله لنا في الموت، ولا فيما
 بعد الموت.

وكانت لهم جارية يقال لها عميرة، فضربتها أمه ذات يوم، وصاحت
 الجارية واجتمع الجيران على الباب. فخرج إليهم، وقال: ما لكم؟ عافاكم
 الله إنما هي أمي تجلد عميرة.

وصلّى بقوم وفي كُفِّهِ جَزُؤُ كَلْبٍ، فلما رَكَع سقط الجرؤ، وصاح
 وتنخخ الناس. فالتفت إليهم، وقال: إِنَّهُ سَلُوقِي عَافَاكُم اللهُ.

وحمل جرّة خضراء إلى السوق يبيعها، فقالوا: هي مثقوبة. فقال: ليس
 تسيل، فإنه كان فيها فُطْنٌ لوالدتي، فما سأل منه شيء.

وأعطاه أبوه درهمًا يزنه، فطرحه في الكِفَّة، وطرح في الكِفَّة الأخرى
 سَنَجَةَ درهمين، وهو يحسبهما سَنَجَةَ درهم، فلم يستويا، فطرح سَنَجَةَ
 الدرهم على رأس الدرهم، فكان أقل، فطرح حبتين أيضًا، ثم قال لأبيه:
 ليس فيه شيء، وينقص حبتين.

ونظر يومًا إلى السماء، فقال: ما أخْلَفَهَا بالمطر لو «كان» متغيمًا.

ورأوه يوماً في السوق يَغْدُو فقالوا: ما شأنك؟ قال: مَرَّتْ بِكُمْ جَارِيَةٌ
رجل مخضوب اللحية؟

واجتاز يوماً بباب الجامع فقال: لِمَنْ هَذَا الْقَصْر؟ قالوا له: هَذَا مَسْجِدُ
الجامع. قال: رَحِمَ اللَّهُ جَامِعًا. مَا أَحْسَنَ مَا بَنَى مَسْجِدَهُ؟

وذهبت أمه في عرس، وتركته في البيت، وقالت له: احفظ الباب
فجلس إلى الظهر. فلما أبطأت عليه قام، فقلع الباب، وحمله على عاتقه.
ونظر إلى رجل مقيد - وهو مغتم فقال له: ما غمك؟ إذا نزع عنك
فثمته قائم، ولبسه ربح.

وماتت خالته فقالوا: اذهب، واشتر لها حنوطاً، فقال: أخشى ألا ألقى
الجنزة.

وتبخر يوماً فأحرق ثيابه، فقال: وَاللَّهِ لَا تَبْخُرْتُ أَبَدًا إِلَّا عُرْيَانًا.

لما قدم أبو مسلم العراق قال ليقطين بن موسى: أحب أن أرى جحا.
قال: فوجه يقطين إليه فدعاه، وقال: تهيأ حتى تدخل على أبي مسلم فإذا
دخلت عليه فسلم، وإياك أن تتعلق بشيء دون أن تشتد فإني أخشاه عليك.
قال: نعم.

فلما كان من الغد، وجلس أبو مسلم وجه يقطين إليه فدعاه، فأدخل
على أبي مسلم - وهو في صدر المجلس - ويقطين إلى جنبه، فسلم، ثم
قال: يا يقطين، أيكما أبو مسلم؟ فضحك أبو مسلم حتى وضع يده على
فمه، ولم يكن رأيي قبل ذلك ضاحكاً.

وأراد جحا الخروج إلى ضيعة، فقيل له: أحسن الله صحابتك، فقال:
الموضع أقرب من ذلك.

وعُجِنَ فِي مَنْزِلِهِ، فَطَلَبُوا مِنْهُ حَطْبًا. فَقَالَ: إِنَّ لَمْ يَكُنْ حَطْبٌ فَاحْبِرُوهُ
فطيرًا.

ولما حَذِقَ الكتابةَ والحسابَ بعث به المعلم مع الصبيان إلى أبيه، فقال له أبوه كمَ عشرين في عشرين؟ قال: أربعين ودانقين. فقال: وكيف صارَ فيه «دانقين»؟ قال: كان فيها دِزهم ثقيلٌ.

أكلَ جحاً يوماً مع قوم رؤوساً، فلَمَّا فرغ من الأكل دعا للقوم، وقال: أطعمكم الله من رؤوس أهل الجنة.

وضرط أبوه يوماً، فقال جحاً: على أيري، فقال أبوه: وَيَلِكَ أيش قُلْتَ؟ قال: حسبتك أمي.

وماتت أمه فجعل يبكي، ويقول: رَحِمَكِ اللهُ فلقد كان بابك مفتوحاً ومتاعك مندولاً.

دخل البيت، وإذا جاريةُ أبيه نائمةً، فاتكأَ عليها، فانتهت، وقالت: مَنْ ذَا؟ قال اسكتي، أنا أبي.

ورأوه في جنازة أبي العباس النحوي وهو يقول: يا أبا العباس، رحمك الله مَنْ حُرْمَتْنَا بعدك يا أبا العباس.

وسمع قائلاً يقول: ما أحسنَ القمر؟ فقال: أي واللَّهِ خاصةً بالليل.

وجاز بقوم في كُمه خوخٌ، فقال لهم: مَنْ أخبرني بما في كُمي فله أكبر خوخة فيه؟ قالوا: خوخٌ. فقال: ما قال لكم إلا من أمه زانيةٌ.

وقال له أبوه يوماً: احمل هذا الحُبَّ^(١) فقَيِّره^(٢). فذهب به، وقَيِّره من خارج. فقال أبوه: أسخَنَ اللهُ عينك: رأيت مَنْ قَيَّرَ الحُبَّ من خارج؟ فقال جحاً: إن لم تَرَضْ - عافاك اللهُ - فاقبله مثل الخُفِّ حتَّى يصيرَ القَيِّر من داخل.

وبات ليلةً مع صبيانٍ له، فجعلوا يفسون، فقال لامرأته: هذا - واللَّهِ - بليَّةٌ.

(٢) قَيِّره: طلاه بالقار.

(١) الحُبُّ: الجرة، أو الضخمة منها.

قالت دَعْهُمْ يَفْسُونَ فَإِنَّهُ أَدْفَأُ لَهُمْ . فقام : وَخَرَى وَسَطَ الْبَيْتِ ، ثم قال :
أُنْبِئِي الصَّبِيَانَ حَتَّى يَضْطَلُّوا بِهَذِهِ النَّارِ .

قيل له : ما لوجهك مستطيلاً؟ قال : وُلِدْتُ فِي الصَّيْفِ ، وَلَوْلَا أَنْ
الشُّتَاءَ أَدْرَكَهُ لَسَالَ وَجْهِي .

ورئي يوماً مَعْمُومًا ، فقيل له : مَا لَكَ؟ قال : وَقَعْتُ أُمِّي مِنَ السَّطْحِ
عَلَى مَذَاكِرِهَا .

وأخذ بَوْلَهُ فِي قَارُورَةٍ ، فَأَتَى بِهِ الطَّبِيبَ ، فَقَالَ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْقَطِعَ إِلَى
بَعْضِ الْمُلُوكِ ، فَاَنْظُرْ : هَلْ أُصِيبُ مِنْهُ خَيْرًا؟

وكان في دارهم شجرة تين ، وكانت الدار لأُمِّه ، فدعا أبوه قومًا
فسكروا ، وجعلوا يَبُولُونَ فِي الْبِسْتَانِ ، فقال لأُمِّه : يَا أُمَّه ! هُوَ ذِي يَبُولُونَ فِي
أَضْلَ تَيْتِكَ .

وماتت ابنة له فذهب ليشتري لها كفنًا ، فلما بلغ البزازين رجع مسرعًا .
فقال : لَا تَحْمِلُوهَا حَتَّى أَجِيءَ أَنَا .

ومرَّ فِي الْمِيدَانِ فَرَأَى قَصْرًا مَشْرِقًا ، فوقف ينظر إليه ، ويتأمله طويلًا ،
ثم قال : أَتَوْهُمُ أَنِّي رَأَيْتُهُ فِي مَجَلَّةِ بَنِي فُلَانِ .

ودخل البستان فتعلَّق ثوبه بشجرة ، فالتفت ، وقال : لولا أنك بهيمة
لكسرتُ أنفك .

وخرج يوماً بمقم يستقي فيه من ماء النهر ، فسقط من يده وغرق فقعد
على شط النهر ، فمرَّ به صاحب له ، فقال : ما يُقْعِدُكَ هَا هِنَا؟ قال : قمم لي
قد غرق وأنا أنتظر أن ينتفخ ويطفو فوق الماء .

واشترى يوماً نفاق فانقضَّ عليه عقابٌ ، وانتسف بعض الثفائق فطار به
فنظر إليه ، وقال : يَا شَقِيٌّ ، وَمَنْ أَيْنَ لَكَ خَرْدَلٌ تَأْكُلُهُ بِهِ؟

وأسلمته أمه في البزازين ، فقالت له بعد حولين : توجهت في شيء؟

قال: نعم، تعلمت نصفَ العمل، قيل: وما تعلمت؟ قال: تعلمتُ النَّشْرَ وبقِي الطَّيِّ.

وقيل له - وكانَ بَرِيءَ من جراحة أصابته: بم تداويت؟ قال: بدم الوالدين. يُريد دمَ الأخوين.

وركب يوماً حمارًا، وعقر ذنبه، فقالوا: لِم فعلت ذلك؟ فقال: لأنَّه يقدِّمُ سَرَجَه.

وتعلَّق بِلِصِّ في بعض الليل، فصاح اللُّص: قُرحتي فخلاه حتى مرَّ وقال: خشيتُ أن أوجعَه.

وكان نقشُ خاتمه: عشاءَ الليل رَدِيءٌ.

وأخذَه صاحبُ المصلحة فقدمه إلى الوالي، فقال: رأيتُ هذا يجلدُ عميرة. فقال: احبسوه. فلقيهُ صديقٌ له، فقال: ما حالك؟ قال: قصتي عجيبةٌ، لا «يَدَعُونَا» ننيكهم. فإذا نكنا أنفَسْنَا حَبَسُونَا.

نوادر أشعب (١)(٢)

كان يقول: كلبي كلبٌ سَوءٌ، يبصبصُ للأضياف وينبح أصحاب الهدايا.

وأشعبُ هذا هو الموصوفُ بالطمع، وقيل له: ما بلغ من طمعك؟ قال: لم تَقُلْ هذا إلا وفي نفسك خيرٌ تصنعه بي.

ومن عجيب أخباره أنه لم يمت شريفٌ قط من أهل المدينة إلا استعدى أشعبَ على وصيته، أو وارثه، وقال له: احلف أنه لم يُوص لي بشيء قبل موته.

(١) نثر الدرر للآبي ٢١٢/٣ - ٢١٥.

(٢) أشعب الطماع: هو أشعب بن جببر، نشأ في المدينة في دور آل أبي طالب، ربته وكفلته عائشة بنت عثمان بن عفان (الأغاني ١٩/١٣٥).

وقيل له: لقد لقيت رجلاً من أصحاب النبي ﷺ، فلو حفظت أحاديث تتحدثُ بها؟ قال: أنا أعلمُ الناسَ بالحديث. قيل: فحدثنا. قال: حدثني عكرمة عن ابن عباس، قال: خلّتان لا تجتمعان في مؤمنٍ إلا دخلَ الجنةَ. ثم سكت. قيل له: هات، ما الخلتان؟ قال: نسي عكرمة إحداهما، ونسيتُ أنا الأخرى.

قال بعضهم: قلت له: لو تحدثتِ عندي العشيّة! فقال: أخافُ أن يجيء إنسانٌ ثقيلٌ: قلتُ: ليس معنا ثالثٌ. فمضى معي، فلما صليتُ دعوتُ بالعشاء، فلم يلبث أن جاء صديقٌ يدق الباب، فقال أشعبُ: ترى قد صرنا إلى ما نكره؟ قال: قلتُ له: عندي فيه عشرُ خصالٍ لا يكرهُ منها خصلةٌ، فإن كرهتَ واحدةً لم أذنُ له. قال: هات. قلتُ: أولاهن أنه لا يأكلُ. فقال: التسعُ الباقيةُ لك. أدخِله.

وكان أشعبُ لا يُعْبُ طعامَ سالم بن عبد الله بن عمر فاشتهدى سالمٌ أن يأكل مع بناته. فخرج إلى بستان له، فجاء أشعبُ فخبّر بالقصة، فاكترى جملاً بدرهم. فلما حاذى حائطَ البستان. وثب، فصار عليه. فغطى سالمُ بناته بثوبه، وقال: بناتي بناتي. فقال أشعبُ: إنك لتعلم ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ﴾ [هود: ٧٩].

قيل: بعثت أمُّ أشعب، فضربت، وحلقت، وحملت على بغير يُطاف بها، وهي تقول: من رأني فلا يزنين، فأشرفت عليها ظريفةً من أهل المدينة، فقالت لها: إنك لمطاعة! نهانا اللهُ عنه، فما ندعه، ونَدعه لقولك.

كان زياد بن عبد الله الحارثي، على شرطة المدينة، وكان مبخلاً على الطعام فدعا أشعب في شهر رمضان ليفطر عنده، فقدمت إليه في أول ليلة بصليّة معقودة، وكانت تُعجبه، فجعل أشعب يُمعنُ فيها - وزياد يلمحه - فلما فرغوا من الأكل قال زياد: ما أظنُّ أن لأهل السّجن إماماً يصلّي بهم في هذا الشهر فليصلّ بهم أشعبُ. فقال أشعبُ: لو غير ذلك - أضلحك الله قال: وما

هُوَ؟ قَالَ: أَخْلِفُ أَنِّي لَا أَذُوقُ بَصَلِيَّةً أَبَدًا. فَخَجَلَ زِيَادٌ، وَتَغَافَلَ عَنْهُ.

قَالَ أَشْعَبُ: جَاءَتْنِي جَارِيَةٌ بِدِينَارٍ، وَقَالَتْ هَذِهِ وَدِيعَةٌ عِنْدَكَ فَجَعَلْتُهُ بَيْنَ يَدَيْ الْفَرَّاشِ، فَجَاءَتْ بَعْدَ أَيَّامٍ فَقَالَتْ: بِأَبِي الدِّينَارِ. فَقُلْتُ: ارْفَعِي الْفَرَّاشَ، وَخُذِي وَلَدَهُ. وَكُنْتُ تَرَكْتُ إِلَى جَنْبِهِ دِرْهَمًا، فَتَرَكْتُ الدِّينَارَ، وَأَخَذْتُ الدِّرْهَمَ وَعَادَتْ بَعْدَ أَيَّامٍ فَوَجَدْتُ مَعَهُ دِرْهَمًا آخَرَ، فَأَخَذْتُهُ.

وَعَادَتْ فِي الثَّلَاثَةِ كَذَلِكَ، فَلَمَّا رَأَيْتُهَا فِي الرَّابِعَةِ بِكَيْثٍ، فَقَالَتْ: مَا يُبْكِيكَ؟ قُلْتُ: مَاتَ دِينَارُكَ فِي النُّفَاسِ، قَالَتْ: وَكَيْفَ يَكُونُ لِلدِّينَارِ نِفَاسٌ؟ قُلْتُ: يَا فَاسِقَةٌ تُصَدِّقِينَ بِالْوَلَادَةِ، وَلَا تُصَدِّقِينَ بِالنُّفَاسِ!

سَأَلَ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو أَشْعَبَ عَنْ طَمَعِهِ، فَقَالَ: قُلْتُ لِصَبِيَّانَ مَرَّةً: اذْهَبُوا هَذَا سَالِمٌ قَدْ فَتَحَ بَيْتَ صَدَقَةِ عَمْرٍ حَتَّى يُطْعِمَكُم تَمْرًا، فَلَمَّا اخْتَسَبُوا ظَنَنْتُ أَنَّهُ كَمَا قُلْتُ لَهُمْ، فَغَدَوْتُ فِي أَثَرِهِمْ.

وَقِيلَ لَهُ: مَا بَلَغَ مِنْ طَمَعِكَ؟ قَالَ: أَرَى دُخَانَ جَارِي فَأُتْرِدُ.

وَقِيلَ لَهُ أَيْضًا: مَا بَلَغَ مِنْ طَمَعِكَ؟ قَالَ: لَمْ أَرِ اثْنَيْنِ قَطُّ يَتَسَارَّانِ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنَّهُمَا يَأْمُرَانِ لِي بِشِيءٍ.

وَقِيلَ أَيْضًا: مَا بَلَغَ مِنْ طَمَعِكَ؟ قَالَ: مَا رَأَيْتُ عَرُوسًا بِالْمَدِينَةِ تُزْفُّ إِلَّا كُنَسْتُ بَيْتِي، وَرَشَّشْتُهُ طَمَعًا فِي أَنْ تُزْفَّ إِلَيَّ.

وَوَقَفَ عَلَى رَجُلٍ خَيْرَانِيٍّ - وَكَانَ يَعْمَلُ طَبَقًا - فَقَالَ لَهُ: وَسَّعُهُ قَلِيلًا. قَالَ الْخَيْرَانِيُّ: وَمَا تُرِيدُ بِذَلِكَ؟ كَأَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَشْتَرِيَهُ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ يَشْتَرِيهِ بَعْضُ الْأَشْرَافِ، فَيُهْدَى إِلَيَّ فِيهِ شَيْئًا.

وَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ: أَمَّا تَسْتَحِي - وَعِنْدَكَ مَا أَرَى - مِنْ أَنْ تَسْأَلَ النَّاسَ؟

قَالَ: مَعِيَ مِنْ لُطْفِ الْمَسْأَلَةِ مَا لَا تَطِيبُ نَفْسِي بِتَرْكِهِ.

وَكَانَ أَشْعَبُ يَحَدِّثُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ، فَيَقُولُ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ

وكان يُغضني في الله .

وجلس يوماً في الشتاء إلى رجل من ولد عُقبة بن أبي مُعَيْطٍ، فمرَّ به حسنُ بن حسن، فقال: ما يُقعدُك إلى جنب هذا؟ قال: أضطلي بناره .

ولما مات ابن عائشة المغنِّي جعل أشعب يبكي، ويقول: قلت لكم زوجوا ابنَ عائشة من الشماسية حتى يخرجَ بينهما مزامير داودَ، فلم تفعلوا ولكن لا يُغني حذرٌ من قدر .

ولما أُخرجت جنازة الصَّريمية المغنِّيَّة كان أشعبُ جالساً في نفر من قريش فبكى عليها، وقال: اليوم ذهب الغناء كله . وترحمَ عليها، ثم مسحَ عينيه، والتفت إليهم، وقال: وعلى ذلك فقد كانت الزانية شرَّ خلق الله فضحكوا، وقالوا: يا أشعبُ، ليس بين بكائكَ عليها، وبين لغنك إياها فرق . قال: نعم كنا نحبها الفاجرة بكبش إذا أزدنا أن نزورها فتطبخ لنا في دارها . ثم لا تُعشينا - يشهد الله - إلا بسلق .

وجاز به يوماً سبَّط لابن سُريج، وهو جالس في فتية من قريش، فوثب إليه، وحمله على كتفه، وجعل يُزقضه ويقول: فديت من ولد على عود، واستهل بغناء، وحنك، بحلوى، وقطعت سرته بزير، وختن بمضراب .

وتبع مرة امرأةً فقالت له: وما تصنعُ بي ولي زوج؟ قال: فتسري بي، فديتك .

وقيل له: هل رأيت أطمع منك؟ قال: نعم . كلب أم حومل، تبني فرسخين، وأنا أمضع كندراً، ولقد حسدته على ذلك .

وخففت الصلاة مرةً، فقال له بعض أهل المسجد: خففت الصلاة جداً! قال: لأنه لم يُخالطها رياء .

وقال له رجل: ضياع مغروفي عندك . قال: لأنه جاء من غير محتسب ثم وقَّع عند غير شاكر .

قيل له: هل رأيت أحداً أطمع منك؟ قال: نعم، خرجتُ إلى الشام مع رفيق لي، فنزلنا بعض الديارات، فتلاخينا. فقلتُ: أير هذا الزاهب في جر أم الكاذب. فلم نشعر إلا بالزاهب قد أطلع علينا، وقد أنعظ، وهو يقول: أيُّكم الكاذب؟

ودخل يوماً إلى بعض الرؤساء - وهو يختجم فقال له أشعب: حَجَمَكَ بنوك.

كان أشعب عند الحسن بن الحسن بن علي عليهم السلام، فدخل عليهم أعرابي مشعث اللمة، قبيح الخلقة متنكباً قوساً. فقال أشعب للحسن: أتأذن أن أسلح عليه فسمعه الأعرابي، فوضع سهمًا في كبير قوسه، وفوقه نحو أشعب وقال: لئن فعلت ليكوننَّ آخر سلح تسلحه أبداً. فقال أشعب للحسن: يا سيدي، أخذني والله القولنج.

قال رجل لأشعب - وكان صديق أبيه - : يا بني كان أبوك عظيم اللحية، فمن أشبهت أنت؟ قال: أشبهت أمي.

نوادِر السُّؤال (١)

قال بعضهم: رأيتُ سائلاً ببغداد في الزياتين - وهم أنصب من في الأرض - يسأل، ويقول: تصدَّقوا عليَّ حُباً وكرامةً لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وليس يلتفتُ إليه أحد، ولا يُعطيه شيئاً. فدفعْتُ إليه درهماً، وقلتُ في نفسي: إن هذا المسكين لا يعرف هؤلاء وبُعْضهم لعلِّي عليه السلام فأخذ الدرهم منِّي، وقال: يا صاحب الصَّدقة، إن كنت تصدَّقت بها عليَّ وفي قلبك بُغْضٌ لأبي بكر، وعمر، وعثمان، وفلان، وفلانٍ ومعاوية خال المؤمنين رديف المصطفى، وكاتب الوحي فقطع الله يديك ورجلك وأعمى عينيك.

(١) نثر الدر للآبي ٣/٢١٦-٢١٩.

قال: فأخذته الدراهم من كل جانب، وبقيت أنا متحيراً، ثم مضى فلحظته. فعلم ما في قلبي، فقال: يا فتى على رسلك! عندك أن هؤلاء القرآنية^(١) لا يصدقون عليّ إلا بمثل هذه الحيلة.

جاء سائل إلى قوم فسألهم، فردوا عليه، وألح عليهم فردوا، فألح، فخرج إليه بعضهم فقال: عافاك الله. أما سمعت الرد؟ قال: ولكنكم غمتموني فأردت أن أغتمكم يا قرآنية.

وقف سائل على قوم، فقال بعضهم: بضاعتنا واحدة. فقال السائل: أنا أقود على أمتي.

أعطيت سائل كسرة صغيرة. فقال: رحم الله من تممها لُقمة. قال بعضهم: رأيت ببغداد مكفوفاً يقول: من أعطاني حبة سقاه الله من الحوض على يد معاوية، فتبعته حتى خلوت به، ولطمته، وقلت: يا كذا عزلت أمير المؤمنين عن الحوض، فقال: أردت أن أسقيهم بحبة على يد أمير المؤمنين عليّ عليه السلام؟ لا، ولا كرامة.

سأل أبو فرعون رجلاً، فمنعه. فألح عليه فأعطاه فقال: اللهم اخزنا وإياهم، نسألهم إلحافاً، ويعطوننا كرهاً، فلا يبارك الله لنا فيها، ولا يأجرهم عليها.

وقف سائل على باب، فقال: يا أهل الدار. فبادر صاحب الدار قبل أن يتم السائل كلامه، وقال: صنع الله لك، فقال السائل: يابن البظراء كنت تصبر حتى تسمع كلامي عسى جئت أدعوك إلى دعوة.

وقف أعرابي سائل على باب، وسأل. فأجابه رجل: ليس ها هنا أحد، قال: إنك لأحد لو جعل الله فيك بركة.

قال الجمّاز: سمعت سائلاً يقول: من يعطيني حُباً لأمينين: جبريل ومعاوية؟

(١) القرآنية: جمع قرنان، وهو الذبوث المشارك في قرينته.

وقف سائل على باب وكانت صاحبة الدار تبول على البالوعة. فحسب السائل أن صوت بولها نشيش المقل، فقال: أطعمونا من هذا الذي تَقْلُونِه. فضرطت المرأة، وقالت: حطبنا - وحياتك - رطب ليس يشتغل وكان آخر يقول: مَنْ يعطيني قطعة حُبًّا لهندِ حماة النبي.

ووقف سائل بباب (المافروخي) عامل الأهواز، وسأل فأعطوه لقمة من حُبز، فسكت ساعة، ولم يبرح، ثم صاح، وقال: هذا الدواء لأي شيء ينفعني؟ وكيف أخذه؟

وقف سائل على باب قوم فقال: تصدقوا عليّ فإنني جائع، قالوا: لم نخبز بعد، قال: فكفت سويق؟ قالوا: ما اشترينا بعد. قال: فشرية ماء فإنني عطشان، قالوا: ما أتانا السقاء بعد. قال: فيسير دهن أضعه على رأسي. قالوا: ومن أين لنا الدهن؟ فقال: يا أولاد الرنى، فما تعودكم ها هنا؟ قوموا وسلوا معي.

وقف سائل على باب دار فقال: تصدقوا عليّ، فقالت جارية من الدار: ما عندنا شيء نعطيك، وسيتي في المأتم، فقال السائل: أي مأتم أعظم من مأتمكم إذا لم يكن عندكم شيء؟

وقف آخر بباب دار، فسأل، فقال صاحب الدار: أغناك الله، فليس صبيانا ها هنا. قال: إنما طلبت كسرة، لم أطلب الجماع.

وقف آخر بباب فقال: أوسعوا عليّ مما رزقكم الله فإنني في ضيق. فقال صاحب الدار: إن كنت في الدهليز في ضيق فادخل الدار فإنه أوسع لك.

فقال السائل: إنما قلت: تأمر لي بشيء قال: قد أمرتك أن تشتري لابني قلنسوة.

فقال السائل: «أيش» تريد مني يا هذا؟ قال: أريد منك عشرة دراهم أؤديها عن كرا الدار. فولى السائل هاربا.

وقف أعرابيٌّ على قوم يسألهم، فقال أحدُهُم له: بُورك فيك. وقال آخرٌ ما أكثر السُّؤال؟ فقال الأعرابيُّ: تُرانا أكثر من «بُورك فيك»؟ والله لقد علّمكم الله كلمة ما تُبالون ولو كُنا مثل ربيعة ومُضر.

وقف آخرٌ على باب، فأجابته امرأةٌ من الدار: ما خبزنا اليوم. قال: فأعطني كفّ دقيق. قالت: ما اشترينا بعدُ دقيقًا. قال: فاستقرضي من الجيران رغيفًا، قالت: لا «يقرضونا». قال: قد أحسنُوا يا زانية. تستقرضين، ولا تردّين، لا يُقرضونك!

وقف سائل على إنسان - وهو مقبلٌ على صديق له يحدثه، ويتغافل عن السائل - ثم قال له بعدُ ساعة طويلة: صنع الله لك. فقال له السائل: أين كان هذا يا سيدي إلى هذا الوقت؟ كان في الصُّندوق؟

وكان رجل ببغداد من الشحاذين فكان دأبه أن يترصد إقبال الربيع، فيطلبُ وردةً أول ما تطلع، وقبل أن يراها الناسُ فيأخذها، ويحملها إلى الحدائين، ويبشّرهم بمجيء الصيف، وحاجة الناس إلى التعال، فيجُبون له شيئًا، ويعطونه وإذا أقبل الخريف عمَد إلى جزيرة قبل أن يرى الناسُ الجزر، ويهديها إلى الخفّافين، ويبشّرهم بمجيء الشتاء. فما زال هذا يتعيّش منه طول عُمره.

وكان رجلٌ منهم معه صحيفة، ودواة، فكان يتقدّم إلى الرجل من أهل السوق وغيرهم، فيسأله أن يُعطيه شيئًا، ثم يقول له: أنا أُرضى بدرهم واحد تُعطينيه في مثل هذا اليوم من السنة القابلة، فيستحي الرجلُ فيقول: أثبت لي خطّك بهذا الدرهم الواحد، فيأخذ خطّه، ويعود في القابل، وفي اليوم الذي يكون قد أُرّخه فيأخذ منه ذلك، فكان يجتمع له في كلّ سنة جملةٌ جائلةٌ.

سمع رجل سائلًا في مسجد الكوفة يقول: أسألكم بحقّ أبي بكر وعمر، فما أعطاه أحدٌ شيئًا، فقال: ليس لهؤلاء القوم ها هنا جاء رأي أبو القمقام الهلال على وجه قصرية فقال لها: اضحكي في وجهي، وخذي هذا

الدينار منِّي، فاستظرفته، وأخذت منه الدينار عبثًا، فقال: قد تفاءلت بوجهك، فما لي عندك؟ قالت: أردُّ دينارًا، قال: هذا كما كُتِّبَ فأين حلاوة الفأل؟ وصدقت، فأعطته دينارًا. فقال: التجارة بركة والخديعة يُمنّ.

وكان على عصا ساسان المكري مكتوبًا بالذهب: الحركة بركة، الطراوة سُفْتَجَة، الكسل سُؤْمٌ، التمييزُ جُرْمٌ.

حكى بعضهم قال: سَمِعْتُ ابن سكرة يقول: كان شَرَطِي مع خَمْرَة وهي التي يشبُّ بها في شِعْره، وفيها يقول: [المتقارب]

لِخَمْرَة عِنْدِي حَدِيثٌ يَطْوُلُ رَأْتَنِي أَبُو لُفَكَادَتِ تَبْوُلُ
أَنْ أَعْطَيْهَا عَلَيَّ كُلَّ فَرْدٍ أَرْبَعَةَ دَوَانِيْقٍ، قَالَ: فَجَاءَنِي يَوْمًا فَأَعْطَيْتُهَا
دَرْهَمَيْنِ وَنَكْتَهَا مَرَّتَيْنِ. وَلَمْ يَنْتَشِرْ عَلَيَّ فِي الثَّلَاثِ؛ فَأَرَدْتُ ارْتِجَاعَ قِسْطِ
الْوَاحِدِ مِنْهَا، وَامْتَنَعَتْ مِنْ ذَلِكَ، فَبَيْنَا نَحْنُ فِي ذَلِكَ إِذْ وَقَفَ سَائِلٌ عَلَيَّ
الْبَابِ، وَدَعَا وَسَأَلَ. فَقُلْتُ لَهُ: ادْخُلْ فَدَخَلَ. فَقُلْتُ: لَيْسَ يَحْضُرُنِي، وَلَكِنْ
نَيْكَ هَذِهِ، فَقَدْ اسْتَوْفَتْ جَذْرَهَا. قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِهَا، وَدَخَلَ الْبَيْتَ، وَنَاكَهَا،
وَخَرَجَ وَأَيْرُهُ فِي يَدِهِ - وَهُوَ يَقْطُرُ، وَيُشِيرُ إِلَيْهِ، وَيَقُولُ لِي: ثَقُلَ اللَّهُ بِهَذَا
مِيزَانِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

نوادر المعلمين^(١)

قال بعضهم: مررت ببعض سكك البصرة وإذ معلّم قد ضرب صبيًا، وأقام الصبيان صفًا، وهو يقول لهم: اقرؤوا. ثم جاء إلي صبيّ بجنب الصبي الذي ضربه، فقال: قل لهذا يقرأ، فإنّي لستُ أكلّمه.

قال أبو عثمان: كان ابنُ شُبْرمة لا يقبلُ شهادة المعلم، وربما قبل شهادة المؤدّب.

وكان يحيى بنُ أكتَم أسوأ الناس رأيا فيهم.

(١) نثر الدر للآبي ٣/ ٢٢٠ - ٢٢٥.

وكان السنديُّ بنُ شاهك لا يستحلف المكارِي، ولا الحائك، ولا الملاح، ويجعل القولَ قولَ المدعي ويقول: اللهم إني أستخيرك في الحمال ومعلم الكتاب.

وصف بعضهم معلماً فقال: هو أفره الناسِ وصيفاً، وأكثرهم رغيماً.

قال بعضهم: مرزتُ بمعلم وإذا صبيانه يلعبون، ويقتتلون؛ فقلتُ للمعلم: ما بال صبيانك «ليسوا» يفرقون منك! قال: وأنا أيضاً لستُ أفرقُ منهم.

قال: وقال غلام لأبيه: لا أريد هذا المعلم. فقال له أبوه: ما له؟ قال: يضنعُ بي أمراً عظيماً. قال: يستخديمك؟ قال: أشد من ذلك. قال: فيضربك؟ قال: أشد من ذاك، قال: فيغفجك؟ قال: أشد من ذاك. قال: فأئي شيءٍ ويلك يفعل بك؟ قال: يأكل عداي.

قال: كان معلمٌ يقيمُ الصبيانَ صفين، ويتكىء صبيين بيديه، ويقول: أربعة أربعة: ستة. فقلت له: إذا كان أربعة وأربعة ستة، فكم يكون ثلاثة وثلاثة؟ قال: صدقت. لم آخذ جذره.

وكان لأبي داود المعلم ابن، فمرض، فلما نزع قال: اغسلوه. قالوا: لم يمت بعد. قال: إلى أن يفرغ من غسله ما قد مات.

وقال شريكه: تعلم الصبيان - وعليك قميصٌ جديدٌ، فيسودونه عليك؟ قال: قد اشتريتُ قطناً وقلت لأهلنا: يغزلون قميصاً خلقاً.

قال: مررتُ يوماً بمعلم - والصبيانُ يخذفون عينه بالقصب - وهو ساكتٌ - فقلت: ويحك! أرى منك عجباً. فقال: وما هو؟ قلت: أراك جالساً والصبيانُ يخذفون عينك بالقصب! فقال: اسكت، ودعهم. فما فرحي والله إلا أن يُصيبَ عيني شيءٌ، فأريك كيف أنتفُ لِحى آبائهم.

كان بحمص معلمٌ يُكنى أبا جعفر يتعاطى علمَ الحساب، فصارت إليه يوماً امرأة، فقالت: يا أبا جعفر: ففيز دقيق بثمانية دراهم كم يصيبي بأربعة

دراهم؟ فقال لها، بعد أن فكَّر: في هذه المسألة ثلاثة أقوال: أحدهما أن تُعطي الرجل أربعة أخرى، وتأخذي قفيزًا، والآخر: لك قفيزٌ إلا بأربعة دراهم. والثالث: تدفعين دزهم درهم، وتأخذين مَكُوكَ مَكُوكَ حتى «تستوفين».

وصار إليه ثلاثة روز جارتين، قد أخذوا أجرتهن درهمين فقالوا: يا أبا جعفر، كيف نُقتسم الدرهمين ونحن ثلاثة؟ قال: أسقطوا منكم واحدًا، وخذوا درهمًا درهمًا. قالوا: سبحان الله!! كيف نُسقط أحدنا وقد عمل؟ قال: فزيدوا واحدًا، وخذوا نصفَ نصف. قالوا: كيف نزيد فينا من لم يعمل ويأخذ كرانًا؟ قال: فخذوا نصفًا نصفًا واشتروا بالباقي تمرًا، وكلوه.

وسألته امرأة، فقالت: أربعة أرطال تمر بدرهم، كم يُصيّبني بدانق ونصف؟ ففكَّر ساعةً طويلة، وأدخل يديه تحت ذَيْلِهِ، وجعل يحسبُ بهما ثم أخرج يديه وقد جمعهُما، وقال: كُتلةٌ مثل هذه كبيرة.

قال بعضهم مررتُ بمعلم وهو جالسٌ وحده، وليس عنده من الصبيان أحدٌ، فقلتُ له: يا معلّم، ما فعل صبيانك؟ فقال: خلف الدور يتصافعون. فقلتُ: أريد أن أنظر إليهم، فقال: إن كان ولا بُدَّ فغطَّ رأسك، لا يحسبونك أنا «يفصفعوك».

قال: ورأيتُ معلّمًا وقد جاء غلامان قد تعلق أحدهما بالآخر، وقال يا معلّم، هذا عضوٌ أذني، فقال الآخر: واللّه ما عضضتها، وإنما هو عضوٌ أذن نفسه. فقال له المعلم: يابن الخبيثة، صار جَمَلًا حتى يعضّ أذن نفسه؟

وقال: رأيتُ معلّمًا بالكوفة، وهو شيخٌ مخضوبُ الرأس واللحية، وهو يجلس يبكي فوقفتُ عليه، وقلتُ: يا عمّ: ممّ تبكي؟ فقال: سرق الصبيان خُبزي.

قال: وسمعتُ معلّمًا وهو يقرئ صبيًا: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلِمَةٍ بِالْبَصْرِ﴾ [القمر: ٥٠] والصبيُّ يقول: كلحم بالبصل. فقال له: يا فاعل،

أحسبُك تشتهي بصليَّة قال: وقرأ صبيُّ على معلِّم: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا نُتِفِقُوا
عَلَيْكَ مِّنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ٧] فقال المعلم: من عند أبيك القرئان
أولى؛ فإنَّه كثير المال يا بن الفاعلة هو ذا؟ تُلزِم النبيَّ نفقةً لا تجبُ عليه.
أعجبك كثرة ماله؟

قال: ورأيتُ معلِّمًا وقد جاء صبيُّ، فصَفَّعه صَفْعَةً محكمة، فقال له
المعلِّم: أيهما أضلُّب: هذه أم التي صَفَّعتُك أمس؟

قال: وكان بالمدينة معلِّم يُفَرط في ضَرْب الصبيان، ويشتمهم فلاموه
على ذلك، فسألني أن أفعدَّ عنده، وأشاهد حاله معهم، فقعدتُ عنده، فإذا
بصبيِّ يقول: يا معلِّم: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الحجر: ٣٥]
فقال: عليك وعلى أبويك.

وجاء آخر، فقال: يا معلِّم: ﴿فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَاجِعٌ﴾ [الحجر: ٣٤] قال:
ذاك أبوك الكَشْحَان^(١).

وجاء آخر، فقال: يا معلِّم: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنَكِّحَكَ﴾ [القصص: ٢٧] قال:
انكح أمك الفاعلة.

وقال آخر: يا معلِّم: ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ [هود: ٧٩]، قال: لا،
ولا كرامة. فلا يزال معهم في مثل هذا وهو يَضْرِبُهُمْ وَيُزْنِيهِمْ.

قال: ومررت بمعلِّم وقد جاء صبيُّ صغير، فصَفَّعه. فقلت له: لِمَ تَدْعُ
هذا الصبيَّ يجترىء عليك؟ فقال: دَعُهُ فَإِنِّي أَشْكُوهُ غَدًا إِلَى أَبِيهِ.

قرأ غلامٌ على معلِّم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّكَ﴾ [النزخرف: ٢٢] فرد عليه المعلم ﴿عَلَيْكَ أُمَّتِي﴾ فقال: على أمك، فلما تَكَرَّرَ
ذلك، قال المعلِّم: قُلْ: على أمي. فقال: على أمي، فقال المعلِّم: على أي
حال إذا وَجَدْتَ أَبَاكَ على أمك (خيرًا) من أن تَجِدَهُ على أمي أنا.

(١) الكشخان: الديوث.

واستفتح غلاماً، فقال: يا معلّم: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ﴾ [القصص: ٢٥] فقال: هاتم نعلّي. فقال الغلام: إنما استفتحتُ فقال: قد أنكرت أن يُفْلح أبوك.

قال معلّم لـغلام: قُلْ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠] فقال: وقد داس من خبأها. فلم يزل يكرّر ذلك عليه إلى أن أعيته العلة. فقال المعلم: وقد داس من خبأها. فقال الغلام: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾. فقال المعلم لأبيه: قد قلت لك إنه لا يُفْلح.

قالوا: إذا قال المعلّم للصبيان: تَهْجُوا ذَهَبَ عَقْلُهُ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا.

وكان بعضُ المعلمين يعلم صبيًا وأمه حاضرة، فقال له: اقرأ وإلا قمتُ ونكتُ أمك. فقالت الأم: إنه صبي، ویتيم، والیتيم فيه لجأج، ولا يؤمن بالشيء حتى يراه.

أراد معلّم أن يتزوج امرأة، كان ابنها عنده، فامتنعت عليه، فأمر بحمل ابنها وضربه، وقال: لم قلتُ لأمك إن أير المعلم كبير؟ فلما رجع الصبي إلى أمه قال: ضربني المعلم وقال لي: كذا، وكذا، فوجّهت إلى المعلم: أحضِرْ شهودك تتزوج، وتزوجته.

قال آخر: مررت بأحدِهِم وصبي يقرأ عليه: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾﴾ [الماعون: ٢] والمعلم يرد عليه: يدعُو الیتيم، ويضربه قال: فجنّت إليه، وقلت: هذا من الأمر بالمعروف، ففسّر.

فقلت: يا شيخ، الصبي على الصواب، وأنت على الخطأ. وإنما معنى يدعُ: يذفع. قال: فزبرني، وأغلظ لي وقال: إنمّا معناه يدعُو الیتيم ليفسق به. قال: فولّيت وقلت: أنت لا ترضى أن تُخطيء حتى تفسّر.

وقال: مررتُ بمعلّم وهو يضرب صبيانه كلهم، فسألته عن الذنب، فقال: يُرْجِفُون بي. قال: بماذا؟ قال: يزعمون أنني أحجّ العام، وأمّ من نوى هذا قحبة.

قال: كان يعلم معلّم صبيّاً: ﴿وَلِذَٰلِكَ قَالَ لِقَمْنُنٍ لِأَبْنَيْهِ﴾ [لقمان: ١٣]، ﴿لَا تَقْصُصْ رُءُوسَ يَأْكُ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥] قيل: ما هذا؟ قال: أبوه يدخل مشاهرة شهر في شهر، وأنا أدخله من سورة في سورة.

وقرأ صبيّ على معلّم: أريد أن أنكحك، فقال: هذا إذا قرأت على أمك الزانية.

وقرأ آخر! وأما الآخر فتصلّب، فقال: هذا إذا قرأت على أبيك القرآن.

قالت امرأة لمعلم: إذا كان مكوك دقيق بدرهم، كم يكون بربع درهم؟ فتحيّر، ثم قال: ممن اشتريت؟ قالت: من فلان الدقاق. قال: اقنعي بما يعطيك فإنه ثقة.

قال جراب الدولة: كان عندنا بسجستان معلّم سخيف اجتزت يوماً به وهو يقول لصبيّ بين يديه: اقرأ يا بن الزانية، فأخذت أوبّخه، فقال: اسكت، فقد نكت أمه كثيراً.

قال أبو دواد لشريكه: يا أبا الحسين، دار جعفر بن يحيى، خير أو دار ورد؟

فأطرق، ثم قال: خيرهما عند الله أتقاهما.

قال بعضهم: مررت بمعلم وهو يتلو، فقلت: ما شأنك يا شيخ؟ قال: ما نمت البارحة من ضربان العروق، فنظرت إليه، وقلت: أنت والله صحيح سليم مثل الظليم. فغضب واستشاط، وقال: أحذكم يضرب عليه عزق واحد فلا ينام كله من الصباح، وأنا يضرب عليّ حزمة عروق، وتريدون مني ألا أصيح؟

فقلت: وأي حزمة تضرب عليك؟ فكشف عن أير مثل أير البغل، وقال: هذا.

قال بعضهم: سألت معلماً: أنت أسنُّ أم أخوك؟ فقال: إذا جاء رمضان استوتينا.

حكى أنه كان في بعض دُروب بغداد معلّم، فاجتاز به أبو عمر القاضي يوماً بزينة تامّة، وهيئة حسنة، فقال المعلم: ترون هذا؟ إن خشخشة ثيابه، وقَعَقَعَة مركبه هو تظلم الأرامل والأيتام.

فبلغ ذلك أبا عمر، فدعاه، وأذناه، وأحسن إليه، فكان إذا رآه بعد ذلك يقول: ما خشخشة ثيابه، وقَعَقَعَة مركبه إلا تسيخ الملائكة وتهلّلهم.

نوادير الصبيان^(١)

قال رجل لابنه: ما أراك تُفْلح أبداً. فقال الابن: إلا أن يرزقني الله مؤدّباً غيرك.

قال بعضهم: أحضرتُ لتعليم المعتز - وهو صغير - فقلت له: بأيّ شيء تبدأ اليوم؟ فقال: بالانصراف.

قال بعضهم: رأيتُ أعرابياً يعاتبُ ابناً له صغيراً، ويذكر حقه عليه، فقال الصبي: يا أبة إن عظم حَقِّك عليّ لا يُبطلُ صغير حَقِّي عليك، والذي تَمَّتْ به إليّ أمّ بمثله إليك، ولست أقول: إنا سواء، ولكن لا يجمل الاعتداء.

عزبّد غلام على قوم، فأراد عمه أن يعاقبه، ويؤدّبّه، فقال له: يا عمّ: إني قد أسأتُ، وليس معي عقلي، فلا تُسيء بي ومعك عقلك.

ونظر دَمِيمٌ يوماً في المرآة، وكان دَمِيمًا، فقال: الحمد لله، خلقتني فأحسن خلقي وصورني فأحسن صورتي، وابن له صغير، يسمع كلامه. فلما خرج سأله رجلٌ - كان بالباب - عن أبيه، فقال: هو بالبيت يكذب على الله.

(١) نثر الدر للآبي ٣/٢٢٦ - ٢٢٨.

كان الفتحُ بن خاقان - وهو صبي - بين يدي المعتصم فقال له، وعرض عليه خاتمه: هل رأيت - يا فتح - أحسن من هذا الفص؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين اليدُ التي هو فيها أحسنُ منه .

وعاد المعتصمُ أباه - والفتحُ صغيرٌ - فقال له: داري أحسنُ أم دار أبيك؟ قال: يا أمير المؤمنين، دار أبي ما دمت فيه .

قال ابنُ أبي ليلي: رأيتُ بالمدينةِ صبيًا قد خرجَ من دار، وبيدهُ عُودٌ مكشوفٌ. فقلتُ له: غطّه لا دُعِزَتْ. قال: أو يُغَطَّى من اللّه شيءٌ. لا تَلْفَتْ .

قال الفرزدقُ لغلامٍ أعجبهُ إنشاده: أيسرُني أنِّي أبوك؟ قال: لا، ولكن أمي، ليصيبَ أبي من أطيبك .

قال البلاذري: أدخَلَ الرّكاضُ وهو ابنُ أربع سنينٍ إلى الرّشيدٍ ليعجب من فطنته، فقال له: ما تحبُّ أن أهَبَ لك؟ قال: جميلَ رأيك فإنِّي أفوزُ به في الدُّنيا، والآخرة؛ فأمرَ له بدنانيرَ، ودراهمَ، فصَبَّت بين يديه . فقال: اختر الأحبَّ إليك، قال: الأحبُّ إلي أمير المؤمنين، وهذا مِنْ هَدَيْن، وضربَ يده إلى الدنانير فضحك الرّشيدُ، وأمر أن يضمَّ إلى ولده ويُجرِي عليه .

اجتاز عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه بصبيان يلعبون، وفيهم عبدُ الله بن الزُّبير، فتهاربوا إلا عبدَ الله فإنّه وقفَ . فقال له عمرُ: لِمَ لم تَفِرْ مع أصحابك؟ قال: لم يكن لي جُرمٌ فأفرَّ منك، ولا كان الطريقُ ضيقًا فأوسَّعهُ عليك .

قال إياسُ: كان لي أخٌ، فقال لي وهو غلامٌ صغيرٌ: مِنْ أيِّ شيءٍ خَلَقْنَا قَلْتُ: مِنْ طِينٍ . فتناول مَدْرَةً، وقال: مِنْ هذا؟ قَلْتُ: نعم . خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ طِينٍ: قال: فيستطيع الذي خَلَقْنَا أَنْ يُعِيدَنَا إِلَى هذا الذي خَلَقْنَا مِنْهُ؟ قَلْتُ: نعم: قال: فينبغي لنا أَنْ نخافَهُ .

قيل لغلام: أتحبُّ أن يموتَ أبوك؟ قال: لا، ولكن أحبُّ أن يُقتلَ

لأرث ديتَه فَإِنَّه فقير .

قَعَدَ صَبِيٌّ مع قوم، فَقُدِّمَ شيء حارٌّ، فأخذ الصَّبِيُّ يبكي، فقالوا: ما يُبكيك؟

قال: هو حارٌّ. قالوا: فاصبر حتى يبرد. قال: أئتم لا تصبرون.

خرج صَبِيٌّ من بيت أمّه في صَحْوٍ، وعاد في مطر شديد، فقالت له أمّه: قَدَيْتُكَ ابني هذا المَطْرُ كُلُّهُ على رأسِكَ يجيء. قال: لا يا أمِّي. كان أكثرُه على الأرض، ولو كان كُلُّهُ على رأسي لَعَرَقْتُ.

وسمع آخر أمّه تبكي في السَّحَرِ، فقال: لِمَ تبكين؟ قالت: ذكرتُ أباك، فاحترق قلبي. قال الصَّبِيُّ: صدقت. هذا وقتُه.

وجّه رجل ابنه إلى السوق ليشتري حبلاً للبئر، ويكون عشرين ذراعاً، فانصرف من بعض الطريق. وقال: يا أبي في عرض كم؟ قال: في عرض مصيبيتي فيك.

وقال آخر لابنه، وهو في المكتب، في أيِّ سورة أنت؟ فقال: لا أقسمُ بهذا البلد، ووالد بلا ولد. فقال: لعمرى مَنْ كنت ولدَه فهو بلا ولد.

وقال آخر لابنه: أين بلغت عند المعلم؟ فقال: الفرج. أراد الفجر. فقال الأب: أنت بعد في حر أمك.

قيل لبعضهم: إن ابنك ينادي، فقال لابنه: ما هذا الذي يُقال؟ قال: كذَّبوا وإنما أنا أنيكمهم: فلما كان بعد أيام رآه وقد اجتمع عليه عدّة من الصبيان ينيكونه، فقال: ممّن تعلمت هذا النيك؟ قال: من أمِّي.

قال ابنُ أبي زيد الحامض: قال لي أبي: يا بني، ليس واللّه تُفْلِحُ أبداً. فقال له: يا أبه! ليس واللّه أُحْنِتُكَ.

جاء صَبِيٌّ إلى أبيه، فقال: يا أبه: قد وجدتُ فأسأ قال: هاته - يا بُني. قال: ليس في رأسه حديدٌ. قال: يا مشؤوم! فقل: وجدتُ وتدا.

نوادير للعبيد والمماليك^(١)

ولي بعض الأمراء مولى بعد غيبة طويلة فقال: أنت في الأحياء بعد، فقال: وأنا أستخير أن أموت قبل مولاي الأمير.

قال بعضهم: رأيتُ في السوق غلامًا يُنادي عليه، فقدمتُ واستعرضته فقال: إن أردت أن تشتريني فاعلم أنني قد حلفت أن لا أنيك مولاي أبدًا حتى ألقى الله فإذا إنّه المسكين كان مُبلىً بصاحب يؤذيه وَيَسْتَيْكِه.

استبَاع^(٢) غلام فقيل: لم تستبيع؟ قال: لأنّ مولاي يُصَلِّي من قعود وينيكني من قيام ويلحن إذا قرأ القرآن ويُعرب إذا زنا بي.

قال الدارمي لغلامه: بأبي أنت وأمي لو كان العتق مثل الطلاق لسررتك بواحدة.

اعترض بعضهم غلامًا أراد شراءه فقال: يا غلام إن اشتريتك تُفْلح؟ فقال: فإن لم تشتري.

قال أبو العيناء: اشترى للوائق عبدً فصيحًا من البادية، فأتيناه وجعلنا نكتب عنه كل ما يقول، فلما رأى ذلك مِنَّا قلب طرفه وقال: «إن تراب قعرها لمُنْهب».

يقال ذلك للرجل يُسَرّ الناس برؤيته لانتفاعهم به وأصل ذلك: أن الحافر يحفر فإن خرج التراب مُرًا علم أن الماء ملح وإن كان طيبًا علم أن الماء عذب فأنبط، وإذا خرج طيبًا انتهبه الصبيان.

اشترى بعضُ الهاشميين غلامًا فصيحًا فبلغ الرّشيد خبره، فأرسل إليه يطلبه، فقال يا أمير المؤمنين: لم أشرته إلا لك، فلما وقف الغلام بين يدي الرّشيد قال له: إن مولاك قد وهبك لي. فقال الغلام: يا أمير المؤمنين ما زلتُ ولا زلتُ.

(١) نثر الدر للآبي ٣/ ٢٢٩ - ٢٣١.

(٢) استبَاع: أي عرض نفسه للبيع.

قال: فَسَّر. فقال: ما زِلْتُ لك وأنا في مِلْكه ولا زِلْتُ عن مِلْكه، فأعجب الرَّشيد به وقَدَّمه.

قال أبو العيْناء: مررتُ بسُوق النَّحَّاسين^(١) بالبصرة، فإذا غلام يُنادي عليه ثلاثين دينارًا والگلام يُساوي خمسمائة دينار، فاشتريته وكنت أبنِي دارًا فدفعت إليه عشرين دينارًا على أن يُنفقها، فلم أزل أصك عليه حتى أنفق نحو العشرة، ثم صككت بشيء آخر، فقال لي: فأين أصل المال؟ قلت: ارفع إليَّ حِسَابك، فرفع حِسَابًا بعشرة دنانير. فقلت: فأين الباقي؟

قال: اشتريتُ ثوبًا مُصمَّمًا^(٢) وقطعته. قلت: من أمرك بهذا؟

قال: إنَّ أهل المُرَوَّات والأقْدار لا يعيَبون على غلمانهم إذا فعلوا فعلاً يعود زينة عليهم. قال: فقلتُ في نفسي: اشتريتُ الأصمعيَّ وابن الأعرابيِّ ولم أدر، وكانت في نفسي امرأة أردت تزوجها فقلت: يا غلام فيك خير. قال: وهل الخير إلا في. فقلت له: قد عزمت على كذا. وتزوجتها ودفعْتُ إلى الغلام دينارًا وقلتُ له: خذ لنا سمكًا هازبي، فأبطأ واشترى مارماهي فأنكرت عليه خلافي. فقال: يا مولاي: فكُرتُ فإذا بُقراط يقول: الهازبي يُولِّد السوداء والمارماهي أقلُّ غائلة. قلت: لا الذي بُقراط أنت أم جالينوس، وأدخلته البيت وضرِبته عشرة، فلما قام أخذني وضرِبني سبعة وقال: يا مولاي الأدب ثلاثة وسبعة لها قِصاص، فغاظني ورميته فشججته، فمضى إلى ابنة عمي وقال لها: «الدين النصيحة» وقال النبي ﷺ: «من غشنا فليس منا».

وقال: «مولي القوم منهم»: وأعلمك أنَّ مولاي تزوج واستكتمني، فلما أعلمته أنني مُعزفك ما فعل شجني، فوجهت إليَّ بنت عمي بغلمان، فبطحت في الدار وضرِبته وسمَّته التايح، فما كان يتهيأ لي كلامه، فقلت: اعتقه، فلعلَّه يمضي عني، فلزمني ولذَّبي وقال: الآن وجب حَقك عليَّ، ثم إنَّه أراد

(١) النخاسة: تجارة الرقيق.

(٢) الثوب المصمَّم: الذي لا يخالط لونه لون آخر.

الحجّ، فجهّزته، فغاب عني عشرين يوماً ورجع فقلت: لم رَجَعْتَ فقال: قُطِعَ علينا وفكّرْتُ، فإذا الله جل وعزّ يقول:

﴿وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ اِلَيْهِ سَبِيْلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

وكنْتُ غير مُستطيع وإذا حقك أوجب عليّ فرَجَعْتُ، ثم إنه أراد الغزو فجهّزته، فلما صار على عشرة فراسخ بعث ما كان لي بالبصرة وخرجت عنها خوفاً أن يرجع وصرت إلى بغداد.

قال بعضهم: استعرضتُ غلاماً فقلت له: يا غلام تحبّ أن أشتريك فقال: حتى أسأل عنك.

أعتق عبد الله بن جعفر غلاماً فقال الغلام: أكتب كما أملي.

قال: فأمل. قال: اكتب: كنت بالأمس لي، فوهبتك لمن وهبك لي، فأنت اليوم واليوم صرت مثلي، فكتب ذلك واستحسنه وزاده خيراً.

قال حماد بن إسحاق الموصلي: كان لأبي غلام يستقي الماء لمن في داره علي بغلين، فانصرف أبي يوماً وهو يسوق البغل وقد قُرب من الحوض الذي يُصب فيه الماء. فقال: ما خبرك يا فتح؟ قال: خبري أنه ليس في الدار أشقى مني ومنك.

قال: وكيف؟ قال: لأنك تُطعمهم الخُبز وأنا أسقيهم الماء، فضحك منه وقال: فما تحت أن أصنع بك؟ قال: تعتقني وتهب لي هذين البغليين، ففعل ذلك.

استعرض رجل غلاماً فقال له: أشتريك؟ قال: لا. فقال: ولم؟ قال: كيف تتخذني عبداً بعد أن اتخذتني مُشيراً.

وقال رجل لعبده: اذهب إلى المنزل واحمل الشمع لأعود به، فقال: أنا لا أجزر. فقال: معي حتى أحمله ونصرف جميعاً.

والحمد لله حقّ حمده والصلاة على نبيّه محمّد وآله.

اتفاقاتٌ عجيبةٌ في الجدِّ والهزل^(١)

قال حمادُ بنُ الزُّبرقان: حفِظْتُ ما لم يحفِظْ أحدٌ، ونسيتُ ما لم ينس أحدٌ. كنت لا أحفظُ القرآنَ، فأنفتُ أن أجيءَ بمن يُعلِّمُني، فحفِظتُهُ من المصحفِ في شهرٍ واحدٍ. ثم قبِضتُ يوماً على لحيّتي لأُقِصَّ ما فضّلَ عن قبِضتِي فنسيتُ أني أحتاجُ أن أقصَّ ما دونَ القبضةِ فقصصتُ أعلاها، فاحتجتُ أن أجلسَ في البيتِ سنّةً إلى أن استوت.

حدّثَ أبو عاصمِ النبيلُ بحديثٍ فقال: حدّثني أبو بكرِ ابني عني. وكان الابنُ كتبه عنه ونسبه الأبُ فذكّره.

وفي ضدِّ ذلك، ما حكاه الصاحبُ رحمه الله عن بعضهم، قال: كان يقولُ: حدّثني ابني عني كأنه أعلمُ به منّي، على معنى قولهم: «كمعلِّمةٌ أمّها البِضاعُ».

قال بعضهم: من طرائفِ المُجانِ أني بثُّ ليلةً عندَ قومٍ، وحرّكتني الطبيعةُ في بعضِ الليلِ، ولم أعرفِ مَوْضِعَ الخلاءِ، فوَقَعْتُ على بيتٍ فيه مهدٌ، وفيه صبيٌّ نائمٌ وليس عنده أحدٌ، فعمدْتُ إلى الصبيِّ فأخرجتُهُ من المهدِ، وجعلتُهُ في حجري، وجمعتُ عليه دَيلِي، وحوَلْتُ أُسْتِي إلى المهدِ وخرِيتُ فيه، وقمتُ أرُدُّ الصبيِّ، فإذا به قد وَضَعَ في حجري أضعافَ ما خَريتُ في مهده، فبقِيتُ مُتَحِيرًا في محنةٍ، ما أعلمُ أن أحدًا دُفِعَ إلى مثلها.

وحكِي أنه فَعَلَ مثل ذلك إنسانٌ آخرٌ يبُستوقةَ فيها صِحْناءةً، في دارِ رجلٍ كان قد أضافه، وأنه قدَّمَ إليه ذلك في طعامه من غد.

قال عبدُ المَلِكِ بنُ عُمَيْرِ اللَّيْثِي: دخلتُ على عبدِ الملكِ بنِ مَرْوانَ وهو جالسٌ في بَهِو على سَريرٍ، وقد وَضَعَ بين يديه رأسَ مُصْعَبِ بنِ الزبيرِ. فلما رأيتُهُ قلتُ مُتَعَجِّبًا: لا إلهَ إلا اللهُ!! لقد رأيتُ اليومَ عَجَبًا تذكَّرْتُ به عَجائبَ.

(١) نشر الدرر للآبي ٢١٥/٤ - ٢٢٤.

قال: وما ذاك؟ قلت: رأيتُ عُبَيْدَ اللَّهِ بنَ زيَادٍ في هذا البهو جالسًا على هذا السرير، وبين يديه رأسُ الحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ، عليه السلام. ثم دخلتُ بعد ذلك على المختار في هذا البهو جالسًا على هذا السرير، وبين يديه رأسُ عُبَيْدِ اللَّهِ بن زياد. ثم دخلتُ على مُضْعَبِ في هذا البهو على هذا السرير، وبين يديه رأسُ المُختار. وقد دخلت عليك يا أمير المؤمنين في هذا البهو على هذا السرير، وبين يديك رأسُ مُضْعَبِ. فبادرَ عبدُ المَلِكِ ونزلَ عَن السرير، وخرجَ من البهو، وأمر بهدمه.

قُرئ في أخبار البرامكة: أنه وُجِدَ في بعض الأوراجات^(١) السلطانية في أولها: وما حُمِلَ إلى الأمير أبي الفضل جعفر بن يحيى أعزّه الله لهديّة الثيروز من العين الطرز مائة ألف دينار. وفي آخر الحساب: وما أُخرجَ لثمن التّفط والبواري والحطب لإحراق جثة جعفر بن يحيى بضعة عشرَ درهماً.

رَكِبَ يَزِيدُ بنُ نَهْشَلِ النهسليّ بعيرًا له، فلما استوى في غزوه قال: اللهمَّ إِنَّكَ قَلْتَ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: الآية ١٣]. اللهمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ أَنِّي لَهُ مُقْرَنٌ. فنَفَرَ البعيرُ، وتعلقتُ رجله في العرّز، والبعيرُ يَجْمِزُ به حتى مات.

قال ثعلب: قال السُّدِّيُّ: أتيتُ كَرِبْلَاءَ أبيعُ البز بها، فعملَ لنا شَيْخٌ من طييء طعامًا فتعشينا عنده، فذكرنا قتلَ الحُسَيْنِ، رضي الله عنه، فقلتُ: ما شَرِكُ في قتله أحدٌ إلا ماتَ بأسوأِ مِيتة. فقال: ما أكذبكم يا أهلَ العراق! فأنا فيمن شَرِكُ في ذلك. فلم نبرح حتى دنا من المصباح وهو يتقدُّ بنفط، فذهب يُخرجُ الفَتِيلَةَ بإصبعه، فأخذت النار فيها، فجعل يطفئها بريقه، فأخذت النارُ في لحيته، فعدا فألقى نفسه في الماء، فرأيتُه كأنه حُمَمَةٌ.

قالوا: كان بمدينة السلام رجلٌ ذو يسار، فبينا هو ذات يوم في منزله - وقد جلس ليأكل مع امرأته، وبين يديه سكباجةٌ قد فاحت رائحتها - إذ دنا

(١) الأوراجات: جمع أوارجة، من كتب أصحاب الدواوين في الخراج ونحوه.

سائلٌ من الباب، وكان ممن امْتَحَنَ بِنَكْبَةٍ بعد نعمة، فقال: أطمعوني من فضل ما رزقكم الله. فقامت المرأةُ وغرقت له من القدر، وأخذت رَغِيفَيْنِ لتناولهُ. فلما رأى الزوجُ ذلك حلف عليها ألا تدفعَ إليه شيئًا، ومضى السائلُ خائبًا حزينًا، واستوفى الرجلُ طعامَهُ، وصعدَ السطحَ لبعض حوائجه فعثر بشيء وانتكس، فسقط في الأرض، ووقص ومات. وحازت المرأةُ ميراثَهُ وتصرفت فيه، وفرقت شيئًا من أسبابه الرثّة في المساكين، فكان في جملتها مُضْرِبَةٌ خَلَقَةٌ وقَعَتْ إلى هذا الرجل السائل ففتّها ليغسلها ويجعلها قميصًا يلبسُهُ، فوجدَ فيها ألفَ دينار، فأخذها وغَيَّرَ بها حاله. وضرب الدهرُ، وأتت على ذلك الأيامُ، فطلبَ امرأةٌ يتزوجها. فقالت له بعض الدلالات: هل هنا امرأةٌ سالحةٌ قد ورثت، فما تقول في مواصلتها؟ فأنعم لها. فسعت الدلالةُ بينهما حتى اتَّفقا واجتمعا، فلما دخل بها تحدثا ذات يوم فقالت المرأةُ: فاعلم أن هذه هي الدارُ التي وقفت عليها، وأنا تلك المرأةُ، وأنَّ زَوْجِي صعدَ في ذلك اليوم السطحَ فسقطَ ومات. وقد أورثك الله ماله ومسكنه وزوجته، فسجد الرجلُ لله شكرًا، وحَدَّثَ إخوانه تعجبًا.

قال بعضُ تُجَّارِ البحر: حملنا مرةً متاعًا إلى الصَّينِ من الأُبُلَّةِ - وكان قد اجتمعَ رَكْبٌ فيه عَشْرُ سُنن، قال: ومن رَسَمنا إذا توجَّهنا في مثل هذا الوجه أن نأخذ قومًا ضُعفاء، ونأخذ بضائع قوم - فبينما أنا قد أصلختُ ما أريد إذ وقفَ عليَّ شيخٌ، فسَلَّم، فرددْتُ، فقال: لي حاجةٌ قد سألتها غيرك من التجار فلم يقضها. قلت: فما هي؟ قال: اضمن لي قضاءها حتى أقول. فضمنتُ، فأحضرنِي رِصاصةً فيها نحوُ من مائة مَنًا، وقال لي: تأمرُ بحمل هذه الرِصاصة معك، فإذا صرتم في لُجَّة كذا فاطرحها في البحر. فقلت: يا هذا، ليس هذا مما أفعله. قال: فقد ضمننت لي. وما زال بي حتى قبَلته، وكَتَبته في رُزنامجي. فلما صرنا في ذلك الموضع عصفت علينا ريحٌ فسبينا أنفسنا وما معنا، ونسيتُ الرِصاصة، ثم حَرَجْنَا من اللُجَّة وصرنا حتى بلغنا موضعًا، فبعثتُ ما صحبني، وحضرنِي رجلٌ فقال لي: أمعك رِصاصٌ؟

فقلت: ليس معي رصاص. فقال لي غلام: معنا رصاص. قلت: لم أحمل رصاصاً معي. قال: بلى، الشيخ سلم إليك، فذكرت فقلت: خالفناه وبلغنا ههنا وما علي أن أبيعهُ، فإن ذلك فيه ما أراد. فقلت للغلام: أحضرها، وساومني الرجل بها، فبعتها بمائة وثلاثين ديناراً. وابتعتُ بها للشيخ من طرائف الصّين. وخرجنا فوافينا المدينة، وبعثتُ تلك الطرائف فبلغتُ سبعمائة دينار، وصرتُ إلى البصرة إلى الموضع الذي وصفهُ الشيخ، ودققتُ باب داره، وسألت عنه، فقيل: قد تُوفّي قلت: فهل خلف أحدًا يرثه؟ قالوا: لا نعلم إلا ابن أخ له في بعض نواحي البحر. قال: فتحيّرتُ، وقيل لي: إن داره موقوفة في يد أمين القاضي، فرجعتُ إلى الأبلّة والمال معي. فبينما أنا ذات يوم جالسٌ إذ وقف على رأسي رجل فقال: أنت فلان؟ قلت: نعم. قال: أكنت خرجت إلى الصّين؟ قلت: نعم. قال: وبعثت رجلاً هناك رصاصاً؟ قلت: نعم. قال: أفتعرف الرجل وتأمّلته؟ قلت: أنت هو. قال: نعم، إنني قطعْتُ من تلك الرصاصات شيئاً لأستعمله، فوجدتها مجوفة، ووجدتُ فيها اثني عشر ألف دينار، وقد جئتُ بالماء، فخذ، عافاك الله فقلت له: ويحك!! والله ما المال لي، ولكنّه كان من خبره كذا وكذا، وحدثته. قال: فتبسّم الرجل، ثم قال: أتعرفُ الشيخ؟ قلت: لا. قال: هو عمي، وأنا ابن أخيه، وليس له وارثٌ غيري، وأراد أن يزوي هذا المال عني، وهو هَرَبَنِي من البصرة سبع عشرة سنة، فأبى الله إلا ما ترى على رغمه. قال: فأعطيتُهُ الدنانيرَ كلّها ومضى إلى البصرة وأقام بها.

قال بعضهم: جلس رجل إلى قوم، فصاح به إنسانٌ من خلفه، فالتفت إليه فمات. فقيل لابنه: كيف مات أبوك؟ فحكى لهم كيف مات أبوه والتفت فمات هو أيضاً.

قال يحيى بن اليمان: رأيتُ رجلاً بات أسود الرأس واللحية شاباً ملء العين، نام ليلة فرأى في منامه كأن الناس قد حُشروا، وإذا بنهر من لهب النار، وإذا بجسر يجوزُ الناسُ عليه، يُدعونُ بأسمائهم، فإذا نُودي الرجلُ

أجاب، فنجا أو هلك. قال: فدُعِيَ باسمي، فدخلت الجسر، فإذا هو كَحَدِّ السيف يَمُورُ بي يَمِينًا وشِمَالًا. قال: فأصبحتُ أبيض الرأس واللحية.

قال عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ طَاهِرٍ: حَدَّثَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ الرَّبَاطِيُّ - رِبَاطُ خَاوَةَ مِنْ عَمَلِ جُرْجَانَ - قَالَ: كُنْتُ قَبَارًا؛ فَبَيْنَا أَنَا فِي مَنْزِلِي إِذْ طَرَقَنِي لَيْلًا رَكِبْتُ مُسْتَعْجَلِينَ فَرَكِبْتُ، فَإِذَا أَنَا بِشُمُوعٍ وَخَدَمٍ، فَأَمْرُونِي بِالْحَفْرِ، فَحَفَرْتُ قَبْرًا، وَأَوْدَعُوهُ تَابُوتًا، وَعَفَيْتُ عَلَيْهِ بِالتُّرَابِ، وَأَجَالُوا خِيْلَهُمْ عَلَيْهِ، تَغْوِيرًا لِلْوَضْعِ فَانصَرَفُوا. فَظَنَنْتُ أَنَّهُ كَنَزٌ، فَأَسْرَعْتُ فَانْتَشَيْتُهُ، وَكَشَفْتُ عَنِ التَّابُوتِ فَإِذَا فِيهِ رَجُلٌ فَوَضَعَتْ يَدِي عَلَى أَنْفِهِ، فَإِذَا هُوَ قَرِيبٌ مِنَ التَّلْفِ، فَاسْتَخْرَجْتُهُ وَأَعَدْتُ التُّرَابَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ، وَاحْتَمَلْتُهُ إِلَى مَنْزِلِي. وَعَادَ الْقَوْمُ حَدْرًا أَنْ يَكُونَ قَدْ تَثَبَّهَ عَلَى مَا فِي التَّابُوتِ، وَنَفَضُوا الصَّحْرَاءَ الَّتِي كَانَ فِيهَا، فَلَمْ يَجِدُوا أَثْرًا وَلَا حَسًّا لِأَحَدٍ، وَأَنَا مُشْرِفٌ مِنْ مَنْزِلِي أَرَى مَا يَصْنَعُونَ. فَلَمَّا أَمْتُوا مِمَّا تَوَهَّمُوا انصَرَفُوا. وَتَرَادَّتْ نَفْسُ الرَّجُلِ، فَسَأَلْتَهُ عَنْ حَالِهِ. فَقَالَ: أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَأَقَامَ عِنْدِي إِلَى أَنْ قَوِيَتْ نَفْسُهُ وَتَرَاجَعْتُ، ثُمَّ شَخَّصَ إِلَى الْعِرَاقِ، ثُمَّ إِلَى الْحِجَازِ، وَظَهَرَ بِالْيَمَنِ، وَبَوَّعَ لَهُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَدَخَلَ مَكَّةَ، ثُمَّ خَرَجَ عَلَى عَهْدِهِمْ وَبَاعَ الْمُؤْمِنُونَ لِابْنِ أَخِيهِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى بِالْعَهْدِ، فَخَرَجَ مُحَمَّدٌ إِلَى الْمَأْمُونِ بِخُرَاسَانَ. وَأَدْرَكَتْهُ مَنِيَّتُهُ بِجُرْجَانَ، فَاحْتَفَرْتُ لَهُ وَدَفَنْتَهُ، فَكَانَ بَيْنَ الدَّفْنَيْنِ عَشْرُ سِنِينَ.

قالوا: كانت في عبد الصمد بن عليٍّ عجائب:

منها أنه مات بأسنانه التي ولد بها ولم يَنَغُرْ وكانت أسنانه قطعةً واحدةً. ومنها أنه كان في قُعدُدِ يَزِيدَ بنِ معاويةَ، هما في النسب إلى عبد مناف سواءً.

وقام على منبر قام عليه يزيدُ وبينهما مائة سنة.

وحجَّ بالناس في سنة مائة وسبعين وحجَّ يزيدُ بالناس في سنة خمسَين

وبينهما مائة وعشرون سنة .

ومنها أنه دخل سَرَبًا فيه ريشُ فطارث ريشتان فلصقتا بعينيه فذهب بصره .

ومنها أنه كان يومًا عند الرشيد، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا مجلس فيه أمير المؤمنين، وعمه، وعمه وعمه وعمه وعمه يعني سليمان بن أبي جعفر عم الرشيد، والعباس بن محمد عم أبيه، وعبد الصمد عم جدّه. ويقال: إن أم عبد الصمد هي كثيرة التي يقول فيها ابن قيس الرقيات^(١): [البيسط]

عاد له من كثيرة الطرب

ومن الاتفاقات العجيبة، ما كان من المعتصم وإبراهيم بن المهدي. قال الصولي: لا نعرف خليفة قبل يد خليفة ثم قبل ذلك الخليفة بعينه يده، إلا ما كان من فعل المعتصم بإبراهيم ثم فعل إبراهيم بالمعتصم. وحدث قال: كان المعتصم في فتنة الأمين يمضي مع علي بن الجند إلى إسكاف فيقيم عنده، ولا يقصر علي في خدمته وإكرامه والنفقة عليه. وكان علي أكثر الناس مزاحًا، وأحسنهم كلامًا. فأذاه المعتصم في شيء فقال علي: والله لا تفلح أبدًا - على المزح - فحفظها المعتصم، فلما دخل بغداد خليفة، أمر وصيفًا بإحضار علي، فأحضره، وكان عدوًا للفضل بن مروان فقال له: يا علي، زعمت أنني لا أفلح أبدًا، هل بعد هذا الفلاح شيء من أمر الدنيا؟ فقال له: الذي أفلح عندي الفضل بن مروان، فضحك المعتصم - وكان يقول: من ذلك اليوم اعتقدت أن أنكب الفضل - ثم قال: يا علي، أتذكر حيث وقفت لإبراهيم بن المهدي بمربعة الخراسي فنزلت فقبلت يده؛ ثم أدنيت ابني هارون فقبل يده، وقلت: عبدك هارون ابني، فأمر له بعشرة آلاف درهم؟ قال علي: أذكر ذلك. قال: فإنه ترجل لي اليوم وقبل يدي في ذلك الموضع بعينه، ثم قال لي: عبدك هبة الله ابني، وأدناه وقبل يدي، فأمرت له بعشرة آلاف درهم، ولم تطب له نفسي غيرها. فقال: بس والله ما فعل أمير المؤمنين.

(١) البيت في ديوان ابن قيس الرقيات ص ٦٧، وخزانة الأدب ٢٨٦/٧، والأغاني ٧٩/٥.

قال: وكيف؟ ويلك! قال: إبراهيم أمر لهارونَ بعشرة آلاف درهم وليس في يده إلا بغداد وحدها. وفي يد أمير المؤمنين الشرق والغرب. قال: صدقت، أعطوه عشرة آلاف دينار. وفرق المعتصم في أهله ثلاثين ألف درهم.

دخل إيتاخ إلى الواثق وهو بأخر رمق لينظر هل مات أم لا، فلما دنا منه نظر إليه الواثق بمؤخر عينه ففزع إيتاخ ورجع القهقري إلى أن وقع سيفه في ملبن الباب فاندق، وسقط إيتاخ على قفاه هيبه لنظرة الواثق. قيل: فلم تمض ساعة حتى مات الواثق فعزل في بيت ليُعسَل، واشتغلوا عنه، فجاءت هرة فأكلت عينه التي نظر بها إلى إيتاخ فتراجع وسقط واندق سيفه هيبه منها، فعجب الناس من ذلك. وكان إيتاخ زعيماً لسبعين ألف غلام تركي.

ومثله لسان مروان بن محمد، فإنه لما قتل، وأخذ رأسه وأرادوا إنفاذه إلى أبي العباس أمرؤا بتنظيفه، فجاء كلب فأخذ لسانه وجعل يمضغه. فقال عبد الله بن علي: «لو لم يُرنا الدهر من عجائبه إلا لسان مروان في فم كلب لكفانا ذلك».

قيل: إنه كان سبب موت المنتصر، أنه وجد حرارة، ففصد بمبضع مسموم فمات. وأن الطبيب الذي فعل به ذلك احتاج إلى الفصد بعد أيام، فأخرج لتلميذه دنت مباضع ليفصده، وفيها ذلك المبضع، وقد أنسيه، ففصده به تلميذه فمات الطبيب.

وحكي عن المستعين أنه قال: كان المنتصر قد جعلني في ناحية أخيه موسى الأحذب - وكان لأبيه وأمه - وأحسن إلي، فلما ثقل اغتممت، ورأيت موسى مسروراً طامعاً في الخلافة، فانصرف إلى بيتي مغموماً فطرقني رسول أوتامش ففزعته لذلك، وودعت أمي وخرجت مع جماعة من الموالي حتى أدخلت حجرة، وجاءني كاتب فسكن مني، وجعل يؤنسني ويحدثني ويخدمني، فأصبحت يومي صائماً. وأخرجوني في عشية ذلك اليوم، فبايعوني.

قال أحمد بن أبي الأصبح: لما ولي المستعين الخلافة، دعاني أحمد بن الخصب - وقد استوزره - فقال لي: اكثب الساعة في إشخاص أبي صالح عبد الله بن محمد بن يزداد، من فارس بأسرع من عندك وأفرهم. فورد أبو صالح بعد شهر، فمكث جمعة ودب في أمر أحمد بن الخصب حتى ولي

مكانه ونُفِيَ أحمدُ بنُ الخصب إلى أقریطش . قال : فدعاني أبو صالح حين وُلِّيَ فقال : اكتبِ الساعةَ إلى همدانَ في إشخاص شجاع بن القاسم إلى الحضرة ، ووجّه إليه بالذي جاء بي من فارس ، قال : ففعلتُ ذلك ، فوافي شجاع ، فتقلد كتبه أوتامش ، فلما تمكّن نكبَ أبا صالح وقام مكانه .

خرج أبو العيناء - وهو ضريرٌ له نَيْفٌ وتسعون سنةً - إلى البصرة في سفينة فيها ثمانون نَفْسًا ، فغرقت فلم يسلم غيرُه ، فلما صار إلى البصرة تُوفِّيَ بها وذلك في سنة اثنتين وثمانين ومائتين .

كان الواقديُّ شيخًا سمحًا ، وأظله شهرُ رمضان ، ولم تكن عنده نفقةٌ ، فاستشار امرأته بمن يُنزل خَلته من إخوانه؟ فقالت : بفلان الهاشمي . فأتاه فذكر له خلته فأخرج له صُرَّةً فيها ثلاثمائة دينار فقال : والله ما أملك غيرَها . فأخذها الواقديُّ فساعةً دخل منزلهُ جاءه بعضُ أخولته وشكا إليه ، خَلته ، فدفع إليه الصُرَّةَ بختمها ، وعاد صاحبُ الصُرَّةِ إلى منزله . فجاءه الهاشميُّ فشكا خَلتهُ فناوله الصُرَّةَ فعرفها الهاشميُّ ، فقال له : من أين لك هذه؟ فحدّثه بقصته ، فقال : فم بنا إلى الواقديُّ ، فأتوه . فقال له الهاشميُّ : حدّثني عنك وعن إخراج الصرة فحدّثه الحديث على وجهه فقال الهاشميُّ : فأحقُّ ما يُعملُ في هذه الصُرَّةِ أن نقتسمها ونجعلَ فيها نصيبًا للمرأة التي وقع اختيارُها عليّ ، ففعلوا .

جاء وفدٌ من اليمن فقالوا : يا رسولَ الله لقد أحيانا الله تعالى بيّتين من شعر امرئ القيس . قال : وما ذاك؟ قالوا : أقبلنا نريدك حتى إذا كنا بموضع كذا وكذا أخطأنا الماء ، فمكثنا ثلاثًا لا نقدرُ عليه ، فانتهينا إلى موضع طَلح وسمر ، فانطلق كلُّ رجلٍ منا إلى أصل شجرة ليموت في ظلّها . فبينما نحن في آخر رمق ، إذا راكبٌ قد أقبل مُعتم ، فلما رآه بعضنا تمثّل^(١) : [الطويل]

(١) البيتان في ديوان امرئ القيس ص ٤٧٥ ، ولسان العرب (ضرج) ، (عرمض) ، وتاج العروس (ضرج) ، (عرمض) ، والتنبيه والإيضاح ٢١٢/١ ، وعيون الأخبار ١٤٣/١ ، والشعر والشعراء ص ١١٧ ، وخزانة الأدب ٣٣٥/١ ، ومعجم البلدان (ضارج) .

لَمَّا رَأَتْ أَنَّ الشَّرِيعَةَ هَمُّهَا وَأَنَّ البَيَاضَ مِنْ فَرَائِصِهَا دَامِي تَيَمَّمَتِ العَيْنَ الَّتِي عِنْدَ ضَارِجٍ يَفِيءُ عَلَيْهَا الظُّلُّ عَزَمَتْهَا طَامِي فَقَالَ الرَّابِئُ: مَنْ يَقُولُ هَذَا الشَّعْرَ؟ فَقَالَ بَعْضُنَا: امْرُؤُ القَيْسِ. قَالَ: هَذِهِ وَاللَّهِ ضَارِجٌ عِنْدَكُمْ - وَقَدْ رَأَى مَا بَنَا مِنَ الجَّهْدِ - فَزَحَفْنَا إِلَيْهَا فَإِذَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ نَحْوُ مِنْ خَمْسِينَ ذِرَاعًا؛ وَإِذَا هِيَ كَمَا وَصَفَ امْرُؤُ القَيْسِ يَفِيءُ عَلَيْهَا الظُّلُّ. فَقَالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَاكَ رَجُلٌ مَشْهُورٌ فِي الدُّنْيَا خَامِلٌ فِي الآخِرَةِ، مَذْكَورٌ فِي الدُّنْيَا مَنْسِيٌّ فِي الآخِرَةِ، يَجِيءُ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَهُ لَوَاءُ الشَّعْرَاءِ يَقودُهُمْ إِلَى النَّارِ».

قالوا: بينا حُدَيْفَةُ بْنُ الِيمانِ وَسَلْمَانُ الفَارِسِيُّ يَتَذَاكِرَانِ عَجَائِبَ الزَّمَانِ وَتَغْيِيرَ الأَيَّامِ - وَهُمَا فِي عَرْصَةِ إِيوانِ كَسْرَى، وَكَانَ أَعْرَابِيٌّ مِنْ غَامِدٍ يَزْعَى شَوِيهَاتٍ لَهُ نَهَارًا، فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ صَبَّرَهُنَّ إِلَى دَاخِلِ العَرْصَةِ، وَفِي العَرْصَةِ سَرِيرٌ رُخَامٌ كَانَ رِبْمًا عَلَيْهِ جَلَسَ كَسْرَى، فَصَعَدَتْ شَوِيهَاتُ الغَامِدِيِّ إِلَى ذَلِكَ السَّرِيرِ - فَقَالَ سَلْمَانُ: «وَمَنْ أَعْجَبَ مَا تَذَاكِرْنَا صُعُودَ غُنَيْمَاتِ الغَامِدِيِّ إِلَى سَرِيرِ كَسْرَى».

قال بعضهم: دخلتُ على صابِحِ مولى منارة في يومِ شاتٍ وهو في قُبَّةِ طارِمةٍ مُغشَاةٍ بالسَّمُورِ، مَفْرُوشَةٌ بالسَّمُورِ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ كَانُونٌ مِنْ فِضَّةٍ، وَهُوَ يُوقِدُ عَلَيْهِ بَعُودًا. ثُمَّ مَرَّتْ سُنْبَاتٌ فَرَأَيْتُ صابِحًا على حِمَارٍ بِإِكافٍ يَقْفُ على النَّاسِ على الجِسْرِ فيقول: أَنَا صابِحُ مولى منارة، تصدَّقوا عليَّ رَحِمَكُمُ اللَّهُ، فَلَا يُعْطِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، وَإِنْ أَعْطَاهُ إِنْسَانٌ، أَعْطَاهُ دَرَهْمًا وَاحِدًا فَمَا دُونَهُ.

قال الجاحظُ: نَصَبَ ابْنُ لِمَحْمَدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ - كاتِبُ ابْنِ أَبِي دُوادٍ - فَنَحَا على ظَهْرِ الطَّرِيقِ إِلَى جَانِبِ حَائِطٍ. فَجاءَ بَعْضُ الأَتْرَاقِ فَبَالَ فِي مَوْضِعِهِ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَتَمَسَّحَ، نَظَرَ إِلَى نَبْكَةٍ مُرْتَفِعَةٍ فَتَمَسَّحَ بِهَا، فَوَقَعَ الفَخُّ فِي ذِكْرِهِ وَخُضْيَيْتِهِ وَظَنَّ التُّرْكِيَّ أَنَّهُ أَفْعَى، فَمَرَّ يَعْذُو، وَابْنُ مُحَمَّدٍ يَعْذُو خَلْفَهُ وَيَصيحُ: فَنَحِي، فَنَحِي، وَالتُّرْكِيُّ يَقولُ: فَنَحُ أَيُّش؟ وَيَلِكُ! فَاجْتَمَعَ النَّاسُ فَخَلَصُوا خُضْيَيْ التُّرْكِيِّ مِنَ الفَخِّ. وَكُتِبَ بِذَلِكَ صابِحُ

البريد إلى المعتصم، فلما دخل ابن أبي دواد، قال له: مَنْ كَاتِبُكَ هَذَا
الَّذِي يَصِيدُ ابْنَهُ حُصَى الْأَتْرَاكِ بِالْفَخَاخِ؟ فقال: والله ما أَعْرَفُهُ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ، فَلَمَّا انصَرَفَ سَأَلَ عَنِ الْخَبِيرِ، وَأَخْرَجَ الْغَلَامَ عَنْ دَارِهِ.

قال بعضُ الأعراب: أَضَلَلْتُ بَعِيرًا لِي فَخَرَجْتُ فِي طَلْبِهِ، فَبَيْنَا أَنَا أَسِيرُ
إِذْ رَأَيْتُ خَبَاءً فَإِذَا فِيهِ جَارِيَةٌ جَمِيلَةٌ. فَاسْتَضَفْتُهَا فَأَضَافَتْنِي، وَقَدِمَتْ إِلَيَّ
طَعَامًا، فَلَمَّا مَدَدْتُ يَدِي إِلَيْهِ، طَلَعَ بَعْلُهَا فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَتْ: ضَيْفٌ
اسْتَقْرَانَا فَقْرِينَاهُ. فَقَالَ: وَإِنَّمَا تَزَوِجْتِكِ لِتَقْرِينِ الضَّيْفِ؟ أَخْرَجَ عَافَاكَ اللَّهُ،
فَخَرَجْتُ مِنَ الْخَبَاءِ، وَرَكِبْتُ بَعِيرِي وَتَرَكْتُهُ يَذْهَبُ حَيْثُ شَاءَ، قَالَ: فَأَضَاءَ
لِي الْفَجْرُ عَنْ قَتَى كَأَنَّ وَجْهَهُ فَلَقَّةٌ قَمَرٌ، قُلْتُ: هَلْ مِنْ مِضَافَةٍ؟ قَالَ: انزَلْ
فَقَدَّمَ إِلَيَّ طَعَامًا، فَلَمَّا شَرَعْتُ فِي الْأَكْلِ إِذَا زَوْجَتُهُ قَدْ طَلَعَتْ، فَقَالَتْ: مَا
هَذَا؟ قَالَ: ضَيْفٌ اسْتِضَافْنَا فَأَنْزَلْنَاهُ. فَقَالَتْ: إِنَّمَا تَزَوِجْتِكِ عَلَيَّ أَنْ تَقْرِي
الْأَضْيَافَ؟ قَمِ عَافَاكَ اللَّهُ وَاخْرُجْ. قَالَ: فَضَحِكْتُ. فَقَالَ لِي: مِمَّ ضَحِكْتِ؟
قُلْتُ: نَزَلْتُ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ عَلَيَّ جَارِيَةٌ كَانَتْ مِنْ قِصَّتِهَا كَيْتٌ وَكَيْتٌ، ثُمَّ نَزَلْتُ
عَلَيْكَ فَكَانَ مِنْ قِصَّتِكَ مَا رَأَيْتُ. قَالَ: أَفَلَا أَخْبِرُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ:
بَلَى. قَالَ: تِلْكَ وَاللَّهِ أَخْتِي لِأَبِي وَأُمِّي، وَهَذِهِ أَخْتُ الرَّجُلِ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ.

الحمقى والمغفلون (*)

قِيلَ الْحَمَاقَةُ مَأْخُودَةٌ مِنْ «حَمَقَتِ السُّوقُ» أَي كَسَدَتْ، فَكَأَنَّ الْأَحْمَقَ
كَاسِدُ الْعَقْلِ وَالرَّأْيِ، فَلَا يُشَاوِرُ وَلَا يُتَلَفَّتُ إِلَيْهِ فِي أَمْرٍ. وَالْأَحْمَقُ لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ
الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالنَّافِعِ وَالضَّارِّ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْحَمَقُ وَالتَّغْفِيلُ هُوَ الْعَلَطُ فِي الْوَسِيلَةِ وَالطَّرِيقِ إِلَى
الْمَطْلُوبِ مَعَ صِحَّةِ الْمَقْصُودِ، بِخِلَافِ الْجُنُونِ فَهُوَ خَلَلٌ فِي الْوَسِيلَةِ
وَالْمَقْصُودِ مَعًا.

(*) المستطرف ٢/ ٢٦٥، أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي، وثمرات الأوراق لابن حجة
الحموي.

فالأحمق مَقْصُودُهُ صَحِيحٌ وَلَكِنْ سُلُوكُهُ الطَّرِيقَ فَاسِدٌ، وَطَرِيقَتُهُ فِي
الْوُصُولِ إِلَى غَرَضِهِ غَيْرُ صَحِيحَةٍ.

قَالَ حَكِيمٌ: إِذَا بَلَغَكَ أَنْ غَنِيًّا افْتَقَرَ فَصَدَّقْ، وَإِذَا بَلَغَكَ أَنْ فَقِيرًا اسْتَعْنَى
فَصَدَّقْ، وَإِذَا بَلَغَكَ أَنْ حَيًّا مَاتَ فَصَدَّقْ، وَإِذَا بَلَغَكَ أَنْ أَحْمَقَ اسْتَفَادَ عَقْلًا
فَلَا تُصَدِّقْ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: قِيلَ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا رُوحَ اللَّهِ إِنَّكَ
تُحْيِي الْمَوْتَى؟ قَالَ: نَعَمْ، بِإِذْنِ اللَّهِ. قِيلَ: وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ؟ قَالَ: نَعَمْ، بِإِذْنِ
اللَّهِ. قِيلَ: فَمَا دَوَاءُ الْأَحْمَقِ؟ قَالَ: هَذَا الَّذِي أُعْيَانِي. وَفِي هَذَا الْمَعْنَى قَالَ
أَحَدُ الشُّعْرَاءِ:

لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ يُسْتَطَبُ بِهِ إِلَّا الْحِمَاةَ أَعَيْتَ مَنْ يُدَاوِيهَا
وَقَالَ أَحَدُ الْبُلْغَاءِ: الْأَدَبُ عِنْدَ الْأَحْمَقِ كَالْمَاءِ فِي أَصُولِ الْحَنْظَلِ، كُلَّمَا
ازْدَادَ رِيًّا زَادَ مَرَارَةً. قَالَ الْمَأْمُونُ: تَذُرُونَ مَا جَرَى بَيْنِي وَبَيْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
هَارُونَ الرَّشِيدِ؟ كَانَ لِي إِلَيْهِ ذَنْبٌ، فَدَخَلْتُ مُسَلِّمًا عَلَيْهِ، فَقَالَ: أُعْرِبُ يَا
أَحْمَقُ، فَانصَرَفْتُ مُغْضَبًا وَلَمْ أَدْخُلْ إِلَيْهِ أَيَّامًا، فَكَتَبَ إِلَيَّ يَقُولُ:

لَيْتَ شِعْرِي وَقَدْ تَمَادَى بِكَ الْهَجْرُ رُ أَمِنَكَ التَّفْرِيطُ أَمْ كَانَ مِنِّي؟
إِنْ تَكُنْ حُخْتَنَا فَعَنَّاكَ عَفَا لَدُّهُ وَإِنْ كُنْتَ حُخْتُكُمْ فَاعْفُ عَنِّي
فَسِرْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: إِنْ كَانَ الذَّنْبُ لَنَا فَقَدْ اسْتَعْفَرْنَاكَ، وَإِنْ كَانَ لَكَ فَقَدْ
عَفَرْنَاهُ. فَقُلْتُ لَهُ: قُلْتُ لِي يَا أَحْمَقُ، وَلَوْ قُلْتُ لِي: يَا أُرْعَنَ لَكَ أَسْهَلُ
عَلَيَّ. فَقَالَ: مَا الْفَرْقُ بَيْنَهُنَّ؟ قُلْتُ لَهُ: الرُّعُونَةُ تَتَوَلَّدُ عَنِ النَّسَاءِ فَتَلْحَقُ الرَّجُلَ
مِنْ طُولِ صُخْبَتَيْهِنَّ، فَإِذَا فَارَقَهُنَّ وَصَاحَبَ فُحُولَ الرَّجَالِ زَالَتْ عَنْهُ، وَأَمَّا
الْحُمُقُ فَإِنَّهُ غَرِيزَةٌ. وَأَنْشَدَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ:

وَعِلَاجُ الْأَبْدَانِ أَيْسَرُ خَطْبًا حِينَ تَغْتَلُّ مِنْ عِلَاجِ الْعُقُولِ
وَقَالُوا: الْحُمُقُ فَسَادٌ فِي الْعَقْلِ، أَوْ فِي الدَّهْنِ، وَمَا كَانَ مَوْضُوعًا فِي
أَصْلِ الْجَوْهَرِ فَهُوَ غَرِيزَةٌ لَا يَنْفَعُهَا التَّأْدِيبُ، وَإِنَّمَا يَنْتَفِعُ بِالرِّيَاضَةِ وَالتَّأْدِيبِ مَنْ

أضلَّ جَوْهَرِهِ سَلِيمٌ، فَتَدَفَّعَ الرِّيَاضَةَ العَوَارِضَ المُفْسِدَةَ، والنَّاسُ يَتَفَاوَتُونَ فِي العَقْلِ وَجَوْهَرِهِ، وَمِقْدَارِ مَا أُعْطُوا مِنْهُ، فَلِهَذَا يَتَفَاوَتُ الحُمُقُ.

قِيلَ لِحَكِيمٍ: مَا حَدُّ الحُمُقِ؟ قَالَ: سَأَلْتَنِي عَمَّا لَيْسَ لَهُ حَدٌّ. وَقَالَ الإِمَامُ عَلِيُّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَفِيهِ حَمَقَةٌ فِيهَا يَعِيشُ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: كُلُّنَا أَحْمَقُ فِي ذَاتِ اللهِ. وَقَالَ: خَلَقَ اللهُ آدَمَ أَحْمَقًا، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا هَتَأَ العَيْشُ. وَقَالَ آخَرٌ: لَوْ حَلَفْتُ رَجَوْتُ أَنْ أَبْرَّ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا وَهُوَ أَحْمَقُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، غَيْرَ أَنْ بَعْضَ الحُمُقِ أَهْوَى مِنْ بَعْضٍ. وَقَالَ حَكِيمٌ: عَقُولُ النَّاسِ عَلَى قَدْرِ زَمَانِهِمْ. وَقَالَ: خُلِقَ الإِنْسَانُ أَحْمَقَ لِكَيْ يَنْتَفِعَ بِالعَيْشِ. وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ:

لَعَمْرُكَ مَا شَيْءٌ يَفُوتُكَ نَيْلُهُ بِعَبْنٍ وَلَكِنْ فِي العُقُولِ التَّعَابُنُ
وَمِنْ أَسْمَاءِ الأَحْمَقِ: الرَّقِيعُ، المَائِقُ، الأَزْبِقُ، الهَلْبَاجَةُ، الخَطْلُ،
الخَرْفُ، المَافُونُ المَافُوكُ، الأَثُوكُ، الأَهْوَجُ، الأَخْرَقُ، الدَّاعِكُ، الهَبْتَقُ،
الفَدْمُ، الهَجْرَعُ.

* * *

وصِفَاتُ الأَحْمَقِ تَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ: أَحَدُهُمَا مِنْ حَيْثُ الصُّورَةَ، والثَّانِي مِنْ حَيْثُ الخِصَالِ والأَفْعَالِ.

أَمَّا عَنِ القِسْمِ الأوَّلِ، الَّذِي يَتَنَاوَلُ الصُّورَةَ، فَقَدْ قَالَ الحُكَمَاءُ: إِذَا كَانَ الرَّأْسُ صَغِيرًا، رَدِيءَ الشَّكْلِ، دَلَّ عَلَى رَدَاءَةِ فِي هَيْئَةِ الدِّمَاغِ.

وَقَالَ حَكِيمٌ: لَا يَخْلُو صِغَرُ الرَّأْسِ البَتَّةَ مِنْ دَلَالَةٍ عَلَى رَدَاءَةِ هَيْئَةِ الدِّمَاغِ، وَإِذَا قَصُرَتِ الرَّقْبَةُ دَلَّتْ عَلَى ضَعْفِ الدِّمَاغِ وَقِلَّتِهِ. وَمَنْ كَانَتْ بِنْيَتُهُ غَيْرَ مُتَنَاسِبَةٍ كَانَتْ رَدِيئًا حَتَّى فِي هِمَّتِهِ وَعَقْلِهِ، مِثْلُ الرَّجُلِ العَظِيمِ البَطْنِ، القَصِيرِ الأَصَابِعِ، المُسْتَدِيرِ الوَجْهِ، الطَّوِيلِ القَامَةِ، الصَّغِيرِ الهَامَةِ، اللَّحِيمِ الجَبْهَةِ والوَجْهِ والعُنُقِ والرُّجْلَيْنِ، فَكَأَنَّمَا وَجْهُهُ نِصْفُ دَائِرَةٍ. كَذَلِكَ إِذَا كَانَ مُسْتَدِيرَ الرَّأْسِ واللَّحِيَّةِ وَلَكِنْ وَجْهُهُ شَدِيدَ العِلَظِ وَفِي عَيْنَيْهِ بِلَادَةٌ وَحَرَكَةٌ، فَهُوَ أَيْضًا مِنْ أَبْعَدِ النَّاسِ عَنِ الخَيْرِ. فَإِنْ جَحِظَتْ فَهُوَ وَقِحْ مَهْدَارٌ. فَإِنْ كَانَتْ ذَاهِبَةً

في طول البدن فصاحبها مكارز لص. وإذا كانت العين عظيمه مرتعدة، فصاحبها كسلان بطال أحمق، محب للنساء.

والعين الزرقاء التي في زرقتها صفرة كأنها زعفران تدل على رداءة الأخلاق. والعين المشبهه لأعين البقر تدل على الحمق. وإذا كانت العين كأنها نائبة، وسائر الجفن منحفض فصاحبها أحمق. وإذا كان الجفن من العين منكسرا من غير علة فصاحبها أحمق كذاب مكار.

والشعر على الكتفين والعنق يدل على الحمق والجزأة، وعلى الصدر والبطن، يدل على قلة الفطنة.

ومن طالت عنقه ورقت فهو جبان أحمق. ومن كان أنفه غليظا ممتلئا فهو قليل الفهم.

ومن كان غليظ الشفة فهو أحمق غليظ الطبع. ومن كان شديد استدارة الوجه فهو جاهل. ومن عظمت أذنه فهو جاهل طويل العمر. ومن العلامات التي لا تخطيء طول اللحية، فإن صاحبها لا يخلو من الحمق.

وقال بعض الحكماء: الحمق سماء اللحية، فمن طالت لحيته كثر حقه. وقال حكيم: إذا رأيت الرجل عظيم الهامة، طويل اللحية فأحكم عليه بالرقاعة. وقال معاوية لرجل عتب عليه: كفانا في الشهادة عليك في حماقتك وسخافة عقلك ما نراه من طول لحيته. وقال حكيم: من قصرت قامته، وصغرت هامته، وطالت لحيته، فوجب على الناس أن يعزوه في عقله. وقال أصحاب الفراسة: إذا كان الرجل طويل القامة واللحية فأحكم عليه بالحمق، وإذا انضاف إلى ذلك أن يكون رأسه صغيرا فلا تشك فيه.

وقال بعض الشعراء:

إذا عرّضت لفتى لحيته وطالت فصارت إلى سرته
فنفصان عقل الفتى عندنا بمقدار ما زاد في لحيته
ومن صفات الأحمق صغر الأذن، ويعرف الأحمق بمشيه وتردده.

وكلام الأحمق أقوى الأدلة على حُمنه .

* * *

وأما فيما يتعلّق بالقسم الثاني، أي الخصال والأفعال، فإن الأحمق يترك النظر في العواقب، ويثق بمن لا يعرفه. والأحمق لا مودة له، مُعجَب بنفسه إلى أبعد الحدود، كثير الكلام. قال حكيم: لا يعزّتكم ظرف الرجل وفصاحته، وإن كان مع ذلك قائم الليل، صائم النهار. إذا رأيتم فيه ثلاث خصال: العجب وكثرة الكلام فيما لا يبغيه، وأن يعيب على الناس ما يأتي مثله، فإن ذلك من علامة الجاهل. وقال عمر بن عبد العزيز: ما عدمت من الأحمق فلن تغدّم خلتين: سُرعة الجواب، وكثرة الالتفات.

[فحص لعقل الرجال]

ومن خصال الأحمق: فرحُه بالكذب ممن مدّحه وتأثره بتعظيمه وإن كان غير مستحقّ لذلك. وقال حكيم: لا أحد أحمق من غنيّ قد أمن الفقر، وفقير قد أيس من الغنى. وقال الأضمعي: إذا أردت أن تعرف عقل الرجل في مجلسٍ واحدٍ فحدّثه بحديث لا أضلّ له؛ فإن رأيته أضغى إليه وقبله فاعلم أنه أحمق، وإن أنكره فهو عاقل.

[أخلاق الحمقى]

وقال بعض الحكماء في أخلاق الحمقى: العجلة، والخفة، والجفاء، والغلظة، والغرور، والفجور، والسفه، والجهل، والتواني، والخيانة، والظلم، والتفريط، والعفلة، والخيلاء، والفخر، والمكر. إن استغنى بطر، وإن افتقر قنط، وإن فرح أشر، وإن قال فحش، وإن سئل بخل، وإن سأل ألح، وإن قال لم يحسن، وإن قيل له لم يققه، وإن ضحك نهق، وإن بكى حار.

[ست خصل للآحمق]

وقال بعض الحكماء: يُعرف الأحمق بستّ خصال: العصب من غير

شَيْءٍ، وَالْإِعْطَاءُ فِي غَيْرِ حَقٍّ، وَالْكَلامُ مِنْ غَيْرِ مَنْفَعَةٍ، وَالثَّقَّةُ بِكُلِّ أَحَدٍ،
وَأَفْشَاءُ السَّرِّ، وَالْأَيُّقُرُقُ بَيْنَ عَدُوِّهِ وَصَدِيقِهِ. وَيتكَلَّمُ بِمَا يَخْطُرُ عَلَى قَلْبِهِ،
وَيَتَوَهَّمُ أَنَّهُ أَعْقَلَ النَّاسِ.

[علامة الحمق]

وقال حكيمٌ: عَلَامَةُ الْحُمَقِ سُزْعَةُ الْجَوَابِ، وَتَرْكُ التَّثَبُّتِ، وَالْإِفْرَاطُ فِي
الضَّحِكِ، وَكَثْرَةُ الْاَلْتِفَاتِ، وَالْوَقِيعَةُ فِي الْأَخْيَارِ، وَالْاِخْتِلَاطُ بِالْأَشْرَارِ.
وَالْأَحْمَقُ إِنْ أَعْرَضَتْ عَنْهُ اِعْتَمَّ، وَإِنْ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ اِغْتَرَّ، وَإِنْ حَلَمَتْ عَنْهُ جَهَلَ
عَلَيْكَ، وَإِنْ جَهَلَتْ عَلَيْهِ حَلَمَ عَلَيْكَ، وَإِنْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ أَسَاءَ إِلَيْكَ، وَإِنْ
أَسَأْتَ إِلَيْهِ أَحْسَنَ إِلَيْكَ، وَإِذَا ظَلَمْتَهُ أَنْصَفَكَ، وَإِذَا أَنْصَفْتَهُ ظَلَمَكَ. فَمَنْ ابْتَلَى
بِضَخْبَةِ الْأَحْمَقِ فَلْيُكْثِرْ مِنْ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى مَا وَهَبَ لَهُ مِمَّا حُرِمَهُ ذَلِكَ.

قال أحد الشعراء:

لَنَا جَلِيسٌ تَارِكٌ لِلْأَدَبِ جَلِيسُهُ مِنْ قَوْلِهِ فِي تَعَبِ
يَغْضَبُ جَهْلًا عِنْدَ حَالِ الرِّضَى وَمِنْهُ يَرْضَى عِنْدَ حَالِ الْعُضْبِ

* * *

[لا تؤاخ الأحمق]

قال رسول الله ﷺ: «لَا تُؤَاخِ الْأَحْمَقَ فَإِنَّهُ يُشِيرُ عَلَيْكَ وَيُجْهَدُ نَفْسَهُ
فِي خَطِيئَةٍ، وَرُبَّمَا يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرُّكَ، وَسُكُونُهُ خَيْرٌ مِنْ نُطْقِهِ، وَبُعْدُهُ خَيْرٌ
مِنْ قُرْبِهِ، وَمَوْتُهُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِهِ».

[لا تغضب على الحمقى]

وقال حكيمٌ لابنِهِ: يَا بَنِيَّ اإِلْزَمِ أَهْلَ الْعَقْلِ وَجَالِسُهُمْ، وَاجْتَنِبِ الْحَمَقَى
فإِنِّي مَا جَالَسْتُ أَحْمَقَ فَمُنْتُ إِلاَّ وَجَدْتُ التَّفْصِصَ فِي عَقْلِي. وقيل: (أَوْحَى
اللَّهُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَغْضَبْ عَلَى الْحَمَقَى فَيَكْثُرُ غَمُّكَ). وقال
الحسن بن علي: هِجْرَانُ الْأَحْمَقِ قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

[ثلاثة لا تنتصف]

وقال حكيم: ثلاثة لا ينتصف بغيرهم من بغض: حليم من أحمق، وشريف من ذني، وبر من فاجر.

[الناس أربعة]

وقال آخر: الناس أربعة: رجل يذري ويذري أنه يذري فذاك عالم فخذوا عنه. ورجل يذري وهو لا يذري أنه يذري، فذاك ناس فذكروه. ورجل لا يذري وهو يذري أنه لا يذري فذاك طالب فعلموه. ورجل لا يذري ولا يذري أنه لا يذري، فذاك أحمق فازفضوه. وقال آخر: معاتبه الأحمق نفخ في قربة مقطوعة. وقال: كل صديق ليس له عقل فهو أشد عليك من عدوك. وقال: النظر إلى الأحمق سحنة عين. وقال: يأتي على الناس زمان تكون الدولة فيه للحمقى. وقال: مؤنة العاقل على نفسه، ومؤنة الأحمق على الناس، ومن لا عقل له فلا دنيا له ولا آخرة.

وقال أحد الشعراء:

اتقى الأحمق أن تضحبه	إنما الأحمق كالثوب الخلق ^(١)
كلما رقت منه جانباً	خرقته الريح وهنا فانخرق
أو كصدع في زجاج فاحش	هل ترى صدع زجاج يرتق؟
كجمار السوق إن أفضمته	رمح الناس وإن جاع نهق ^(٢)
أو غلام السوء إن أسعبته	سرق الناس وإن يشبع فسق ^(٣)
وإذا عاتبته كي يسرعوي	أفسد المجلس منه بالخرق ^(٤)

* * *

(١) الخلق: القديم، البالي.

(٢) أسعبته: أجمته.

(٣) أفضمته: علفته.

(٤) الخرق: الحمق.

وتقول العرب: «أحمق من هبقة» وستأتي أخباره. و«أحمق من حذته» قيل هو رجل بعينه. وقيل هو الصغير الأذن، الخفيف الرأس، القليل الدماغ، وكذلك يكون الأحمق. وقيل «حذته» امرأة كانت تمتخط بكوعها.

وتقول العرب: «أحمق من أبي غبشان» و«أحمق من جحا» و«أحمق من عجل بن لجيم» و«أحمق من حجينه» وهو رجل من بني الصداء و«أحمق من بنهس» و«من مالك بن زيد مناة» و«من عدي بن حباب» و«أحمق من الممهورة إحدى خدمتها».

ويقولون: «أحمق من الضبع» و«أحمق من أم عامر» و«أحمق من نعجة على حوض» لأنها إذا وردته الماء أكبت عليه ولا تنثني. و«أحمق من ذئبة» لأنها تترك ولدها وترضع ولد الضبع.

ويقولون: «أحمق من حمامة» لأنها لا تصلح عشاها، وربما سقط بيضها فانكسر. وربما باضت على الأوتاد فيقع البيض. و«أحمق من نعامة» لأنها إذا مرت بييض غيرها حصنته وتركت بيضها. و«أحمق من رخمه» و«أحمق من عقق» لأنه يضيع بيضه وفراخه. و«أحمق من كروان» لأنه إذا رأى أناسا سقط على الطريق فيأخذونه.

ومن الموصوف بالحمق من الحيوان: الحبارى، والنعجة، والبعير، والطاؤوس، والزرافة.

ويقولون: أحمق من رجلته، وهي البقلة الحمقاء لأنها تثبت في مجاري السيل.

* * *

[هبقة]

ومن الحمقى «هبقة» واسمه يزيد بن ثروان ويقال ابن مروان، أحد بني قيس بن ثعلبة. ومن حمقه أنه جعل في عنقه قلادة من ودع وعظام وحزف، وقال: أخشى أن أضل نفسي ففعلت ذلك لأعريفها به. فحولت القلادة ذات ليلة من عنقه إلى عنق أخيه، فلما أصبح قال: يا أخي، أنت أنا، فمن أنا؟

وَضَاعَ مِنْهُ بَعِيرٌ فَجَعَلَ يُنَادِي: مَنْ وَجَدَهُ فَهُوَ لَهُ، فَقِيلَ لَهُ: فَلِمَ تَبْحَثُ عَنْهُ؟ قَالَ: فَأَيْنَ حَلَاوَةُ الْوَجْدَانِ؟ وَفِي رِوَايَةٍ: فَلَهُ عَشْرَةٌ. فَقِيلَ لَهُ: لِمَ تَفْعَلُ هَذَا؟ فَقَالَ: لِلْوَجْدَانِ حَلَاوَةٌ فِي الْقَلْبِ.
وَكَانَ إِذَا رَعَى غَنَمًا جَعَلَ يَخْتَارُ الْمَرَاعِي لِلسَّمَانِ وَيُنْحِي الْمَهَازِيلَ وَيَقُولُ: لَا أَصْلِحُ مَا أَفْسَدَهُ الدَّهْرُ.

* * *

[أخذ مفاتيح الكعبة بزق خمر]

وَمِنْهُمْ أَبُو عُبْسَانَ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ خُزَاعَةَ كَانَ يَلِي الْكَعْبَةَ، فَاجْتَمَعَ مَعَ قُصَيِّ بْنِ كِلَابٍ بِالطَّائِفِ عَلَى الشُّرْبِ. فَلَمَّا سَكِرَ اشْتَرَى مِنْهُ قُصَيٌّ وَلايَةَ الْبَيْتِ بِزِقِّ خَمْرٍ، وَأَخَذَ مِنْهُ مَفَاتِيحَهُ وَسَارَ بِهَا إِلَى مَكَّةَ، وَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشِ، هَذِهِ مَفَاتِيحُ بَيْتِ أَبِيكُمْ إِسْمَاعِيلَ، رَدَّهَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ غَيْرِ عَدْرِ وَلَا ظُلْمٍ. وَأَفَاقَ أَبُو عُبْسَانَ، فَتَدِمَ، فَقِيلَ «أَنْدُمُ مِنْ أَبِي عُبْسَانَ» وَأَخْسَرُ مِنْ أَبِي عُبْسَانَ، وَأَحْمَقُ مِنْ أَبِي عُبْسَانَ. قَالَ بَعْضُهُمْ:

بَاعَتْ خُزَاعَةُ بَيْتَ اللَّهِ إِذْ سَكِرَتْ بِزِقِّ خَمْرٍ فَبَيْتَتْ صَفْقَةَ الْبَادِي
بَاعَتْ سِدَانَتَهَا بِالْخَمْرِ وَأَنْقَرَضَتْ عَنِ الْمَقَامِ وَظِلَّ الْبَيْتِ وَالنَّادِي
ثُمَّ جَاءَتْ خُزَاعَةُ فَحَارَبَتْ قُصَيًّا فَغَلَبَهُمْ، وَاسْتَقَرَّ أَمْرُ الْكَعْبَةِ لَهُ.

* * *

وَمِنْهُمْ «عِجْلُ بْنُ لَجِيمٍ» بِنِ صَعْبِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ. مِنْ حُمْقِهِ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: مَا سَمَّيْتَ فَرَسَكَ؟ فَقَامَ إِلَيْهِ فَقَالَ إِنْ خَدَى عَيْنِيهِ وَقَالَ: سَمَّيْتُهُ الْأَعْوَرَ.
قَالَ أَحَدُ الشُّعْرَاءِ:

رَمْتَنِي بَنُو عِجْلِ بِدَاءِ أَبِيهِمْ وَأَيُّ أَمْرِي فِي النَّاسِ أَحْمَقُ مِنْ عِجْلِ
أَلَيْسَ أَبُوهُمْ عَارَ عَيْنِ جَوَادِهِ فَصَارَتْ بِهِ الْأَمْثَالُ تُضْرَبُ بِالْجَهْلِ؟

* * *

وَمِنْهُمْ: «حَمْرَةُ بْنُ بَيْضٍ» قِيلَ إِنَّهُ دَعَا حَجَّامًا، وَكَأَنَّ الْحَجَّامَ ثَقِيلًا كَثِيرًا

الكلّام، فلما أزهف المشاريط، قال له: السّاعة تُوجعني. قال: لا. قال: فأنصرف اليوم. قال: لا تفعل فإنك محتاج إلى إخراج الدّم، وذلك بين في وجهك وهي سنّة نبويّة. قال: فأنصرف وعُدّ إليّ غداً. قال: لست تدري ما يحدث غداً، والمشاريط حادة، وإنّما هي لحظة. قال: إن كان كما تقول فأعطني إحدى عيّنك تكون في يدي رهينة، فإن أوجعتني أوجعتك. فقام الحجام وقال: أرى أن تدع الحجامّة في هذا العام وانصرف.

وقال حمزة لِعَلام له: أيّ يوم صلّينا الجمعة في الرّصافة؟ فكفر العلام مدة، ثم قال: يوم الثلاثاء.

* * *

ومنهم «أبو أسيد» قيل إنه عزى رجلاً عن مصيبيته، فقال له: رزقنا الله مكافأتك. ونظر إلى رجلٍ نائم، فقال له: فم فكم تنام كأنك بغير شارد. وقيل له: حدثنا عن ابنِ عمر، فقال: كان يحفّ شاربهُ حتى يبدو بياضاً إبّنيه.

* * *

[سقط القميص]

ومنهم «جحا» ويكنى أبا العُصن. وقد روي عنه ما يدلّ على فطنة ودكاءٍ إلا أن الغالب عليه التّعجيل. قال له رجلٌ: سمعت من داركم صراخاً، قال: سقط قميصي من فوق. قال: وإذا سقط من فوق؟ قال: يا أحمق لو كنت فيه أليس كنت قد وقعت معه؟

وتأذى جحا مرّة من شدة العواصف فقال يخاطبها: لا يعرفك إلا سليمان بن داود الذي حبسك حتى هلكت من الجوع.

[صلب الميت لتوفير ٣ دراهم]

ومات جارا له فأرسل إلى الحفار ليحفّر له فجري بينهما لجاح في أجرة الحفر، فمضى جحا إلى السوق، وأشتري خشبةً بذرهمين وجاء بها، فسئل

عنها فقال: إِنَّ الْحَفَارَ لَا يَحْفَرُ بِأَقْلٍ مِنْ خَمْسَةِ دَرَاهِمٍ، وَقَدْ اشْتَرَيْنَا هَذِهِ
الْخَشَبَةَ بِدِرْهَمَيْنِ لِنَضْلِبَهُ عَلَيْهَا، وَنُوَفِّرَ ثَلَاثَةَ دَرَاهِمٍ، وَيَسْتَرِيحَ مِنْ ضَغْطَةِ
الْقَبْرِ، وَسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ.

وتبخر يوماً فاخترقت ملابسه فغضب وأقسم ألا يتبخر إلا وهو عرياناً.

[لا تعجلوا بالتوبة]

وهبت يوماً رياح شديدة فأقبل الناس يدعون الله ويظهرون التوبة،
فصاح جحاً قائلاً: يَا قَوْمَ لَا تَعْجَلُوا بِالتُّوبَةِ فَإِنَّمَا هِيَ زُوبَعَةٌ وَتَسْكُنُ.

وخرج والد جحاً يوماً فوجد ثراباً كثيراً عند باب بيته فاختار ولم يدر
ماذا يصنع؟ فقال له جحاً: يَا أَبِي لَا تَحْزَنْ، فَمِنَ السَّهْلِ عَلَيْكَ أَنْ تَتَخَلَّصَ
مِنْ هَذَا التُّرَابِ. قَالَ لَهُ: كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ؟ قَالَ: اخْفُزْ بِثُرًا وَاكْسِبْهُ فِيهِ.

[اختبأ خشية الأجرة]

واشترى يوماً دقيفاً ودعا رجلاً ليحمله، فانتهر الرجل فُرْصَةً أزدحام
الناس واختفى بالدقيق. فلما كان بعد أيام رآه جحاً فاستتر منه، فقيل له: مَا
لَكَ تَفْعَلُ هَكَذَا؟ فَقَالَ: أَخَافُ أَنْ يَطْلُبَ مِنِّي أُجْرَتَهُ.

[دفن المال]

وحكي أن جحاً دفن دراهم في صحراء وجعل علامتها سحابة تظللها.
ومات أبوه فقيل له: اذْهَبْ وَاشْتَرِ الْكَفْنَ، فَقَالَ: أَخَافُ أَنْ أَشْتَرِيَ الْكَفْنَ
فَتَقُوتَنِي الصَّلَاةُ عَلَيْهِ.

وحكي أن أحد الخلفاء أخضره ليمزح معه، فدعا بالنطع والسيف، فلما
أُفْعِدَ فِي النُّطْعِ قَالَ لِلسَّيَافِ: أَنْظِرْ لَا تُصِيبْ مَحَاجِمِي فَإِنِّي قَدْ أَحْتَجَمْتُ.

ورأوه يوماً في السوق يجري فقالوا له: لِمَ إِذَا تَجْرِي؟ فَقَالَ: هَلْ مَرَّتْ
بِكُمْ جَارِيَةٌ رَجُلٍ مَحْضُوبٍ اللَّحْيَةَ.

وَاجْتَاَزَ يَوْمًا بَبَابِ الْجَامِعِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقِيلَ: مَسْجِدُ الْجَامِعِ،
فَقَالَ: رَحِمَ اللَّهُ جَامِعًا، مَا أَحْسَنَ مَا بَنَى مَسْجِدَهُ!

وَمَرَّ بِقَوْمٍ وَفِي كُفْمِهِ خُوخٌ، فَقَالَ: مَنْ أَخْبَرَنِي بِمَا فِي كُفْمِي فَلَهُ أَكْبَرُ
خُوخَةٍ، فَقَالُوا: خُوخٌ. فَقَالَ: مَنْ أَخْبَرَكُمْ بِهِذَا فَهُوَ خِنْزِيرٌ.

وَسَمِعَ قَائِلًا يَقُولُ: مَا أَحْسَنَ الْقَمَرَ! فَقَالَ: إِي وَاللَّهِ وَخَاصَّةً فِي اللَّيْلِ.

[عقد الأصابع للحساب]

وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَتُحْسِنُ الْحِسَابَ بِأَصْبُعِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: خُذْ
جَرِيْبَيْنِ حِنْطَةً، فَعَقِدِ الْخِنْصِرَ وَالْبِنْصِرَ. فَقَالَ لَهُ: خُذْ جَرِيْبَيْنِ شَعِيرًا، فَعَقِدِ
السَّبَابَةَ وَالْإِبْهَامَ، وَأَقَامِ الْوُسْطَى. فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: لِمَ أَقَمْتَ الْوُسْطَى؟ قَالَ:
لِيَلَّا تَخْتَلِطَ الْحِنْطَةُ بِالشَّعِيرِ.

[شراؤه لباز ميت]

وَمَرَّ يَوْمًا بِصَبْيَانٍ يَلْعَبُونَ بِبَازٍ مَيِّتٍ فَاشْتَرَاهُ مِنْهُمْ بِدِرْهَمٍ وَحَمَلَهُ إِلَى
الْبَيْتِ، فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: وَيْحَكَ مَاذَا تَصْنَعُ بِهِ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ لَهَا: اسْكُتِي،
فَلَوْ كَانَ حَيًّا مَا طَمِعْتُ فِي شِرَائِهِ بِمِائَةِ دِرْهَمٍ.

وَخَرَجَ أَبُوهُ إِلَى مَكَّةَ حَاجًّا، فَقَالَ لَهُ عِنْدَ ودَاعِهِ: بِاللَّهِ لَا تُطِلْ غَيْبَتَكَ
وَاجْتَهِدْ أَنْ تَكُونَ عِنْدَنَا فِي الْعِيدِ لِأَجْلِ الْأُضْحِيَّةِ.

* * *

وَمِنْهُمْ «مَرْبِدٌ» وَهُوَ أَبُو إِسْحَاقَ الْمَدِينِيُّ. وَكَانَ الْوَالِي قَدْ غَضِبَ عَلَيْهِ
يَوْمًا، فَدَعَا أَحَدَ الْحَلَاقِينَ لِيَخْلِقَ لَهُ لِحَيْتَهُ. فَقَالَ لَهُ الْحَلَاقُ: انْفُخْ شِدْقِيكَ
حَتَّى أَتِمَّكَ مِنَ الْجِلَاقَةِ. فَقَالَ مَرْبِدٌ: أَمَرَكَ الْوَالِي بِحَلْقِ لِحَيْتِي، وَلَمْ يَأْمُرَكَ
بَأَنْ تُعَلِّمَنِي الرُّمْرَ.

[تمنى السقوط بألف]

وقيل له: إن فلانا الحفار قد مات. فقال: أبعد الله: من حفر حفرة

سوء وقع فيها. وقال مزبذ لرجل: أيسرك أن تُعطى ألف درهم وتسقط من فوق البيت؟ قال: لا. قال مزبذ: وددت أنها لي وأسقط من فوق الثريا. فقال له الرجل: وبذلك فإذا سقطت مت. قال: وما يدريك، لعلي أسقط فوق جزن من الثبن، أو فوق فراش ناعم.

وقيل له: أيسرك أن يكون هذا الثوب لك؟ قال: نعم، وأضرب عشرين سوطاً. قالوا: ولم تقول هذا؟ قال: لأنه لا يكون شيء إلا بشيء.

* * *

ومنهج: «أزهر الحمار» كان جالسا بين يدي أحد الأمراء يأكل بطيخا، فقال له الأمير: كيف طعمه يا أزهر؟ أهو حلو؟ قال: أما أكلت الطين قط؟

وقدم على أحد الأمراء رسول من قبل السلطان، فلما حضرت المائدة دخل أزهر وجلس مع الآكلين. فقال له الأمير: جملنا بسكوتك يا أزهر، فسكت طويلاً ثم لم يصبر، فقال: بنيت في القرية بزجا ارتفاعه ألف خطوة، فأشار عليه الحاجب أن يسكت. فقال له الرسول: في عرض كم؟ قال: في عرض خطوة. فقال له الرسول: ما كان ارتفاعه ألف خطوة لا يكفي أن يكون عرضه خطوة! قال: أردت أن أزيد فيه فمنعني هذا الواقف.

وقدم رسول آخر فقيل لأزهر: لا تتكلم اليوم، وتجمل لهذا الرسول. فسكت مدة، فعطس الرسول فأراد أزهر أن يثمته بالعبارة المألوفة «يرحمك الله» فقال: صبحك الله. فقال له الأمير: ألم أطلب منك أن لا تتكلم؟! فقال: أردت ألا يرجع الرسول إلى بغداد فيقول: إن هؤلاء لا يعرفون العريّة.

وقال له الطبيب: خذ زمانتين فاعصرهما بشحمهما واشرب ماءهما، فعمد إلى زمانتين وقطعة شحم ودقهما في موضع واحد وعصرهما وأخذ ماءهما فشربه.

* * *

ومنهـم «أبو محمد جامع الصـيدلاني» قال بعـضهم: كتبت إلى جامع الصـيدلاني رسـالة، فكتب جوابه وجعل عـنوانه: إلى الذي كتب إلي. وجاء إليه قوم في أمر بـستان، فقالوا له: يا أبا محمد، منذ كم تعرف هذا البستان؟ قال: أعرفه منذ أن كان صـغيراً وهو لفلان.

وركب زورقاً فأعطى الملاح دزهما فاستزاده، فقال له: مسخني الله قوداً مثلك إن زدتك شيئاً.

وذهب إلى السوق ليشتري لابنه نعلاً، فقيل له: كم عمره؟ فقال: ما أدري، ولكنّه ولد أول ما جاء العنب، ومحمد ابني مات وهو أكبر منه بشهرين ونصف.

وكانت له بنت فسئل عن عمرها، فقال: لا أدري إلا أنها ولدت أيام البراغيث.

وأنشئ له كنيف، فقال لـغلامه: بادِر وأخـضر من يـضـلحه حتى نتغدى به قبل أن يتعشى بنا.

* * *

ومنهـم «أبو عبد الله بن الجصاص» حكى عنه أنه كان يوماً يأكل مع أحد الوزراء، فلما فرغ من الأكل قال: الحمد لله الذي لا يخلف بأعظم منه. ونظر يوماً في المصحف وجعل يقول: رخيص والله، وهذا من فضل ربي، أكل وأتمتع بـدزهم، وإذا في المصحف: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾ فصحف «ذَرَهُمْ» فظن أنه «دزهم».

[غلط في الفعل وأخطأ في الاعتذار]

ودخل ابن الجصاص يوماً على ابن الفرات الوزير وفي يده بطيخة فأراد أن يعطيها للوزير ويصق في دجلة، فصق في وجه الوزير، ورمى البطيخة في دجلة، فازتاع الوزير وانزعج ابن الجصاص وتحير، وقال: والله العظيم لقد أخطأت وغلطت؛ أردت أن أبصق في وجهك وأزمي البطيخة في دجلة. فقال

لَهُ الْوَزِيرُ: كَذَلِكَ فَعَلْتَ يَا جَاهِلُ، فَعَلِطَ فِي الْفِعْلِ وَأَخْطَأَ فِي الْاِغْتِدَارِ.
وَنظَرَ يَوْمًا فِي الْمِرْآةِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ بَيِّضْ وُجُوهَنَا يَوْمَ تَبْيِضُ وُجُوهُ،
وَسَوِّدْهَا يَوْمَ تَسْوَدُ وُجُوهُ.

وَنظَرَ يَوْمًا فِي الْمِرْآةِ فَقَالَ لِإِنْسَانٍ عِنْدَهُ: أَتَرَى لِحَيَّتِي قَدْ طَالَتْ؟ فَقَالَ
لَهُ: الْمِرْآةُ فِي يَدِكَ. فَقَالَ: صَدَقْتَ، وَلَكِنَّ الشَّاهِدُ يَرَى مَا لَا يَرَاهُ الْعَائِبُ.
وَكَسَرَ يَوْمًا لَوْزًا فَطَارَتْ لَوْزَةٌ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كُلُّ شَيْءٍ يَهْرُبُ مِنَ
الْمَوْتِ حَتَّى الْبَهَائِمِ.

وَأَهْدَى إِلَى أَحَدِ الْوُزَرَاءِ نَبَقًا وَكَتَبَ إِلَيْهِ: «تَقَيَّلْتُ»^(١) أَنْ تَبْقَى فَأَهْدَيْتُكَ
النَّبَقَا» فَكَتَبَ فِي جَوَابِهِ: «مَا تَقَيَّلْتُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَبَقَّرْتُ»^(٢).

وَكَانَ ابْنُ الْجِصَّاصِ يُسَبِّحُ كُلَّ يَوْمٍ فَيَقُولُ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ نِعَمِهِ، وَنَتُوبُ
إِلَيْهِ مِنْ إِحْسَانِهِ، وَنَسْتَقِيلُهُ مِنْ عَافِيَتِهِ، وَنَسْأَلُهُ عَوَائِقَ الْأُمُورِ، حَسْبِيَ اللَّهُ
وَأَنْبِيَآؤُهُ وَالْمَلَائِكَةُ الْكِرَامُ. سُبْحَانَ اللَّهِ قَبْلَ اللَّهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ بَعْدَ اللَّهِ.
وَأَتَاهُ غُلَامُهُ يَوْمًا بِفَرَخٍ فَقَالَ: أَنْظِرُوا إِلَى هَذَا الْفَرَخِ، مَا أَشْبَهَهُ بِأُمِّهِ! ثُمَّ
قَالَ: هَلْ أُمُّهُ ذَكَرَتْ أُمَّ أُنْتَى؟

وَمَرِضَ مَرَّةً قَلِيلًا لَهُ: كَيْفَ تَجِدُكَ؟ فَقَالَ: الدُّنْيَا كُلُّهَا مَخْمُومَةٌ.
وَحَكَى بَعْضُهُمْ: كُنْتُ عِنْدَ أَحَدِ أَصْدِقَائِي أُعْزِيهِ فِي أُمِّهِ، وَعِنْدَهُ الْخَلْقُ
مِنَ الرُّؤَسَاءِ وَالْكِتَابِ، إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ الْجِصَّاصِ فَدَخَلَ ضَاحِكًا وَهُوَ يَقُولُ:
الْحَمْدُ لِلَّهِ قَدْ سَرَّنِي وَاللَّهُ يَا أَبَا إِسْحَاقَ. فَدَهَشَ الْحَاضِرُونَ وَقَالُوا لَهُ: يَا هَذَا
كَيْفَ سَرَكَ مَا عَمَّهُ وَعَمَّمْنَا؟ فَقَالَ: بَلَّغَنِي أَنَّهُ هُوَ الَّذِي مَاتَ، فَلَمَّا صَحَّ عِنْدِي
أَنَّهَا هِيَ الَّتِي مَاتَتْ سَرَّنِي ذَلِكَ، فَضَحِكَ النَّاسُ جَمِيعًا.

وَكَتَبَ ابْنُ الْجِصَّاصِ إِلَى وَكِيلٍ لَهُ لِيَحْمِلَ إِلَيْهِ مِائَةَ رِطْلٍ مِنَ الْقُطْنِ،

(١) يقصد تفاءلت.

(٢) يقول: لم تصبح فيلاً، ولكنك أصبحت بقرة.

فَحَمَلَهَا وَلَمَّا حَلَجَهَا خَرَجَ مِنْهَا رُبْعُ الْوَزْنِ، فَكَتَبَ إِلَى الْوَكِيلِ: لَمْ نَحْضُلْ مِنْ هَذَا الْقَطْنِ إِلَّا عَلَى خَمْسَةِ وَسَبْعِينَ رِطْلًا، فَلَا تَزْرَعْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا قُطْنَا مَحْلُوجًا وَشَيْئًا مِنَ الصُّوفِ أَيْضًا.

وَسُمِعَ مَرَّةً يُسَبِّحُ قَائِلًا: حَسْبِيَ اللَّهُ وَخِدي. وَقَالَ: كَانَ الْهَوَاءُ الْبَارِحَةَ بَارِدًا إِلَّا أَنِّي لَمْ أَجِدْهُ. وَدَخَلَ يَوْمًا عَلَى مَرِيضٍ فَجَلَسَ عِنْدَهُ فَشَكَا إِلَيْهِ الْكِتِفَ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَغْفَلُ مِنْ وَجَعِ كَتْفِي هَذَيْنِ، وَضَرَبَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ.

* * *

[حد على البهائم]

وقد روي عن بعض العقلاء أنه صدرت منهم أعمال تدل على الحمق. فقد حدث أن أسند الرشيد ولاية الرقة إلى رجل اسمه «نصر بن مفضل» فأمر بمعاينة شاة بالجلد. ف قيل له: إنها بهيمة، فقال: الحدود لا تعطل وإن عطلتها فبئس الوالي أنا. فانتهى خبره إلى الرشيد فطلبه فلما دخل عليه قال له: من أنت؟ قال: مؤلى لبني كلاب. فضحك الرشيد وقال: كيف بصرك بالحكم؟ قال: الناس والبهائم عندي سواء في الحق، ولو وجب الحق على بهيمة وكانت أمي أو أختي أجزيت عليها الحد ولم تأخذني في الله لومة لائم. فأغفاه الرشيد من عمله.

[دواء الحرارة بالموت]

وقال حكيم لأحد الوزراء: ما العلم الأكبر؟ قال: الطب، وإني أعرف منه أكثره. فسأله الحكيم عن كيفية علاج شخص مصاب بالحمى. فقال: دواؤه أن يموت حتى تنخفض درجة حرارته، ثم يعالج بالأدوية ليعود حيًا. قال الحكيم: ومن يخيه بعد الموت؟ قال: هذا علم آخر وجد في كتاب النجوم ولم أنظر في شيء منه إلا في باب الحياة، فإني وجدت في كتاب النجوم أن الحياة للإنسان خير من الموت. فقال الحكيم: أيها الوزير، الموت على كل حال خير للجاهل من الحياة.

وجاء بعضُ الأُمراءِ المُعقَلينَ إلى بائعِ ثُلجٍ فقال: أرني ما عندك. فكسَّرَ البائعُ قِطْعَةً وناولها له. فقال: أريدُ أُبرَدَ من هَذَا، فكسَّرَ قِطْعَةً مِنَ الجَانِبِ الآخرِ، فقال: ما سِعْرُ هَذَا؟ فقال: رِطْلٌ بِدِرْهِمٍ، وَمِنَ الأوَّلِ رِطْلٌ وَنِصْفٌ. فقال: أَعْطِنِي مِنَ الثَّانِي.

وقال بعضُ النَّاسِ لِمَمْلُوكِهِ: اخْرُجْ فَانظُرْ هَلِ السَّمَاءُ مُصْحِيَّةٌ أَوْ مُعِيْمَةٌ، فخرَجَ وعَادَ فقال: وَاللَّهِ مَا تَرَكَنِي المَطَرُ أَنْظُرُ هَلْ هِيَ مُعِيْمَةٌ أَمْ لَا.

وَاشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ حَبَّازٍ مَائَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ رِطْلًا مِنَ الخُبْزِ بدينارٍ، ثُمَّ كَانَ يَأْخُذُ كُلَّ يَوْمٍ شَيْئًا إِلَى أَنْ بَلَغَ جُمْلَةً مَا أَخَذَهُ مِائَةٌ وَعِشْرِينَ. فَقَالَ لِلْحَبَّازِ: لَقَدْ أَخَذْتُ مِائَةً وَعِشْرِينَ رِطْلًا، وَلِي عِنْدَكَ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ، فَأَخْصِمْ هَذِهِ بِتِلْكَ وَأَعْطِنِي الدِّينَارَ، فَجَعَلَ الحَبَّازُ يَصِيحُ وَيَقُولُ: كَيْفَ أَفْعَلُ هَذَا؟ فيقولُ الرَّجُلُ: أَخَذْتُ مِنْكَ مِائَةً وَعِشْرِينَ رِطْلًا، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ فَقَالَ الحَبَّازُ: نَعَمْ. قَالَ المُشْتَرِي: وَلِي عِنْدَكَ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ رِطْلًا، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ قَالَ الحَبَّازُ: نَعَمْ. فَقَالَ المُشْتَرِي: أَخْصِمْ مَا أَخَذْتُهُ مِنْكَ فِي مُقَابِلِ مَالِي عِنْدَكَ، وَأَعْطِنِي الدِّينَارَ. وَلَمَّا اذْتَفَعَ صِيَاحُهُمَا اجْتَمَعَ النَّاسُ حَوْلَهُمَا وَرُفِعَتْ قِصَّتُهُمَا إِلَى الأَمِيرِ.

* * *

[سُرقة حمار بحيلة عقوق]

وَحِكِي أَنْ بَعْضَ المُعقَلينَ كَانَ يَقُودُ حِمَارًا. فَقَالَ بَعْضُ الأَذْكِيَاءِ لِرَفِيقِ لَهُ: يُمَكِّنُنِي أَنْ أَخْذَ هَذَا الحِمَارَ وَلَا يَعْلَمُ هَذَا المُعَقِّلُ. قَالَ: كَيْفَ تَعْمَلُ وَمِقْوَدُهُ بِيَدِهِ؟ فَتَقَدَّمَ فَحَلَّ المِقْوَدَ وَرَبَطَ رَأْسَهُ فِيهِ، وَأَشَارَ عَلَى رَفِيقِهِ أَنْ يَأْخُذَ الحِمَارَ وَيَهْرُبَ بِهِ، وَمَشَى هُوَ خَلْفَ المُعَقِّلِ وَالمِقْوَدُ فِي رَأْسِهِ مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ، ثُمَّ وَقَفَ فَجَذَبَهُ فَمَا مَشَى فَالْتَفَتَ فَرَأَهُ، فَقَالَ: أَيْنَ الحِمَارُ؟ فَقَالَ: أَنَا هُوَ، قَالَ: وَكَيْفَ هَذَا؟ قَالَ: كُنْتُ عَاقًا لِيوالِدَتِي فَمَسِخْتُ حِمَارًا، وَلِي هَذِهِ المُدَّةُ فِي خِدْمَتِكَ، وَالآنَ قَدْ رَضِيتُ عَنِّي أُمِّي فَعُدْتُ أَدَمِيًّا.

فَقَالَ صَاحِبُ الحِمَارِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَكَيْفَ كُنْتُ

أَسْتَخْدِمُكَ وَأَنْتَ أَدِمِّي؟ قَالَ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ. قَالَ: فَادْهَبْ فِي أَمَانِ اللَّهِ، فَذَهَبَ وَمَضَى الْمُعْفَلُ إِلَى بَيْتِهِ فَقَالَ لِرِزْوَجَتِهِ: أَعُنْدَكَ الْخَبْرُ؟ كَانَ الْأَمْرُ كَذَا وَكَذَا، وَكُنَّا نَسْتَخْدِمُ أَدَمِيًّا وَلَا نُدْرِي، فِيمَاذَا نَكْفُرُ وَبِمَاذَا نَتُوبُ؟ فَقَالَتْ: تَصَدَّقْ بِمَا يُمَكِّنُ.

وَمَضَتْ عَلَى ذَلِكَ أَيَّامًا، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ: إِنَّمَا شُغْلَكَ تَأْجِيرُ الْحَمِيرِ، فَادْهَبْ وَاشْتَرِ حِمَارًا لِتَتَكَسَّبَ مِنْهُ، فَخَرَجَ إِلَى السُّوقِ، فَوَجَدَ حِمَارَهُ يُنَادِي عَلَيْهِ فَتَقَدَّمَ، وَجَعَلَ فَمَهُ فِي أُذُنِ الْحِمَارِ، وَقَالَ لَهُ: يَا مَلْعُونُ، عُدْتَ إِلَيَّ عُفُوقَ أُمَّكَ.

[نجم التيس]

قَالَ مُنَجَّمٌ لِرَجُلٍ: مَا نَجْمُكَ؟ قَالَ: التَّيْسُ، فَضَحِكَ الْحَاضِرُونَ، وَقَالُوا: لَيْسَ فِي النُّجُومِ وَالْكَوَاكِبِ تَيْسٌ، قَالَ: بَلَى، قَدْ قِيلَ لِي وَأَنَا صَبِيٌّ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً نَجْمُكَ «الْجَدْيُ» فَلَا شَكَّ أَنَّهُ صَارَ تَيْسًا مُنْذُ ذَلِكَ الْوَقْتِ.

وَكَانَ لِبَعْضِ الْكُتَّابِ غُلَامٌ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ لِرِيزَارَةِ بَعْضِ أَصْدِقَائِهِ، وَلَمَّا أَقْبَلَ اللَّيْلَ، طَلَبَ مِنْ غُلَامِهِ أَنْ يَعُودَ إِلَى الْمَنْزِلِ لِإِحْضَارِ شَمْعَةٍ. فَقَالَ الْغُلَامُ: إِنِّي يَا سَيِّدِي لَا أَجْسُرُ عَلَى الذَّهَابِ إِلَى الْمَنْزِلِ بِمُفْرَدِي فِي هَذَا الْوَقْتِ، فَأَجِبْ أَنْ تَقُومَ مَعِيَ حَتَّى أَخْمِلَ الشَّمْعَةَ وَأَجِيءَ مَعَكَ.

[رجالان يسلبان ٦٠ رجلاً]

وَهَجَمَ رَجُلَانِ عَلَى قَافِلَةٍ فِيهَا سِتُونَ رَجُلًا، فَأَخَذَا مَا لَهُمْ وَثِيَابَهُمْ. فَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ: كَيْفَ غَلَبَكُم رَجُلَانِ وَأَنْتُمْ سِتُونَ! فَقَالَ: أَحَاطَ بِنَا وَاحِدٌ، وَسَلَبَنَا الْآخَرَ، مَاذَا كَانَ يُمَكِّنُنَا أَنْ نَعْمَلَ؟

وَحِكِي أَنْ بَعْضَ الْمُعْفَلِينَ ذَهَبَ لِيَشْتَرِيَ بِدِرْهَمِ زَيْتًا، فَامْتَلَأَ الْإِنَاءَ الَّذِي كَانَ مَعَهُ، وَبَقِيَ بَعْضٌ مَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الزَّيْتِ، فَسَأَلَهُ الْبَقَّالُ فِي أَيِّ شَيْءٍ تَأْخُذُ الْبَاقِي؟ فَقَلَبَ الْإِنَاءَ، وَقَالَ فِي هَذَا، وَأَشَارَ إِلَى كَعْبِ الْإِنَاءِ، فَطَرَحَ الْبَقَّالُ

الْبَاقِي فِي ذَلِكَ الْكَعْبِ، فَأَخَذَهُ الرَّجُلُ وَانصَرَفَ، فَلَقِيَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ لَهُ: بِكُمْ اشْتَرَيْتَ هَذَا الزَّيْتِ! قَالَ بَدْرَهُمْ. فَقَالَ: هَذَا الْقَدْرُ فَقَطْ! فَكَلَبَ الْإِنَاءَ وَقَالَ: هَذَا أَيْضًا.

وَقَالَ قَوْمٌ لِعِلَامٍ: اأْمَلِئْ بِيَتِّ الْمَاءِ، فَتَقَلَّ مَاءٌ كَثِيرًا وَأَبْطَأَ عَلَيْهِمْ، فَخَرَجُوا إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ يَقْلِبُ الْمَاءَ فِي الْبَيْرِ، فَقَالَ: كَلَفْتُمُونِي أَنْ أْمَلِئَ هَذَا، وَمَا أَظْنُهُ يَمْتَلِئُ فِي شَهْرٍ.

* * *

كَانَ رَجُلٌ يَسْكُنُ بِجَوَارِ إِصْطَبَلِ، فَقَالَ لَهُ أَهْلُهُ: إِنَّا نَغْسِلُ الثِّيَابَ فِي السَّطْحِ، فَيَطِيرُ بَعْضُهَا إِلَى الْإِصْطَبَلِ فَلَا يَرُدُّونَهُ عَلَيْنَا. فَقَالَ: إِذَا طَارَ لَهُمْ شَيْءٌ إِلَيْكُمْ فَلَا تَرُدُّوهُ. فَقَالُوا: أَيُّ شَيْءٍ يَطِيرُ مِنْ أَرْضِ الْإِصْطَبَلِ إِلَى سَطْحِنَا! قَالَ: قَدْ يَطِيرُ لِحَامٌ، رِكَابٌ، فَرَسٌ وَغَيْرُهُ.

وَدُعِيَ بَعْضُ الْمُعْقَلِينَ إِلَى الطَّعَامِ، فَاشْتَغَلَ النَّاسُ بِالْأَكْلِ، وَجَعَلَ هُوَ يَنْظُرُ إِلَى السُّتُورِ الْمُعَلَّقَةِ، وَكَانَتْ الْحَيْطَانُ كُلُّهَا قَدْ سُبِرَتْ. فَقِيلَ لَهُ: لِمَاذَا لَا تَأْكُلُ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ طَالَ تَعَجُّبِي مِنْ هَذِهِ السُّتُورِ الطُّوَالِ، كَيْفَ دَخَلَتْ مِنْ هَذَا الْبَابِ الْقَصِيرِ!

وَدَخَلَ بَعْضُ الْمُعْقَلِينَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ. فَلَمَّا خَرَجَ التَّفَتَ إِلَى أَهْلِهِ وَقَالَ: لَا تَفْعَلُوا بِنَا كَمَا فَعَلْتُمْ فِي فُلَانٍ، مَاتَ وَمَا أَعْلَمْتُمُونَا، إِذَا مَاتَ فَأَعْلِمُونَا، حَتَّى نُصَلِّيَ عَلَيْهِ.

وَدَخَلَتْ عَجُوزٌ عَلَى قَوْمٍ تُعْزِيهِمْ بِمَيْتٍ، فَرَأَتْ فِي الدَّارِ عَلِيلاً. فَقَالَتْ: أَنَا وَاللَّهِ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُمِشِيَ كَثِيرًا، فَأَحْسَنَ اللَّهُ عَزَاءَكُمْ فِي هَذَا الْعَلِيلِ أَيْضًا.

[عائد مريض]

وَعَادَ رَجُلٌ مَرِيضًا، فَقَالَ لَهُ: مَا عَلَثُكَ؟ قَالَ: وَجَعٌ فِي الرُّكْبَتَيْنِ. فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ قَالَ جَرِيرٌ بَيْتًا ذَهَبَ مِنِّي صَدْرُهُ وَبَقِيَ عَجْزُهُ وَهُوَ قَوْلُهُ:

* وَلَيْسَ لِدَاءِ الرُّكْبَتَيْنِ طَبِيبٌ *

فَقَالَ الْمَرِيضُ : لَا بَشْرَكَ اللَّهُ بِالْخَيْرِ ، لَيْتَكَ ذَكَرْتَ صَدْرَهُ وَنَسِيتَ عَجْزَهُ .
 وَقَالَ بَعْضُهُمْ : دَخَلْتُ مَرَّةً عَلَى بَعْضِ أَصْدِقَائِي وَفِيهِمْ مَرِيضُ الْعَيْنِ
 وَمَعِي بَعْضُ الْمُعْقَلِينَ . فَقَالَ لَهُ الْمُعْقَلُ : كَيْفَ عَيْنُكَ ؟ قَالَ : تُؤْلِمْنِي . فَقَالَ :
 وَاللَّهِ إِنْ فُلَانًا أَلَمْتَهُ عَيْنُهُ أَيَّامًا ثُمَّ ذَهَبَتْ ، فَاسْتَحَيْتُ وَاسْتَعَجَلْتُ الْخُرُوجَ .
 وَمَرَضَ رَجُلٌ فَقِيلَ لِزَوْجَتِهِ : ادْخُلِي عَلَيْهِ لِتُودِّعِيهِ ، فَقَالَتْ : أَخَافُ أَنْ
 يَغْرِفَنِي مَلَكُ الْمَوْتِ .

[هارب من شهر رمضان]

وَهَرَبَ رَجُلٌ إِلَى مَغَارَةٍ فَاخْتَفَى فِيهَا فَسُئِلَ عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ . فَقَالَ :
 هَرَبْتُ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ .

[أريد أن أضحك]

وَرُبِّي رَجُلٌ يُدْعِدِعُ نَفْسَهُ ، فَقِيلَ لَهُ : لِمَ تَفْعَلُ هَذَا؟ فَقَالَ : أَشْعُرُ بِحُزْنٍ
 شَدِيدٍ ، وَأُرِيدُ أَنْ أَضْحَكَ قَلِيلًا .
 وَاشْتَرَى رَجُلٌ جَوْزًا وَجَعَلَ يُقَلِّبُهُ ، فَأَخَذَ جَوْزَةً فِي يَدِهِ فَقَالَ : مَا أَرَى
 فِي جَوْفِهَا شَيْئًا ، ثُمَّ قَالَ : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ أَكُونَ قَدِ اغْتَبْتُهَا .
 وَتَزَوَّجَ رَجُلٌ فَتَاةً صَغِيرَةً فَسُئِلَ عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنَّمَا الْمَرْأَةُ شَرٌّ ،
 وَكُلَّمَا أَقَلَّتْ مِنَ الشَّرِّ كَانَ خَيْرًا .

* * *

[طول اللحية حمق]

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : كَانَ لِي جَارٌ مِنْ أَهْلِ فَارِسَ لَهُ لِحْيَةٌ مَا رَأَيْتُ أَطْوَلَ مِنْهَا
 قَطُّ . وَكَانَ طَوَّلَ اللَّيْلِ يَبْكِي . فَتَبَّهَنِي ذَاتَ لَيْلَةٍ بِكَاؤِهِ وَنَحِيبِهِ وَهُوَ يَشَهَقُ
 وَيَضْرِبُ عَلَى رَأْسِهِ وَصَدْرِهِ ، وَيُرَدِّدُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى . فَلَمَّا رَأَيْتُ مَا
 نَزَلَ بِهِ قُلْتُ لِأَسْمَعَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الَّتِي قَتَلْتَ هَذَا الرَّجُلَ وَأَذْهَبْتَ نَوْمِي . فِإِذَا

الآية: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْمَجِيضِ قُلْ هُوَ أَدْوَى﴾ [البقرة: ٢٢٢]. فَعَلِمْتُ أَنَّ طَوْلَ
اللَّحْيَةِ لَا يُخْلِفُ الظَّنَّ فِي حُمَقِ صَاحِبِهَا.

وَحَطَبَ أَعْرَابِيٌّ فَكَانَ مِمَّا قَالَهُ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ
أَشْهُرٍ. فَقِيلَ لَهُ: فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ. فَقَالَ: وَاللَّهِ أَرَدْتُ أَنْ أَقُولَهَا، وَلَكِنْ اسْتَقَلَّتْهَا.

[ماتوا جميعاً]

وَكَتَبَ رَجُلٌ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى أَبِيهِ: كَتَبْتُ إِلَيْكَ يَا أَبَتِ وَنَحْنُ كَمَا يَسْرُكُ، لَمْ
يَخْدُثْ لَنَا بَعْدُ إِلَّا كُلُّ خَيْرٍ، غَيْرَ أَنْ حَائِطًا لَنَا وَقَعَ عَلَى أُمِّي وَأَخِي الصَّغِيرِ،
وَأَخْتِي وَالْجَارِيَةَ وَالْحِمَارِ وَالذِّيكِ وَالشَّاةِ فَمَاتُوا جَمِيعًا وَلَمْ يُفَلِّتْ غَيْرِي.

[مسخت كلبًا وكفيت حربًا]

وَحَكَى بَعْضُهُمْ: كَانَ لِرَجُلٍ سَيْفٌ لَا فَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قِطْعَةٍ مِنَ الْخَشَبِ.
وَكَانَ يُسَمِّيهِ «لُعَابَ الْمَيِّتَةِ». قَالَ: فَأَشْرَفْتُ عَلَيْهِ لَيْلَةً وَقَدْ تَقَلَّدَهُ وَوَقَفَ عَلَى
بَابِ بَيْتٍ فِي دَارِهِ، وَقَدْ سَمِعَ جِسًا وَهُوَ يَقُولُ: أَيُّهَا الْمُعْتَرِّ بِنَا، وَالْمُجْتَرِيءُ
عَلَيْنَا، بِئْسَ وَاللَّهِ مَا اخْتَرْتَ لِنَفْسِكَ، خَيْرٌ قَلِيلٌ وَسَيْفٌ صَقِيلٌ، لُعَابُ الْمَيِّتَةِ
الَّذِي سَمِعْتَ بِهِ، مَشْهُورَةٌ ضَرْبَتُهُ. أَخْرَجَ بِالْعَفْوِ عَنكَ، وَإِلَّا دَخَلْتَ بِالْعُقُوبَةِ
عَلَيْكَ، إِنِّي وَاللَّهِ إِنْ أَدَعُ قَيْسًا تَمَلَأُ الْفَضَاءَ خَيْلًا وَرَجُلًا، يَا سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا
أَكْثَرَهَا وَأَطْيَبَهَا! ثُمَّ فَتَحَ الْبَابَ فَإِذَا كَلْبٌ قَدْ خَرَجَ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
مَسَحَكَ كَلْبًا وَكَفَّانِي حَرْبًا.

وَقَالَ رَجُلٌ اسْمُهُ الْفَضْلُ بْنُ مَرْزُوقٍ لِأَصْحَابِهِ: أَتَدْرُونَ لِأَيِّ شَيْءٍ كَثُرَ
مَالِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: لِأَنِّي سَمَيْتُ نَفْسِي بِنَبِيِّ وَبَيْنَ اللَّهِ مُحَمَّدًا، وَإِذَا كَانَ
اسْمِي عِنْدَ اللَّهِ مُحَمَّدًا فَمَا أَبَالِي مَا قَالَ النَّاسُ.

[حججت قبل حفر زمزم]

وَشَهَدَ رَجُلٌ عِنْدَ بَعْضِ الْقَضَاةِ عَلَى رَجُلٍ، فَقَالَ الْمَشْهُودُ عَلَيْهِ: أَيُّهَا
الْقَاضِي، كَيْفَ تَقْبَلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ يَمْلِكُ عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَحْجَّ

إلى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ؟ فَقَالَ الشَّاهِدُ: بَلَى، لَقَدْ حَجَجْتُ. قَالَ: فَاسْأَلْهُ عَنْ زَمْزَمَ. قَالَ: حَجَجْتُ قَبْلَ أَنْ تُخْفَرَ زَمْزَمَ فَلَمْ أَرَهَا.

وقيلَ لِبَعْضِ الْبُلْهَةِ وَكَانَ يَتَجَنَّبُ الْغِيْبَةَ: مَا تَقُولُ فِي إِبْلِيسَ؟ فَقَالَ: أَسْمَعُ النَّاسَ يَتَكَلَّمُونَ عَنْهُ كَثِيرًا، وَاللَّهِ أَعْلَمُ بِسَرِيرَتِهِ.

وَسَرَقَ رَجُلٌ مَبْلَغًا مِنَ الْمَالِ وَتَصَدَّقَ بِهِ، فَسُئِلَ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: سِرَّقَتِي إِيَّاهُ سَيِّئَةٌ، وَصَدَقْتِي بِهِ عَشْرُ حَسَنَاتٍ. فَكَأَنِّي قَدْ خَسِرْتُ حَسَنَةً فِي مُقَابَلِ السَّيِّئَةِ، وَيَتَبَقَّى مَعِيَ تِسْعُ حَسَنَاتٍ.

وَسُئِلَ بَعْضُ الْمَشَايخِ الْمُعْقَلِينَ: هَلْ حَدَّثَ أَنْ حَجَّ النَّاسُ فِي رَمَضَانَ؟ فَفَكَرَ بُزْهَةً. ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ. أَظُنُّ هَذَا حَدَّثَ مَرَّتَيْنِ.

وقالَ بَعْضُهُمْ لِآخَرَ وَكَانَ أَحْمَقَ: الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُغْسِلَ ثِيَابِي عَدَا، أَفْتَرَى تَطْلُعُ الشَّمْسُ أَمْ لَا؟

وأرادَ رَجُلٌ أَنْ يُزَوِّجَ بِنْتَهُ فَسُئِلَ: هَلْ هِيَ بِكَرٍّ أَمْ تُيِّبٌ؟ فَقَالَ: لَا هِيَ بِكَرٍّ وَلَا هِيَ تُيِّبٌ، هِيَ بَيْنَ بَيْنٍ.

[حلف أن لا يتكلم بالنحو]

وكانَ بِسِجِسْتَانَ شَيْخٌ يَتَعَاطَى النَّحْوَ، وَكَانَ لَهُ ابْنٌ فَقَالَ لِابْنِهِ: إِذَا أُرِدْتَ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ فَاعْرِضْهُ عَلَى عَقْلِكَ وَفَكِّرْ فِيهِ بِجُهْدِكَ حَتَّى تَقُومَهُ، ثُمَّ أَخْرَجِ الْكَلِمَةَ مُقَوِّمَةً. فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ فِي الشِّتَاءِ وَالنَّارُ تَتَّقَدُ، وَقَعَتْ شَرَارَةٌ فِي جُبَّةِ حَزْزٍ كَانَتْ عَلَى الْأَبِ وَهُوَ غَافِلٌ وَالابْنُ يَرَاهُ. فَسَكَتَ مُدَّةً يُفَكِّرُ ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَتِ أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ لَكَ شَيْئًا أَفْتَأْدُنُ لِي فِيهِ؟ قَالَ: أَبُوهُ: إِنْ كَانَ حَقًّا فَتَكَلَّمْ. قَالَ: أَرَاهُ حَقًّا. فَقَالَ: قُلْ. قَالَ: إِنِّي أَرَى شَيْئًا أَحْمَرُ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: شَرَارَةٌ وَقَعَتْ فِي جُبَّتِكَ. فَنظَرَ الْأَبُ إِلَى جُبَّتِهِ وَقَدِ اخْتَرَقَ مِنْهَا جَانِبٌ كَبِيرٌ. فَقَالَ لِابْنِهِ: لِمَ لَمْ تُعَلِّمْنِي سَرِيْعًا؟ قَالَ: فَكَّرْتُ فِيهِ كَمَا أَمَرْتَنِي، ثُمَّ قَوْمْتُ الْكَلَامَ وَتَكَلَّمْتُ فِيهِ. فَحَلَفَ أَبُوهُ بِالطَّلَاقِ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ بِالنَّحْوِ أَبَدًا.

في خلق الجن

روي عن الشيخ عبيد الله صاحب «تحفة الألباب»، أنه قال:

إن الله تعالى لما أراد أن يخلق الجن خلق نار السموم، وخلق من مارجها^(١) خلقاً سماه جاناً، كما قال تعالى: ﴿وَالجَّانَ خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر: الآية ٢٧] وقال الله تعالى: ﴿وَوَخَّلَقَ الْجَّانَ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ﴾ [الرحمن: الآية ١٥]. وقيل: إن الله تعالى خلق الملائكة من نور النار، والجان من لهبها، والشياطين من دخانها.

وقد جاء في بعض الأخبار أن نوعاً من الجن في قديم الزمان، قبل خلق آدم، كانوا سكاناً في الأرض قد طبقوها برأً وبحراً وسهلاً وجبلاً، وكان فيهم الملك والنبوة والدين والشريعة. وكانوا يطيرون إلى السماء، ويسلمون على الملائكة، ويستعلمون منهم خبر ما في السماء. وكثرت نعم الله عليهم إلى أن بغوا وطغوا، وتركوا وصايا أنبيائهم، فأرسل الله تعالى عليهم جنداً من الملائكة فحصل بينهم مقتلة عظيمة وغلبوا الجن وطردهم إلى أطراف البحار وأسروا منهم أمماً كثيرة^(٢).

قبائل الجن وطردهم إبليس

قال المسعودي: إن الفرس واليونان قالوا: كان الجن بالأرض قبائل،

(١) المارج: نار بلا دخان.

(٢) المستطرف: ١٥٥/٢.

منهم من يسترق السمع، ومنهم من ينطُّ مع لهب النار، ومنهم من يطير، ولكل قبيلة ملك. وكان من حملتهم إبليس لعنه الله ثم بعد خمسة آلاف سنة افتقروا، وملكوا عليهم ملوكاً وأقاموا على ذلك مدة طويلة.

ثم تحاسدوا على الملك وأغار بعضهم على بعض، وجرت بينهم وقائع وحروب. وكان إبليس لعنه الله يصعد إلى السماء ويختلط بالملائكة، فبعثه الله تعالى بجيوش من الملائكة فهزم الجن وقتلهم، وتملك الأرض مدةً طويلة إلى أن خلق آدم عليه الصلاة والسلام، واتفق له معه ما اتفق، وأهبط آدم إلى الأرض وعظم شأنه، فعند ذلك انتقل إبليس إلى البحر المحيط وسكن هناك.

وفي الحديث: «إنَّ إبليس لعنه الله قال: يا ربَّ أنزلتني إلى الأرض وطردتني وجعلتني رجيماً، فاجعل لي مسكناً. قال: مسكنك الأسواق. قال: فاجعل لي طعاماً. قال: ما لم يُذكر اسمي عليه. قال: فاجعل لي شراباً. قال: كل مسكر. قال: فاجعل لي مؤذناً. قال: المزامير. قال: فاجعل لي صيداً. قال: النساء.»

من مكاييد الشيطان

قيل إنه كان في بني إسرائيل عابد يدعى برصيصا، وله جار له بنت. فحصل لها مرض فقال له جيرانه: لو حملتها إلى برصيصا ليدعو لها. فجاء إبليس إلى العابد، وقال: إنَّ لجارك عليك حق الجوار، وإن له بنتاً مريضة، فما ضرَّك لو جعلتها عندك في جانب البيت، ودعوت لها عقب عبادتك، فعسى أن تشفى من مرضها.

فلما أتاه جاره بالبنت قال له العابد: دعها وأنصرف. فتركها عنده مدة حتى شفيت. فجاءه إبليس ووسوس له حتى تزوجها فحملت منه. فلما حملت جاءه إبليس لعنه الله فقال له: اقتلها لثلاث تفتضح. فقتلها ودفنها.

فعند ذلك ذهب الشيطان إلى أهلها وأعلمهم بالأمر، فجاؤوا إلى العابد

وكشفوا عن قضيته، ثم أخذوه ومضوا ليقتلوه. فعارضه إبليس في الطريق وقال له:

إن سجدت لي خلّصتك منهم، فسجد له، فعند ذلك تبرأ منه، ومات الرجل كافراً^(١).

المتشيطنة

وهم أنواع. منهم:

الولهان: قيل أنه كان يوجد في جزائر البحار على صورة الإنسان. حكى بعض المسافرين أنه عرض لمركب وهو راكب على نعامة يريد أخذ المركب، وصاح بهم صيحة عظيمة خرّوا منها على وجوههم، وأخذ بعض من في المركب.

السعلاة^(٢): يحكى أن بعضهم تزوج امرأة وهو لا يعلم أنها سعلاة، فأقامت عنده مدة وولدت له أولاداً. فلما كانت ليلة صعدت إلى السطح معه فنظرت فرأت ناراً من بعيد عند الجبانة فاضطربت وقالت: ألم تر نيران السعالي وتغير لونها. وقالت: بنوك وبناتك، أوصيك بهم خيراً. ثم طارت ولم تعد إليه.

المذهّب: وهو يخدم العباد، ومقصوده بذلك أن يعجبوا بأنفسهم. حكى أن بعض العباد نزل صومعة يتعبد فيها، فأناه شخص بسراج وطعام فتعجب العابد من ذلك. فقال له شخص بالصومعة: إنه المذهّب يريد أن يخيل لك أن ذلك من كرامتي. والله إني لأعلم أنه شيطان.

ومن حكاياتهم:

قال بعض المسافرين: ضاع مني غلام فخرجت في أثره فإذا بأربعة

(٢) السعلاة: هي الغول؛ الجمع سعالي.

(١) المستطرف: ١٥٦/٢.

يتناشدون شعر الفرزدق وجريير . قال : فدنوت منهم وسلمت عليهم . فقالوا : ألك حاجة ؟ قلت : لا . فقال بعضهم : تريد غلامك ؟ قلت : وما أعلمك بغلامي ؟ قال : كعلمي بجهلك . قلت : أو جاهل أنا ؟ قال : نعم ، وأحمق .

قال : ثم غاب عني وأتاني بالغلام مقيداً . فلما رأيته غشي علي . فلما أفقت قال : انفخ في يده ؛ ففعلت ، فانفرج القيد عنه . وصرت لا أنفخ في شيء من ذلك ، ولا في وجع من الأوجاع ، إلا أبرىء وخلص صاحبه .

قيل إن رجلاً اختطفت ابنته زمن عمر بن الخطاب . وقال بعض المسافرين : بينما نحن سائرون ذات ليلة إذ عرض لي قضاء الحاجة ، فانفردت عن رفقتي وضللت طريقهم . فبينما أنا سائر في أثرهم إذ رأيت ناراً عظيمة وخيمة فجئت إلى جانبها ، وإذا بجارية جميلة جالسة فيها فسألتها عن حالها ، فقالت : أنا فزارة ، اختطفني عفريت يقال له ظليم وجعلني ههنا . وهو يغيب عني بالليل ويأتيني بالنهار .

فقلت لها : امض معي . قالت : أهلك أنا وأنت ؛ فإنه يتبعنا ويأتينا فيأخذني ويقتلك . فقلت : لا يستطيع أخذك ولا قتلي . فأقنعتها بالرحيل معي وسرت بها حتى طلع الفجر .

فالتفت فإذا أنا بشخص عظيم مهول قد أقبل ورجلاه تخطان في الأرض . فقالت : ها هو قد أتانا ! فأنخت ناقتي وخططت حولها خطأ ، وقرأت آيات من القرآن وتعوذت بالله العظيم فتقدم وأنشأ يقول :

يا ذا الذي للحين^(١) يدعو القدر خل عن الحسناء رسلاً ثم سز
وإن تكن ذا خبرة فينا أصطبز

قال : فأجبتة :

يا ذا الذي للحين يدعو الحمق خل عن الحسناء رسلاً وانطلق
ما أنت في الجن بأول من عشق

(١) الحين : الهلاك .

قال: فتبدى لي في صورة أسد. وجاذبته ساعة، فلم يظفر أحد منا بصاحبه. فلما أيس مني قال: هل لك في جزّ ناصيتي أو إحدى ثلاث خصال. قلت: وما هن؟ قال: مائتان من الإبل، أو أخدمك كل حياتي، أو ألف دينار الساعة، وخلّ بيني وبين الجارية. فقلت: لا أبيع ديني بدنياي، ولا حاجة لي بخدمتك فاذهب من حيث أتيت.

قال: فانطلق وهو يتكلم بكلام لا أفهمه، وسرت بالجارية إلى أهلها، وتزوَّجتُ بها وجاءني منها أولاد.

قيل: لما سخر الله سبحانه وتعالى الجن لسليمان عليه الصلاة والسلام نادى جبريل: أيها الجن والشياطين، أجيئوا نبيّ الله سليمان بن داود بإذن الله تعالى. قال: فخرجت الجن والشياطين من الجبال والكهوف والغيان والأودية والفلوات والآجام، وهم يقولون: لبيك! لبيك! والملائكة تسوقهم سوق الراعي للغنم، حتى حشرت بين يدي سليمان طائفة ذليلة. وكانوا إذ ذاك أربعاً وعشرين فرقة.

فنظر إلى ألوانها فإذا هي: سود، وشقر، ورقط، وبيض، وصفر؛ وخضر وعلى صورة جميع الحيوانات. ومنهم من رأسه رأس الأسد، وبدنه بدن الفيل، ومنهم من له خرطوم وذنب، ومنهم من له قرون وحوافر، وغير ذلك من الأنواع.

عند ذلك تعجب نبيّ الله سليمان من هذه الأشكال وسجد شاكرًا لله تعالى وقال: إلهي ألبسني هيبة من عندك.

وجعل يسألهم عن طعامهم وطباعهم وشرابهم وهم يجيبونه. ثم فرّقهم في الصنائع، من قطع الصخور والأحجار والأشجار، والغوص في البحار، وبناء الحصون، واستخراج المعادن والجواهر^(١).

(١) المستطرف: ١٥٧/٢.

قال تعالى: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ﴿٣٩﴾ [ص: الآية ٣٩].

في ذكر عجائب المخلوقات

قال الشيخ عبيد الله صاحب كتاب «تحفة الألباب»:

دخلت إلى باشقرد^(١) فرأيت قبور عاد فوجدت سنَّ أحدهم طوله أربعة أشبار كلوح الرخام، قال: ولقد رأيت في بلغار سنة ٥٣٠ هـ من نسل عاد رجلاً طويلاً، طوله أكثر من سبعة وعشرين ذراعاً كان يسمّى دنقي أو دبغي. كان يأخذ الفرس تحت إبطه كما يأخذ الإنسان الولد الصغير، وكان من قوته يكسر بيده ساق الفرس، ويقطع جلده وأعضائه كما يقطع باقة البقل.

وكان هذا العملاق قد اتخذ له درعاً تحمل على عجلة، وبيضة عادية لرأسه كأنها قطعة من جبل، وكان يأخذ في يده شجرة من البلوط كالعصا لو ضرب بها الفيل لقتله.

وكان خيراً متواضعاً، وكان إذا لقيني يسلم عليّ ويرحب بي ويكرمني. وكان رأسي لا يصل إلى ركبته، رحمه الله تعالى.

وكانت له أخت على طوله ورأيتها مرات في بلغار. وقال لي قاضي بلغار يعقوب بن النعمان إن هذه المرأة العادية قتلت زوجها، وكان اسمه آدم، وكان أقوى أهل بلده. قيل إنها ضمته إليها فكسرت أضلاعه فمات من ساعته^(٢).

عَوْجُ بِنِ عَنَقِ

وروي أن عوج بن عنق كان من أحسن الناس وأجملهم، إلا أنه كان لا يوصف طوله. قيل: كان يخوض في الطوفان فلم يبلغ ركبتيه. ويقال إن الطوفان علا على رؤوس الجبال أربعين ذراعاً. وكان يجتاز بالمدينة فيتخطاها

(١) باشقرد: بلاد بين القسطنطينية وبلغار.

(٢) المستطرف: ١٥٩/٢.

كما يتخطى أحدكم الجدول الصغير . وعمّره الله دهرأ طويلاً حتى أدرك موسى عليه السلام . وكان جباراً في أفعاله يسير في الأرض براً وبحراً ويُفسد ما شاء .

ويقال إنه لما حُصِر بنو إسرائيل في التيه ، ذهب فأتى بقطعة من جبل على قدرهم واحتملها على رأسه ليلقيها عليهم ، فبعث الله طيراً في منقاره حجر مدور فوضعه على الحجر الذي على رأسه فانثقب من وسطه وانخرق في عنقه .

وأخبر الله عز وجل موسى بذلك ، فخرج إليه وضربه بعصاه فقتله .

ويقال إن موسى كان طوله عشرة أذرع ، وعصاه عشرة أذرع . وقفز في الهواء عشرة أذرع ، وضرب عوج بن عنق ، فلم يصل إلى عرقوبه! ﴿تبارك الله أحسن الخالقين﴾^(١) .

عَنْقُ أُمُّ عَوْجِ بْنِ عَنْقِ

وقيل إن أم عوج اسمها عَنْقُ بنت آدم عليه السلام . وكانت مفردة بغير أخ . وكانت مشوّهة الخلقة لها رأسان ، وفي كل يد عشرة أصابع ، ولكل إصبع ظفران كالمنجلين . وقيل هي أول من بغى في الأرض ، وعمل الفجور ، وجاهر بالمعاصي ، واستخدم الشياطين ، وصرفهم في وجوه السحر . وكان قد أنزل الله على آدم أسماء عظيمة تطيعه الشياطين بها ، وأمره أن يدفعها إلى حواء لتحترز بها . فغافلتها عنق وسرقتها واستخدمت بها الشياطين ، وتكلمت بشيء من الكهانة فدعا عليها آدم ، وأمنت على ذلك حواء ، فأرسل الله عليها أسداً أعظم من الفيل فهجم عليها وقتلها ، وذلك بعد ولادتها عوجاً بستين .

قَوْمُ يَرُونَ الْجَنِّ

قال ابن الأعرابي :

(١) المستطرف: ١٥٩/٢ .

قال لي أعرابي مرة - وقد نزلت عندهم : ما أطيب ماءكم هذا، وأعدى^(١) منزلكم! قلت: نعم؛ وهو بعيد من الخير كله، بعيد من العراق واليمامة والحجاز، كثير الحيات، كثير الجنان. فقلت: أترون الجن؟ قال: نعم، مكانهم في هذا الجبل، وأشار بيده الى جبل يقال له: سواج، ثم حدثني بأشياء^(٢).

... ويسمعون حِسَّها

قال عبيد بن أوس الطائي في أخت عدي بن أوس:

هل جاء أوساً ليلتي ونعيمها ومقام أوس في الخباء المشرج^(٣)
 ما زلت أطوي الجن أسمع حِسَّهم حتى دفعت إلى ربيبة هودج
 فوضعت كفي عند مقطع خصرها فتنفست بهراً ولما تنهج^(٤)
 فتناولت رأسي لتعرف مسه بمخضب الأطراف غير مشنج
 قالت بعيش أخي وحرمة والدي لأنبهن الحى إن لم تخرج
 فخرجت خيفة قومها فتبسمت فعلمت أن يمينها لم تلجج^(٥)
 فلثمت فهاها قابضاً بقرونها شرب النزيف ببرد ماء مثلج^(٦)

الجن تبني مدينة تدمر

كان أهل تدمر يزعمون أن ذلك البناء قبل سليمان عليه السلام بأكثر مما بيننا اليوم وبين سليمان بن داود. فأما القوارير والحمامات، فذلك مما لا شك فيه. وقال البعيث^(٧):

(١) عذا البلد عدواً: طاب هواؤه. (٢) كتاب الحيوان: ٤ - ٤١٨/٧.

(٣) الخباء المشرج: الذي ضمت أجزاءه بعضها إلى بعض.

(٤) تنفست بهراً: انقطع نفسها من الإعياء. ونهج نهجاً ونهيجاً: تتابع نفسه من الإعياء.

(٥) أي لم تكن يميناً كاذبة.

(٦) النزيف: العطشان حتى يبست عروقه وجف لسانه.

(٧) هو خدش بن بشر بن خالد، المعروف بالبعيث المجاشعي. خطيب شاعر، من أهل البصرة.

توفي سنة ١٣٤ هـ / ٧٥١ م.

بنى زياداً لذكر الله مصنعةً من الحجارة لم تعمل من الطين
 كأنها غير أن الإنس تعرفها مما بنت لسليمان الشياطين
 وقال النابغة الذبياني:

إلا سليمان إذ قال الإله له قُمْ فِي الْبَرِيَّةِ فَاحْدُوْهَا عَنِ الْفَنَدِ (١)
 وَخَيْسِ الْجِنِّ (٢) إِنِّي قَدْ أَذْنْتُ لَهُمْ يَبْنُونَ تَدْمُرُ بِالصَّفَاحِ وَالْعَمَدِ (٣)

الحرقانة

كان وادي الجن من أرض الجوّ حرماً عند العرب، لا ينزلونه أبداً،
 حتى أتى رهط من بني حلوان بن لحاف بن قضاة بن مالك بن حمير،
 فنزلوه. فبينما هم نائمون في جوف الليل إذ سمعوا دويّاً وهيمنة، وناداهم
 مناد: «إنما هذا محرم الرابع وحمى أبرهة».

وأنتهم نار عظيمة فأكلت أموالهم، وأكلت أناساً، فولّوا هاربين، فسمي
 ذلك الموقع بالحرقانة.

والرابع: هو ملك من الجن تزوّج ابنته - العيوف - الملك أبرهة ذو
 المنار، فقال له الرابع: أيها الملك، منزلي وادي الجن من أرض جوّ، (وهي
 أرض اليمامة اليوم) فتتعرى نساؤنا لرجالكم، ونساؤكم لرجالنا! فقال له
 أبرهة: أنا أتدبر لك الأمر، أصدرُ أمراً إليهم وأمنعهم من أن ينزلوا بوادي
 الجن. وهم لا ينزلون فيه إلى اليوم (٤).

الحية ذات الرأسين

وهي حية تسمى الزمرّدة تسكن في الرمل ولها رأسان في طرفيها. وهي

(٣) كتاب الحيوان: ٤ - ٤١٨/٧.

(٤) بلوغ الأرب: ٢٤٣/٢.

(١) الفند: الباطل.

(٢) خيس الجن: ذلّها ولتيها.

من الخفة تضرب بطرفيها . وما أكلت بهذا الرأس ألقته بالآخر . وتعمى في الليل لأن جميع حيوان الأرض يخاف منها ولا يستطيع عليها لخفتها ، ويسري سُمها في الأبدان كسير البرق في الهواء .

وتقول الأساطير إن الملك أبرهة بن ذي مرثد - وكان عند مروره في حنو قراقرز بأرض العراق - ظهرت الزمردة لجيشه وأضرّت بعساكره كثيراً . فكان ينام في النهار ويسير في الليل ، لأنها هي لا تظهر في الليل . وكان يوقد النيران ليرى الجيش الطريق أمامه . وهو أول منار جُعِلَ في الدنيا . وسمي أبرهة : ذو المنار .

أسماء الغول عند العرب

قال الجاحظ : كانوا يسمون من يجاور منهم الناس «عامراً» والجمع عمار ، فإن تعرّض للصبيان فهو «رُوح» ؛ فإن خبث فهو «شيطان» ؛ فإن زاد على ذلك فهو «مارد» ؛ فإن زاد على ذلك فهو «عفريت» ؛ فإن طهر ولطف وصار خيراً كله فهو «ملك» .

وكانوا يفاضلون بينهم ويعتقدون مع كل شاعر شيطاناً ، ويسمونهم بأسماء مختلفة . قال الجاحظ :

وفي النهار ساعات يُرى فيها الصغير كبيراً ، أو يوجد لأوساط القيافي والرمال مثل الدوي ، وهو طَبَع ذلك الوقت .

قال ذو الرمة :

إذا قال حاديننا لترنيم نبأه صه لم يكن إلاً دويّ المسامع^(١)

عموا ظلاماً!

ومن هتاف الجن وأشعارهم ما رواه الجاحظ لسمير بن الحارث الضبي :

(١) النبأ: الصوت ليس بالشديد ولا بالمسترسل .

ونار قد حضأتُ بُعَيْدَ وهنِ بدارٍ لا أريدُ بها مقاما^(١)
 سوى تحليلِ راحلةٍ وعينِ أكالئها مخافة أن تناما^(٢)
 أتوا ناري فقلت منون أنتم؟ فقالوا الجن، قلت عموا ظلاما^{(٣)(٤)}

تغُولُ الغيلان

زعموا أن عمير بن ضبيعة رأى غلماناً ثلاثة يلعبون نهاراً. فوثب غلام
 منهم فقام على عاتقَي صاحبه، ووثب الآخر فقام على الأعلى منهما. فلما
 رأهم كذلك حمل عليهم فصدّمهم فوقعوا على ظهورهم، وهم يضحكون.
 فقال عمير بن ضبيعة: فما مررت بشجرة يومئذٍ إلا وسمعت من تحتها
 ضحكاً. فلما رجع إلى منزله مرض أربعة أشهر.

وكان العرب يزعمون أن الغول يتغول^(٥) لهم في الخلوات، ويظهر
 لخواصهم في أنواع من الصور، فيخاطبونها، وربما ضيفوها.
 وقال تابت شراً يصف الغول ويذكر أنه راودها عن نفسها فامتنت عليه
 فقتلها:

فأصبحتُ والغولُ لي جارةً فيا جارتا أنتِ ما أهولا
 وطالبثها بُضْعَها فالتوت فكان من الرأي أن تُقتلا
 وكنتُ إذا هممتُ اعتزمتُ فأخبر إذا قلتُ أن أفعل
 فجللتُها مرهفاً صارماً أبان المرافقَ والمفصلا
 فطار بقحف ابنة الجن ذو شقائِق قد أخلق المحملا

(١) حضأ النار: ألهبها وسعها.

(٢) أكالئها: أراقبها.

(٣) منون أنتم: من أنتم. وهو من الشاذ.

(٤) شرح نهج البلاغة: ٤١٤/١٩ - الحيوان ٤/٤٨١.

(٥) تغول الأمر: تناكر وتشابه، أي أشكل. وتغولت المرأة: تشبّعت بالغول في تنكرها. وتغولت
 الغيلان القوم: ضلّتهم عن المحجّة.

فمن يك يسأل عن جارتِي فإن لها باللوى منزلا
عظاءة قفري لها حُلَّتَا ن من ورق الطلح لم تُغزلا
وكان يزعم أنه يرافق الغول والسعلاة ويبيت مع الذئب والأفاعي^(١).

حكايات عن الغول

■ رَجُلٌ عَنَز:

كانوا يزعمون أن رجلي الغول كرجلي العنز. وكانوا إذا اعترضهم
الغول في الفيافي يرتجزون ويقولون:

يا رجل عَنَزٍ انهقي نهيقا لن نترك السبب والطريقا
وقد وصفها أحدهم:

وحافر العنز في ساقٍ مدملجةٍ وجفنٍ عمينٍ خلاف الأُنس بالطولِ

■ تَلُونُ الغول:

وذلك أنها كانت تتراءى لهم في الليالي، وأوقات الخلوات، فيتوهمون
أنها انسان فيتبعونها، فتزيلهم عن الطريق التي هم عليها، وتنبههم. وكان
ذلك قد اشتهر عندهم وعرفوه، فلم يكونوا يزولون عما كانوا عليه من
القصد. فإذا صبح بها على ما وصفنا شردت عنهم في بطون الأودية ورؤوس
الجبال.

وقد ذكر جماعة من الصحابة منهم عمر بن الخطاب، أنه شاهد ذلك
في بعض أسفاره إلى الشام، وأن الغول كانت تتغول له، وأنه ضربها بسيفه،
وذلك قبل ظهور الإسلام. وهذا مشهور عندهم^(٢).

(١) الحيوان: ١٦٧/٦. وشرح نهج البلاغة: ٤١٦/١٩.

(٢) بلوغ الأرب: ٣٤١/٢.

■ غلامٌ من الغيلان :

حكى الأصمعي عن بعضهم أنه خرج هو وصاحب له يسيران، فإذا غلامٌ على الطريق. فقال له: من أنت؟ قال: أنا مسكين قد قُطع بي. فقال أحدهما لصاحبه: أزدِفُهُ خلفك. فأردفه. فالتفت الآخرُ إليه فرأى فمه يتأجج ناراً، فشدَّ عليه فذهبت النار، ففعل ذلك مراراً. فقال ذلك الغلام: قاتلكما الله ما أجلدكما! واللَّهِ ما فعلتُها بآدمي إلا وانخلع فؤاده. ثم غاب فلم يريا أثره^(١).

■ تزوج الغول وأولدها بنين :

قالوا إن عمرو بن يربوع تزوج الغول وأولدها بنين، ومكثت عنده دهرأ، فكانت تقول له: إذا لاح البرق من جهة بلادي، وهي جهة كذا، فاستره عني. فاني إن لم تستره عني تركت ولدك عليك، وطرتُ إلى بلاد قومي. فكان عمرو بن يربوع كلما برق البرق غطَّى وجهها بردائه فلا تبصره. وإلى هذا المعنى أشار أبو العلاء المعري^(٢) في قوله يذكر الإبل وحينئذٍ إلى البرق:

طَرِبْنَ لَضَوْءَ الْبَارِقِ الْمَتَعَالِي بِبَغْدَادٍ وَهَنَّا مَا لَهْنٌ وَمَالِي

سَمَتْ نَحْوَهُ الْأَبْصَارُ حَتَّى كَأَنَّهَا بِنَارِيَهُ مِنْ هُنَّا وَثَمَّ صَوَالِي^(٣)

إلى أن يقول:

إِذَا لَاحَ إِيْمَاضٌ سَتَرْتُ وَجُوهَهَا كَأَنَّيَ عَمْرُوَ وَالْمَطِيَّ سَعَالِي

وَكَمْ هَمَّ نِضْوِي أَنْ يَطِيرَ مَعَ الصَّبَا إِلَى الشَّامِ لَوْلَا حَبْسُهُ بَعْقَالِ

(١) بلوغ الأرب: ٣٤١/٢.

(٢) شروح سقط الزند: ١١٦٢ - ١١٦٧. ونوادر أبي زيد: ١٤٦.

(٣) من هُنَّا وَثَمَّ: من هنا وهناك.

■ غلامٌ من الغيلان :

حكى الأصمعي عن بعضهم أنه خرج هو وصاحب له يسيران، فإذا غلامٌ على الطريق. فقال له: من أنت؟ قال: أنا مسكين قد قُطع بي. فقال أحدهما لصاحبه: أزدِفُهُ خلفك. فأردفه. فالتفت الآخرُ إليه فرأى فمه يتأجج ناراً، فشدَّ عليه فذهبت النار، ففعل ذلك مراراً. فقال ذلك الغلام: قاتلكما الله ما أجلدكما! واللَّهِ ما فعلتُها بآدمي إلا وانخلع فؤاده. ثم غاب فلم يريا أثره^(١).

■ تزوج الغول وأولدها بنين :

قالوا إن عمرو بن يربوع تزوج الغول وأولدها بنين، ومكثت عنده دهرأ، فكانت تقول له: إذا لاح البرق من جهة بلادي، وهي جهة كذا، فاستره عني. فاني إن لم تستره عني تركت ولدك عليك، وطرتُ إلى بلاد قومي. فكان عمرو بن يربوع كلما برق البرق غطَّى وجهها بردائه فلا تبصره. وإلى هذا المعنى أشار أبو العلاء المعري^(٢) في قوله يذكر الإبل وحينها إلى البرق:

طَرِبْنَ لَضَوْءَ الْبَارِقِ الْمَتَعَالِي بِبَغْدَادٍ وَهَنَّا مَا لَهَنَّ وَمَا لِي

سَمَتْ نَحْوَهُ الْأَبْصَارُ حَتَّى كَأَنَّهَا بِنَارِيَهُ مِنْ هُنَّا وَثُمَّ صَوَّالِي^(٣)

إلى أن يقول:

إِذَا لَاحَ إِيْمَاضٌ سَتَرْتُ وَجُوهَهَا كَأَنَّيَ عَمْرُوَ وَالْمَطِيَّ سَعَالِي

وَكَمْ هَمَّ نِضْوِي أَنْ يَطِيرَ مَعَ الصَّبَا إِلَى الشَّامِ لَوْلَا حَبْسُهُ بِعْقَالِ

(١) بلوغ الأرب: ٣٤١/٢.

(٢) شروح سقط الزند: ١١٦٢ - ١١٦٧. ونوادر أبي زيد: ١٤٦.

(٣) من هُنَّا وَثُمَّ: من هنا وهناك.

قالوا: فغفل عمرو بن يربوع عنها ليلة وقد لمع البرق فلم يستر وجهها، فطارت وقالت له وهي تطير:

أَمْسِكْ بَنِيكَ عَمْرُو إِنِّي أَبِقُ بَزُقْ عَلَى أَرْضِ السَّعَالِي أَلِقُ
قال: فبنو عمرو بن يربوع ظلوا يُدعون بني السعلاة، ولذلك قال
الشاعر يهجوهم:

يا قبح الله بنى السعلاة عمرو بن يربوع شرار النَّاتِ
ليسوا بأخيارٍ ولا أكياتٍ^(١)

ومن شعرهم في الغول، قال تأبط شراً:

لَهَانَ عَلَى جُهَيْنَةَ مَا أَلَا قِي مِنْ الرُّوعَاتِ يَوْمَ رَحَا بِطَانٍ^(٢)
لَقَيْتُ الْغُولَ تَسْرِي فِي ظَلَامٍ بِسَهْبٍ بِالْعِبَاءِ صَحْصَحَانَ^(٣)
فَقَلْتُ لَهَا: كَلَانَا نِقْضُ أَرْضٍ أَخُو سَفَرٍ فَخَلِي لِي مَكَانِي^(٤)
فَشَدَّتْ شِدَّةً نَحْوِي فَأَهْوَى لَهَا كَفِي بِمَصْقُولِ يَمَانِي
فَقَالَتْ: زِدْ فَقَلْتُ زُوَيْدًا إِنِّي عَلَى أَمْثَالِهَا ثَبْتُ الْجِنَانِ

وفي رواية أخرى:

أَلَا مِنْ مَبْلَغُ فَتِيَاتِ جَهَنَّمَ بِمَا لَأَقَيْتُ عَنَدَ رَحَابِطَانِ
بَأَنِي قَدْ لَقَيْتُ الْغَوْلَ تَلْوِي بِمَرَّتِ كَالصَّحِيفَةِ صَحْصَحَانَ^(٥)
فَصَدَّتْ فَأَنْتَحَيْتُ لَهَا بَعْضُ حُسَامٍ غَيْرِ مُؤْتَشِبِ يَمَانِي^(٦)

(١) قوله: «النات» و«أكيات» يريد: «الناس» و«أكياس»، فجعل السين تاء لتكون مع تاء السعلاة. وهذا من عيوب الشعر.

(٢) رحابطان: موضع في بلاد هذيل.

(٣) الصحصحان: ما استوى من الأرض.

(٤) النُقْضُ: المهزول. وفي رواية أخرى «كلانا نضو دهر» وهما بمعنى واحد.

(٥) المرث: قفر لا نبات فيه.

(٦) العضب: السيف القاطع. وغير مؤتشب: أي صريح في انتسابه إلى بلاد اليمن.

فقد سراتها والبزك منها فخرت لليدين وللجران^(١)
 فقالت: ثن قلت لها: رويداً مكانك إنني ثبث الجنان
 ولم أنفك مضطجعا لديها لأنظر مصباحاً ماذا دهاني
 إذا عينان في رأسٍ دقيق كراس المهر مشقوق اللسان
 وساقاً مُخدجٍ ولسانٍ كلبٍ وثوبٌ من عباء أو شنان^(٢)
 وقال بعضهم:

وصار خليل الغول بعد عداوة صفياء وربته القفار البسباس^(٣)
 وقال آخر:

فلله در الغول أي رفيقة لصاحب فقير في المهامه يُدعر^(٤)
 أرتت بلحن بعد لحن وأوقدت حوالي نيراناً تلوح وتزهر^(٥)

سَعْدَةُ بنت جُرْهُم الساحرة

روى محمد بن هشام أن رجلاً قال:

خرجنا أنا وأبي إلى صحراء عدن - وكان جدي قد دفن مالا فيها
 وأوصى أبي أنه إذا احتاج إلى المال ما عليه إلا أن يأتي إلى موضع كذا من
 الصحراء .

ولما قعد بنا الدهر سرت مع أبي حتى أصبنا ثلاث روابي متقابلات . فقال
 لي: لقد اشتبه عليّ الموضع، وما أدري أي هذه الروابي هي؟ فما رأيك؟

- (١) سراة الغرس: أعلى متنه. والبرك: الصدر. الجران: باطن العنق. وخرت لليدين وللجران: أي خرت على يديها وعنقها، كما تقول: وخرت لليدين وللقم.
- (٢) المخدج: التي أقت ولدها قبل تمام حمله. والشنان: جمع شَن، وهو القرية فيها الماء البارد.
- (٣) البسباس: الخالية.
- (٤) المهامه: المفازات المقفرة والبلاد البعيدة.
- (٥) بلوغ الأرب: ٣٤٤/٢. وشرح نهج البلاغة: ٤١٥/١٩. ومعجم البلدان: ٣١/٣.

فقلت له: لا بد من الحفر ان كنت تعلم ان المال في إحداهن. ثم لاح له أمر وعلامة، فقال لي: احفر هاهنا. فحفرت. فكنت إذا حفرت وأعييت حفرة مكاني أبي حتى انتهينا إلى بلاطة عظيمة، فحرصنا على قلعها فعجزنا عن قلعها. ثم حفرت الثانية فوصلت إلى بلاطة أخرى. فأعجزتنا. فحفرنا الثالثة فقال لي أبي: ما ترى يا بني؟ قلت له: أنت شيخ كبير لا تستطيع شيئاً، فهل لك أن تخلفني هاهنا وتمضي فتأتي ببعير وعبد من عبيدنا؟

فقال أبي: يا بني، الموضع مهول وأخشى عليك الوحشة وغلظ البلد. قلت له: دع عندي من الشراب والطعام ما يكفيني. وخرج على وجهه، فبات عني ليلتين. فلما كان في الليلة الثالثة، وأنا قائم أصلي، وكنت كثير التلاوة للقرآن، فلم أشعر إلا ورجل جميل الوجه نقي الثياب طيب الريح يمشي وهو يقول:

لولا تلاوتك القرآن ما امتسكت بالأرض رجلاك فاعلم أيها الرجل
في بلدة لعنة الجن ماردة في كل أفق لها من همسها زجل
لك النصيحة عندي وهي واجبة على ذوي الدين ان لم يسبق الأجل
فاستوقر^(١) اليوم من رزق خصصت به ولا تعذر راجعاً ينأى بك الأجل

قال: فحفظت الشعر. وطلع أبي والعبد معه والبعير، فأخبرته بما كان، وأتينا المكان إلى ما حفرتنا أولاً، وقلعنا الحجر فإذا بشيخ يده مغلولة إلى عنقه بغل من حديد في هامته، وأصبنا عند رأسه ورقة من ذهب عليها كتابة لا نعرفها.

فأخذنا الورقة، وأعدنا البلاطة إلى موضعها، وأهلنا التراب على البلاطة حتى رجعت كما كانت. ثم أتينا البلاطة الثانية، فإذا تحتها عجوز مسودة الذوائب واضعة إحدى يديها على رأسها والأخرى على عورتها، وإلى جانبها

(١) استوقر: احمل حملاً ثقيلاً. وأوقر جملة: حملاً جماً ثقيلاً.

كتاب في لوح لا ندري ما هو . فأخذنا اللوح وأعدنا البلاطة وأهلنا التراب .
ثم قلعنا البلاطة الثالثة ، فإذا تحتها سرداب دقيق ضيق ، فدخلناه فأصبنا
خابيتين مكشوفتين فيهما رجلان متقاربة اسنانهما متشابهة ، عليهما حلل
مرصعة بالذهب ورأينا كتاباً على العجرتين لا نعرف ما هو .
وأصبنا مالاً كثيراً وذهباً وفضة وغير ذلك من الدر والياقوت ما لم يُر
مثله قط .

فقال لي أبي : وثقنا بالغنى والحبور . فقلت له : يا أبي ، وكيف الخلود
مع الفناء ! لا خير فيما يفنى ، وإن مالنا من هذا قليل في حياة قصيرة؟
وأوقرنا جملنا ثم حملنا نحن ما نستطيع فلم نقدر أن ننهض به . فلم
نزل ننقص منه ونريد النهوض ، فلم نستطع حتى أخذنا في أيدينا درة وياقوتة
فلم نقدر نهوضاً بهما .

فقال لي أبي : ألق ما معك يا بني ، فقد أخذنا رزقنا . فعلمنا أننا منعنا
غير ما صار إلينا .

وأعتق أبي العبد وكثرت نعمنا ووهب للعبد مالاً جسيماً . وقد حذرناه
هو والعامل من أن يعود أحد إلى هذا المكان .

ولكن العبد أخذ لذلك الموضع ما يصلحه ، فأخذ معه عونين وسار لأنه
يعرف علامات الموضع . فلما نال من الغار توارى عن عَوِينِهِ ليقضي أربه ،
وبات عوناه أرقين قد ذعرهما ما يريان من وحشة ذلك الموضع وهوله .

فحدثني العونان قالاً : سمعنا في جوف الليل حساً وذعراً وحركة شديدة
من ناحية العبد واضطراباً ، فجزعنا من القيام إليه لخوف دَاخَلْ قلوبنا .

فلما أصبحنا وجدناه ميتاً في حلقه آثار وفي ثيابه أخداش . فحفرنا له
وواريناه وولينا هارين لثلا يدركنا الليل في ذلك الموضع .

قال : ومكثت الورقة واللوح عندنا سنين لا نجد أحداً يعلم ما فيهما .

فبينما أنا في موضع إذا برجل من أهل نجران من بني الحارث بن كعب، نبيل جميل، وهو يسأل^(١). فقلت له: يا عبد الله إنك لجميل وخليق بالخير فما اضطرك للمسألة؟

قال لي: يا عبد الله الحمد لله الذي أحسن إليك، وأغناك عن خلقه ومنعك عن هذا المقام. وحدثني كيف تغيرت أحواله بعد أن كان من أعز الناس.

قلت له: إنك لفقير، فما دينك؟ قال: الإسلام. قلت: فهل تقرأ؟ قال: نعم، بثلاثة ألسن. فوقع في نفسي أمر الورقة واللوح فأخرجتهما إليه فإذا هو يقرأ ذلك الكتاب، وإذا هو بالمسند^(٢) قد كتب، وأما الشيخ المغلولة يده إلى عنقه والمضروب في رأسه فقد كان عمرو بن لحي أول من غير دين إسماعيل، وعَبَدَ اللَّاتَ (الأصنام). وقرأ اللوح الثاني الذي كان مع العجوز فإذا فيه: هذه سعدة بنت جرهم، جلبت السحر من ديناوند وتعلمته، وسحرت سبعة أخوة من خيار جرهم فصيرتهم وحوشاً لا يَقْرُونَ^(٣) مع الإنس ولا يطمثنون إلى دعة ويرعون مع الوحش كما ترعى. فأتت أمهم إلى نابت بن قيذار بن إسماعيل في الشهر الأصم^(٤) فقالت له: يا ولي الله إن سعدة الساحرة أتلفت أولادي عني وما أحوج ما كنت إليهم. فأنا مؤمنة وهي كافرة، فهل أدعو الله عليها؟ فقال لها: افعلي. فقالت: ربّ إنه الشهر الأصمّ، حرّمت ما حرّمت فيه، فانتقم ممن لم يُحرّم حرامك ولم يُجَلِّ حلالك.

قال نابت: اللهم افعل! قال: فأنساها الله السحر، وهتك عنها الستر، ستر الحياء، فما لبست ثوباً حتى ماتت.

(١) أي يتسوّل ويطلب الصدقة.

(٢) المسند: خط قديم لجميّر في بلاد اليمن مخالف لخطنا هذا.

(٣) لا يَقْرُونَ مع الإنس: لا يألّفونهم ولا يستقرون بينهم.

(٤) الشهر الأصمّ: هو شهر رجب سمي بذلك لأنهم كانوا لا يتصاحبون فيه بحرب.

ورجع السبعة نفر إلى نابت فأعلموه بما كان يتخايل لهم في أعينهم وقلوبهم، فدعا عليها نابت فهلكت وكُفَّت، فلم تقبلها الأرض حتى غرقت. وذلك مقام الظالمين^(١).

قتلتها الجن

(حرب بن أمية ومرداس بن أبي عامر)

كان حرب بن أمية يوم عكاظ. ويقال إن سبب وفاته أن الجن قتلته. وقتلت مرداس بن أبي عامر السلمي لإحراقهما شجر القرية وازدراعهما إياها. وهذا شيء قد ذكرته العرب في أشعارها وتواترت الروايات بذكره، فذكرته والله أعلم.

وذلك أن حرب بن أمية لما انصرف من حرب عكاظ هو وأخوته مر بالقرية^(٢) وهي إذ ذاك غيضة شجر ملتف لا يرام. فقال له مرداس بن أبي عامر: أما ترى هذا الموضع؟ قال: بلى! قال: نعم المزدرع هو، فهل لك أن نكون شريكين فيه ونحرق هذه الغيضة ثم نزرعه بعد ذلك؟ قال: نعم.

فأضرم النار في الغيضة. فلما استطارت وعلا لهبها سُمِع من الغيضة أنين وضجيج كثير ثم ظهرت منها حيّات بيض تطير حتى قطعنها وخرجت منها، وقال مرداس بن أبي عامر في ذلك:

إني أنتخبت لها حرباً وإخوتهُ إني بحبل وثيق العقد دسّاسُ
إني أقومُ قبل الأمر حجّتهُ كيما يقال وليّ الأمر مِرْدَاسُ

قال: فسمعوا هاتفاً يقول لما احترقت الغيضة:

ويلٌ لحرب فارسا مطاعناً مخالسا^(٣)

(١) كتاب التيجان: ص ٢١٧.

(٢) القرية: وهي أربعة مواضع: محلة ببغداد، وموضع في جبل طيء، وموضع بنواحي المدينة، ومن أشهر قرى اليمامة.

(٣) المخالس: الذي يختلس الطعنة اختلاساً.

ويل لعمرو فارسا إذ لبسوا القوانيسا^(١)
 لتقتلن بقتله جحاجحاً عنابسا^(٢)
 ولم يلبث حرب بن أمية ومرداس بن أبي عامر أن ماتا. فأماً مرداس
 فذفن بالقرية. ثم ادعاها بعد ذلك كليب بن أبي عهمة السلمي، ثم الظفري.
 فقال في ذلك عباس بن مرداس:

أكليب ما لك كل يوم ظالماً والظلم أنكد وجهه ملعوناً
 قد كان قومك يحسبونك سيداً وأخال أنك سيد معيون^(٣)
 إلى أن يقول:

وافعل بقومك ما أراد بوائل يوم الغدير سئيك المطعون^(٤)
 وإخال أنك سوف تلقى مثلها في صفحتيك سنانها المسنون
 إن القرية قد تبين أمرها إن كان ينفع عندك التبين
 حيث انطلقت تخطها لي ظالماً وأبو يزيد بجوها مدفون^(٥)

ابن الحمارس والجن

قال شرقي بن القطامي: كان رجل من كلب، يقال له عبيد بن
 الحمارس، شجاعاً، وكان نازلاً بالسماوة. فلما حسر الربيع وقل ماؤه
 وأقلعت أنوائه، تحمّل إلى وادي تَبَل، فرأى روضة وغديراً، فقال: روضة
 وغدير، وخطب يسير، وأنا لما حَوَيْتُ مُجير. فنزل هناك وله امرأتان: اسم
 إحداهما الرباب، والأخرى خولة. فقالت له خولة:

- (١) القوانيس: جمع قونس، وهو بيضة الحديد توضع على الرأس أثناء القتال.
- (٢) الجحاجح: الأسياد الكرام. والعنابس: الأسود.
- (٣) المعيون: الحسن المنظر في ما تراه العين، ولا عقل له. والذي أصابته عين.
- (٤) يشير إلى تحكم كليب وائل بموارد الماء ونفيه بكر بن وائل عنها حتى كان يقتلهم عطشاً.
- (٥) أبو يزيد هو مرداس بن أبي عامر.

أرى بلدة قفراً قليلاً أنيسها وإنما لنخشى إن دجا الليل أهلها
وقالت الرباب:

أرتك برأيٍ فاستمع عنك قولها ولا تأمنن جنّ العزيف وجهلها
فقال مجيباً:

ألستُ كميّاً في الحروب مُجرباً شجاعاً إذا شَبَّتْ له الحربُ مُخرِبا
سريعاً إلى الهيجا إذا حمي الوغا فأقسم لا أعدو الغدير منكباً

ثم صعد إلى تَبَلْ، فرأى هشيمة - وهي الأنثى من القنافذ - فرماها
فأقعصها^(١)، ومعها ولدها، فارتبطه، فلما كان الليل هتف به هاتف من
الجن:

يا ابن الحمارس قد أسأت جوارنا وركبت صاحبنا بأمرٍ مفتح
وعقرت لَفَحَتَهُ وقُذت فصيلها قوداً عنيفاً في المنيع الأرفع^(٢)
ونزلت مرعى شائناً وظلمتنا والظلم فاعله وخيم المرتع
فلنطرقنك بالذي أوليتنا شرٌّ يجئك وماله من مدقع
فأجابه ابن الحمارس:

يا مدعي ظلمي ولست بظالم أسمع لديك مقالتي وتسمع
أن كنتم جنّاً ظلمتم قنفذاً عُقرت فشرٌ عقيرة في مصرع
لا تطمعوا فيما لديّ فما لكم فيما حويث وحزته من مطمع
فأجابه الجنّي:

يا ضارب اللّفة بالعضب الأفلّ قد جاءك الموت وأوفاك الأجل^(٣)

(١) قعصه بالرمح، وأقعصه: ضربه ضربة سريعة.

(٢) اللّفة: الناقة الحلوب الغزيرة اللبن. والفصيل: ولد الناقة.

(٣) العضب الأفلّ: السيف القاطع.

وساقك الحَيْنُ الى جنِّ تُبَلِّ فاليوم أقويت وأعيتك الحِيلُ
فأجابه ابن الحمارس :

يا صاحب اللقحة هل أنت بَجَلُّ مُسْتَمِعٌ مني فقد قلت الخَطْلُ^(١)
وكثرة المنطق في الحرب فشل هِيَّجَتْ قمقاماً من القوم بطل^(٢)
ليثٌ ليوثٍ وإنْ أهَمَّ فَعَلْ لا يزهَبُ الجنُّ ولا الإنسُ أجلُّ
من كان بالعفو من جنِّ تُبَلِّ

قال: فسمعها شيخ من الجن، فقال: لا والله لا نرى قتل إنسانٍ مثلَ هذا، ثابت الجنان ماضي العزيمة. فقام ذلك الشيخ وحمِدَ الله ثم أنشد:

يا ابن الحُمَارِسِ قد نزلت بلادنا فأصبت منها مشرباً ومناماً
فبدأتُنا ظلماً بعقر لقوحنا وأسأت لما أن نطقت كلاماً
فاعمد لأمرِ الرُّشْدِ واجتنب الردى إنا نرى لك حرمةً وذماماً
واعزم لصاحبنا لقوحاً متبعاً فلقد أصبت بما فعلت إثمياً
فأجابه ابن الحمارس :

الله يعلم حيث يرفع عرشه أني لأكره أن أُصِيبَ إثمياً
أما ادَّعَاؤُك ما ادَّعَيْتَ فإنني جئت البلاد ولا أريد مقاماً
فأقمتُ فيها مالنا ونزلتها لأريح فيها ظهرنا أياماً
فليغدُ صاحبكم علينا نُعطِهِ ما قد سألت ولا نراه غراماً
ثم غرِمَ للجن لقوحاً متبعاً للقفذ وولدها.

وهذه الحكاية وان كانت كذباً إلا أنها تتضمن أدباً. وهي من طرائف أحاديث العرب فذكرناها لأدبها وإمتاعها. ويقال أن الشرقي القطامي كان

(١) بَجَلُّ: نعم. والخطل: الكلام الفاسد المضطرب.

(٢) القمقام: السيد الجامع للسيادة.

يصنع اشعاراً وينحلها غيره^(١).

عبيد بن أيوب العنبري رفيق الغول والسعلاة

قال عبيد بن أيوب^(٢) - وكان جوالاً في مجهول الأرض، لمّا اشتدّ خوفه، وطال ترده، وأبعد في الهرب؛ وكان يكئى أبا المطراب أو أبا المطراد:

لقد خفتُ حتى لو تمرُّ حمامةٌ لقلتُ عدوُّ أو طليعة معشرِ
فإن قيل أَمْن، قلت: هذي خديعةٌ وإن قيل: خوْف، قلتُ: حقاً فشمِّرِ
فليله ذرُّ الغول أي رفيقةٌ لصاحب قفرٍ خائفٍ متنفِّرِ
أرئتُ بلحنٍ بعد لحنٍ وأوقدتُ حوالِيَّ نيراناً تلوح بأزهرِ
وأصبحت كالوحشيّ يتبع ما خلا ويطلب مأنوسَ البلاد المبعثرِ
وقال عبيد بن أيوب أيضاً:

تقول وقد ألممتُ بالإنس لمةً مُخَضَّبَةُ الأطراف خُرْسُ الخلاخلِ^(٣)
أهذا خليل الغول والذئبِ والذي يهيم برَبَّاتِ الحجال الهراكلِ^(٤)
رأتُ خَلَقَ الأدراس أشعث شاحباً على الجذب بساماً كريمَ الشمائلِ^(٥)
تعوَّد من آبائه فتكاتهم وإطعامهم في كل غبراء شامِلِ^(٦)

(١) بلوغ الأرب: ٣٥٦/٢؛ وشرح نهج البلاغة: ٤٢٢/١٩.

(٢) من شعراء العصر الأموي. كان لصاً حاذقاً. أباح السلطان دمه وبريء منه قومه فهرب في مجاهل الأرض واستصحب الوحوش وأنس بها. وكان يزعم أنه يرافق الغول والسعلاة ويبيت الذئب والأفاعي.

(٣) ألم بالإنس لمةً: التقى بهم لقاءً يسيراً.

(٤) الهراكل: جمع هركلة، وهي المرأة الحسننة الجسم والخلق والمشية. وربات الحجال: النساء.

(٥) الأدراس: الثياب الخلقة البالية.

(٦) كتاب الحيوان: ٤ - ٤١٨/٧.

حكاية الثَّورَة^(١)

وتأمر الجن على زواج سليمان من بلقيس

عندما قرر النبي سليمان الزواج من بلقيس، ملكة سبأ، اجتمعت الجن وقالوا: إن هو تزوج منها أته بولد تجتمع فيه فطنة الإنس والجن وكيد النساء، فلا نصيب راحة ولا نأمن على أنفسنا الهلكة، وينحجب عنا كل خير وينزل بنا كل سوء وشر. تعالوا فلنزهده فيها، فإنه قد ذكر أنه يريد الزواج منها.

فقال عفريت من الجن يقال له زوبعة: أنا أكفيكم سليمان. ثم أتاه فقال: يا نبي الله بلغني أنك تريد الزواج من بلقيس، وأمها من الجن، ولم تلد جنية من إنسي ولدأ قط إلا كانت رجله كحافر الحمار وساقه شعراء^(٢)، حاد النفس حاراً الجسم. قال سليمان: فكيف لي أن أنظر إلى ذلك منها، وأعلم من غير أن تعلم ما أريد؟

قال زوبعة: أنا أكفيك ذلك. وصنع زوبعة لسليمان قصراً من زجاج أبيض ووضع سريره في صدره، ثم أرسل الماء تحته وألقى فيه السمك وغيره. ثم قال زوبعة لسليمان: أرسل في طلبها، فلتدخل عليك فإنك ترى الذي تريد.

فبعث إليها سليمان وهو على كرسیه، ليس في البيت مجلس غيره. فلما رأت الماء والسمك تسبح فيه، حسبته لجة^(٣) فكشفت عن ساقها لتخوض الماء. فلما رآها سليمان ونظر إلى بياض ساقها وعليهما شعر كثير أسود، قال لها: لا تكشفي عن ساقك: ﴿إِنَّكُمْ صَرَّحْتُمْ مَرَدًّا مِنْ قَوَارِيرٍ﴾ [النمل: الآية ٤٤]. فنظرت فإذا ملكها ليس بشيء عند الله ولما سمعت ذلك استترت، وتعجبت منه واستدلَّت به على التوحيد والنبوة. وقالت: يا نبي الله لقد ظهر

(١) الثَّورَة: أخلاط تُضاف إلى الكلس، من زرنخ وغيره، تستعمل لإزالة الشعر.

(٢) شعراء: كثيرة الشعر.

(٣) اللجة: البحر.

الحقُّ وذهب الباطل . ثم قالت : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التَّمَلُّ : الآية ٤٤٤] .

ثم تردّد سليمان في أمر بلقيس شهراً ، فقال له رجل صالح من الجن ، كان يحب ما يوافق سليمان : هل كرهتَ منها غير ذلك الشعر؟ قال : كلاً ! قال : فإنني سأجعلها لك مثل الفضة من غير ريب . قال سليمان : وكيف؟ قال : سوف ترى . فصنع لها الجنّيّ حَمَاماً وَنُورَةً ، وهي كانت أول نورة عملها مخلوق وأول حمام من صنع ذلك الجنّيّ^(١) .

شياطين الشعراء

كان من مذاهب العرب أن لكل شاعر شيطاناً يلقي إليه الشعر .

قال بعضهم :

إني وإن كنتُ صغيرَ السنِّ وكان في العين نُبوُّ عني
فإن شيطاني أميرُ الجنِّ يذهب في الشعر كلَّ فنِّ
وقال آخر :

لقد كان جنّيّ الفرزدق قُدوةً وما كان فينا مثلُ فحلِّ المخبِّلِ
ولا في القوافي مثل عمرو وشيخه ولا بعد عمرو شاعرٌ مثلُ مِسْحَلِ^(٢)
وقال الفرزدق يصف قصيدة له :

كأنها الذهبُ العقيان حَبَّرها لسانُ أشعرِ خلقِ الله شيطانا
وقال أبو النجم^(٣) :

(١) عن كتاب التيجان ؛ والتفسير الكبير للرازي : ١٧٢/٢٤ .

(٢) «عمرو» هو اسم شيطان المخبِّل السعدي . و«مِسْحَل» اسم شيطان الأعشى .

(٣) هو الفضل بن قدامة العجلي ، أبو النجم . من أكابر الرِّجَاز ومن أحسن الناس إنشاداً للشعر . نبغ في العصر الأموي . وتوفي سنة ١٣٠ هـ / ٧٤٧ م .

إني وكلُّ شاعرٍ من البشرِ شيطانهُ أنثى وشيطاني ذَكَرُ
وقال الأعشى:

دعوتُ خليلي مسحلاً ودعوا له جُهَنَّمُ جَدَعاً للهجين المذمِّمِ^(١)
وقال كثير^(٢) عزة:

ما قلتُ الشعرَ حتى قُوِّلَتْهُ. قيل له: وكيف ذلك؟ قال: بينا أنا يوماً
نصفَ النهار، أسير على بعير لي بالغميم أو بقاع حمدان^(٣)، إذا براكب قد
دنا مني حتى صار إلى جانبي. فتأملته فإذا هو من صُفْرِ^(٤)، وهو يجزّ نفسه
في الأرض جراً. فقال لي: قُل الشعر؛ وألقاه عليّ. قلت: من أنت؟ قال:
أنا قرينك من الجن. فقلت الشعر بعد ذلك^(٥).

■ شيطان حسان بن ثابت الأنصاري^(٦):

قال حسان:

إذا ما ترعرع فينا الغلام فما إن يقال له: من هُوَ؟
إذا لم يَسُدَّ قبل شدِّ الإزار فذلك فينا الذي لاهُوَ
ولي صاحبٌ من بني الشَّيْصَبان فطَوَّراً أقول وطوراً هُوَ
ولهذا الشعر قصة طريفة رواها صاحب «لسان العرب» قال:

الشَيْصَبانُ، والبَلَّازُ، الجَلَّازُ، والجَانُ، والقازُ، والخيتعور: كلها من

(١) جُهَنَّمُ هو تابع أو شيطان الشاعر الذي كان يهاجي الأعشى.

(٢) هو كَثِيرُ بن عبد الرحمن الخزاعي. اشتهر بحبّه العذري لعزة بنت حُميل الضمرية، وشعره فيها عذب وكثير. توفي سنة ١٠٥ هـ / ٧٢٣ م.

(٣) الغميم وبقاع حمدان: موضعان.

(٤) الصُّفْر: النحاس.

(٥) الأغاني: ٢٤/٩.

(٦) هو حسان بن ثابت الأنصاري؛ الصحابي، شاعر النبي ﷺ، وأحد المخضرمين الذين أدرِكوا الجاهلية والإسلام. عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام.

أسماء الشيطان . والشيصبان أبو حي من الجن . قال : وكانت السعلاة لقيت حسان بن ثابت في بعض أزقة المدينة ، فصرعته وقعدت على صدره وقالت له : أنت الذي يأمل قومك أن تكون شاعرهم؟ فقال : نعم . قالت : والله لا ينجيك مني إلا أن تقول ثلاثة أبيات على روي واحد . فقال حسان هذه الأبيات . وفيها روايات أخرى^(١) .

■ شيطان الأعشى :

ذكروا أن هاجس الأعشى (أي شيطان شعره) كان اسمه مسحل بن أثانة . ويروون عن الأعشى أنه قال :

خرجتُ أريد قيس بن معد يكرب بحضرموت ، فضلت في أوائل أرض اليمن ، لأنني لم أكن سلكت ذلك من قبل ، فأصابني مطر ، فرميت ببصري أطلب مكاناً أَلجأ إليه . فوَقعت عيني على خباء من شعر ، فقصدت نحوه وإذا على باب الخباء رجل فسلمت عليه ، فردَّ عليَّ السلام ، وأدخل ناقتي خباء آخر كان بجانب البيت ، فحططت رحلي وجلست ، فقال : من أنت؟ وأين تقصد؟

قلت : أنا الأعشى ، أقصد قيس بن معد يكرب . فقال : حياك الله أظنك امتدحته بشعر؟ قلت : نعم . قال : فأنشدنيه . فابتدأت مطلع القصيدة :

رَحَلْتُ سُمِيَّةً عُذْوَةَ أَجْمَالِهَا غَضِباً عَلَيْكَ ، فَمَا تَقُولُ بَدَا لَهَا؟

فلما أنشدته هذا المطلع منها قال : حسبك ! أهذه القصيدة لك؟ قلت : نعم . فنأدى : يا سُمِيَّةُ اخرجي . وإذا جارية خماسية قد خرجت ، فوقفت ، وقالت : ما تريد يا أبت؟ قال : إنشدي عمك قصيدتي التي مدحتُ بها قيس بن معد يكرب ونسبتُ بك في أولها . فاندفعت تنشد القصيدة حتى أتت على آخرها لم تحرم منها حرفاً . فلما أتمتها قال : إنصرفي ، ثم قال : هل قلت

(١) لسان العرب : ٤٩٥/١ .

شيئاً غير ذلك؟ قلت: نعم، كان بيني وبين ابن عم لي - يقال له يزيد بن مسهر ويكنى أبا ثابت - ما يكون بين بني العم، فهجاني وهجوته فأفحمته. قال: ماذا قلت فيه؟ قلت: قلت:

ودَّعْ هريرةَ إنَّ الرِّكبَ مرتحلٌ وهل تطيق وداعاً أيها الرجل؟
فلما أنشدته البيت الأول قال: حسبك! ومن هريرة هذه التي نسبت فيها؟ قلت: لا أعرفها، سبيلها سبيل التي قبلها.

فنادى: يا هريرة! فإذا جارية قريبة السن من الأولى خرجت، فقال: انشدي عمك قصيدتي التي هجوت بها أبا ثابت يزيد بن مسهر. فأنشدتها، من أولها ألى آخرها لم تخرم منها حرفاً.

فأسقط في يدي وتحيرت، وتغشَّتني رعدة. فلما رأى ما نزل بي قال: ليفرخ^(١) زوعك يا أبا بصير! أنا هاجسك مسحل بن أئانة الذي ألقى على لسانك الشعر. فسكنت نفسي، ورجعت إليّ ثم دلني على الطريق، وأراني سمّت مقصدي وقال: لا تُعج^(٢) يميناً ولا شمالاً حتى تصل بلاد قيس^(٣).

■ دِغْبِلُ الخِزَاعِي وَرَجُلٌ مِنَ الْجَنِّ:

وزعم دِغْبِلُ الخِزَاعِي^(٤) أن رجلاً من الجن استنشه قصيدته «مدارس آيات خلت». قال:

لما هربت من الخليفة المتوكل العباسي بث ليلة في نيسابور وحدي، وعزمت على أن اعمل قصيدة في عبد الله بن طاهر في تلك الليلة. فإني لفي ذلك إذ سمعتُ والباب مردود علي: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أنجُ

(١) أفرخ زوعه: خلا قلبه من الهم.

(٢) عاج: مال وانحرف يميناً أو شمالاً.

(٣) بلوغ الأرب: ٣٦٨/٢. وشرح مقامات البديع: ٢٧٣.

(٤) هو دِغْبِلُ بن علي الخِزَاعِي. شاعر هجاء. هجى الرشيد والمأمون والمعتمد والواثق. توفي

سنة ٢٤٦ هـ/ ٨٦٠ م.

يرحمك الله فاقشعر بدني من ذلك، ونالني أمر عظيم.

فقال: لا تُرغ عافاك الله فإني رجل من إخوانك الجن من ساكني اليمن طراً إلينا طارياً من أهل العراق فأشدنا قصيدتك.
مدارسُ آياتٍ خلّت من تلاوةٍ ومنزلٍ وحي مقفّر العرصات
فأحييت أن أسمعها منك.

قال: فأنشدته إياها، فبكى حتى خرّ، ثم قال: رحمك الله ألا أحدثك حديثاً يزيد في نيتك وبعينك على التمسك بمذهبك؟ قلت: بلى. قال: مكثت حيناً أسمع بذكر جعفر بن محمد عليه السلام، فصرتُ إلى المدينة فسمعتة يقول:

«حدثني أبي عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ، قال: عليّ وشيعته هم الفائزون» قال دعبل:

ثم ودّعني وانصرف، فقلت له: يرحمك الله إن رأيت أن تخبرني باسمك فافعل. قال: أنا ظبيان بن عامر^(١).

■ عبيد بن الأبرص وشجاع الجنّي:

سافر عبيد بن الأبرص^(٢) في ركب من بني أسد، فبينما هم سائرون، إذا بحيوان فاتحاً فاه من العطش. وكانت مع عبيد فضلة من ماء ليس معه غيرها، فنزل فسقى الحيوان حتى روي وانتعش، فانساب بالرمل. فلما كان الليل ونام القوم، نذت^(٣) رواحلهم، فلم يرَ لشيءٍ منهم أثر. فقام كل واحد يطلب راحلته فتفرقوا.

(١) الأغاني: ١٤٣/٢٠.

(٢) شاعر من دعاة الجاهلية وحكائها. عاصر امرأ القيس، وله معه مناظرات ومناقضات. عُمر طويلاً حتى قتله النعمان بن المنذر، وقد وفد عليه في يوم نحسه.

(٣) نذّ البعير: نفر وشرّد.

وبينا عبید كذلك، وقد أيقن على الهلاك والموت إذا بهاتف يهتف :
 أيها الساري المضلُّ مذهبَهُ دونك هذا البكرَ فاركبهُ
 وبكرُك الشاردُ أيضاً فاجنبهُ حتى إذا الليلُ تجئى عَيْهَبُهُ^(١)
 فحُطَّ عنه رحله وسيبهُ

فقال له عبید: أيها ذا المخاطب، نشدتك الله إلا أخبرتني من أنت؟
 فأنشأ يقول:

أنا الشجاعُ الذي أَلْفَيْتَهُ رِمِضاً في قفرةٍ بين أحجارٍ وأعقاد^(٢)
 فجُدَّتْ بالماء لما ظنَّ حامِلُهُ وزدت فيه ولم تبخل بإنكاد^(٣)
 الخيرُ يبقى وإن طال الزمانُ به والشرُّ أخبثُ ما أوَعَيْتَ من زاد
 فركب البكر وأجنب بكره، فبلغ أهله مع الفجر . فنزل وحلَّ راحلته
 وخلاهُ فغاب عن عينيه، ثم جاء من سَلِمَ من القوم بعد ثلاثة أيام^(٤).

(١) البكر: الفتى من الإبل . وجنبه جنباً: قاده إلى جنبه .

(٢) الرمض: الذي احترق جوفه من شدة العطش . ألفتيه: وجدته .

(٣) الإنكاد: قلة العطاء .

(٤) الأغاني: ١٧٢/١٩ .

أساطير العرب

كانت العربُ تمرُّ في الجاهلية بضعفٍ في التعليل . أعني عدم القدرة على فهم الارتباط بين العلة والمعلول .

مثلاً: يمرضُ أحدُهُم فيصفون له علاجاً فيفهم نوعاً عاماً من الارتباط بين الداء والدواء ، ولكن لا يفهمه فهم العقل الدقيق الذي يتفلسف!

يفهم أن عادة القبيلة أن تتناول هذا الدواء . لذا لا يرى عقله بأساً في أن يعتقد أن دمَّ الرئيس يشفي الكَلْب! أو أن سببَ المرض روحٌ شرير حلَّ فيه فيداويه بما يطرُد هذه الأرواح . أو أنه خيفَ على الرجل الجنون فنجوه بتعليق الأقدار وعظام الموتى إلى كثير من ذلك .

ولا يستنكر شيئاً لأن القبيلة تفعله . لأن منشأ الاستنكار دقة النظر والقدرة على بحث المرض وأسبابه وعوارضه ، وما يزيل هذه العوارض . وهذه الدرجة لا يصل إليها العقل في طوره الأول .

وقد مُلِئَتْ كتبُ الأدبِ بالخرافاتِ والأساطير التي كانت العرب تعتقدها . فهم يحدثوننا عن سدِّ مأرب وسبب خرابه . كان بين ثلاثة جبال تحصر ماء السيل والعيون ، وليس للماء مخرج إلا من جهة واحدة ، فسدَّ الأوائل تلك الجهة بالرصاص والحجارة الصلبة . فكانوا إذا أرادوا سقي زرعهم فتَّحوا من ذلك السدِّ بقدر حاجتهم بأبواب محكمة وحركات مهندسة ، فيسقون حسب حاجتهم ثم يسدُّونه إذا أرادوا . ثم يحدثوننا أن سبب خرابه جردان حُمُر كَنْ يحفرن السد الذي يليها بأنيابها ، فتقتلع الحجر الذي لا ينقله

مائة رجل ثم تدفعه بمخاليب رجليها حتى تسد الوادي من الناحية التي يجتمع فيها الماء . ويُفتح من ناحية السد . وقد عجزوا عن أن يفهموا أن ليس هناك ارتباط صحيح بين هذه الجرذان الخرافية وخراب السد . وأن السبب الصحيح هو إهمال تعهد السد وصيانته ، بحيث لم يعد يقوى على تحمل السيل .

وكذلك قالوا: إن الذي بنى الخورنق هو النعمان بن امرئ القيس . بناه له رجل من الروم يقال له سنّمار . فلما أتمّه قال له سنّمار: إني أعلم موضع أجرة لو زالت لسقط القصر كله . فقال النعمان: أيعرفها غيرك؟ قال: لا قال: لا جرم، لأدعئها وما يعرفها أحد . ثم أمر بقذفه من أعلى القصر إلى أسفله فتقطع . فضرب به المثل ، وقيل: «جزاه جزاء سنمار» .

وقد صدّق الناس هذه الخرافة مع استحالة تركيز القصر على آجرة واحدة . وكذلك قصة لقمان بن عاد . لما بعثته عاد في وفدها إلى الحرم يستسقي لها فلما هلكوا خيّر لقمان بين أن يبقى بقاء سبع بقرات سمر ، من أضب عفر ، في جبل وعر ، لا يمسه قطر .

أو بقاء سبع أنسر ، كلما هلك نسر خلف بعده نسر . فكان آخر نسوره اسمه لبد . وقد ذكرته الشعراء ، فقال النابغة :

أضحت خلاءً وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لُبْدِ
ويطول القول عن هذا القبيل في كتب التاريخ ، من حوادث تتعلق بالقبائل البائدة: كعاد وجديس وطسم ، أو بالحوادث البعيدة عن زمن الهجرة كجذيمة الأبرش والزباء .

ولم يكن هذا شأن العرب وحدهم . بل شاركهم فيه غيرهم من الأمم في طورٍ مثل طورهم كاليونان ، وأصبحت هذه الأشياء وغيرها موضوعاً لما يسمى «علم الميثولوجيا» .

■ أسطورة شداد بن عاد

حدّث شيخ من أهل اليمن بصنعاء عام الردة ، وكان معمرًا عالمًا بملوك

بني حمير وأمورها قال: كان باليمن رجل من عاد بن قحطان، وهو عاد الأصغر - وأما عاد الأكبر فلم يبق منهم أحد. قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِثْرًا بِالْمِكَةِ﴾ [الحاقة: الآية ٨] وأن هذا الرجل العادي كان يقال له الهميسع بن بكر، وكان جسوراً لا يهاب أمراً، وكانت الصعاليك تقصده من آفاق الأرض، وكان أكثر طلبه المغاور والكهوف يطلبها في جبال اليمن وعمان والبحرين. فأتاه رجل من عبس وآخر من خزاعة وكانا صعلوكين جسورين فقالا له: يا هميسع خذنا معك أين ما أردت فإننا نبلغ مرادك.

فمضى معهما حتى أتى بهما جبلاً وعليه غابة فيها الثعابين لا ترام، والهميسع أمامهم وكان قد أتى الجبل مراراً وحده، وكان إذا عاين الثعابين يجزع ويرجع. فلما أتى ومعه الصعلوكان جَسَرَ بهما وتشجع، فلم يزل يتزايا للثعابين وتهرب منه حتى بلغ باب كهف عظيم كأنه جبل، فسمعوا من داخل الكهف دويماً عظيماً وهيمنة، وعلى باب الكهف نقشٌ بالحميري فقالا له: إقرأ يا هميسع. فقرأه. فإذا مكتوب هذين البيتين:

لا يدخل البيت إلا ذو مخاطرة أو جاهل بدخول الكهف مغرور
إن الذي عنده الآجال حاضرة موكلٌ بالذي يغشاه مأمور

فغلب الخوف والجزع على الخزاعي في أول أمره. ثم إن الجزع غلب أيضاً على العبسي فاستدرك نفسه العبسي وثبت. فقال الخزاعي: يا هميسع قد عاش في الدنيا كثير ممن لم تبلغ نفسه هذا المبلغ. ثم قال له: يا هميسع لقد بغت نفسك من دهرك بأبخس ثمن. فقال الهميسع: نمضي بالكهف أم لا؟ قالوا له: نمضي. فساروا قليلاً فوجدا باباً مكتوب عليه بالخط الحميري:

انظر لرحلك لا يساق فإنه حتم الحمام إلى العرين يساق
يا ساكني جبلي شمام لعله يُدني بما أجنبتما الميثاق
قوموا إلى الإنسي إن محلّه يدعو إلى يوم الفراق فراق

قال: فولى العبسي هارباً عنه، وناداه الهميسع فلم يلتفت له. ومضى

وهو يقول: قاتل الله أخا عاد ما أجسره. قال: فهَمَّ الهميسع أن يفر، ولكنه حمل نفسه على الأصعب، ومضى حتى بلغ إلى باب هو أعظم هولاً وأشدُّ وحشيةً وعليه نقش بالقلم الحميري - فقرأه الهميسع فإذا فيه:

قد كان فيما قد مضى واعظٌ لنفسك البيئة المسمعة
إن جهل الجاهل ما قد أتى وكان حيناً قلبه في دَعَه

فدخل الباب الثالث فسمع دويًا عظيمًا كالرعد وهدةً عظيمة، فبينما هو كذلك إذ برز إليه تنين أحمر العينين فاتحاً فاه، فلما رآه الهميسع رجع هارباً إلى خلفه فسكن التنين. فوقف العادي وقال في نفسه: قد رأني، ولو كان حيواناً لم يدعني وما هو إلاً طلسم، فأخذ حذره من صدمته - وأقبل يمشي قليلاً قليلاً ويُخفف وطأ قدميه، حتى وضع قدمه في موضع فتحرك التنين ودوى.

فأخذ قدوماً كان معه فحفر على الموضع حتى ظهرت له سلاسل على بكرات. فأجنه الليل فأسرع الخروج من الكهف وجمع حطباً من الغيضة وأضرمها ناراً وبات عند باب الكهف. فلما غشيه الليل سمع بكاءً عظيماً وحينئذ داخل الكهف، فلم يزل ينتظر ويرتقب وينظر حتى نظر إلى نار عظيمة خارجة إليه من داخل الكهف. فلما رآها لم يبرح من موضعه حتى غشيته، فصبر لها فلم تؤلم فيه شيئاً. ثم أتته أخرى ثانية أكبر من الأولى، فصبر لها كذلك. فلما مالت عنه أخذ مقياس النيران التي أضرمها وأقبل يضرب بها حيطان الكهف يميناً وشمالاً حتى سمع نداءً من داخل الكهف يهتف:

يا هميسع لا حاجة لنا في دخولك. فأقام حتى أصبح، فدخل الكهف إلى أن وصل إلى الباب الذي رأى فيه التنين، ثم حفر على بقية حد التنين حتى قلعه.

وسقط التنين، فسار إليه الهميسع وقلع عينيه. فإذا هما يا قوتتان حمران لا قيمة لهما. وسار حتى انتهى إلى باب هو أعظم هولاً وأشدُّ

وحشةً. فلما همَّ أن يفتحه سمع دويّاً عظيماً، وبدا له أسد عظيم، فرجع أيضاً إلى خلفه، فرجع عنه الأسد بدويّ عظيم. فحفر على موضع حركته كما صنع بالتنين حتى أبطل حركته، وقلع عينيه فإذا هما ياقوتتان.

ثم دخل باباً فإذا هو بدار عظيمة، وفيها بيت في وسطه سرير من ذهب وعليه شيخ على رأسه لوح من ذهب فيه مكتوب:

أنا شداد بن عاد، عشت خمسمئة عام، وقتلت ألف مبارز، وتزوجت ألف امرأة، وركبت ألف جواد من عتاق الخيل. وتحتة مكتوب:

من ذاك يا شداد عاد أصبحت آماله مهزومة الأقدام
يا من رأني إنني لك عبرة من بعد ملك الدهر والأعوام
فكأنني ضيفٌ ترحل مسرعاً وكأنني حلم من الأحلام
احذر تصاريف الزمان وريبه لا تأمننَّ حوادث الأيام

قال: ثم ملت إلى الركن الذي عن يمينه، فإذا هو سريرٌ من ذهب وعليه جاريتان فوق رأسيهما في الحائط لوح من ذهب. أو قال من عاج - فيه مكتوب:

«أنا حبة، وهذه لبّة بنت شداد بن عاد. أتت علينا أزمان أنفقنا فيها الطارف والتلبد، ثم طلبنا صاعاً من بُرّ بصاع من دُرّ فلم نجده. فمن رأنا فلا يثق بالزمان وليكن على بيان، فإنه يُحدث العز والهوان». قال: فأخذ الهميسع الألواح وما بالبيت من دُرّ وجوهر وياقوت وخرج.

لما مات شداد بن عاد صار الأمر إلى أخيه لقمان بن عاد - وكان الله أعطى لقمان ما لم يعط غيره من الناس في زمانه - أعطاه حاسة مائة رجل، وكان طويلاً لا يقاربه أهل زمانه^(١).

(١) كتاب التيجان في ملوك حمير، ص ٧٧ - ٧٨.

■ قصة لقمان بن عاد والنسور السبعة

أعطي لقمان بن عاد ما لم يُعطه غيره من الناس في زمانه؛ أعطاه الله حاسة وقوة مائة رجل. وكان حكيماً.

كان لقمان بن عاد بعد كل صلاة يدعو بطول العمر، وقد دعا بذلك في الكعبة.

فأتاه صوت وهو في الكعبة: يا لقمان بن عاد، أطلب تُجَبِّ. فطلب طول العمر وقال:

«اللهم يا رب البحار الخضراء، والأرض ذات النبات بعد القطر، أسألك طول العمر، وعمراً فوق عمر».

فنودي: قد أجيبك دعوتك، وأعطيت سؤلك، ولا سبيل إلى الخلود، وأختر: إن شئت بقاء سبع بقرات عُفر، في جبل وعر، لا يمسهنَّ دُعر. وإن شئت سبع نوايات من تمر، مستودعات في صخر، لا يمسهنَّ ندى ولا قطر، وإن شئت سبعة نسور، كلما هلك نسر عقب بعده نسر. فقال: أنا أختار سبعة نسور.

فكان يأخذ فرخ النسور من وكره ويربّه حتى يموت. وكان آخرهم بُد.

النسر الأول: المصون

بينما لقمان يدور ذات يوم في جبل قبيس بمكة إذ سمع منادياً لا يرى شخصه، وهو يقول: يا لقمان بن عاد المغرور ببقاء النسور، اطلع إلى رأس «ثبير» لم يأت بعدُ قدرك المقدور.

فطلع رأس ثبير فإذا بوكر نسر فيه بيضتان قد تفلقتا عن فرخيها، فاختر لقمان أحد الفرخين، ثم عقد في رجليه سيراً ليعرفه وسماه: المصون. ثم قال: المصون الخالص المكنون، من بيت المصون، ومحذور السنون، وغبط العيون، والباقي بعد الحصون، إلى آخر الدهر الخؤون.

فكان لا يغفل عن إطعامه حتى صار طائراً مسخراً له، يدعوه فيجيبه، حتى أدركه الكبر فضعف ومات، فجزع لقمان جزعاً شديداً، وقال: هذا بلاء.

النسر الثاني: عَوْض

كان لقمان بالطائف يبكي نسره مصون، إذ سمع منادياً يناديه: يا لقمان بن عاد دونك البدل، رأس الجبل، مرعى الوعل، رأس السرماج المعتزل، مأمورٌ بطاعتك كالأول.

طلع لقمان إلى رأس الجبل فوق مرعى الوعل، فإذا بوكر نسر فيه بيضتان تفلقتا عن فرخيهما، فاختر أحد الفرخين، فسماه عوض، ثم قال: أنت العوض، المبرأ من تلف العَرَض، وآفات المرض، وتعواج الجرض، وحقك عليّ أفضل مفترض، أودية كلما عرق نبض.

ولما كبر وأدركه الضعف. دعاه لقمان يوماً تحت شجرةٍ ومعه لحم ليطعمه، فأقبل النسر كاسراً بجوزه غصون الشجر فخر ميتاً. فهال لقمان موته هولاً عظيماً.

النسر الثالث: الخلف

كان لقمان بالسراة، فبينما هو سائر حزيناً على نسرهِ عوض، سمع هاتفاً يهتف: يا لقمان بن عاد، اطلع الصفا تجد عند العرتون شرفاً، تصادف فيه خلفاً، واقبل بالحياة نَصفاً.

فطلع لقمان رأس الجبل، فوجد وكر نسر فيه بيضتان تفلقتا عن فرخيهما، فاختر أحد الفرخين، وقال:

أنت الخَلْف، كما وصفك من وصف، احترازاً من التلف، وأبقى مما قد سلف، ولك عندي أفضل النَّصَف. وكان يطعمه ويدلله، حتى كُبر وضعف ولم يقدر أن يطير، فصنع له قفصاً كان يأخذه فيه أينما ذهب. وكان مرةً في عكاظ، إذ اجتمع إليه من حضر من العرب وطلبوا إليه أن يريهم

نسره . فبينما هم يقلبونه وينظرون إليه إذ مات النسر في أيديهم وبينهم . فاغتم لقمان لموته وجزع عليه جزعاً شديداً . ويقال إن لقمان هو أول من حمل نسرأ في قفص .

النسر الرابع : المغيب

وتوجه لقمان إلى جبل قريب وهو حزين على نسره خلف ، إذ سمع منادياً ينادي . يا لقمان بن عادٍ ، اطلع الجبل . تلق عند السهور^(١) ذي الرتب ، في تلة العرتون المنتصب ، مغيباً لم يغب ، من حلول موت قد كتب ، على أهل المشرق والمغرب .

فطلع لقمان ذلك الجبل حيث وَّصف الذي ناداه ، فإذا بوكر نسر فيه بيضتان قد تفلقتا عن فرخيهما ، فاختر أحد الفرخين ، وسماه مغيباً ، ثم قال : أنت المغيب ، وقد سماك من لا يكذب ، عيشك معي العيش المخصب ، ويزاح عنك المكدر المخرب ، وأنا عليك حدب ، في بقائك مرتقب ، فكن أبقي ممن ذهب . فكان لقمان لا يغفل عن إطعامه . ودعاه يوماً من رأس جبل فلم يجبه فطلع إليه فوجده ميتاً ، فهاله موته هولاً شديداً وبكى بكاءً مرأً .

النسر الخامس : ميسرة

لما كان لقمان يبكي على النسر ، سمع صوتاً يقول : يا لقمان بن عاد ، لك في الجبل الأيسر ، بين منبت الشبث والعرعر ، فوق الشاهق الأغرّ ، فأخرجه منه واستبشر ، فبطاعتك قد أمر ، وإلى الموت يصير البشر . فطلع لقمان فوجد عشاً فيه بيضتان قد تفلقتا عن فرخين ، فاختر أحد الفرخين وعقد في رجله سيراً ليعرفه ، وسماه ميسرة . ثم قال : أنت الميسر المحبب إليك اليسر ، إنك النسر الباقي بقاء الدهر . وكان لقمان يطعمه ويربيه ، ودعاه يوماً ليطعمه فوجده ميتاً ، فهاله موته وجزع جزعاً شديداً .

(١) كذا في الأصل .

النسر السادس: أنس

بينما لقمان يبكي على نفسه ذات يوم، لأن ذهاب النسر أنقص من عمره، إذ سمع منادياً يقول: يا لقمان بن عاد، لك الصفا الأسود، حيث الشجر المتلبد، خلصة بيت الرشد، فرخُ به وفاء الوعد، مأمور بطاعتك فاصعد.

فصعد لقمان فوجد وكر نسر فيه بيضتان قد انشقتا وتفلقتا عن فرخيهما، فاختر أحد الفرخين، وسماه أنساً، ثم قال: أنت الأنس، من الروعات والدحس، والدهر غير التعس، وحياتك ببقاء النفس. وكان لقمان لا يعدل عن إطعامه حتى نهض طائراً مسخراً له، يدعوهُ إلى المأكل فيجيبه، حتى كبر وضعف. فبينما لقمان سائراً من الطائف إلى مكة ومعه لحم قد بضعه له، والنسر يحوم فوقه إذ دعاه إلى الأكل، فانقض كاسراً فوق فمات، فاغتمَّ لقمان غماً شديداً وبكى.

النسر السابع: لُبْد

وبينما لقمان يبكي نفسه، إذ بصوت يناديه يقول: يا لقمان بن عاد، لك فوق الصفا الأسود، حيث الشجر المتلبد، خلصة بيت الرشد، فرخ به وفاء الوعد، مأمور بطاعتك فاصعد.

فصعد لقمان فوجد وكر نسرٍ فيه بيضتان قد انشقتا وتفلقتا عن فرخيهما، فاختر أحد الفرخين وعقد في رجله عقدة، وسماه لُبْد. وقال: أنت لُبْد، الباقي المخلد، إلى آخر الأبد، عيشك معي رغد، ويزاح عنك النكد، ويوفق لك الرشد، وعمرك لا ينفد.

وكان لا يغفل عنه أبداً. وجاء رجل إلى لقمان من عاد الآخرة. فقال: يا عم، ما بقي لك من عمرك إلا هذا النسر. فقال لقمان: يا بني، هذا لُبْد! ولُبْد في لغة العرب معناه الدهر.

فلما دنا أجل لقمان وبلغ الميقات، أقبل ذلك النسر لبد حتى وقع على

شجرة، فدعاه لقمان، فأراد أن يقوم فلم يستطع. فناداه مرعوباً حتى قام تحته وهو يقول: انهض لبد، أنت الأبد، لا يقطع بي الأمد، نهضاً شدد، نهض المجرد، الحارث بن ذي شدد. فلم يطق لبد ان ينهض، وتفسخ ريشة ومات. فهال ذلك لقمان وجاء لينهضه، فاضطربت عروق ظهره وخرّ ميتاً.

وكان منظرهما هذا بمرأى رجل من العمالقة. يقال له: المثنى بن عمليق - والعمالقة سكان السراة والحجاز كلها. فقال وهو يبكي على لقمان ويرثيه:

فنيث وأفنى الله نسلك من نسر هلكت وأهلكت من عاد وما تدري
فمن ذا ينجي بعد لقمان فكره يخلصه يا قوم من تلف الدهر
وذهب المثنى إلى ناس من قومه العماليق فأخبرهم بأمر لقمان ونسره
فانطلقوا ودفنوهما. ويقول ربعة الكلابي شعراً بذلك:

لما رأى لبُد النسور تطايرت رفع القوادم كالعقير الأعزل
من تحته لقمان يرجو نهضه ولقد رأى لقمان ألا يأتلي
ولقد جرى لبُد فأدرك شأوه رب المنون وكان غير مغفل
غَلَب الليالي خلف آل محرقٍ وكما فعلن بتبّعٍ وبهرقل
وغلبن أبرهة الذي ألفيتهُ قد كان يخلدُ فوق غرفة موكل
والحارث الحراب كانت داره داراً أقام بها ولم يتحمّل
تجري مواهبه على مَنْ نابَه جَزِي الفرات على قرار الجدول

وعاش كل نسر مائة عام، وكان لقمان عاش قبل النسور زمناً ورأى عذاب قوم هود. وكان من وفد عاد الذين ذهبوا إلى مكة ليستسقوا قبل أن يحل بهم العذاب^(١).

(١) نشرت هذه القصة في مجلة «العربي»، العدد ٣٠٢، سنة ١٩٨٤، بعنوان «المغرور في بقاء النسور». وانظر كتاب التيجان، ص ٣٧٠ - ٣٨١.

حكايا عن النبي سليمان

■ قصة العنقاء والنبي سليمان (في القضاء والقدر)

عاتب سليمان الطير في بعض عتابه فقال: إنك تأتين كذا وتفعلين كذا. فقالت: والله رب السماء والثرى، إننا لنحرص على الهدى، ولكن قضاء الله يأتي إلى منتهى علمه وقدره. قال سليمان: صدقت. لا حيلة لنا بالقضاء والقدر.

قالت العنقاء: لست أومن بهذا. قال لها سليمان: أفلا أخبرك بأعجب العجب؟ قالت: بلى. قال: إنه يولد الليلة غلام في المغرب وجارية من الشرق، هذا ابن ملك وهي بنت ملك، يجتمعان في أمنع المواضع وأهلها على سفاح يقدر الله تعالى فيهما.

قالت العنقاء: يا نبي الله قد ولدا؟ قال: نعم الليلة. قالت: فهل أخبرني بهما وما اسمهما يا نبي الله فإني أفرق بينهما وأبطل القدر. قال: إنك لا تقدرين. قالت: بلى. وكفلتها البومة. فأشهد سليمان عليهما الطير.

العنقاء والفتاة:

حلقت العنقاء في الهواء وأشرفت على الدنيا وأبصرت كل بيت حتى أبصرت الجارية تنام في مهدها وفي قصر والديها. فاختطفها وطار بها إلى جبل شاهق أصله في جوف البحر وعليه شجرة عالية لا ينالها طائر إلا بجهد. فاتخذت لها وكرأ واسعاً. وأرضعتها وحضنتها حتى كبرت. وكانت العنقاء تغدو إلى سليمان كل يوم. ولم تعلم أحداً بذلك.

لقاء الشاب والفتاة:

ويبلغ الغلام مبلغ الرجال وكان ملكاً من ملوك الدنيا. وكان يلهو بالصيد ويحبه. فقال يوماً لأصحابه: قد تمكنت من كل صيد البر. فما رأيكم إن

ركبنا البحر فننال من صيده الكثير؟

وركب الملك ومرّ في البحر يتصيد حتى سار مسيرة شهر. فأرسل الله تعالى على سفينته ريحاً عاصفاً خفيفة ساقتها حتى وصلت بها إلى جبل العنقاء الذي فيه الجارية.

وأصبح الملك فرأى سفينته راكدة. فأخرج رأسه من السفينة، فرأى الجبل ورأى شجرة جميلة أعجبه منظرها.

سمعت الفتاة التي في عش العنقاء صوتاً وجلبة ولم تكن قد سمعت شيئاً من قبل، فأطلت رأسها، فرأى الملك وجهاً جميلاً وشعراً أجمل. فأخذه القلق فنادها: من أنت؟ فأفهمها الله لغته وقالت: لا أدري ما تقول ولا من أنت، إلا أنني أراك يشبه وجهك وجهي وكلامك كلامي. وإني لا أعرف إلا العنقاء أُمي. فقال لها الملك: وأين أمك العنقاء؟ قالت: في نوبتها. تغدو كل يوم إلى ملكها سليمان فتسلم عليه وتعود في الليل، وتجيء تحدثني عنه، وإنه لملك عظيم.

قال لها: أرايت إن هاجت الريح وأزعجتك من وكرك فمن يمسكك أن تقعي في البحر؟ قالت: أفزعتنني بكلامك. وكيف يكون معي أنسيّ مثلك يحدثني ويحميني؟

قال الملك: أولاً تعلمين أن الله الذي اتخذ سليمان نبياً وسخر له الطير والرياح، هو الذي رَحَمَكِ وساقني إليك صاحباً وأنيساً وإني ملك من أبناء الملوك.

قالت: كيف تصير إليّ وأصير إليك؟ قال لها: عندما تأتي العنقاء تكثرين من وحشتك وبكائك. فإذا قالت ماذا تريدني، أخبريها بحديثك. فلما جاءت العنقاء وجدتها حزينة باكية فقالت: ما بك يا بنية؟ قالت: الوحدة والوحشة! فقالت لها: يا بنية لا تخافي سأستأذن سليمان أن آتية يوماً وأتخلف يوماً.

ثم عاد الملك ثانية، فأخبرته الفتاة بما قالت والدتها العنقاء، فقال لها: سأنحر من دوابي هذه فرساً وأبقر بطنه وأجوفه وأقيره وأدخل فيه وألقيه على رأس السفينة هذه. فإذا جاءت العنقاء فقول لي لها: إني أرى عجباً، حلقة ملقاة على هذه السفينة. فلو اختطفتها وحملتها إلي وكري هذا فأنظر وأستأنس بها، كان أحب إلي من كينونتك معي وتركك زيارة سليمان. وهكذا لما جاءت العنقاء قالت لها الفتاة ما علمها الملك. فانقضت العنقاء إلى السفينة واختطفت الفرس والملك في جوفها. ففرحت الفتاة، فقالت العنقاء: لو علمت أن هذا يفرحك كنت آتيك به منذ حين. وذهبت العنقاء إلى نوبتها عند سليمان، وخرج الملك من جوف الفرس، وجلس مع الفتاة يلاعبها ويقبلها. وفرح كل واحد منهما بصاحبه.

في مجلس النبي سليمان:

وجاء الخبر إلى سليمان باجتماعهما من قبل الريح - وكان مجلس سليمان يومئذ مجلس الطير - فدعا بعرفاء الطير وأمرهم أن لا يدعوا طائراً إلا حشروه، ففعلوا، وكانت العنقاء بينهم. فأول سهم خرج من تقديم الطير: سهم الحدأة، ثم جاء سهم العنقاء. فسألها سليمان: ما قولك في القدر؟

قالت: يا نبي الله إن لي من القوة والاستطاعة ما أذفع الشر وأتي بالخير. قال لها: وأين شرطك الذي بيني وبينك عن الجارية والغلام؟ قالت: قد فرقت بينهما. قال سليمان: الله أكبر! فأتتني بها الساعة والخلق شهود لأعلم تصديق ذلك. وأمر العريف أن لا يفارقها أبداً.

فعادت العنقاء إلى العرش. وكان الملك إذا سمع حفيف جناحيها اختبأ بجوف الفرس. ولما وصلت قالت للفتاة: إن سليمان أمرني أن أحضرك لمجلسه. قالت الفتاة. فكيف ستحمليني؟ قالت: على ظهري. قالت: أخاف أن أنظر إلى أهوال البحر فأقع. أدخل في جوف الفرس ثم تحملين الفرس على ظهرك أو في منقارك فلا أر شيئاً ولا أفزع. قالت: أصببت!

فدخلت الفتاة في جوف الفرس وحملتها العنقاء وطارَت حتى وقفت بين يدي سليمان وقالت: يا نبي الله هذه الفتاة في جوف الفرس. فنظر إليها طويلاً وقال لها: أتؤمنين بقدر الله تعالى وقضائه، وأنه لا حيلة لأحد في دفع قضاء الله تعالى وقدره وعلمه السابق الكائن من خير وشر؟ قالت العنقاء: أو من بالله وأقول: أن المشيئة للعباد والقوة. فمن شاء فليعمل خيراً، ومن شاء فليعمل شراً. قال سليمان: كذبت! ما جعل الله من المشيئة إلى العباد شيئاً. ولكن من شاء الله أن يكون سعيداً كان سعيداً، ومن شاء أن يكون كافراً كان كافراً. فلا يقدر أحد أن يرد قضاء الله وقدره بحيلة ولا بفعل ولا بعلم. وإن الولد الذي قد وُلِدَ بالمغرب والجارية التي ولدت بالمشرق قد اجتمعا الآن وفي مكان واحد على سفاح. وقد حملت منه الجارية ولدًا. قالت العنقاء: لا تقل ذلك يا نبي الله فإن الجارية معي في جوف فرسي هذا. قال سليمان: الله أكبر! أين البومة المتكفلة بالعنقاء؟ قالت: ها أنا. قال سليمان: على مثل قول العنقاء أنت؟ قالت: نعم. قال: يا قدر الله السابق قبل الخلق، أخرجهما على قضاء الله وقدره! قال: فأخرجهما جميعاً من الفرس.

أما العنقاء فتاهت وفزعت فطارت في السماء وأخذت نحو المغرب واختفت في بحر من بحار المغرب وآمنت بالقدر وحلفت ألا تنظر في وجه طير ولا ينظر طير في وجهها.

وأما البومة فلزمت الآجام والجبال وقالت: أما بالنهار فلا خروج ولا سبيل إلى المعاش. فهي إذا خرجت نهاراً وبَحَثَها الطير واجتمعت عليها وقالت: يا قدرية! فهي تخضع لهذا^(١).

■ بساط سليمان:

قال الكسائي: كان سليمان إذا ركب الريح تقدم أمام بساطه البعوض ثم

(١) نهاية الأرب: ٦٦/١٤ - ٦٨.

الزنابير وكل ما يطير بالهواء ثم الشياطين . وكان إذا أراد أن يركب الريح دعا الرياح الثمانية: الشمال، والجنوب، والصبأ، والدَّبُور، والصرصر، والعقيم، والكرس، والراكي .

فيسط بعضها على بعض، ثم يبسط بساطه على هذه الرياح؛ وكان من السندس الأخضر، أخضر البطن أحمر الظهر، أهدها الله تعالى إليه من الجنة، لا يعلم طوله ولا عرضه إلا الله .

وكان سليمان إذا ركب جعل اللون الأخضر ما يلي الأرض، فإذا رفع الناس رؤوسهم إليه يرونه على لون السماء. وكان يجلس على كرسيه وعن يمينه ويساره القضاة والعلماء والأخبار على كراسي معدة لهم، وهو جالس في وسط البساط والريح في يده. ويتغذى ويتعشى على مسيرة شهر. قال الله تعالى: ﴿غَدُوهاَ شَهْرٌ﴾ [سَبَأ: الآية ١٢].

■ خاتم سليمان:

قيل أوحى الله إلى جبرائيل أنه قد سبق في علمي أنني أملك سليمان الدنيا، ليعلم الجن والإنس أنني لم أخلق خلقاً هو أفضل من ذرية آدم. وأمره أن يأخذ الخاتم من الجنة ويأتيه به. فجاء جبرائيل إلى سليمان ومعه الخاتم وهو يضيء كالنجم الدرّي، ورائحته كالمسك، وعليه كتابة: «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، فأعطاه لسليمان وقال له: هنيئاً لك يا ابن داود.

■ حشر الجن لسليمان:

قال الكسائي: أمر الله عز وجل جبريل أن يحشر الجن، فنادى: أيتها الجن والشياطين، أجيئوا سليمان بن داود. فاجتمعت الجن وهي تقول: لبيك يا حجة الله فحشرها سليمان طائفة ذليلة تسوقها الملائكة، فوقفت بأجمعها بين يدي سليمان، فنظر في عجائب خلقها وسجد لله شكراً. ثم قام على قدميه والخاتم في إصبعه. فلما نظرت إليه الجن خرّت ساجدة ثم رفعت رؤوسها

وقالت: يا ابن داود، قد حشرنا إليك وأمرنا بطاعتك. فحتم على أكتافهم بخاتمه وجندهم وصفد مرتهم بالحديد ولم يتخلف إلا صخر الجنى، تغيب في جزيرة.

وفرق سليمان الأعمال عليهم من الحديد والنحاس وقطع الصخور وعمارة القرى والمدن والحصون. قال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لِمَا يُشَاءُ مِنْ مَحْرَبٍ وَمَنْثِيلٍ وَحِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سبأ: الآية ١٣] (١).

■ خبر الرجل الذي قبض بأرض الهند

قال الكسائي: كان سليمان عليه السلام قد سأل الله تعالى أن يريه ملك الموت، فأراه إياه.

وكان يعوده ويأتيه كل خميس. فأتاه في بعض الأيام على صورة البشر، وجعل يطيل النظر إلى رجل في مجلس سليمان حتى أربع ذلك الرجل. فلما خرج ملك الموت قال الرجل لسليمان: يا نبي الله لقد أفرعني هذا الرجل الذي كان بمجلسك من نظره إليّ، فمن هو؟

قال: هو ملك الموت. قال الرجل: يا نبي الله أسألك أن تأمر الريح أن تحملني إلى أرض الهند. فأمر سليمان الريح فحملته من مجلسه ووضعته بأرض الهند.

ثم جاء ملك الموت إلى سليمان. فقال له: قد كنت اليوم عندي وأنت تنظر إلى ذلك الرجل نظراً سافياً حتى خاف منك.

قال: يا نبي الله إنني كنت قد أمرت بقبض روحه في موضع من الهند في هذا اليوم. فلما رأيته عندك عجبت متى يصل هذا الرجل إلى الهند، فإذا الريح قد جاءت به فألقته في البقعة التي أمرت بقبض روحه فيها، فقبضت

(١) نهاية الأرب: ٩٥/١٤.

روحه هناك . فعجب سليمان من ذلك .

■ زوال ملكه أربعين يوماً:

حكى الثعلبي في خبر الفتنة: سمع سليمان عليه السلام أن في جزيرة من جزائر البحر رجلاً يقال له «صيدون»، ملكاً عظيم الشأن لم يكن لأحد من الناس عليه سبيل لمكانه في البحر .

فخرج سليمان إلى الجزيرة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بها بجنوده من الجن والإنس ، فقتل ملكها وسبى ما فيها .

وأصاب بنت الملك وكان اسمها «جرادة» لم ير الناس أجمل منها، فتزوجها وطلب منها أن تسلم فأسلمت على جفاء منها وقلة ثقة . وقيل : إنه عندما طلب إليها أن تسلم قالت له : إن أكرهتني على الإسلام قتلت نفسي . فخاف سليمان أن تقتل نفسها، فتزوجها وهي مشرقة أربعين يوماً . وكانت تعبد صنماً لها في خفية عن سليمان، إلى أن أسلمت . فعوقب سليمان بزوال ملكه أربعين يوماً، لأنه سكن مع امرأة كافرة .

■ صخر الجنّي :

وجمع سليمان عليه السلام عفاريت الجن والشياطين وأمرهم بإحضار صخر الجنّي، فقالوا: يا نبي الله إن الله قد أعطاه قوة جماعة منا، ويصعب علينا حمله إليك، وما لنا إلى أمر واحد وهو أنه يأتي في كل شهر إلى عين في جزيرة فيشرب ماءها . والرأي أن ننزف الماء ونملأها خمراً . فإذا جاء وشرب وسكر ذهب قوته فنحمله إليك .

ثم خرجوا ففعلوا ذلك واختفوا في تلك الجزيرة . فجاء صخر ليشرب فاشتم رائحة الخمر وقال: أيتها الخمرة، إنك لطيبة، غير أنك تسلبين عقلي وتجعلين من الحليم جاهلاً، وأمرك كلُّه ندامة . وأنصرف ولم يشرب . ثم عاد في اليوم الثاني وقد أجهد العطش فقال: ما من قضاء يأتي من الله إلا كان

مبرماً. ثم نزل على العين فشرب حتى امتلأ، ثم قام ليخرج فسقط، فتبادرت العفاريث إليه ومعهم طابع سليمان، فلما رآه ذلَّ وخضع، فحملوه حتى وقَّفوه بين يدي سليمان وهو يخرج من فمه لهيب النيران، ومن منخرية الدخان.

فلما عاين ضعفت قوته وخر ساجداً على وجهه، رفع رأسه وقال: يا نبيَّ الله ما الذي أحوجك إليّ وأنا بعيد عن الآدميين؟ فقال له سليمان: إن الناس اشتكوا من وقع الحديد وصوته على الحجر.

قال صخر: يا نبي الله عليك بوكر العقاب وعشه وبيضه، فليس شيء بالطيور أبصر منه. فأتي به فوضعه في البرية وغطاه بمعدن شديد الصفاء، وضعه على عش العقاب.

وجاء العقاب فلم يجد عشه. فطار في الهواء حتى نظر إلى عشه في تلك البرية، فانقضَّ عليه وضرب الصفيحة برجله ليكسرهما فلم يقدر على ذلك. فطار وتعلق بالهواء وغاب يومه وليلته، ثم أقبل صبيحة اليوم الثاني وفي منقاره قطعة من حجر السامور. فانقضَّ على الجام بذلك الحجر فضربه به، فانشق المعدن نصفين ولم يسمع له صوت. وأخذ العقاب عشه وبيضه، وترك حجر السامور هناك، فأخذه صخر وهو في صفاء المرأة وحرَّ النار.

فدعا سليمان بالعقاب وسأله عن حجر السامور^(١) من أين احتمله، فأخبر أنه من جبل شامخ. فبعث سليمان الجن والشياطين فحملوا ما قدروا. فكان يقطع به الأحجار والصخور والجَزَع من غير أن يسمع صوت.

■ الجنِّي يسرق خاتم سليمان:

قال الكسائي: وكان لسليمان جارية اسمها «الأمينة» فكان إذا أراد الدخول إلى الصلاة والوضوء أو إلى الحمام سلَّم الخاتم إليها، فإذا اغتسل أخذ خاتمه منها.

(١) هو الألماس.

وفي أحد الأيام دخل سليمان وسلّم خاتمه إلى الأمينة، فجاء صخر الجني بصورة سليمان وأخذ الخاتم من الجارية. ولما صار الخاتم في يده لم يستقر في يده لأنه شيطان، فرماه في البحر، فجاء الحوت بإذن الله فابتلعه. ومضى صخر وهو على صورة سليمان فجلس على كرسيه ومعه الناس وهم يظنون أنه سليمان. فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: الآية ٣٤]. قيل: الجسد هو صخر الجني.

لما خرج سليمان من الخلاء، وقد غير الله صورته إلى صورة صخر، فطلب الخاتم، فقالت الجارية: أعوذ بالله منك، قد دفعت الخاتم إلى سليمان. فعلم سليمان أن الله قد أوقع به البلية. فخرج يريد القصر ويقول للناس أنا سليمان فلم يصدقه أحد.

وهام سليمان يدور في الأحياء وهو يقول: إلهي! إني تائب إليك من خطيئتي. فلم يزل كذلك أربعين يوماً لم يطعم شيئاً، ثم وجد قرصة يابسة ملقاة، فأخذها ولم يقدر على أكلها لئسها. فأقبل إلى ساحل البحر وقعد يبيل القرصة فأخذها الموج من يده. فقال: إلهي رزقتني بعد أربعين يوماً قرصة يابسة، فأخذها البحر من يدي فارزقتني فأنت الرزاق الكريم.

وجعل يمشي وهو يبكي، فإذا بصيادين فسألهم شيئاً من الطعام فمنعوه وطردوه وقالوا: انصرف عنا، فما رأينا أوحش من وجهك! إذهب وحق سليمان إن قمنا لأوجعناك ضرباً!

قال: يا قوم، أنا والله سليمان. فضربه رجل منهم على رأسه وقال: أتكذب على نبي الله فبكى وبكت الملائكة لبكائه. ورحمه أولئك القوم فناولوه سمكة وأعطوه سكيناً. فشق بطنها لينظفها. فخرج الخاتم من بطنها فلبسه في أصبعه وعاد إليه حسنه وجماله. فسار يريد قصره، وجعل يمر بتلك القرى التي أنكرته. فكل من أنكره عرفه وسجد له. وبلغ ذلك صخر الجني فهرب. وعاد سليمان إلى قصره واجتمع له الإنس والجن والطيور والشياطين

والسباع كما كانوا أول مرة. فبعث العفاريت في طلب صخر فأتوه به. فأمر أن ينقروا له صخرتين وصفده بالحديد وجعله بينهما وأطبقهما عليه، وختم عليه بخاتمه وطرحه في بحيرة طبرية. فيقال: إنه فيها إلى يوم القيامة. ثم أمر الله الرياح أن تحشر له سائر الشياطين فحُشِرَتْ له. فصعد مرَدَتهم بالحديد وحبسهم.

■ سليمان يطوف الأرض:

قال الكسائي: ملك سليمان شرق الأرض وغربها وطاف أقطارها حتى انتهى إلى جبل قاف، فوقف هناك ثم قال للريح: هل جريت هاهنا؟ قالت: لا يا نبي الله وإنه لآخر الدنيا وليس وراءه إلا علم الله تعالى. ثم أمر الريح فاحتملته حتى نظر إلى التنين المحدق بالعالم، فسار أياماً على طرفٍ من أطراف الأرض فإذا هو بملك يقول: يا ابن داوود إن هذا التنين محيط بالعالم الذي هو مسيرة خمسمائة عام. ثم ارتفع إلى مستقر الغمام ونظر إلى مجمع القطر، ونزل من هناك إلى مسكن الليل والنهار. فإذا هو بملك يقول: اللهم اعط كل منفقٍ خلفاً وكل ممسك تلفاً.

■ سليمان وشجرة الخروب:

ثم أمر الريح أن تحط بساطه إلى الأرض المقدسة. وكانت مدة غيبته مائة وثلاثين يوماً. وكان طول سفرته هذه يرى شخصاً بين يديه يسبق كل شيء، فسأله من هو؟ فأخبره أنه ملك الموت، فوقعت عليه الرعدة وتغير لونه وجعل ابنه رحبعم خليفته وأوصى الناس بالسمع والطاعة له.

وأخذ بالصوم والصلاة طول ليله، فإذا أصبح خرج من محرابه إلى روضة هناك فيها نبات حسن يتسلى به.

فخرج في بعض الأيام فرأى نباتاً غريباً لم يكن قد رآه قبل ذلك. فقال: أيها النبات ما أنت؟ قال: أنا الخرنوب الذي لا أنبت في موضع إلا خربتته.

قال سليمان: فما تصنع هاهنا فلست من نبات هذه الرياض؟ قال: قد أمرت أن أنبت هنا. فعاد سليمان من الغد وهو على حاله وقد زاد نبتة. فقال له: ألم أمرك أن تلحق بموضعك من البراري. قال الخروب: يا نبي الله إن هذا الموضع سيخرب عن قريب. فسكت سليمان.

■ ذكر حشر الطير لسليمان بن داود

قال الكسائي: لما أتى الله الملك والنبوة لسليمان عليه السلام أحب أن يستنطق الطير فحشرت له. فكان جبرائيل يحشر طير المشرق والمغرب من البر، وكان ميكائيل يحشر طير الهواء والجبال.

نظر سليمان إلى عجائب خلقها، وجعل يسأل كل واحد منها عن مسكنه ومعاشه فيخبره. وكان بين يديه سبعة ألوية من ألوية الأنبياء، يمسكها سبعة من الملائكة.

قال: ولما حشرت الطير له جاءته فوجاً فوجاً، فسلمت عليه الخُطافة بثلاث لغات وقالت: يا نبي الله أنا ممن اختارني نوح وحملني في السفينة ومثي تناسل كل خُطافة في الدنيا، ودعا لي آدم وقال: إنك تدركين من أولادي من خلفته مثل خلافتي، وتحشر له الطير والوحوش والمردة. فإذا رأيته فأقرأه مني السلام. ثم قالت له: يا نبي الله إن معي سورة تعجب الملائكة من نورها ما أعطيت لأحد من بني آدم غير أبيك إبراهيم، فإنها نزلت كرامة له يوم أُلقي في النار. فهل لك أن تسمعها مني؟ قال: نعم.

فقرأت سورة ﴿الحمد﴾ حتى بلغت ﴿ولا الضالين﴾. فمدت صوتها بآمين، وسجدت، وسجد معها سليمان عليه السلام.

ثم تقدم النسر، وهو يومئذ في صورة عظيمة، فقال: السلام عليك يا نبي الله يا ملك الدنيا. ما رأيت مُلكاً أعظم من مُلكك! وإني قد صحبت آدم عليه السلام وساعدته على كثرة حزنه، وأنا أول من علم بهبوطه إلى الأرض.

وكنت معه إلى أن تاب الله عليه . وقال لي : إنه يكون من ذريتي من يُحشر له الطير، فإذا رأيته فأقرئه مني السلام . وقد أدت إليك وديعته . فاصطنعني يا نبيَّ الله فإني عليم بمعادن الأرض وجبالها . ومعني آية عظيمة لا يفتر لساني عنها، وهي : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [النساء: الآية ٨٧] .

ثم سجد، فسجد معه سليمان . فلما رفع رأسه جعله سليمان ملكاً على الطيور .

ثم تقدمت العقاب، فوقفت بين يديه وسلّمت عليه وقالت : يا نبي الله إن خلقي كان أعظم من هذا، ولكن حزني على هابيل يوم قتله قابيل صيرني إلى ما أنا عليه، ولقد توحشت الأرض والجبال يوم قتل، ومعني آية أعطانيها ربي وهي : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ ذَكَرَهَا ﴿١﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ﴿٢﴾﴾ [الشمس: الآيتان ٩، ١٠] ثم قالت له : سلّطني على من شئت فإني قوية سمیعة .

ثم تقدمت العنقاء، وهي يومئذ شديدة البياض، وصدرها كالذهب الأحمر ووجهها كوجه إنسان، ولها ذوائب، ورجلان صفراوان، ولها تحت جناحيها يدان كل يد فيها ثلاثون إصبعاً . فوقفت بين يديه وسلّمت وقالت : إن الله فضّلك على كثير من الملوك حين أبرزني إليك بصورتي هذه، فمرني ما شئت . فوالله ما نطقت لأحد إلا لصفوة الله آدم . فإني وقفت بين يديه وتعجب من حسن صورتي، وقال : ما أشبهك بطيور الجنان! . فمنذ كم خلقك ربك؟ قلت : من ألفي عام . ثم تبخترت بين يديه فقال : أيها الطائر أنك معجبٌ بنفسك وبخلقك، والعجب يهلك صاحبه . لقد فاز المفلحون وخسر المبطلون .

ثم تقدم الغراب، فسلم وقال : يا نبي الله لقد فضلك الله على كثير من ولد آدم، وعلمك ما لم تكن تعلم . وكان فضل الله عليك عظيماً .

وإني كنت أبيض قبل ذلك، فصرت أسود كما ترى، لما سمعتهم

يقولون: اتخذَ الرحمنُ ولداً، وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً. ولقد دعا لي أبوك آدم ونوح بطول. وسمعت أباك إبراهيم يتلو آية يخضع لها كل شيء وهي: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المدثر: الآية ٣٨].

ثم تقدمت الحمامة فسلمت عليه وقالت: يا نبي الله أنا الحمامة التي اختارني أبوك آدم لنفسه إلفاً وأنيساً، وكنت أنس به وبتسبيحه، وكان إذا ذكر الجنة يصيح صيحة عظيمة ويقول: أتراني أعود إليها؟ وإن لم أرجع إليها لأكوننَّ من الخاسرين.

واعلم يا نبي الله أنه قد علمني كلمات حفظتها عنه وهي: الله لا إله إلا هو الحي القيوم، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين. وقد أقبلت إليك طائعة لأمرك. فمرني بما شئت.

ثم تقدم الهدهد، فسلم عليه وسجد بين يديه وقال: ما أحببت أحداً كما أحببتك يا نبي الله لأنني أرى الدنيا ضاحكة لك. وقد أعطاك الله ملكاً عظيماً، فاتخذني رسولاً آتيك بالأخبار وأدلك على مواضع الماء. فقال له: أراك أكيس الطيور، وأرى فخاخ بني إسرائيل تصطادك، ولا تغني عنك كياستك شيئاً. قال الهدهد: يا نبي الله الحيلة لا تنفع مع القضاء والقدر. قال: صدقت.

■ وادي النمل:

قيل: لما سار سليمان لقصد الغزو مرَّ في طريقه بوادي النمل: (وهو وادي السدير بالطائف) فنظر إليهم فإذا هم يزيدون على مئة ألف كردوس مثل السحاب. فقال سليمان: إني أرى سحابة في الأرض لا أعلم ما هي. فحملت الريح إليه قول النملة كما أخبر الله تعالى في كتابه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا تَوَّأَ عَلٰنَ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمُ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمٰنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾ فَبَسَرَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴿[النمل: ١٨، ١٩].

ونزل سليمان ونزل الناس معه فقال: أتدرون ما هذا السواد؟ هذه أمة من الأمم يقال لها النمل. وأخبرهم بقول النملة، وسجد لله وسجدوا معه.

ودخلت النمل مساكنها زمراً زمراً والنملة تناديهم: الوحا الوحا! فقد وافتكم الخيل. فصاح سليمان وأراها الخاتم، فجاءته خاضعة، فوقفت بين يديه وسجدت ثم قالت: يا نبيَّ الله ما سجدتُ قبلك إلا لأبيك إبراهيم، وها أنا أسجد بين يديك.

قال لها: ما الذي تكلمت به قبل وصولي إليك؟ قالت: يا نبي الله إني رأيتك في موكبك وعسكرك، فنادت النمل أن يدخلوا مساكنهم لثلا يحطمهم جندك. وأنا كمثلي غيري من الملوك أريد الصلاح لقومي. فقال لها: كم عددكم وما تأكلون وما تشربون؟

قالت: يا نبي الله لو أمرت الجن أن يحشرونا إليك لعجزوا. وليس على وجه الأرض وادٍ ولا جبل ولا غابة إلا وفي أكنافها مثل سلطانك كراديس من النمل. ولقد خلقنا قبل أبيك آدم وإنا لنأكل رزق ربنا ونشكره. فأمرها أن تعرض النمل عليه فنادتهم، فمرؤوا زمرة زمرة، وسلّموا عليه بلغاتهم وهو ينظر إليهم. فقالت ملكة النمل:

يا نبيَّ الله مِنَّا في الجبال، ومِنَّا ما يأوي قرب المياه والأشجار والزرع وفي الهواء - وهي الطيارة - فإذا نبتت أجنحتها هلكت واختطفها الطير. والنملة لا تموت حتى تلد كراديس من النمل. وإنها لتجمع في صيفها ما يملأ بيتها وهي مع ذلك تظن أنها لا تشبع. وتسيبها تسأل ربها أن يوسع عليها الرزق.

قال الثعلبي: اسم النملة التي كلمت سليمان: طاحية.

■ سليمان وملك الموت:

قال سليمان ذات يوم لأصحابه، قد أتاني الله الملك كما ترون، وما مرّ

عليّ يوم في ملكي بحيث صفا لي من الكدر، وقد أحببت أن يكون لي يوم واحد يصفو لي إلى الليل ولا أغتم فيه، وليكن غداً. فلما كان الغد دخل قصرأ له وأمر بإغلاق أبوابه ومنع الناس من الدخول عليه ورفع الأخبار إليه لئلا يسمع شيئاً يسوؤه .

ثم أخذ عصاه بيده وصعد فوق قصره واتكأ عليه ينظر في ممالكه، فإذا بشاب حسن الوجه عليه ثياب بيض قد خرج عليه من جانب قصره فقال: السلام عليك يا سليمان. فقال سليمان: وعليكم السلام؛ كيف دخلت هذا القصر وقد مُنعت من دخوله؟ أما منعك البواب والحجاب؟ أما هبتني حين دخلت قصرني فقال ملك الموت: أنا الذي لا يحجبني حاجب ولا يمنعي بواب، ولا أهاب الملوك، ولا أقبل الرشا، وما كنت لأدخل هذا القصر بغير إذن؟ فقال له سليمان: فمن إذن لك في دخوله؟ قال: ربي! فأرتعد سليمان وعلم أنه ملك الموت، فقال له: أنت ملك الموت؟ قال: نعم. قال: فيم جئت؟ قال: جئت لأقبضَ روحك.

قال: يا ملك الموت، هذا يوم أردت أن يصفو لي وما أسمع فيه ما يغمني. قال له: يا سليمان إنك أردت يوماً يصفو لك فيه عيشك حتى لا تغتم فيه، وذلك اليوم لم يُخلق في الدنيا. فأرضَ بقضاء ربك فإنه لا مردّ له. فقبض ملك الموت روحه وهو متكئ على عصاه.

وبقي سليمان على حالته لم يسقط إلى الأرض ولم يتحرك ولا مال. فهابوه وما جسروا أن يتقدموا. ولم تزل الأنس والجن والشياطين والوحش والطير في الطاعة والأعمال حتى مضت سنة. ثم وقعت الأرضة في أسفل العصا؛ فذلك قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ﴾ [سبأ: الآية ١٤] فخرَّ سليمان عند ذلك كالخشبة اليابسة. وكانت الجن قبل ذلك تدعي علم الغيب وقد قال تعالى:

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سَبَأ: الآيات ١٤] أي في تلك السنة في نقل الصخور والبنيان وغير ذلك (١).

■ سليمان وملكة سبأ:

لما أخبر الهدهد النبي سليمان أن في سبأ قوماً تحكمهم ملكة ويعبدون الشمس، كتب إليها كتاباً وأرسله مع الهدهد. فانطلق حتى أتاها وصار بحذاء رأسها وهي على سرير ملكها تنظر إلى الطائر من فوقها فألقى الكتاب في حجرها. فنظرت إليه ونظر الناس إلى طائر رمى إليها الكتاب، فجمعت أهل الرأي وقالت ما ذكر الله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنَّيَأُلْقَى إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [النمل: الآيات ٢٩-٣١] فأجابوها: ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوْا قُوَّةً وَأَوْلُوْا بِأَيِّ شَيْدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [النمل: الآيات ٣٣-٣٥].

فبعثت وفداً أربعين رجلاً من رجالها، وبعثت معهم بمائة وصيفة ووصيف ولدوا في شهر واحد، لهم ذوائب وقصاص، وزى واحد، وختمت على سراويلهم. وبعثت بمائة فرس نتجت في يوم واحد ألوانها واحدة.

وبعثت بحق رصاص فيه من الجواهر والزمرد والياقوت الأحمر والأصفر والأبيض والأسود، ملحم لا يوصل إليه ولا ينكسر.

وبعثت بخرزة غير مثقوبة، وكتبت إليه: انقب هذه الخرزة بغير حديد ولا علاج أنس أو جن.

وبعثت إليه بخرزة مثقوبة ثقباً ملتويّاً وسألته أن يدخل فيه خيطاً. وقالت

(١) نهاية الأرب: ١٣/١٢٥-١٢٩.

للوغد: ان قبل الهدية فهو ملك من الملوك ويهون علينا محاربتة، وإن ردها ولم يقبلها فهو نبي. وقد كتبت إليه كتاباً، فادفعوه إليه واسألوه عما في الحُق، وأن يفصل بين الذكر والأنثى من الوصائف والوصفاء، وان يميز الخيل وأيها نتج قبل صاحبه، وعن الولاء وعن قرابة ما بين ذلك.

فلما قدم الوفد إلى سليمان قرأ الكتاب وقال لعلمائه:

من يميز بين الجواري والغلمان ولا ينزع ثيابهم؟ فأعلموه انه لا علم لهم بهم. واشتد إعجابه بما جاءه من قبلها وشقَّ عليه بعض ما سألته عنه.

وعلمه الله من حكمته، فدعا بالغلمان والجواري، فأمر بطشت فملئ ماء ودعاهم واحداً بعد واحد وقال: اغسلوا أيديكم. فكان الغلمان إذا غسلوا أيديهم حذروا الماء حذراً والجواري يصيبن الماء صباً، فميزهم على ذلك.

ودعا بالخيل، فقال: نتجن في يوم واحد. وقال: هذا خال هذا وهذا عم هذا، وهذا ابن عم هذا وابن أخ لهذا.

ثم دعا بالخرزة التي لم تثقب فوضعها بين يديه ثم قال لمن حضر: من يثقبها؟ فتكلمت دودة بين يديه فقالت: يا نبي الله أنا أثقبها على أن تجعل رزقي في الخشب. قال: نعم. فلزمت الدودة الخرزة تثقبها حتى خرجت من الجانب الآخر في ثلاثة أيام، ثم انطلقت لرزقها.

ثم دعا بالحُق فحرکه، ثم قال: فيه جوهر، عدة الجوهر كذا وكذا، والزمرد كذا وكذا، والياقوت الأحمر كذا، والياقوت الأصفر كذا والأبيض كذا. حتى فرغ من جميع ذلك، والوفد ينظرون.

ثم دعا بالخرزة الملوي ثقبها وقال لمن بحضرته: أيكم يأخذ هذه الخرزة الملوي ثقبها فيدخل فيها خيطاً؟ فاجابته دودة تكون في الصفصاف وقالت: أنا أدخله فيها على أن تجعل رزقي في الخشب. قال سليمان: ذلك لك. فأخذت خيطاً فأوثقته في رأسها ودخلت في الخرزة من ثقبها حتى خرجت من الجانب الآخر ثم انطلقت إلى رزقها في الخشب.

ثم ان سليمان رد جميع ما أمرت به إليها وقال كما ذكر الله ذلك في كتابه:

﴿أَتِيدُونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَيْنَاهُ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَانَكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾
 أَنْزِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾
 [الثل: ٣٦، ٣٧].

ثم قال سليمان حين ولى الوفد إليها:

﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرَشِي قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [الثل: الآية ٣٨] ﴿قَالَ عِفْرِيْتُ مَنِ
 الْجِنِّ أَنَا أَيْدِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الثل: الآية ٣٩].

وكان سليمان إذا أصبح جلس بجلسائه مجلساً يقضي فيه بين الناس ويأمرهم بأمره، فلا يزال فيه حتى يؤذبه حر الشمس.

قال سليمان: أريد أعجل من هذا، قال رجل من الإنس، يقال له أصف بن برخيا: قد علمت اسم الله الأكبر، وأنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك.

لما دخلت بلقيس ملكة سبأ على سليمان، تركها ثلاثة أيام، فقال لها قومها: ما تقولين في أمر هذا الرجل؟ أتدخلين في طاعته أم تحاربيته؟ وهل تيقنت أنه نبي؟ قالت: سأعلمكم منه ما تعرفون أهو نبي أم ملك من هذه الملوك - انظروا إليه، إذا أنا دخلت عليه فأمرني بالجلوس فهو ملك، فإن الملوك لا يجلس عندهم إلا بإذنهم - وإن لم ينهني ولم يأمرني فإنه نبي. وإني سأسأله عن ثلاثة أشياء لا أشك فيها، فإن أخبرني بها فإنه نبي، وأنا داخلة في أمره ولا طاقة لكم به، وإن لم يخبرني فليس بنبي.

فلما دخلت عليه سلمت عليه وحيته بتحية الملوك، ثم قامت بين يديه لا يأمرها بالجلوس ولا ينهاها عن القيام، حتى إذا طال ذلك عليها رفع سليمان رأسه إليها وقال: إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين؛ فمن شاء فليجلس ومن شاء فليقم. قالت: الآن علمت أنك نبي.

■ سليمان والنملة :

روي أن سليمان عليه السلام كان على ساحل البحر ينتظر بعض جنوده فأبصر نملة تحمل حبة حنطة وهي تسعى نحو الماء فتعجب من قصدها الماء مع أنها تهرب منه إن وقعت فيه قهراً. فما أن وصلت إلى شاطئ البحر حتى خرجت الضفدع فدنّت من النملة ثم فتحت فاهها فدخلت النملة في فيها باختيارها فأطبقت الضفدع فمها وغاصت في البحر وما لبثت إلا برهة يسيرة ثم عادت الضفدع فقفزت إلى البر ثم فتحت فاهها فخرجت النملة من فيها وليس معها حبة الحنطة .

فلما نظر سليمان النملة تقدم إليها وسألها عن شأنها مع الضفدع وأين ذهبت معها وكيف أرجعتها وأين وضعت الحبة .

فقالت النملة : اعلم يا نبي الله أنه يوجد في قعر هذا البحر صخرة مجوفة في وسطها دودة عمياء لا تستطيع الخروج منها لطلب المعاش . وقد وكلني الله تعالى برزقها وسخري مع هذه الضفدع لتأمين معاشها .

فأنا أحمل لها طعامها من البر وهذا الحيوان ينقلني في فمه إليها . فإذا وصل بي إلى الصخرة وضع فمه على ثقبها ثم قذف بي إلى داخلها فأوصل الحبة إلى الدودة فأضعها في فمها ثم أعود إلى البر مع هذا الحيوان .

فدهش سليمان عليه السلام من تلك القصة وزاد تسييحاً . ثم سألها هل سمعت لها تسييحاً . قالت : نعم . سمعتها تردد هذا الدعاء :

«يا من لا ينساني في جوف هذه الصخرة تحت هذه اللجة من رزقه ، لا تنس عبادك المؤمنين من رحمتك الواسعة» .

خطيئة داود

كان داود عليه السلام قسم أيامه ثلاثة أقسام : يوماً للعبادة ويوماً للناس يقضي فيه ، ويوماً يخلو فيه بنسائه وأهله . وكان يجد فيما يقرأ من الكتب

فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فقال: يا رب إن الخير كله ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي!

فأوحى الله تعالى إليه: إنهم ابتلوا ببلايا لم تُبتَلْ بها فصبروا عليها. **أَبْتَلِيَّ** إبراهيم بالنمرود وبذبح ابنه، وابتلي إسحاق بالذبح وبذهاب بصره، و**أَبْتَلِيَّ** يعقوب بالحزن على يوسف؛ وأنت لم تتبل بشيء من ذلك.

فقال داود: رب فابتلني بمثل ما ابتليتهم وأعطني مثل ما أعطيتهم. فأوحى الله تعالى إليه: إنك مبتلى في شهر كذا في يوم كذا فاحترس.

دخل داود محرابه وأغلق بابه، وجعل يصلي ويقرأ الزبور. فبينما هو كذلك إذ جاء الشيطان بصورة حمامة من ذهب، فيها كل الحسن، فوقعت بين رجله. فمد يده ليأخذها. فلما أهوى عليها طارت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها. فتبعها فطارت حتى وقعت في كوة فنظر داود من الكوة فأبصر امرأة في بستان على شط بركة لها تغتسل، وكانت من أجمل النساء خلقاً، فعجب من حسنها. وحانت منها التفاتة، فأبصرته، فنفضت شعرها فتغطى بدنها، فزاده إعجاباً بها. فسأل: من هي؟ قالوا: هي بتشايح بنت سايح، وهي زوجة أوريا بن حنانا. وزوجها في غزاة في البلقاء، بُعث مع أيوب ابن صروية أخت داود.

بعث داود إلى ابن أخته أن أبعث أوريا إلى موضع كذا وقدمه قبل التابوت. وكان كل من قُدّم قبل التابوت لا يحل له أن يرجع وراءه حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد. فبعثه أيوب وقدمه فقتل أوريا. فلما انقضت عِدَّة المرأة تزوجها داود؛ وهي أم سليمان.

تزوج عليه السلام بامرأة أوريا، ولم يلبث إلا يسيراً حتى بعث الله عز وجل ملكين في صورة البشر يطلبان أن يدخلوا عليه، فوجداه في عبادته، فمنعهما الحرس أن يدخلوا عليه فتسورا المحراب عليه فما شعر وهو يصلي إلا وهما بين يديه جالسان. فذلك قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أُنْتَكَبَ نَبُؤًا أَلْخَصِمِ إِذْ

سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ [ص: الآية ٢١] ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَعَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطَبْ﴾ [ص: الآية ٢٢] أَي تَجُرُ ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ﴾ أَي وَسَطَ الطَّرِيقِ. ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نِعْمَةً وَلِي نِعْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾ [ص: الآية ٢٣] قَالَ دَاوُدُ: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نِعْمَتِكَ إِلَى تِعَاجُوهُ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: الآية ٢٤].

ولما ذهب الرجلان انتبه داود أنه أخطأ؛ فهو له تسع وتسعون زوجة ولأوريا زوجة واحدة. ولما علم داود أنه ابتلي سجد فمكث أربعين ليلة ساجداً باكياً حتى نبتت الزرع من دموعه، وأكلت الأرض من جبينه، وهو يقول في سجوده: ربّ داود، زلّ داود زلّةً أبعد مما في المشرق والمغرب. ربّ إن لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثاً في الخلوف من بعده.

ثم جاء جبرائيل فقال: يا داود إن الله تعالى غفر لك الهم الذي هممت به (١).

النبي موسى وسحرة فرعون

رغم أن فرعون وهامان كانا من أمهر السحرة وأنهما بسحرهما استوليا على الناس، فإن فرعون بعث يجمع السحرة لديه وأمرهم بمعارضة موسى عليه السلام في الأجل المضروب. قالوا له: أيها الملك قد علمت أنه ليس في الدنيا أقدر منا على السحر، فإذا كانت الغلبة لنا على موسى فما الذي يكون لنا عندك في الجزاء؟ ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الشعراء: الآية ٤٦] أدنيكم مني وأشاركم في ملكي. ثم قالوا: وإن غلبنا موسى وأبطل سحرنا علمنا أن ما جاء به ليس من السحر ولا حيلة لنا عندئذٍ إلا أن نؤمن به

(١) نهاية الأرب: ٦٥/١٤.

ونصدقه. فقال فرعون: إن غلبكم موسى صدقته أنا أيضاً معكم. ولكن أجمعوا كيدكم وحيلتكم. وأخيراً حان يوم الموعد وكان يوم السبت وهو يوم سوق لهم. ووافق أنه أول يوم في السنة عندهم وكانوا يحتفلون به ويتخذونه يوم الزينة - وقيل أن المكان كان في الإسكندرية. فاجتمع في الموعد حشود الناس والآلاف المؤلفة، حتى ضاقت بهم البلدة وساحتها. وكان لفرعون تجاه تلك الساحة منصة فوقها قبة من حديد يطل منها على الجموع وينظر إليهم. ولما ارتفع النهار أقبل فرعون في زينته وقد حفت به أشراف قومه، وأشرفوا على الجموع، وأقبل السحرة تحمل ستون بغيراً عصيهم وحبالهم، وامتلات الساحة بالجموع التي لا تحصى.

ثم أقبل موسى عليه السلام متكئاً على عصاه ومعه أخوه هارون لا غير، حتى أنتهى إلى المجتمع الهائل. وبعد أن توقف هنيهة جعل ينظر إلى السماء فهال الناس ذلك وجعلوا يتساءلون عن معناه وأثره. ولما تقابل مع السحرة ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيَلِكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيَسْحِتْكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾ ﴿٦٦﴾ [طه: الآية ٦٦].

فازداد السحرة في كلامه رغبة ودهشة. وأخذوا يتناجون بينهم فيقول بعضهم لبعض: ما هذا قول ساحر. ويقول آخرون: إن الرجل ينظر إلى السماء ونحن لم يبلغ سحرنا السماء. فكاد شملهم يتشتت وجمعهم يتفرق. وأبى فريق منهم إلا الجحود والإصرار.

﴿قَالَ لَهُم مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلقُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ [الشعراء: الآية ٤٣] ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْفَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَٰئَ مَنْ أَلْفَىٰ﴾ ﴿٦٥﴾ [طه: الآية ٦٥].

فأوحى الله تعالى إلى موسى ووعدته النصر والغلبة وأمره بإلقاء العصا فقال له: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ﴾ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَقْبَىٰ﴾ ﴿٦٩﴾ [طه: الآيتان ٦٨، ٦٩]. فهجم الشعبان بعدما استوى على جميع ما في الميدان مما يراه الناس حيات وأفاعي

وجعل يلتقفها بكل سرعة حتى أتى على آخرها، ولم يترك منها شيئاً أصلاً كما قال تعالى: ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلِقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [الأعراف: الآيات ١١٦-١١٨].

ولما ظهر ثعبان موسى عليه السلام واتجه يبلع أفاعي السحرة، انهزمت جموع الناس وأفواج الخلائق هاربين وقد انخلعت أفئدتهم فرعاً ورعباً وتسابقوا إلى الفرار ووطئ بعضهم بعضاً. وانهزم معهم فرعون بمن معه وقد انقطع فؤاده وعزب عقله، خاصة حين اتجه الثعبان نحو الناس بعد أن ابتلع أفاعي السحرة وقصد منصّة فرعون، فأوحى الجليل إلى رسوله العزيز: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ﴾ [طه: الآية ٢١].

فتقدم موسى عليه السلام وأدخل يده في فم الثعبان فعاد عصا من خشب عادية. أما السحرة فلما عاينوا ذلك وهم اثنان وسبعون شيخاً من علماء السحرة ورؤسائهم المهرة الذين أفنوا أعمارهم في إتقان مهنتهم. وكان رؤسائهم أربعة، فأسرعوا فوراً بعدما تبين لهم الهدى. ﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴿١٢٥﴾ قَالُوا ءَأَمَّنَّا رَبِّ أَلَعَلَّيْنَا ﴿١٢٦﴾﴾ [الأعراف: الآيتان ١٢٥، ١٢٦]. وتبعهم بقية السحرة فآمنوا كلهم، وآمن معهم جمع كثير من الناس وشهدوا لله تعالى بالوحدانية ولموسى وهارون بالنبوة وانصرفت بقية الناس مدهوشين مما شاهدوا يتذكرون في محافلهم ذلك^(١).

حكايا وأساطير عن الإسكندر

استناداً إلى بعض الأوراق من مخطوطة لا نعلم لها عنواناً ولا تاريخاً وهي تتعلق بمواقف غريبة ومفاجآت عجيبة حدثت للإسكندر اضطرت له للعودة قسراً وجبراً؛ وهي مفاجآت بعضها عسكري وآخر معنوي، ولعله الأهم.

(١) ماذا في التاريخ، ص ١٢٧ - ١٢٩.

وحتى نفهم القصة لا بد من التذكير، بأن الهند والصين كانتا في زمان الإسكندر وحتى قرون طويلة بعده تشتمل كل منهما على ممالك عديدة، وهما ما زالتا حتى اليوم لم تستكمل أي منهما وحدتها القومية التامة. وذلك لأسباب أهمها سلطة الاستعمار أو عملائه. والآن فلنقرأ قصة الإسكندر في الشرق.

■ قصة الإسكندر وملك الهند:

تقول القصة: روي عن الملك الإسكندر أنه اخضع الملوك حتى انتهى إلى مطلع الشمس من العمران. فبلغه أن بأقصى أرض الهند ملكاً ذا حكمة وديانة، قاهراً لقوته الغضبية، زاهداً في الدنيا وشهواتها، يتحلى بكل خُلق كريم ومنقبه رفيعة. فأرسل له الإسكندر كتاباً يقول فيه: إذا وصلك كتابي وكنت واقفاً فلا تقعد أو كنت ماشياً فلا تجلس حتى تأتيني، وإلا مزقت ملكك وأحقته بمن مضى.

فكتب إليه ملك الهند الجواب بأحسن خطاب، ولقبه بملك الملوك العادلة، وأخبره أن عنده أربع هدايا ليست موجودة عند أحد من ملوك الأرض.

الأولى: ابنته التي لم تطلع الشمس على أجمل منها منظرًا.

الثانية: قدح إذا ملأته ماء شرب عسكري كله ولم ينقص منه شيء.

الثالثة: طبيب لا يعجزه مرض إلا مرض الموت.

الرابعة: فيلسوف يخبرك بمراكب قبل أن تسأل عنه. ثم قال: إنني لمهيد هذه الهدايا إلى ملك الملوك إذا عفَّ عن هذا المطلب.

فلما وصل كتاب الملك للإسكندر قلق قلقاً عظيماً لهذه الهدايا وأرسل أربعة من الحكماء يستقصون صدقها فيأتون بها.

فلما وصل الحكماء إلى عند ملك الهند، أخذ يباحثهم في العلم

والهندسة والكيمياء وعلم النجوم وما أشبه ذلك، حتى ملأ صدورهم حكمة. وبعد أن استضافهم لثلاثة أيام خيّرهم في البقاء أو الرجوع، فاختاروا الرجوع حسب أمر الملك لهم. فلما برزت ابنة الملك عليهم ما وقع نظر أحد منهم عليها إلا علق بها.

لما وصلوا إلى الإسكندر، وكان من أعظم الملوك هيبة وشهرة، وما إن نظر إلى ابنة الملك حتى شغف بها شغفاً عظيماً وأمر بإنزالها مع حرمه، ثم أمر بالقدح فشرب منه وسقى عساكره فلم ينقص منه شيء. وهو قدح أبينا آدم عليه السلام، وهو مضروب من الخواص الروحانية. ثم شاهد من الطبيب ما بهر عقله، وأمر بإنزال الفيلسوف في دار الضيافة. فبعث إليه مع خادمه قدحاً مليئاً بالسمن وأمره أن لا يكلمه البتة. . . فأخذ الفيلسوف القدح وتأمّله بحدقته وبصيرته، وتناول إبراً كثيرة وأغرزاها في السمن حتى أصبح وجه السمن كالقنفذ وأرجعها إلى الإسكندر.

فأخذ الإسكندر الإبر وذوبها وجعلها كالكرة وأرجعها للفيلسوف، فلما وصلت إلى الفيلسوف بردخها وطرقها وأزال درنها حتى أصبحت كالمرآة وأعادها للإسكندر.

فلما وصلت إلى الإسكندر وضعها في طاسة ماء حتى رسبت، وأرسلها إلى الفيلسوف. فلما وصلت إلى الفيلسوف كوّرها حتى طافت على وجه الماء وأعادها إلى الإسكندر.

فلما وصلت للإسكندر ثقبها وملأها تراباً وأرجعها للفيلسوف. فلما وصلت إليه دمعت عيناه وتغير لونه وأرجعها على حالها. فأمر الإسكندر بمثوله بين يديه.

فلما مثل بين يديه حياه بتحية الملوك، فنظر إليه الإسكندر، وتأمّله فوضع الفيلسوف اصبعه على أنفه. فقال له الإسكندر: لماذا وضعت يدك على أنفك؟

فأجابه الفيلسوف: لأنك لما نظرت إلي وتأملتني فكرت أن حكمة هذا الشاب ليست على قدر صورته، فوضعت اصبعي على أنفي لأخبرك أنه كما أن الأنف زائد على الوجه، كذلك أنا ليس في بلاد الهند مثلي. أما خطر ببالك هكذا؟ قال الإسكندر: صدقت أيها الرئيس.

ثم قال له الإسكندر:

والآن اجلس أيها الفيلسوف وأخبرني عن معنى ما جرى بيني وبينك من المراسلة. فقال له:

أيها الملك، لقد بعثت لي قدحاً مليئاً بالسمن، تخبرني أنك قد امتلأت من الحكمة كما امتلأ هذا القدح بالسمن. فلا يزداد عليه شيء كما لا يزداد على حكمتك شيء، فأخذت الإبر وغرزتها في السمن لأعلمك أن عندي من لطائف الحكمة ما يخرق حكمتك كما تخرق الإبر السمن.

فأخذت الإبر وجعلتها كرة، لتخبرني أن نفسك من قتل الأعداء وسفك الدماء صارت كهذه الكرة.

فأخذتها وبردختها حتى صارت كالمرآة لأخبرك أنك بالتوبة إلى الله تعالى تتجوهر نفسك وتنصقل حتى تصير مثل هذه المرآة فتشرف على الموجودات بصفائها وقوة صقلها. فوضعتها في طست ماء لتخبرني أن الأيام والليالي قد عجزت عن ذلك، فكورتها حتى طافت على وجه الماء لأخبرك أنه في الوقت القصير قد يجري بها أكثر مما جرى لها في الوقت الطويل.

فثقبتها وملأها تراباً لتخبرني بالموت. فأنا أخضع مثلك للموت ولا أغيره. ضاق عند ذلك صدر الإسكندر وذهب هائماً على وجهه حتى وصل إلى وادٍ وفي ذلك الوادي غار مهجور.

فدخل فيه، وإذا بتقدير العزيز الحكيم موجود في ذلك الغار ملك محنط مسجى في نعشه، عن يمينه مفاتيح خزائنه ولوح نحاس مكتوب فيه: بهذا ملكناه. وعلى يساره لوح نحاس مكتوب فيه: «وبهذا تركناه».

■ حكمة من الصين:

وهذه قصة أخرى لا تقل في عبرتها عن الأولى تدلنا على عظمة الشرق وغناه بالنبالات العظيمة والنفوس السامية والعقول النيّرة.

قيل إن الإسكندر لما أصبح قريباً من بلاد الصين وشعرت ملوكها بالخطر، أتاه حاجبه ذات ليلة وقد مضى من الليل جانب فقال له: إن رسول ملك الصين يستأذن بالدخول عليك.

قال له: مره بالدخول. فلما دخل وقف بين يديه وقبل الأرض أمامه وطلب أن يخلي له المجلس.

فأمر الإسكندر أن ينصرف من بحضرته. ثم أمر أن يفتشوه - ولم يعلم أنه ملك الصين - فلم يجدوا معه شيئاً من السلاح.

فلما خلي لهما المكان قال له: أنا ملك الصين وقد حضرت بين يديك لأسألك عما تريده مني. فإن كان مما يمكن الانقياد إليه ولو كان بأصعب الوجوه جئت به إليك واستغنيت عن حريك.

فقال الإسكندر: ما الذي أمكنك مني وأهجمك عليّ؟ قال: لعلمي أنك رجل عاقل، وليس بيني وبينك عداوة، ولعلمي أن أهل مملكتي متى قتلنتي لا يسلمونك أمرهم، ولا يمنعهم ذلك من تنصيب أحد أولادي ملكاً عليهم ثم ينسبونك إلى الجهل وقلة الحزم.

فأطرق الإسكندر مفكراً ثم رفع رأسه إليه وقد تبين صدقه. وقال له: أريد منك ارتفاع مالك لثلاث سنوات، ثم نصف ارتفاعه كل سنة. فقال له ملك الصين: وهل تريد غير هذا؟ قال: لا. قال: قد أجبتك. فقال الإسكندر: وأنا رفعت عنك ذلك لأجل مجيئك. فشكره وانصرف.

لما أصبح الصباح وطلعت الشمس إذا بجيشٍ يحيط بجيش الإسكندر فتوائب رجال الإسكندر إلى خيولهم. فبينما هم كذلك، إذا بملك الصين قد

أقبل وهو راكب على فيل عظيم، وعلى رأسه التاج. فلما وصل قبالة الإسكندر ترجل ومشى إليه، وقبل الأرض بين يديه. فقال له الإسكندر: لقد غدرت بي! ما هذا الجيش العظيم الذي جئت به؟ قال ملك الصين: أردت أن أعلمك أنني أطعتك لا لقلّة ولا لذلة. وأن الذي غاب من جيشي أكثر بكثير مما هو حاضر منه. وعلمت أن من حارب الإله قهر وغلب. فأردت طاعته بطاعتك.

ثم قدم للإسكندر هدايا وتحفاً أضعاف ما كان يأمله الإسكندر، فقبلها وهو معجب بحكمته وحسن سياسته.

■ ملكة صينية:

هذه القصة بطلتها ملكة لبيبة. قيل إنه لما توغل الإسكندر في أطراف الأرض سمعت به ملكة إحدى مقاطعات الصين، فاحضرت عندها من يحسن الرسم وأمرته أن يرسم لها الإسكندر. فرسمه على البسط والأواني والحيطان وهي تنظر إلى رسومه حتى استقرت في نفسها صورته.

فلما أصبح الإسكندر على أطراف بلدها، قال لأحد مستشاريه. أريد أن أدخل هذا البلد متنكراً لأرى كيف أمره وأمر ملكته. فقال له مستشاره: افعل ما تريد.

فدخل متنكراً إلى عاصمة المملكة، ونظرت إليه الملكة من حصنها فعرفته بالصورة التي عندها.

فأمرت بإحضاره. فلما مثل بين يديها وتأكدت منه، أمرت أن يؤخذ فيترك يومين بلا أكل ولا شرب حتى كادت قوته تسقط وروحه تزهق واضطرب العسكر لغيبته.

فلما كان اليوم الثالث. مدت الملكة سماطاً طوله مئة ذراع ووضعت عليه آية من الذهب وضروب الجواهر وأنواع التحف وما في ذلك شيء يؤكل أو يشرب.

وأمرت أن يوضع في آخر السماط رغيف خبز و قدح ماء في أحد زوايا السماط . فأتى إليها وأكل الرغيف وشرب الماء، ثم رجع وجلس في مكانه . فخرجت الملكة إليه وقالت له : ما أصدَّ عنك الذهب ولا الجواهر غائلة الجوع وصائدة العطش . وقد أغناك عن كل هذا ما قيمته درهم واحد . فمالك وللتعرض إلى أموال الناس ، وأنت بهذه المثابة؟ فقال : لك ملكك وبلادك ، ولا بأس عليك بعد اليوم .

■ ما قيل عند نعش الإسكندر :

من أنفس العبارات التي قيلت فوق نعش الإسكندر عند التآبين ، قول أحد الحكماء :

قد كان هذا الملك يخزن الذهب . واليوم هو خزين فيه .

وقال آخر : كم قد ألمات هذا الشخص لثلا يموت ، فكيف لم يدفع الموت عن نفسه بالموت؟!

وقال أفلاطون الثاني : أيها الساعي المتوَّب ، لقد جمعت ما خذلك . فلما تولى عنك لزمتهك أوزاره ، وعاد على غيرك جناه وثماره .

وقال ميلاطوس : خرجنا إلى الدنيا جاهلين ، وأقمنا فيها غافلين ، وفارقناها كارهين^(١) .

■ أسطورة بناء الإسكندر لمدينة الإسكندرية

ذكر أن الإسكندر المقدوني لما استقام ملكه في بلاده سار يختار أرضاً صحيحة الهواء والتربة والماء ، حتى انتهى إلى موضع الإسكندرية ، فوجد في موضعها آثار بناء عظيم ، وعمداً كثيرة من الرخام ، في وسطها عمود عظيم كتب عليه بالقلم المسند - وهو القلم الأول من أقلام حمير وملوك عاد : «أنا

(١) سر الأسرار ، ص ٤٤ وما بعدها .

شداد بن عاد، شددت بساعدي البلاد، وقطعت عظيم العماد، من الجبال والأطواد، وأنا بنيت إرم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها في البلاد، وأردت أن أبني هاهنا كإرم، وأنقل إليها كل ذي إقدام وكرم، من جميع العشائر والأمم، وذلك إذ لا خوف ولا هرم، ولا اهتمام ولا سقم. فأصابني ما أعجلني، واما أردت قطعني، مع وقوع ما أطال همي وشجني، وقلّ نومي وسكني، فارتحلت بالأمس عن داري لا لقهر ملك جبار، ولا لخوف جيش جرار، ولا عن رهبة ولا عن صغار، ولكن لتمام المقدار، وانقطاع الآثار، وسلطان العزيز الجبار. فمن رأى أثري، وعرف خبري، وطول عمري، ونفاذ صبري، وشدة حذري، فلا يغترّ بالدينا بعدي، فإنها غرارة، تأخذ منك ما تعطي وتسترجع ما تولي». وكلام كثير يُري فناء الدنيا ويمنع من الاغترار بها والسكون إليها.

نزل الإسكندر متفكراً، يتدبر هذا الكلام ويعتبره. ثم بعث فجمع الصناع من البلاد، وخط الأساس، وحشد العمد والرخام، وأتته المراكب بأنواع الرخام، وأنواع المرمر من جزيرة صقلية، وبلاد إفريقية وأقاصي بحر الروم مما يلي مصبه. وحمل إليه أيضاً من جزيرة رودس.

لما بنيت الإسكندرية وشيدت، أمر الإسكندر أن يكتب على أبوابها: «هذه الإسكندرية أردت أن أبنيتها على الفلاح والنجاح، واليمن والسعادة والسرور، والثبات في الدهور، فلم يرد الباري عز وجل ملك السموات والأرض ومفني الأمم أن نبنيتها كذلك، فبنيتها وأحكمت بنيانها، وشيدت سورها، وآتاني الله من كل شيء علماً وحكماً، وسهّل لي وجوه الأسباب، فلم يتعذّر عليّ شيء في العالم مما أردته، ولا امتنع عني شيء مما طلبته، لطفاً من الله عز وجل، وصنعاً بي، وصلاًحاً لي ولعباده من أهل عصري، والحمد لله رب العالمين، لا إله إلا الله رب كل شيء».

ورسم الإسكندر بعد هذه الكتابة وكل ما يحدث ببلده من الأحداث بعده في مستقبل الزمان: من الآفات، والعمران، والخراب، وما يؤول إليه

إلى وقت دثور العالم .

وكان بناء الإسكندرية طبقات، وتحتها قناطر مقنطرة، عليها دور المدينة، يسير تحتها الفارس بيده رمح لا يضيق به حتى يدور جميع تلك الآزاج والقناطر التي تحت المدينة، وقد عمل لتلك العقود والآزاج مخاريق وتنفسات للضياء ومنافذ للهواء .

وكانت الإسكندرية تضيء بالليل بغير مصباح لشدة بياض الرخام والمرمر، وأسواقها وشوارعها مقنطرة بالآجر لثلا يصيبها المطر .

وكانت آفات البحر وسكانه - على ما زعم الأخباريون من المصريين والإسكندريين تختطف بالليل أهل المدينة، فيصبحون وقد فقد منهم الكثير .

ولما علم الإسكندر بذلك اتخذ الطلسمات على أعمدة هناك تدعى المسال، وهي باقية إلى هذه الغاية، وكل واحد من هذه الأعمدة على هيئة السزوة، وطول كل واحدة منها ثمانون ذراعاً، على عمد من نحاس، وجعل تحتها صوراً وأشكالاً وكتابة، وذلك عند انخفاض درجة من درجات الفلك وقربها من هذا العالم . وعند أصحاب الطلسمات من المنجمين والفلكيين أنه إذا ارتفع من الفلك درجة وانخفض أخرى في مدة يذكرونها من السنين نحو ستمائة سنة تأتي في هذا العالم فعل الطلسمات النافعة المانعة والدافعة . وقد ذكر هذا جماعة من أصحاب الزيجات والنجوم وغيرهم من مصنفي الكتب في هذا المعنى، ولهم في ذلك سرّ من أسرار الفلك .

■ منارة الإسكندرية :

أما منارة الإسكندرية فذهب الأكثر من المصريين والإسكندرانيين - ممن عني بأخبار بلدهم - إلى أن الإسكندر بن فيلبس المقدوني هو الذي بناها . ومنهم من رأى أن دلوكة الملكة هي التي بنتها، وجعلتها مرقباً لمن يرد من العدو إلى بلدهم، ومنهم من رأى ان العاشر من فراعنة مصر هو الذي بناها .

ومنهم من رأى ان الذي بنى مدينة رومية هو الذي بنى مدينة الإسكندرية ومنارتها والأهرام بمصر، وإنما أضيفت الإسكندرية إلى الإسكندر لشهرته بالاستيلاء على الأكثر من ممالك العالم فشهرت به^(١).

عوج بن عنق

تمر الأجيال وتنطوي الأيام ولا تلد النساء مثل عوج بن عنق. ذلك الرجل الذي يحق للتاريخ إن صدقت الأخبار أن يدوّن اسمه ويحتفظ بما يؤثر عنه ليكون عظة المغرورين بقواهم.

قيل: أرسل نبي بني إسرائيل سبعة أشخاص إلى العمالقة يدعوهم إلى الله تعالى، فرآهم أحد العمالقة، فحملهم في كفه، وأتى بهم إلى الملك، وألقاهم أمامه. وحينما علم بخبرهم سخر منهم. وكان عوج حاضراً. فغضب لكرامة قومه وأخذته الحمية. وسألهم الملك عن قومهم وسعة بلدهم، فاقتطع صخرة بقدرها وحملها على رأسه، وجاء ليلقيها عليهم فيهلكهم عن آخرهم. فدعا عليه نبيهم فأرسل الله من السماء طائراً عظيماً نقرها فمزقها، فهبطت في عنقه، فأصبحت طوقاً، فجعل يعالجه. فجاء موسى عليه السلام وكان طوله عشرة أذرع وطول عصاه مثلها، فقفز عن الأرض وضربه بعصاه، فأصابه في عقبه وهو مشغول بنفسه فوقع على الأرض، وأكلته السباع والهوام، ولم يستطع دفع ما ألمّ به.

وقيل: إنه كان قبل الطوفان، وإنه تعلق بسفينة نوح وهمم بأن يغرقها فكلمه عليه السلام فيها، فقال:

ما أردت سوءاً، وإنما أريد أن اهتدي بها كي لا أعثر ببعض الجبال أثناء سيرى في الماء.

وقيل: إنه كان يأخذ السمكة من البحر فيشقها ويرفعها إلى كبد السماء

(١) مروج الذهب: ٣٧٠/١ - ٣٧٥.

حتى تشوى في حرارة الشمس .

وقيل : إن أمه تشبهه ، وإن بينه وبين آدم آحاد ، وأنه بقي إلى زمان موسى ، والله أعلم بذلك كله .

ومن حكايات العجائز التي كانوا يروونها لنا ونحن صغار ، أن عوج بن عنق عندما كان مريضاً مرض الموت مرَّ به أناس عند رأسه فقال لهم : أرجوكم أن تطردوا الذباب عن رجلي فأني أشعر بهم . ولما وصلوا إلى مكان رجليه وجدوا أن الذي ينهش رجليه وحوش لا ذباب ولكنه لطوله لم يشعر بالألم من ذلك كثيراً .

في أبيات لخص فيها المعري قصة «جلثر في بلاد العمالقة والأقزام» فقال :

زعموا رجالاً كالنخيل جسمهم ومعاشراً قاماتهم أشبارُ
 إن يصغروا أو يعظموا فبقدره ولربنا الإعظام والإكبار
 يستصغر الحيُّ الحقيير وتحتة أممٌ توهم أنه الجبارُ^(١)

قصة عبد الله بن جدعان والكنز

كان عبد الله بن جدعان صعلوكاً ترب اليمين شريراً فاتكاً يجني الجنائيات ، فيعقل عنه أبوه وقومه ، حتى أبغضته عشيرته ، ونفاه أبوه وحلف أن لا يؤدي عنه دية أو يؤويه .

فخرج في شعاب مكة حائراً ثائراً يتمنى الموت أن ينزل به . فرأى شقاً في جبل فظن أن به حية ، فتعرض للشق يريد أن يكون فيه ما يقتله فيستريح فلم ير شيئاً .

فدخل فإذا ثعبان عظيم له عينان تقدان كالسراجين . فحمل عليه الثعبان

(١) رسالة الغفران : ٣٤ / ١ .

فأفرج له، فانساب عنه مستديراً. ثم خطا خطوة أخرى فصفر الثعبان وأقبل إليه كالسهم، فزاع عنه. ثم وقف ينظر إليه ويفكر في أمره فوقع في نفسه أنه مصنوع وليس حياً. فأمسكه بيده. فإذا هو مصنوع من ذهب، وعينهاه ياقوتتان. فكسره وأخذ عينيه ودخل البيت فإذا جثث طوال على سُررٍ لم يُرَ مثلهم طولاً وعظماً، وعند رؤوسهم لوحٌ من فضة فيه تاريخهم. وإذا هم رجال من ملوك جرهم، وآخرهم موتاً هو الحارث بن مضاض صاحب الغيبة الطويلة. وإذا عليهم ثياب لا يمسُّ منها شيء إلا انتثر كالهباء من طول الزمان. ومكتوب في اللوح عظام.

قال ابن هشام: كان اللوح من رخام. وكان فيه: «أنا نفيلة بن عبد المدان بن خشرم بن عبد ياليل بن جرهم بن قحطان ابن نبي الله هود عليه السلام. عشت خمسمائة عام، وقطعت غور الأرض، ظاهرها وباطنها في طلب الثروة والمجد والملك، فلم يكن ذلك ينجيني من الموت» وتحتة مكتوب:

قد قطعت البلاد في طلب الثروة والمجد قالص الأثواب
وسريت البلاد قفراً لقفير بقناة وقوة واكتساب
فأصاب الردى بنات فؤادي بسهام من المنايا صياب
فانقضت مدتي وأقصر جهلي واستراحت عواذلي من عتابي
ودفعت السفا بالحلم لما نزل الشيبُ محل الشباب
صاح هل رأيت أو سمعت براع ردّ في الصُرْعِ ما قرى في الحلاب
وإذا وسط البيت كومٌ عظيم من الياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة
والزبرجد، فأخذ منه ما أخذ، ثم علّم على الشق بعلامة وأغلق بابه
بالحجارة. وأرسل إلى أبيه المال الذي خرج به وأنفق على قومه وعشيرته.

وجعل ينفق على الناس، ويفعل المعروف، ويطعم كل من يحتاج.
وقال في القاموس: كانت له جفنة يأكل منها الراكب لعظمتها، بل كانت جفنة

يأكل منها الراكب على البعير^(١).

يوسف وزليخا

كانت زليخا زوجة العزيز فرعون مصر - وقصتها معروفة بالقرآن عندما أحبت يوسف عليه السلام.

لما مات العزيز فرعون مصر، وافتقرت زليخا وعمي بصرها، جعلت تتكفف للناس، فقيل لها: لو تعرضت للملك ربما يرحمك ويعينك، فطالما كنت تحفظينه وتكرمينه. ثم قيل لها: لا تفعلي لأنه ربما يذكرك بما كان منك إليه من المراودة والحبس فيسيء إليك ويكافئك على ما سبق منك إليه. فقالت: أنا أعلم بحلمه وكرمه.

فجلست على رابية في طريق خروجه - وكان يوسف يركب في زهاء مائة ألف من عظماء قومه وأهل مملكته. فلما أحست زليخا به قامت ونادت: سبحان من جعل الملوك عبيداً لمعصيتهم، والعبيد ملوكاً بطاعتهم! فقال: من هذه؟ من أنت؟ قالت: أنا التي خدمتك بنفسي، وأكرمتُ مثواك بجهدتي، وكان مني ما كان، وذقت وبال أمري، وذهبت قوتي، وتلف مالي، وعمي بصري، فصرتُ أسأل الناس؛ فمنهم من يرحمني، ومنهم من لا يرحمني. وبعدما كنت مغبوة أهل مصر كلها، صرت مرحومتهم، وهذا جزاء المفسدين.

فبكى يوسف عليه السلام بكاءً شديداً وقال لها: هل في قلبك من حبك لي شيء؟ قالت: نعم، والذي اتخذ إبراهيم خليلاً لنظرةً إليك أحبُّ إليَّ من ملء الأرض ذهباً وفضة. فأرسل إليها يوسف أنه يريد الزواج بها، فقالت للرسول: أنا أعرف أنه يستهزئ بي. هو لم يردني في أيام شبابي وجمالي، فكيف يقبلني الآن، وأنا عجوز عمياء؟! فتزوجها وصلى إلى الله باسمه العظيم الأعظم أن يردها إليها ما فقدته، فردَّ الله سبحانه وتعالى عليها حسنها وجمالها وشبابها وبصرها كهيأتها يوم راودته عن نفسه.

(١) بلوغ الأرب: ٨٩/١.

وولدت زليخا له: أفرائيم ومنشا، وطاب في الإسلام عيشهما حتى فرق الموت بينهما. وكان يوسف وهو ملك على خزائن الأرض يجوع ويأكل خبز الشعير فقيل له: لما تجوع وبيدك خزائن الأرض؟ وقال: أخاف أن أشبع فأنسى الجائع^(١).

قصة سواد بن قارب الدوسي

كان سواد بن قارب من أعلم أهل الكهانة والشعر، وأطولهم باعاً في جميع المكارم. وقد وفد على النبي ﷺ فأسلم. وكان رئيئه من الجن قد أتاه ثلاث ليال في حال سنته يضربه برجله ويقول: «قم يا سواد بن قارب، واعقل إن كنت تعقل، إنه قد بعث نبيي من لؤي بن غالب». وقد أورد قصته هذه مفصلة جمع من الثقات منهم الإمام الماوردي في كتابه «أعلام النبوة»، قال: بينما كان عمر بن الخطاب ذات يوم جالساً إذ مرَّ به رجل فقيل له: أتعرف هذا المارَّ يا أمير المؤمنين؟ قال: من هو؟ قالوا: هذا سواد بن قارب الدوسي رجل من أهل اليمن. وكان له رئي من الجن. فأرسل إليه عمر فقال: أنت سواد بن قارب؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين؟ فقال: أنت الذي أتاك رئيك بظهور النبي ﷺ قال: نعم يا أمير المؤمنين. بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان إذ أتاني رئي من الجن فضربني برجله وقال: قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالي، واعقل إن كنت تعقل، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب. يدعو إلى الله تعالى وإلى عبادته. وأنشأ يقول:

عجبت للجن وتطلابها وشدها العيس بأقتابها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما صادق الجن ككذابها
فارحل إلى الصفوة من هاشم ليس قدامها كاذنابها
فقلت له: دعني فإني أمسيت ناعساً، ولم أرفع بما قال رأساً. فلما

(١) قصص الأنبياء: ١٢٥. وتاريخ النساء: ١٦٩.

كانت الليلة الثانية أتاني فضربي برجله وقال: قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل. إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله تعالى وإلى عبادته وأنشأ يقول:

عجبت للجنّ وتخبارها وشدها العيس بأكوارها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما مؤمنو الجن ككفارها
فارحل إلى الصفوة من هاشم بين روابيها وأحجارها
فقلت: دعني قد أمسيت ناعساً، ولم أرفع بما قال رأساً. فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضربني برجله، وقال: قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل، فقد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله تعالى وإلى عبادته. وأنشأ يقول:

عجبت للجن وتحاساسها وشدها العيس^(١) بأحلاسها^(٢)
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما خيرَو الجن كأنجاسها
فارحل إلى الصفوة من هاشم واسمُ بعينيك إلى راسها
قال فلما أصبحت وقد امتحن الله قلبي للإسلام، فرحلت على ناقتي وأتيت المدينة. فأذا رسول الله ﷺ فقلت: اسمع مقالي يا رسول الله قال: هات! فانشأت أقول:

أتاني رئي بعد هذء ورقدة ولم أك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليالٍ قوله كل ليلة أتاك رسول من لؤي بن غالب
فشمزت عن ذيلي الإزار ووسطت بي الدغلبُ الوجناء بين السباب^(٣)
فأشهد أن الله لا شيء غيره وأنك مأمون على كل غائب

(١) العيس: الإبل البيض.

(٢) الأحلاس: جمع حلس: وهو كساء على ظهر البعير.

(٣) الدغلب: الناقة السريعة. والسباب: المغارة.

وأنت أدنى المرسلين وسيلةً إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب
 فمرنا بما يأتيك يا خير مرسلٍ وإن كان فيما جئت شيب الذوائب
 وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعةٍ بمُغْنٍ فتيلاً عن سواد بن قاربٍ
 ففرح رسول الله ﷺ وأصحابه بمقاتلي فرحاً شديداً حتى روي الفرح في
 وجوههم. قال: فوثب إليه عمر فالتزمه وقال: قد كنت أحب أن أسمع منك
 هذا الحديث، فهل يأتيك رثيئك اليوم؟ فقال: مذ قرأت القرآن فلا، ونعم
 العوض كتاب الله تعالى من الجن^(١).

أسطورة بناء تدمر

تدمر بلدة قديمة ببادية الشام من أعمال حمص - وعلى شريقها وأرضها
 سباح، وكان فيها شجر ونخيل وزيتون.
 وفيها آثار عظيمة قديمة من أعمدة وصخور. وكان لها سور وقلعة.
 وقد بناها العرب الأقدمون. وكانت منزل آل ربيعة ملوك الشام.
 واختلف في بانيها بعض المؤرخين. فقليل: إن سليمان الحكيم عليه
 السلام قد بناها له الجن بالصفاح والعمد والرخام الأبيض والأشقر. وفي ذلك
 يقول النابغة الذبياني في مدح النعمان بن المنذر:
 ولا أرى فاعلاً في الناس يشبهه وما أحاشي من الأقوام من أحدٍ
 إلا سليمان إذ قال الآله له قم في البرية فاصدّذها عن الفندٍ
 وجيئش الجن إني قد أذنت لهم يبئنون تدمر بالصفاح والعمد
 فمن أطاع فأعقبه معاقبة كما أطاعك وادلله على الرشيد
 ومن عصاك فعاقبه معاقبة تُنهى الظلوم ولا تقعد على ضمدٍ
 إلا لمثلك أو من أنت سابقه سبقَ الجواد إذا استولى على الأمد

(١) بلوغ الأرب: ٣/٣٠٤.

وذكر الثعالبي في تفسيره:

وهذا مذهب من مذاهب العرب على سبيل المبالغة لا الحقيقة، كما كانوا يزعمون أن عبقر مدينة للجن، فينسبون إليه كل شيء عجيب. فزعموا أن تدمر من بناء الجن لما يرون من قوتها الباهرة وصنعها العجيب. وقال بعضهم: إنها من أبنية العرب الأقدمين.

■ العنكبوت في الأسطورة:

تحكي الأسطورة الإغريقية أنه كان في سالف الأزمان عذراء جميلة تسمى «أراكن» تجيد فن التطريز والحياكة، ولها صيت ذائع في هذا المجال. وقد وصل بها الغرور أن تحدت إله الحكمة والفنون والصنائع النسوية عند الإغريق - الإله أثينا - ودعته إلى مسابقة تقام بينهما في فن التطريز. وتمادت في هذا التحدي بأن أعلنت على الملأ أنها سوف تفوز على الإله أثينا. وعندما سمع ما قالته أراكن، قام بتمزيق كل ما قامت العذراء بحياكته من لوحات فنية عقاباً لها على فعلتها. وعندما رأت أراكن ما حدث لغزلها حزنت حزناً شديداً، وقامت بشنق نفسها بتعليق رقبتها بأحد الخيوط التي تستعملها في الحياكة.

وعندما علم الإله أثينا بذلك ندم على ما فعله بغزل العذراء ندماً شديداً وقام بفك الخيط من رقبة أراكن، وحوله إلى خيط من الحرير. ثم قام بتحويل الجسد الميت إلى عنكبوت، وأسبغ عليها صفة البراعة في التطريز بخيوط الحرير التي تملكها، وان تظل قادرة على الحياكة حتى آخر يوم في حياتها. حتى لا تحزن مرة أخرى على ما أصابها من فعله. واليوم نرى العنكبوت تقوم بعمل تصاميم رائعة من الحرير الذي تنتجه من جسمها.

والعنكب من الحيوانات التي حيك حولها كثير من الخرافات والأساطير. فكثيرون يعتقدون أنه إذا ما مشت العنكبوت على الثوب القديم الممزق فإنها تعمل على إصلاحه وإعادة حياكته. وإذا قتلت العنكبوت أثناء

سيرها على الأثواب فإن تلك الأثواب سوف تصبح ممزقة وبها ثقوب كبيرة .
والإنجليزي يردد قولاً مأثوراً مفاده: إذا أردت أن تعيش بسلام فدع
العنكبوت تعيش بسلام . وهو يتفائل إذا وجد عنكبوتاً تمشي على ملابسه ،
لأن ذلك يعني هبوط ثروة مالية على صاحب الثوب .
وهنود النيفاكو في الولايات المتحدة الأميركية ماهرون في الحياكة ،
ويشيع بينهم أن خبراتهم تلك قد تعلمها الأجداد على يد عنكبوت تحولت
إلى امرأة لتدربهم على فن الحياكة . ويهدد هؤلاء أطفالهم بأن المرأة
العنكبوت ستعاقبهم إذا لم يكفوا عن الشغب والشيطنة .
أما حكايات العنكبوت في الإسلام فقد قصتها كتب الهجرة النبوية .
فعنكبوت الغار هي أحد أسباب نجاة الرسول ﷺ وصاحبه أبي بكر الصديق
من الكفار الذين لاحقوه عند هجرته من مكة إلى المدينة . وقد كرم الله
العنكبوت بتسمية سورة كاملة باسمها في القرآن . قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ
الْأَبْيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ﴾ والمعروف أن أنثى العنكبوت هي التي تقوم بالحياكة
وليس الذكر^(١) .

من أساطير كاتمنندو في نيبال إنسان الثلج

يقولون: ثلاثة في حكم المستحيل: الغول، والعنقاء والخُلُ الوفي .
ولكن إذا كان هذا الحكم ما زال ينطبق على المستحيلين الآخرين، إلا أن
الأول لم يعد مستحيلاً .

أهل نيبال يؤكدون أن الغول - وهو بالنسبة لهم «الجيتي» أو «البيتي»،
كما ينطقونه، ويعني «إنسان الثلج الوحش - ما زال يعيش في جبال هملايا،

(١) مجلة العربي، العدد ٣٥٢، سنة ١٩٨٨ .

وهم ينسجون حوله الأساطير، ويتناقلون عنه الحكايات خلال جلوسهم حول المدفأة في الشتاء.

حتى الذين كتبوا عن نيبال وجبال هماليا تحدثوا في كتبهم عن أوصاف الوحش البشري ذي الشعر الأشعث الذي التقى به جندي أوروبي عام ١٤٠٠ م تماماً كما رآه المستكشفان البريطانيان الميجور واديل والكولونيل هوارد بري، حيث كانا يرأسان حملة المتسلقين في الجانب الشمالي من افرست.

وذكر الاثنان أنهما تبعاه وتوقفا عند آثار قدميه البشرية الضخمة على ثلوج السفح. ويقول النيباليون ان جسده الضخم يغطيه شعر كثيف من قمة الرأس إلى أخمص القدمين، وإنه يسير معتدل القامة.

يقولون أن الجبل كان مليئاً بعدد كبير من هذه الوحوش البشرية، وأن رهبان التبت تأمروا للتخلص منهم، فاتفقوا على أن يقيموا حفلاً ساهراً على السفح حيث يختفي المئات من هذه الغيلان خلف المغارات. وخلال الحفل تظاهروا بتناول الخمر المصنوع من منقوع الأرز. وحين بدا كأنهم سكروا حتى الشمالة راحوا يتبادلون الطعان بسكاكين زائفة. ومع انتهاء الحفل بدأوا يبتعدون واحداً وراء الآخر. وهنا خرجت الوحوش البشرية من مغاورها، وراحوا يقلدون الرهبان في اکتراع كل ما تركوه من خمر حتى انتشوا، ثم راحوا يضربون بعضهم بالسكاكين الحقيقية التي تركها الرهبان عن قصد. وكانت المعركة من العنف والشدة بحيث تساقط الجميع ولم يبق منهم سوى واحد فقط - وهو الذي ما يزال يجوب سفوح هماليا ويشاهده الناس بين الحين والآخر.

ورواية ثانية يحكيها أحد الحمالين الذين يساعدون الرحالة والمتسلقين الى قمم هماليا، مفادها أن أحد تجار الفيروز كان يعبر الممر الجبلي حين فوجيء بالوحش الرهيب يوقفه ويرغمه على الذهاب معه إلى مغارة في عمق الجبل، حيث كانت أنثاه تستلقي وتصرخ بعد ان سدت حلقها قطعة كبيرة من العظم حتى تعذر عليها التنفس. وطلب الوحش من التاجر ان يشفيها وإلا

قتله . وفي رعشة الخوف مد الرجل يده المرتجفة ليضرب الأنثى على ظهرها بقوة، فانقذت قطعة العظم من حلقها وتنفست الصعداء .

ومكافأة له أعطاه الوحش كيساً مقللاً وطلب منه ان لا يفتحه إلا بعد أن يصل إلى داره . وإذا فتح الكيس وجده مليئاً برؤوس بشرية، ومن كل شعرة تتدلى حبة فيروز . وكانت الحصىلة هائلة كسب التاجر من ورائها ثروة ضخمة .

ومن أجل الحصول على ثروة مماثلة يجوب رجال «الشرباس» سفوح الجبل حاملين أحمال المتسلقين على أمل أن تتاح لهم فرصة مماثلة بلقاء إنسان الثلج - كما يسمونه^(١) .

حديث هلاك عاد

قيل : لما توالى ثلاث سنوات على عاد بأزمتهما وقحطها، وهم في ذلك غير تائبين ولا مطيعين لنبيهم هود عليه السلام، قام رجل من أشرفهم وذوي أنسابهم، يقال له - زميل بن عنز، أخو القيل ابن عنز؛ وكان القيل رأس عاد وسيدها .

فقال زميل : يا قوم إني فكرت لما نزل بكم من هذا القحط، ورأيت رأياً، وقلت فيه قولاً، وأنا عارض ذلك عليكم . فقالت الجماعة : إن رأيك أصيل، وإن فعلك جميل، فقل نسمع ما تقول . فقام زميل وقال :

ألا انزلت بنا حجج ثلاثٌ على عادٍ فما تحتال عادٌ
فدمعُهُمُ يبل الترب منها وما يدرون ما بهم يرادُ
وقد علمت بنو عادِ بن عوصٍ بأن مشورتى لهم سدادُ
وإني عارضُ رأيي عليهم وما متي به فيه انفرادُ

(١) مجلة العربي، العدد ٣٢٦، سنة ١٩٨٦ .

بأن يتخيروا وفداً يسيراً إلى البيت العتيق لهم سداً
فَيَسْتَسْقُوا المليك البرَّ غيثاً به تحيي البرية والعباد
وقد جربتم ذاكم فعرفي لديه في بدايته السداً
لأن الله مقتدرٌ حكيم غفورٌ رازقٌ برٌّ جوادٌ
فإن يسمع مقالتنا سقانا فقد نزلت بنا أزمٌ شداً
وإن نهلك فأمر الله ماضٍ له منا المقادة والقياد

■ وفد عاد:

وسارت عاد إلى مكة وقد جهزوا من عظمائهم وأشرفهم وذوي
أحسابهم سبعين رجلاً، ثم وضعوا على رأسهم أربعة منهم وهم:

قييل بن عنز، ولقمان بن عاد - صاحب النسور، وأبو سعيد مرثد بن
سعد - وهو خيرُ النفر، وجلهمة بن الخيبري. فساروا إلى مكة - وسكانها
يومئذٍ من العماليق - وهم يومئذٍ ملوك الحجاز وأرضها. فنزلوا على رجل
يقال له بكر بن معاوية قد تزوج امرأة من عاد وهي أخت جلهمة بن الخيبري
فولدت ابنة معاوية - وكان منزلهم بظهر مكة خارجاً عن الحرم. ففرحوا
بالوفد وأكرمهم. وكان معاوية قد كبر وضعف، وكانت الرياسة لابنه بكر بن
معاوية. فأنزل بكر أخواله عنده شهراً يأكلون اللحم ويشربون الخمر وتغنيهم
قيتان يقال لهما الجرادتان.

ويقال إنه أول من اتخذ القيان في الأرض للغناء، وكان أكثر العرب
مالاً في زمانه. فأقبل الوفد على اللهُو والشراب وتركوا ما جاؤوا من أجله.

لما رأى ذلك معاوية بن بكر غمه ذلك وقال: إن تركت أخوالي
وأصهارى، هلكوا وهلك من خلفوا من أهلهم وقومهم في بلادهم، وهم
أيضاً ضيوفي ووجوه قومي وأنا استحي أن أمرهم بالشخوص لما قدموا له.
ثم قال شعراً وحفظه للجرادتين، وأمرهما إذا أنتشى القوم وأخذ فيهم الشراب

أن تقوما على رأس كبيرهم وشريفهم قيل بن عنز وتغنياه . ولما أنتشوا قامت الجاريتان على رأس قيل بن عنز وأنشأتا تقولان :

ألا يا قَيْلُ ويحك قم فهينم لعل الله يصبحنا غماما
 فيسقي آل عادٍ إن عاداً قد أضحوا لا يبينون الكلاما
 من العطش الشديد فلا تراهم ولا الشيخ الكبير ولا الغلاما
 وإن الوحش تأتيهم نهاراً فما تخشى لعاديّ سهاما
 وقد كانت نساءؤهم بخير فقد أمست نساءؤهم أيامي
 وأنتم هاهنا فيما اشتهيتم نهاركُم وليلكُم نياما
 ففُجِّح وفدكم من كل وفدٍ ولا لقوا التحية والسلاما

فلما سمعوا شعر الجرادتين ووعته أسمعهم فزعوا لذلك وتركوا ما هم فيه من اللهو . وقال بعضهم : يا قوم إنما بعثكم قومكم لهذا البلاء الذي قد نزل بهم ، ولكم منذ شهر هاهنا ، فانطلقوا الى بيئته ريبكم واطلبوا الغوث من ريبكم لقومكم .

■ أبو سعيد المؤمن ينصح عاداً

فقال لهم أبو سعيد المؤمن : يا قوم هلموا لأمر أدعوكم إليه تذكرون به حاجتكم وتغيثون به قومكم . قالوا : وما ذاك؟ قال : تؤمنون بنبِيِّكم هود عليه السلام ، وتؤمنون بربكم ، فذلكم خير لكم . قال : فكرهوا قوله وردوا النصيحة . فقال في ذلك أبو جلهمة :

أبا سعيد كأنك من قبيلٍ سوى عادٍ وأمك من ثمود
 أتأمرنا لنترك دين وفدٍ وزمّل وآل صدّ والعنود
 أنترك دين أقوام كرامٍ ذوي حسب ونتبع دين هود
 وأنا لا نطيعك ما حيننا ولسنا فاعلمنّ على عهد

قال: فغضب من ذلك رجل من الوفد من قوم أبي سعيد فأجابه:

فمرثد مخ عادٍ في ذراها وأنت لساقطٍ وغدٍ كَنودِ
نماه يا زنيم إلى المعالي من أخوال وأعمامِ صمودِ
وأفضلُ قوم عادٍ بعد هود وخيرهم الكريمُ أبو سعيدِ

■ سير الوفد إلى الكعبة:

ثم سار الوفد إلى الكعبة. وقبل مسيرهم طلبوا من بكرٍ وابنه أن يحبسا أبا سعيد المؤمن ففعلا، وكلماه في ذلك، فقال: نعم. ووقف عنهم هو ولقمان بن عاد.

ومضى سائر الوفد إلى البيت يتقدمهم قيل بن عنز. وصفَ الوفد حوله ولاذ بالكعبة ودعا وتضرع فسمع منادياً ينادي من السماء يقول: يا قيل بن عنز، ما جئت تطلب، فاسألُ تُعْطَ. فقال: جئت أطلب القطر الذي ينبت الشجر، ويكثر الثمر، ويحيى به البشر، ويصلح به قومي وبلادي. فأنشأ الله ثلاث سحابات بيضاء وحمراء وسوداء. ثم قيل له: اختر أيها شئت. قال: أما البيضاء: فجهام ليس فيها مطر ولا لغيثها روي. وأما الحمراء: فجهام غير آتي، ينفي السَّراء ويأتي بالضراء. ولا حاجة لنا فيها، وأما السوداء: فكثيرة الماء والروي، معقبة لرخاء، مبلغة المنى، غائظة الأعداء، وقد اخذتها لقومي وبلادي.

فناداه المنادي: رماداً أرمداً، لا يبقى من عاد بن عوص أحداً، لا والداً ولا ولداً، إلا القبيل الأبعدا. ويعني بقوله: إلا القبيل الأبعدا: من أولاد عملوق بن لاوذ - وهي أخت بكر بن معاوية كما ذكرنا، هزيلة العملوقية، زوجة أبي سعيد المؤمن. وكانت امرأة مؤمنة فاضلة، آمنت بهود وكانت محبة له ولأصحابه، وكانت تلتف بهم وتوسع عليهم مالها. فنجأها الله من العذاب وولدها، وكانوا هم عاد الآخرة.

■ هزيلة العملوقية تصف كارثة قوم عاد:

لما هلكت عاد لم يسلم إلا هزيلة بنت هزيل من العماليق وبنوها، وهم: عمرو وعامر وعمير. وهي زوجة أبي سعيد المؤمن. فإن الله نجاهم من العذاب بإيمان أصحابهم، وأمر الله سبحانه وتعالى فحملتهم الريح برفق وشفقة هي وولدها، ولم تؤذهم ولم تضرهم، حتى أتت مكة فألقتهم في بيت بكر بن معاوية الذي فيه وفد عاد.

فبينما القوم في لهوهم ولذتهم إذ أقبلت هزيلة ببنيتها حتى هجمت على عمها الشيخ وبكر بن معاوية في منزله، فقال: ويحك! ما بك؟ فاستعبرت هزيلة باكية وقالت: الخبر أفظع وأوجع وأجزع من أن أصفه لك. فقال لها: ويحك خبريني، لقد أكثرتِ وجدي! - قالت هزيلة: إن الخبر أفظع من أن أسمعكموه قيلاً، ولكنني سأقوله شعراً وأرويهِ للجرادة فتقوله. فقالت الجرادة:

إن عاداً آثرت حقاً	على الرشد الصدودا
لم تقل في غيها حين	عنت قولاً سديدا
بل طغت بغياً وقالت	لن نطيع الدهر هودا
كذبوا عبداً تقياً	مسلماً برأ رشيدا
وعصوا رباً عظيماً	قاهر البطش مجيدا
فدعاهودٌ مليكاً	مبدياً لهم معيدا
أن يذلَّهُمُ بأيدي	يقمُعُ العاصي النكودا
فاستجاب له إله	عز مقتدراً حميدا
جلَّ ربّاً ذا اقتدارٍ	منعماً عدلاً أبيدا
كي يتوبوا فأراهم	ما يردُّ الصدُّ قودا
عابدين من ضلالٍ	صنماً يدعي الصمُودا
يطلبون الغيث منه	بعد ما خروا سجودا

الذي يحوي سفاهاً سألوا منه رفودا
أفكوا من حيث طاعوا فيه شيطاناً مريدا
ثم قال لهم زميلٌ بعدما ذاقوا الجهودا
اسمعوا قولِي ورأيي وابعثوا وفدأ جنودا
نحو بيتِ الله كيما يسألوا الرب ودودا
أن يغيث القوم منا متهمأ ثم النجودا
بعثوا سبعين كهلاً تبعوا قيلأ جليدا
بعثوا لقمان رأسأ وأبا سعد مزيدا
وأبا جلهمة القرم فتى الحي الجلودا
ثم قيلأ نجل عنزِ قائدأ ليس مقودا
ثم ساروا بسوادِ نحو حَسَداءِ أسودا
فأتوا مكة شحأ بين خزُ وبيرودا
أحسن الناس اعتدالأ ووجوهأ وخدودا
كلهم أكرم عادِ أمهاتِ وجدودا
نزلوا بالمرء بكر وابنه شهراً جديدا
يشربون الخمر صرفأ لا يملئون الركودا
ثم هبوا بعد ماهيأ لهم بكرُ نشيدا
ثم غنَّتْهم بصوتِ قينةً تسمى الجرودا
نهضوا إذ سمعوها كأنهم كانوا رقودا
فأتوا بيت مليكِ لم يزل للخلق عيدا
فدعوا فاختر لقمان فتى الحي الخلودا
ببقا عمرِ نسورِ سب عةٍ دهرأ أبيدا

وحباً لله أباً سعيداً تقاه والسعودا
 فنجا بالبر زاداً ثم تقوى الله زيذا
 وأرى قِيلاً ثلاثاً من سحاباتِ فرودا
 قطعةً بيضاء كانت ما بها في الغيث جودا
 ثم حمراً لم يروها ظنَّها غيثاً ثميدا
 فارتضى السوداء التي صارت بها الأقطار سودا
 أبصرت مهدياً على الر يح مطيعين ركودا
 في أكفهم لها لجم يخيلن الوقودا
 قالت الويل لعاد ويلها ويلاً جديدا
 ليلة حلت به الد هر على عاد الصدودا
 أن ترى السبعة منهم كلهم كانوا حسودا
 كل قرم مثل طودٍ لابسٍ فيها الحديدا
 كي يردوها ومن ذا يستطيع لها ردودا
 خلفت أجسامهم في الجو والقفر بديدا
 عذبت سبع ليالٍ أمة كانت يهودا
 ثم أياماً ثماناً ما هبوطاً ما صعودا
 تحسب الأصوات إذ يهوون في الجور عودا
 ثم خروا في قصور صيرت فلقاً بديدا
 استباح الدهر صدأً ومنافاً والخلودا
 وجهاراً لم تذرهُ وهبَاء والعنودا
 قيل فانظر أين عاد ثم دع عنك السمودا
 لن تراهم آخر الدهر كما كانوا قعودا

ثم نجاني إلهي وبني جدي الأبيدا
 قد تفانوا ثم بادوا في ديارهم حصيدا
 حملتني وبني نحوكم ريح برودا
 ونجا هود وأصحا ب له خرّوا سجودا
 معه ثم ثلاثون يقيمون الحدودا^(١)

كتابة «باسمك اللهم»

قال المسعودي: ذكر جماعة من أهل المعرفة بأيام الناس وأخبار من سلف أن السبب في كتابة قریش واستفتاحها في أوائل كتبها: «باسمك اللهم» هو أن أمية بن أبي الصلت الثقفي خرج إلى الشام في نفرٍ من ثقيف وقریش في غير لهم، فلما قفلوا راجعين نزلوا مكاناً، واجتمعوا لعشائهم، إذ أقبلت حية صغيرة حتى دنت منهم، فحصبها بعضهم بشيء في وجهها، فرجعت، فشدوا سفرتهم ثم قاموا وارتحلوا من مكانهم.

فأشرفت عليهم عجوز من كثيب رمل متوكئة على عصاها فقالت: ما منعكم أن تطعموا رحيمة، الجارية اليتيمة، التي جاءكم عشية؟ قالوا: ومن أنت؟ قالت أنا أم العوام، أويمتُ منذ أعوام. أما وربّ العباد، لتفترقن في البلاد. ثم ضربت بعصاها الأرض فأثارت بها الرمل وقالت: أطيلي إياهم، وأنفري ركبهم. فوثبت الإبل، فكأنّ على ذروة كل بعير شيطاناً، حتى افترت في البوادي.

قال: فجمعناها من آخر النهار إلى غد، ولم نكد. فلما أنخناها لنرحلها طلعت علينا العجوز فعاتت بالعصا كفعالها أولاً، وعادت إلى مقاتها الأولى: ما منعكم أن تطعموا رحيمة الجارية اليتيمة؟ أطيلي إياهم، وأنفري ركبهم.

(١) كتاب التيجان في ملوك حمير: ص ٣٥٣ - ٣٥٨. وفي الشعر كثير من التحريف والألفاظ المبهمة في الأصل رسماً أو معنى - فتأمل.

فخرجت الإبل ما نملك منها شيئاً، فجمعناها من آخر النهار إلى غد، ولم نكد. فلما انخناها لنرحلها طلعت علينا العجوز ففعلت مثل فعلتها الأولى والثانية، ففترقت الإبل وامسينا في ليلة مقمرة، وقد يئسنا من ظهورها.

فقلنا لأمية بن أبي الصلت: أين ما كنت تخبرنا به عن نفسك؟ فتوجّه إلى الكثيب الذي كانت تأتي العجوز منه، حتى هبط من ناحية أخرى، ثم صعد كثيباً آخر حتى هبط منه، ثم وجد بيتاً فيه قناديل، وإذا رجل جالس أبيض الرأس واللحية. قال أمية: فلما وصلت إليه رفع رأسه إلي وقال: إنك لمتبوع^(١). قلت: أجل. قال: فمن أين يأتيك صاحبك؟ قلت: من أذني اليسرى. قال: فبأي الثياب يأمرك؟ قلت: بالسواد. قال: هذا خطب الجن. كدت ولم تفعل، ولكن صاحب هذا الأمر يكلمه في أذنه اليمنى، وأحبّ الثياب إليه البياض، فما جاء بك؟ وما حاجتك؟ فحدثته حديث العجوز. قال: صدقت وليست بصادقة. هي امرأة يهودية هلك زوجها منذ أعوام، وإنها لا تزال تضع بكم هذا حتى تهلككم إن استطاعت. قال أمية: فما الحيلة؟ قال: اجمعوا ظهوركم، فإذا جاءتكم وفعلت ما كانت تفعل فقولوا لها: «سبعاً من فوق وسبعاً من أسفل، باسمك اللهم» فإنها لا تضركم. فرجع أمية إلى أصحابه فأخبرهم بما قيل له. فجاءتهم وفعلت كما كانت تفعل، فقالوا لها: سبعاً من فوق وسبعاً من أسفل باسمك اللهم، فلم تضرهم. فلما رأت الإبل لم تتحرك، قالت: «قد عرفتُ صاحبكم؛ لَيَبْيُضُّنُّ أعلاه، ويسودُّنُّ أسفله». فلما أدر كنا الصبح، نظرنا إلى أمية قد برّص في عذاريه ورقبته وصدرة، واسودَّ أسفله.

قال المسعودي: وكان أمية أول من كتب «باسمك اللهم»، إلى أن جاء الله عز وجل بالإسلام، فرفع ذلك وكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم»^(٢).

(١) أي أن له رثياً يحدثه. والرثي هو الجنّي الذي يعرض للإنسان ويطلع على ما يزعم من الغيب.

(٢) مروج الذهب: ١/٧١-٧٣.

أمثال العرب

١ - أَبْصَرُ مِنْ زَرْقَاءِ الْيَمَامَةِ :

واليمامة اسمها، وبها سُمِّيَ البلد. وذكر الجاحظ أنها كانت من بنات لقمان بن عاد، وأن اسمها: عنز. وكانت هي زرقاء، وكانت الزُّبَاءُ زرقاء، وكانت البسوس زرقاء.

قال محمد بن حبيب: هي امرأة من جديس، كانت تبصرُ الشيء من مسيرة ثلاثة أيام، فلما قتلت جديس طَسَمًا خرج رجل من طسم إلى حسان بن تُبَعِّع، فاستجاشه، ورغِبُهُ في الغنائم، فجهَّز إليهم جيشاً، فلما صاروا من جَوْ - وهي ناحية بأرض اليمامة - على مسافة ثلاث ليالٍ سعدت الزرقاء فنظرت إلى الجيش وقد أُمروا أن يحمل كل واحد منهم شجرة يستتر بها ليلبسوا عليها. فقالت: يا قوم، قد أتتكم الشجر أو أتتكم حمير، فلم يصدقوها.

فقالت على مثال الرجز:

أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَقَدْ دَبَّ الشَّجَرُ أَوْ حَمِيرٌ قَدْ أَخَذْتَ شَيْئاً يُجَزَّرُ

فلم يصدقوها. فقالت: أحلف بالله لقد أرى رجلاً ينهس كتفاً، أو يخصف النعل، فلم يصدقوها، ولم يستعدوا حتى صبَّحهم حسان بن تُبَعِّع فاجتاحهم، فأخذ الزرقاء فشقَّ عينها فإذا عروق سود من الإثمد. وكانت أول من اكتحل بالإثمد من العرب، وهي التي ذكرها النابغة في قوله:

وَأَحْكُمُ كَحَكْمِ فَتَاةِ الْحَيِّ إِذْ نَظَرْتُ إِلَى حَمَامٍ سَرَّاعٍ وَإِرْدِ التَّمْدِ
* مجمع الأمثال: ٢٠١/١. والرجز في جمهرة الأمثال: ٢٤١/١، وديوان النابغة:
٢٥.

٢ - أَجْمَلُ مِنْ ذِي الْعِمَامَةِ :

هذا المثل من أمثال أهل مكة - وذو العمامة: سعيد بن العاص بن أمية، وكان في الجاهلية إذا لبس عمامة لا يلبس قرشي عمامة على لونها، وإذا خرج لم تبق امرأة إلا برزت للنظر إلى جماله. ولما أفضت الخلافة إلى عبد الملك بن مروان خطب بنت سعيد هذا إلى أخيها عمرو بن سعيد الأشدق، فأجابه عمرو بقوله:

فتاة أبوها ذو العمامة وابنه أخوها، فما أكفاؤها بكثير
وزعم بعض أصحاب المعاني إن هذا اللقب إنما لزم سعيد بن العاص
كناية عن السيادة، قال: وذلك لأن العرب تقول: «فلان مُعَمَّمٌ» يريدون أن
كل جناية يجنيها الجاني من تلك القبيلة والعشيرة، فهي معصوبة برأسه.
فإلى هذا المعنى ذهبوا في تسميتهم سعيد بن العاص: ذا العمامة وذا
العصابة.

* مجمع الأمثال: ١٨٨/١.

٣ - أَجْهَلُ مِنْ قَاضِي جُبَلٍ^(١) :

يقال: إن جُبَلُ مدينة من طسوج، كسگر، وهذا القاضي قضى لخصم
جاءه وحده، ثم نقض حكمه لما جاءه الخصم الآخر. وفيه يقول محمد بن
عبد الملك الزيات:

قَضَى لِمَخَاصِمٍ يَوْمًا فَلَمَّا أَتَاهُ خِصْمُهُ نَقَضَ الْقَضَاءَ

(١) كذا ضبطه في مجمع الأمثال. وقد ضبطه في معجم البلدان بفتح الجيم ورفع الباء المشددة.

دنا منك العدو وغبت عنه فقال بحكمه ما كان شاء
* مجمع الأمثال: ١/ ١٩٠.

٤ - أَجْوَدُ مِنْ هَرِمٍ:

هو هَرِمُ بن سِنان بن حارثة المَرِّي وقد سار بذكر جوده المثل . قال
زهير بن أبي سلمة يمدحه:

إن البخيل ملومٌ حيث كان ولكنَّ الجود على عِلاته هَرِمُ
هو الجواد الذي يعطيك نائله عفواً ويظلم أحياناً فيَظلم^(١)

ووفدت ابنة هرم على عمر بن الخطاب، فقال لها: ما كان الذي أعطى
أبوك زهيراً حتى قابله من المديح بما سار فيه؟ فقالت: قد أعطاه خيلاً
تنضى^(٢)، وإبلًا تنضوي^(٣)، وثياباً تبلى، ومالاً يفنى. فقال عمر: لكنَّ ما
أعطاكم زهيرٌ لا يلبيه الدهر، ولا يفنيه العصر. ويروى أنها قالت: ما أعطى
هرمٌ زهيراً قد نسي، قال: لكن ما أعطاكم زهيرٌ لا يُنسى.

* مجمع الأمثال: ١/ ١٨٨.

٥ - أَجْوَرُ مِنْ قَاضِي سَدُومَ:

قالوا: سدوم - بفتح السين - مدينة من مدائن لوط. قال الأزهري: إنما
هي سدوم بالذال المعجمة - والذال خطأ - قال الطبري: هو ملك من بقايا
اليونانية عَشُوم كان بمدينة سمرمين من أرض قنسرين.

* مجمع الأمثال: ١/ ١٩٠.

٦ - أَخْطَبُ مِنْ سَحْبَانَ وَائِلٍ:

وهو رجل من باهلة، وكان من خطبائها وشعرائها، وهو الذي يقول:

(١) أظلمَ: احتمل الظلم. (٢) تنضى: تتعب وتهزل. (٣) تنضوي: تهلك وتذهب.

لقد علمَ الحيُّ اليمانون أنني إذا قلتُ أمّا بعدُ أني خطيبُها
وهو الذي قال لطلحة الطلحات الخزاعي :

يا طلحُ أكرمَ من بها حَسَباً وأعطاهم لَتَالِدُ
منك العطاء فأعطني وعليّ مَدْحُك في المشاهد

فقال له طلحة: إحتكم، فقال: برذونك الأشهب الورد، وعلامك
الخبّاز، وقصرك بَزْرُنَج^(١) وعشرة آلاف. فقال له طلحة: أفّ لم تسألني على
قدري، وإنما سألتني عن قدرك وقدر باهلة. ولو سألتني كلّ قصر لي وعبد
ودابة لأعطيتك. ثم أمر له بما سأل ولم يزده عليه شيئاً. وقال: تالله ما رأيت
مسألة مُحَكَّم الأمّ من هذا.

وطلحة هذا هو طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي. وأمّا طلحة
الطلحات الذي يقال له طلحة الخير وطلحة الفيّاض، فهو طلحة بن عبيد الله
التيمي من الصحابة، ومن المهاجرين الأولين، ومن العشرة المسمّين للجنة.
* مجمع الأمثال: ٢٤٩/١. والدرّة الفاخرة: ٩١/١. واللسان (سحب). وشرح
العيون: ٢٥.

٧ - أَبْطَشُ مِنْ دَوْسَرَ:

قالوا: إن دوسر إحدى كتائب النعمان بن المنذر ملك العرب، وكانت
له خمس كتائب: الرهائن، والصنائع، والوضائع، والأشاهب، ودوسر.

أما الرهائن: فإنهم كانوا خمسمائة رجل، رهائن لقبائل العرب، يقيمون
على باب الملك سنة، ثم يجيء بدلهم خمسمائة أخرى، وينصرف أولئك إلى
أحيائهم. فكان الملك يغزو بهم ويوجّههم في أموره.

وأما الصنائع: فبنو قيس وبنو تيمم اللات ابني ثعلبة، وكانوا خواصّ
الملك لا يبرحون بابه.

(١) زْرُنَج: مدينة بسجستان.

وأما الوضائع: فإنهم كانوا ألف رجل من الفرس يضعهم ملك الملوك بالحيرة نجدة لملك العرب، وكانوا أيضاً يقيمون سنة ثم يأتي بدلهم ألف رجل، وينصرف أولئك.

وأما الأشاهب: فإخوة ملك العرب وبنو عمه ومن يتبعهم من أعوانهم. وسموا الأشاهب لأنهم كانوا بيض الوجوه.

وأما الدوسر: فإنها كانت أخشن كتائبه وأشدّها بطشاً ونكاية، وكانوا من كل قبائل العرب، وأكثرهم من ربيعة. سُميت دوسر اشتقاقاً من الدسر، وهو الطعن بالثقل، لثقل وطأتها. قال الشاعر:

ضربت دوسرُ فيهم ضربةً أثبتت أوتادَ مُلكٍ فاستقر^(١)

وكان ملك العرب عند رأس كل سنة - وذلك أيام الربيع - يأتيه وجوه العرب وأصحاب الرهائن، وقد صير لهم أكلاً عنده، وهم ذوو الآكال، فيقيمون عنده شهراً، ويأخذون آكالهم، ويبدلون رهائنهم، وينصرفون إلى أحيائهم.

* مجمع الأمثال: ١/١١٨.

٨ - أبطأ من غرابٍ نوح:

وذلك أن نوحاً بعثه لينظر هل غرقت البلاد، ويأتيه بالخبر، فوجد جيفةً فوق عليها، فدعا عليه نوح بالخوف؛ فلذلك لا يألف الغرابُ الناس، ويضرب به المثلُ في الإبطاء.

* مجمع الأمثال: ١/١١٩.

٩ - أبرماً وقروناً؟:

البرم هو الذي لا يدخل مع القوم لبخله، أو الذي لا يدخل في الميسر

(١) البيت في اللسان والتاج (دسر). وينسب للمثقب العبدي، يمدح عمرو بن هند.

وهو موسر لبخله . والقرون : الذي يقرن بين الشيئين . يضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين . وأصله أن امرأة أحد الأبرام استطعمت من بيوت الأيسار فرجعت بقدر فيها قطع لحم ، فوضعتها بين يديه وجمعت عليه الأولاد . فأقبل هو يأكل قطعتين قطعتين ، فقالت ذلك .
* المستقصى في أمثال العرب : ١٧ / ١ .

١٠ - إِنَّ الْحَبِيبَ إِلَى الْإِخْوَانِ ذُو الْمَالِ :

يُضْرَبُ فِي حِفْظِ الْمَالِ وَالْإِشْفَاقِ عَلَيْهِ .
قال أحيحة بن الجلاح^(١) :

كُلُّ النَّدَاءِ إِذَا نَادَيْتُ يَخْذِلْنِي إِلَّا نِدَائِي إِذَا نَادَيْتُ يَا مَالِي
اسْتَغْنِي أَوْ مُتُّ وَلَا يَغْرُرُكَ ذُو نَسَبٍ مِنْ ابْنِ عَمٍّ وَلَا عَمٍّ وَلَا خَالَ
إِنِّي مَقِيمٌ عَلَى الزُّورَاءِ أَعْمَرَهَا إِنَّ الْحَبِيبَ إِلَى الْإِخْوَانِ ذُو الْمَالِ
* مجمع الأمثال : ٣ / ٣٥ .

١١ - أَحْمَقُ مِنْ أَبِي غَبْشَانَ :

كان من حديثه أن خزاعة حدث فيها موت شديد ورُعاف^(٢) عمَّهم بمكة ، فخرجوا منها ونزلوا الظهران ، فرفع عنهم ذلك .

وكان فيهم رجل يقال له حليل ابن حبشية ، وكان صاحب البيت ، وكان له بنون وبنات يقال لها حُبَي ، وهي امرأة قصي بن كلاب ، فمات حليل ، وكان أوصى ابنته حُبَي بالحجابة وأشرك معها أبا غبشان الملكاني . فلما رأى قصي بن كلاب إن حليلاً قد مات ، وبنوه عُيَّب ، والمفتاح بيد امرأته ، طلب إليها أن تدفع

(١) شاعر جاهلي من دهاة العرب وشجعانهم . كان سيد الأوس في الجاهلية ، وكان مرابياً كثيراً .
المال .

(٢) الرُعاف : المطر الكثير .

المفتاح إلى ابنها عبد الدار بن قصي، وحمل بنيه على ذلك، وقال:

اطلبوا إلى أمكم حجابة جدكم، ولم يزل حتى سلست له بذلك،
وقالت: كيف أصنع بأبي غبشان وهو وصي معي؟ فقال قصي: أنا أكفيك
أمره. فاتفق إن اجتمع أبو غبشان مع قصي في شرب بالطائف فخدعه قصي
عن مفاتيح الكعبة بأن أسكره، ثم اشترى المفاتيح منه بزق خمر وأشهد عليه،
ودفع المفاتيح إلى ابنه عبد الدار بن قصي وطيره إلى مكة.

فلما أشرف عبد الدار على دور مكة رفع عقيرته وقال: معاشر قريش،
هذه مفاتيح بيت أبيكم إسماعيل قد ردها الله إليكم من غير غدر ولا ظلم،
فأفاق أبو غبشان من سكره أندم من الكسعي، فقال الناس: أحمق من أبي
غبشان. فذهبت مثلاً. وأكثر الشعراء فيه القول. قال بعضهم:

إذا فخرت خزاعة في قديم وجدنا فخرها شرب الخمر
وبيعاً كعبة الرحمن حُمقاً بزق، بئس مفتخر الفخور
وقال آخر:

أبو غبشان أظلم من قصي وأظلم من بني فهير خزاعة
فلا تلحوا قصياً في شراه ولوموا شيخكم أن كان باعاً
* مجمع الأمثال: ٢١٦/١ - ٢١٧.

١٢ - أشأم من أحمر عاد:

وأحمر عاد هو قدار بن سالف، ولُقّب بالأحمر. قال زهير بن أبي
سلمى في وصف الحرب:

فَتُنْتَجِ لَكُمْ غِلْمَانُ أَشْأَمَ كُلِّهِمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعُ فَتُفْطِمُ
قال الأصمعي: أخطأ زهير في هذا، لأن عاقر الناقة ليس من عاد،
وإنما هو من ثمود. وقال المبرد: لا غلط، لأن ثمود يقال لهم عاد الآخرة،
ويقال لقوم هود عاد الأولى. ويُضرب به المثل في الشؤم، فيقال: أشأم من

أحمر عاد، لأن الله أهلك بفعله ثمود. وذلك أنهم قالوا لنبئهم صالح حين دعاهم إلى الإيمان:

يا صالح إن كنت صادقاً فأظهر لنا من هذه الصخرة ناقة - وصفوها له - فأخرجها الله بإذنه من الصخرة:

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فِئْتَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: الآية ٢٧] فآمن بعضهم عند ظهور هذه الآية ثم قال لهم: ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الشعراء: ١٥٥ - ١٥٨].

* مجمع الأمثال: ٣٧٩/١. وجمهرة خطب العرب: ٣٥٢/٢.

١٣ - أَرَيْتُهُ النُّجُومَ وَسَطَ النَّهَارِ:

قال النابغة الذبياني يصف الحرب:

تبدو كواكبه والشمس طالعة لا النور نور ولا الإظلام إظلام
يريد بقوله: «تبدو كواكبه والشمس طالعة» شدة الهول والكره، كما تقول العامة: أَرَيْتُهُ النُّجُومَ وَسَطَ النَّهَارِ. قال الفرزدق:

أريك نجوم الليل والشمس حية

وقال طرفة بن العبد:

وتريك النجم يجري في الظهر

وإليه ذهب جرير في قوله:

والشمس طالعة ليست بكاسفة تبكي عليك نجوم الليل والقمر

يقول: إن الشمس طالعة وليست بكاسفة نجوم الليل، لشدة الغم والكره الذي فيه الناس.

* العقد الفريد: ٦٩/١.

١٤ - أَدَقُّ مِنْ خَيْطِ بَاطِلٍ :

وهذا المثل فيه قولان: أحدهما أنه الهباء الذي يكون في ضوء الشمس، فيدخل من الكوة في البيت. والثاني أنه الخيط الذي يخرج من فم العنكبوت ويسمّيه الصبيان: مخاط الشيطان. وهذا القول أجود. قال الجوهري: خيط باطل، ولعاب الشمس، ومخاط الشيطان، واحدٌ.

وكان لقب مروان بن الحكم: خيط باطل، وذلك لأنه كان طويلاً مضطرباً، فلُقّب به لدقته. وفيه يقول الشاعر:

لحا الله قوماً ملكوا خَيْطَ باطلٍ على الناس يُعطي من يشاء ويمنع
والطويل أيضاً يُلقب بظلّ النعامة، كما يُلقّب بنخيط باطل.

* مجمع الأمثال: ٤٨/١.

١٥ - الْأَمُّ مِنْ أَسْلَمٍ :

هو أسلم بن زرعة. ومن لؤمه أنه جَبَى أهل خراسان حين وليها ما لم يَجِبِهِ أحد قبله. ثم بلغه أن الفرس كانت تضع في فم كل من مات درهماً، فأخذ ينش تربة النواويس ليستخرج ذلك الدرهم، فقال فيه صهبان الجرمي:

تعوذُ بنجمٍ واجعل القبر في صفاً من الطود لا يَنْشِ عظامَكَ أسلم^(١)
هو النابش الموتى المجيلُ عظامهم لينظر هل تحت السقائف دِرْهُمُ

* مجمع الأمثال: ٢٤٩/٢.

١٦ - أَخْسَرُ مِنْ حَمَّالَةِ الحَطْبِ :

وهي أم جميل أخت أبي سفيان بن حرب وامرأة أبي لهب المذكورة في سورة: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: الآية ١] وفيها قال الشاعر:

(١) أي اجعل قبرك في صخرة صماء في جبل لثلا ينش أسلم عظامك.

جمعت شتى وقد فرقتها جُملاً لأنت أخسر من حمالة الحطب
 أي أظهر خسرانا؛ وذلك أنها كانت تحمل العِصاه^(١) والشوك فتطرحة
 في طريق رسول الله ﷺ ليعقره. وقال قتادة ومجاهد والسدي: كانت تمشي
 بالنميمة بين الناس، فتلقي بينهم العداوة وتهيج نارها، كما توقد النار
 بالحطب. وتسمى النميمة حطباً. ويقال: فلان يحطب على فلان، إذا كان
 يغري به. وقال:

من البيض لم تضطد على ظهر سوءة ولم تمش بين القوم بالحطب الرطب
 * مجمع الأمثال: ٢٥٦/١.

١٧ - ارحموا عزيز قوم ذل:

قيل هذا المثل عن لسان النبي ﷺ.

أراد عمر بن الخطاب أن يبيع بنات يزدجرد بن شهريار بن كسرى
 مسبيات وأعطاهنّ لدلال ينادي عليهنّ في السوق، فكشف عن وجه إحداهن
 فلطمته على وجهه لطمّة شديدة فصاح: واعمره! وشكا إليه، فدعاهنّ عمر
 وأراد أن يضربهنّ بالدرة فقال علي بن أبي طالب: سمعت رسول الله ﷺ
 يقول: «ارحموا عزيز قوم ذل، وغنياً افتقر، وعالماً عاش بين جهال» إن بنات
 الملوك لا تباع، ولكن قومهنّ. فقومهنّ وأعطاهنّ أثمانهنّ وقسمهن بين الحسن
 ومحمد بن أبي بكر وعبد الله بن عمر.

١٨ - أخنث من طويس:

ويقال: أشأم من طويس.

الطاوس: طائر معروف، ويصغر على طويس، بعد حذف الزيادات.

(١) العِصاه: كل شجر له شوك صغر أو كبير. الواحدة عصاهة.

كان طويس هذا من مخنثي المدينة، وكان يسمى طاوساً، فلما تخنّث سمي بطويس، ويكنى بأبي عبد النعيم. وهو أول من غنى في الإسلام بالمدينة، ونقر بالدفّ المربع، وكان أخذ طرائق الغناء عن سبي الفرس، وذلك أن الخليفة عمر بن الخطاب كان صيرّ لهم في كلّ شهر يومين يستريحون فيهما من المهن، فكان طويس يغشاهم حتى فهم طرائقهم.

وكان طويس خليعاً يُضحك الجميع. فمن مجانته أنه كان يقول: يا أهل المدينة، ما دمت بين أظهركم فتوقّعوا خروج الدجّال والدّابة، وإن متّ فأنتم آمنون، فتدبّروا ما أقول.

إن أُمّي كانت تمشي بين نساء الأنصار بالنمائم، ثم ولدتني في الليلة التي مات فيها رسول الله ﷺ وفطمتني في اليوم الذي مات فيه أبو بكر، وبلغت الحلم في اليوم الذي قتل فيه عمر بن الخطاب، وتزوجت في اليوم الذي قتل فيه عثمان، ووُلد لي في اليوم الذي قتل فيه علي بن أبي طالب، فمن مثلي؟

وكان يُظهر للناس ما فيه من الآفة غير محتشم منه، ويتحدث به وقال فيه شعراً، وهو:

أنا أبو عبد النعيم أنا طاؤس الجحيم
وأنا أشأم من دبّ على ظهر الحطيم
أنا حياء ثم لأم ثم قاف حشوميم

عنى بقوله: «حشوميم»: الياء. لأنك إذا قلت ميم فقد وقعت بين ميمين ياء، يريد أنا حلقِي.

ولما خُصي طويس مع سائر المخنثين قال: ما هذا إلاّ ختان أعيد علينا. وكان السبب في خصائهم أنهم كثروا في المدينة، فأفسدوا النساء على الرجال. وزعم بعضهم أن سليمان بن عبد الملك كان مفرط الغيرة وأن جارية له حضرته في ليلة قمراء وعليها حلى ومعصفر، فسمع في الليل سميراً الأبلّي

يعني هذه الأبيات :

وغادة سَمِعَتْ صوتي فأرَقها من آخر الليل لما ملَّها السَّهْرُ
تُذني على فخذيها من معصفرة والحلي دانٍ على لبَّاتها خَصِرُ^(١)
لم يحجب الصوتَ أحراسٌ ولا عَلَقٌ فدمعُها بأعالي الخدِّ ينحدُرُ
في ليلة البدر ما يدري معانيها أوْجُهها عنده أبهى أم القمرُ
لو خُلِيَتْ لمشت نحوى على قدمٍ تكاد من رِقَّةٍ للمشي تنفطرُ

فاستوعب سليمان الشعر، وظنَّ أنه في جاريته، فبعث إلى سمير فأحضره، ودعا بحجَّام ليخصيه، فدخل إليه عمر بن عبد العزيز وكلمه في أمره، فقال: اسكُتْ، إن الفرس يَصْهَلُ فتستودقُ الحِجْرُ له^(٢)، وإن الفحل يخطر فتضبع^(٣) له الناقة، وإن التيس ينبُّ^(٤) فتستحرم له العنز، وإن الرجل يعني فتشبق له المرأة، ثم خصاه.

ودعا بكاتبه فأمره أن يكتب من ساعته إلى عامله ابن حزم بالمدينة «ان أحصِ المخنثين المغنين» - فتشظى قلم الكاتب فوقعت نقطة حبر على ذروة الحاء، فكان أن بانَت الكلمة: إحصِ المخنثين المغنين - وكان ما كان مما تقدم ذكره.

* مجمع الأمثال: ١/ ٤٥٤ - ٤٥٥. والشعر في الأغاني: ٤/ ٢٧٥، والعقد الفريد: ٦٨/٦ برواية أخرى.

١٩ - أَخَصَبُ من صبيحةِ ليلةِ الظُّلْمَةِ :

وذلك أنه أصابت الناس ليلةً بيغداد ريحٌ جاءت بما لم تأت به قطُّ

(١) اللَّبَّةُ : موضع القلادة من العنق .

(٢) الحِجْرُ : أنثى الخيل . واستودقت له : دنت منه .

(٣) ضبعت الدابة : أرادت الفحل واشتدت شهوتها .

(٤) نَبُّ التيس : صاح . واستحرمت : أرادت الفحل .

ريح، وذلك في أيام المهدي، فألْفِي ساجداً وهو يقول: اللهم احفظنا واحفظ نبيك فينا عليه السلام، ولا تشمّت بنا أعداءنا من الأمم، وإن كنت يا رب أخذت الناس بذنبي فهذه ناصيتي بيدك، فارحمنا يا أرحم الراحمين، في دعاء كبير حُفِظَ منه هذا. فلما أصبح تصدّق بألف ألف درهم، وأعتق مائة رقبة، وأحجّ مائة رجل، ففعل مثل ذلك جُلّ قواده وبطانته والخيزران ومن أشبه هؤلاء، فكان الناس بعد ذلك إذا ذكروا الخصب قالوا: أخصب من صبيحة ليلة الظلمة.

* مجمع الأمثال: ١/٢٦٢.

٢٠ - الشّماتة لؤم:

قاله أكثم بن صيفي^(١) التميمي، أي لا يفرح بنكبة الإنسان إلا من لؤم أصله. وقال:

إذا ما الدهرُ جرَّ على أناسٍ كَلَاكَلُهُ أَنَاخُ بآخرينا
فَقُلْ لِلشّامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

وفي حديث أيوب عليه السلام أنه لما خرج من البلاء الذي كان فيه قيل له: أي شيء كان أشدّ عليك من جملة ما مرّ بك؟ قال: شماتة الأعداء.

* مجمع الأمثال: ١/٣٦٧.

٢١ - صارت الفتيان حُمماً:

هذا من قول الحمراء بنت ضمرة بن جابر؛ وذلك أن بني تميم قتلوا سعد ابن هند أخا عمرو ابن هند الملك، فنذر عمرو ليقْتلنَّ بأخيه مائة من بني

(١) حكيم العرب في الجاهلية وأحد المعمرين. أدرك الإسلام وقصد المدينة في مائة من قومه يريدون الإسلام فمات في الطريق. وهو المعني في الآية الكريمة: ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾.

تميم، فجمع أهل مملكته فسار إليهم، فبلغهم الخبر، فتفرقوا في نواحي بلادهم، فأتى دارهم فلم يجد إلا عجوزاً كبيرة وهي الحمراء بنت ضمرة. فلما نظر إليها وإلى حمرتها قال لها: إني لأحسبُك أعجمية!

فقالت: لا والذي أسأله أن يخفض جناحك، ويهدِّد عمادك، ويضع وسادك، ويسلبك بلادك، ما أنا بأعجمية!. قال: فمن أنت؟ قالت: أنا بنت ضمرة بن جابر، ساد مَعَدًّا كبيراً عن كابر، وأنا أخت ضمرة بن ضمرة.

قال: فمن زوجك؟ قالت: هُوَذَّة بن جرول. قال: وأين هو الآن؟ أما تعرفين مكانه؟ قالت: هذه كلمة أحمق، لو كنت أعلم مكانه حال بيني وبينك. قال: وأي رجل هو؟ قالت: هذه أحمق من الأولى، أعن هُوَذَّة يُسأل؟

هو والله طيِّب العَرَق، سمين العَرَق^(١)، لا ينام ليلة يخاف، ولا يشبع ليلة يُضاف، يأكل ما وجد ولا يسأل عما فقد.

فقال عمرو: أما والله لولا أنني أخاف أن تلدي مثل أبيك وأخيك وزوجك لاستبقيتُك فقالت: وأنت والله لا تقتل إلا النساء، أعاليها تُدِّي وأسافلها دُمي^(٢)، والله ما أدركت ثأراً، ولا محوت عاراً، وما من فعلت هذه به بغافل عنك، ومع اليوم غد.

فأمر بإحراقها. فلما نظرت إلى النار قالت: «ألا فتى مكان عجوز؟» فذهبت مثلاً. ثم مكثت ساعة فلم يفدها أحدٌ فقالت: هيهات! «صارت الفتیان حمماً» فذهبت مثلاً. ثم ألقيت في النار.

ولبث عمرو يومه هذا لا يقدر على أحد، حتى إذا كان آخر النهار أقبل راكبٌ يسمى عماراً توضع^(٣) به راحلته حتى أناخ إليه، فقال له عمرو: من

(١) العَرَق: العظم أخذ عنه معظم اللحم وبقي عليه لحوم رقيقة طيبة.

(٢) المراد أنها غير مهياة للمواجهة والقتال.

(٣) توضع به: تسير به سيراً سريعاً.

أنت؟ قال: أنا من البراجم. قال: فما جاء بك إلينا؟

قال: سطع الدخان، وكنت قد طويت^(١) منذ أيام فظننته طعاماً. فقال عمرو: «إنَّ الشقيَّ وافدُ البراجم» فذهبت مثلاً. وأمر به فألقي في النار، فقال بعضهم: ما بلغنا أنه أصاب من بني تميم غيره، وإنما أحرق النساء والصبيان. * مجمع الأمثال: ٢١٦/٢.

٢٢ - إذا ما القارظُ العنزِيُّ آبا:

قال ابن الكلبي: هما قارطان، كلاهما من عنزة. فالأكبر منهما هو - يذُكُرُ بن عنزة لصلبه، والأصغر هو رُهم بن عامر بن عنزة. كان من حديث الأول أن خزيمة بن نهد كان عشيقَ ابنة يذُكُرُ وهو القائل فيها: إذا الجوزاءُ أردفت الثرياً ظننتُ بآلِ فاطمةَ الظنونا ثم إن يذُكُرُ وخزيمة خرجا يطلبان القَرظَ^(٢)، فمرًا بهوّة من الأرض فيها نخل، فنزل يذكر يشتارُ عسلاً، ودلاًه خزيمة بحبل. فلما فرغ قال يذكر لخزيمة: أمددني لأصعد. فقال خزيمة: لا والله حتى تزوجني ابنتك فاطمة. فقال: أعلى هذه الحال؟ لا يكون ذلك أبداً! فتركه خزيمة حتى مات. قال: وفيه وقع الشرُّ بين قضاة وريعة.

وأما القارظُ الأصغر، فإنه خرج لطلب القرظ أيضاً، فلم يرجع ولا يُدرى ما كان من خبره، فصار مثلاً في امتداد الغيبة.

قال بشر بن أبي خازم لابنته عند موته:

فَرَجِي الخَيْرَ وانتظري إياي إذا ما القارظُ العنزِيُّ آبا

* مجمع الأمثال: ١٢٨/١.

(١) طوي: جاع.

(٢) القَرظُ: شجر عظام لها سوق غلاظ أمثال شجر الجوز. وهي نوع من أنواع السنط العربي، يستخرج منه صمغ مشهور. والقارظ هو الذي يجني القرظ.

٢٣ - أَعَزُّ مِنْ مَرْوَانَ الْقَرْظِ :

هو مروان بن زنباع العبسي، وكان يحمي القَرْظَ لِعِزِّهِ. ويقال: سُمِّيَ بذلك لأنه كان يغزو اليمن وبها منابت القَرْظِ.

ووصف مروان هذا للمندر ابن ماء السماء، فطلبه. ولما حضر عنده قال له: أنت مع ما حُبِّيتَ به من العزِّ في قومك كيف عَلِمْتُكَ بهم؟ قال: أُبَيِّتَ اللعن^(١)، إني إن لم أعلمهم لم أعلم غيرهم. قال:

ما تقول في عَبْس؟ قال: رمح حديد إن لم تطعن به يطعنك. قال: ما تقول في عبد الله بن غطفان؟ قال: صقور لا تصيدك.

قال: ما تقول في فزارة؟ قال: وادٍ يحمي ويمنع. قال: فما تقول في مُرَّة؟ قال: لا حُرَّ بوادي عوف.

قال: فما تقول في أشجع؟ قال: ليسوا بداعيك ولا بمجيبك. قال: فما تقول في ثعلبة بن سعد؟ قال: أصوات ولا أنيس.

* مجمع الأمثال: ٣٩١/٢.

٢٤ - أَبْلَغُ مِنْ قُسِّ :

هو قُسُّ بن ساعدة بن خُذاقة بن زهير بن إياد بن نزار، الإيادي، وكان من حكماء العرب وأَعْقَلَ من سُمِعَ به منهم.

وهو أول من كتب: «من فلان إلى فلان» وأوَّل من أقرَّ بالبعث من غير علم، وأول من قال: «أما بعد» وأول من قال: «البيِّنة على من ادَّعى واليمين على من أنكر». وقد عُمِّرَ مائة وثمانين سنة. قال الأعشى:

وأبْلَغُ مِنْ قُسِّ وَأَجْرَى مِنْ الَّذِي بَدِي الْغَيْلِ مِنْ حَقَّانَ أَصْبَحَ خَادِرًا^(٢)

(١) أُبَيِّتَ اللعن: أي لا فعلت ما تستوجب به اللعن؛ وهي تحية الملوك في الجاهلية.

(٢) قوله: وأجرى من الذي... الخ. يعني أنه أسرع من أسد اتخذ من عربنه (غيله) خدرًا =

وأخبر عامر بن شراحيل الشعبي عن عبد الله بن عباس أن وفد بكر بن وائل قدموا على رسول الله ﷺ فلما فرغ من حوائجهم، قال: هل فيكم أحد يعرف قس بن ساعدة الإيادي؟ قالوا: كلنا نعرفه. قال: فما فعل؟ قالوا: هلك. فقال الرسول ﷺ: «كأنني به على جمل أحمر بعكاظ قائماً يقول:

أيها الناس، اجتمعوا واستمعوا ووعُوا، كلُّ من عاش مات، وكلُّ من مات فات، وكلُّ ما هو آتٍ آتٍ. إن في السماء لخبراً، وإن في الأرض لغيراً. مهادٌ مَوْضوع، وسقفٌ مرفوع.

ليلٌ داج، وسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج. أقسم قس حقاً لئن كان في الأرض رضاً ليكوننَّ بعده سحطاً، وإن لله عزتٌ قدرته ديناً هو أحبُّ إليه من دينكم الذي أنتم عليه.

مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون؟ أرضوا فأقاموا، أم تركوا فناموا؟ ثم أنشد أبو بكر شعراً حفظه له، وهو قوله:

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيتُ موارداً للموت ليس لها مصائد
ورأيتُ قومي نحوها يسعى الأصاغِرُ والأكابِرُ
لا يرجعُ الماضي إليّ ولا من الباقيين غابِرُ
أيقنتُ أني لا محالة حيث صار القومُ صائرُ

* مجمع الأمثال: ١١١/١.

٢٥ - أَكَلُ مِنَ السُّوسِ :

وفي مثل آخر: العيال سوسُ المال. وقيل لخالد بن صفوان بن الأهتم: كيف ابنك؟ فقال: سيد فتیان قومه ظرفاً وأدباً. فقيل: كم ترزقه في

= ذلك في موضع يقال له خفان، وهو مأسدة معروفة بين الثني وعذيب.

الشهر؟ قال: ثلاثين درهماً. فقيل: وأين يقع منه ثلاثون درهماً؟! هلاًّ تزيد وأنت تستغلّ ثلاثين ألفاً؟ فقال: الثلاثون أسرع في هلاك مالي من السوس في الصوف في الصيف. فحكى كلامه للحسن فقال: أشهد أن خالداً تميميّ لرشده! وإنما قال الحسن ذلك لأن بني تميم معروفون بالبخل والنهم.

* مجمع الأمثال: ١/١٤٨. والدررة الفاخرة: ١/٧٢.

٢٦ - أَكْثَرُ مِنَ الصِّدِيقِ فَإِنَّكَ عَلَى الْعَدُوِّ قَادِرٌ :

أول من قال هذا فيما ذكر الكلبي: أبجر بن جابر العجلي. وكان من خبر ذلك أن حجّار بن أبجر كان نصرانياً، فرغب في الإسلام، فأتى أباه فقال: يا أبت، إني أرى قوماً قد دخلوا في هذا الدين ليس لهم مثل قومي، ولا مثل آبائي، فتشرفوا، فأحبّ أن تأذن لي فيه. فقال: يا بني، إذا أزمعت على هذا فلا تعجل حتى أقدم معك على عُمر فأوصيه بك، وإن كنت لا بُدَّ فاعلاً فخذُ مني ما أقول لك: إياك وأن تكون لك همّةٌ دون الغاية القصوى، وإياك والسامة فإنك إن سئمت قذفتك الرجال خلف أعقابها، وإذا دخلت مصرأ فأكثر من الصديق، فإنك على العدو قادر. وإذا حضرت باب السلطان فلا تنازعنَّ بوابه على بابه، فإن أيسرَ ما يلقاك منه أن يعلقك اسماً يسبُّك الناس به.

وإذا وصلت إلى أميرك فبؤىء لنفسك منزلاً يجمل بك، وإياك أن تجلس مجلساً يقصر بك. وإن أنت جالست أميرك فلا تجالسه بخلاف هواه، فإنك إن فعلت ذلك لم آمن عليك. وإياك والخُطْبُ فإنها مشوارٌ كثير العثار. ولا تكن حلواً فتزدرذ، ولا مرأاً فتلقظ. واعلم أن أمثل القوم تقيّة الصابر عند نزول الحقائق الذّابُّ عن الحُرْم.

* مجمع الأمثال: ٣/٤٥.

٢٧ - إِذَا جَاءَ الْحَيْنَ حَارَتِ الْعَيْنُ :

قال أبو عبيد: وقد روي نحو هذا عن ابن عباس، وذلك أن نجدة

الحروريّ أو نافعاً الأزرق قال له : إنك تقول إن الهدهد إذا نَقَرَ الأرض عرف مسافة ما بينه وبين الماء وهو لا يبصر شعيرة الفخ ! فقال : إذا جاء القَدْر عمي البَصْر ! .

* مجمع الأمثال : ٢٠ / ١ .

٢٨ - إنه لَهْتَرُ أَهْتَار :

الهْتَرُ : العجب والداهية . يضرب للرجل الداهي المنكر . قال بعضهم : الهْتَرُ في اللغة العَجَبُ ، فسمي الرجل الدَاهِي به ، كأن الدهر أبدعه وأبرزه للناس ليعجبوا منه . والهتر : الباطل ، فإذا قيل : «فلان هتر» أي من دهائه يعرض الباطل في معرض الحق ، فهو لا يخلو أبداً من باطل ، فجعلوه نفس الباطل كقول الخنساء :

ترتع ما رتعت حتى إذا أدكرت فإنما هي إقبال وإدبار
وأضافه إلى أجناسه إشارة إلى أنه تميّز منهم بخاصية يفضلهم بها ،
ومثله «صل أصلال» وأصله الحيّة تكون في الصلّة وهي الأرض اليابسة .
* مجمع الأمثال : ٢٧ / ١ .

٢٩ - أنا ابنُ جَلَا :

يضربُ للمشهور المتعالم . وهو من قول سُخَيْم بن وَثِيل الرّياحي :
أنا ابنُ جَلَا وطلأُ الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني
وتمثل به الحجّاج على منبر الكوفة .

قال بعضهم : ابنُ جَلَا هو النهار . وحكي عن عيسى بن عمر أنه كان لا يصرف رجلاً يسمى بضرب ، ويحتج بهذا البيت ويقول : لم ينون «جَلَا» لأنه على وزن مَعَل . قالوا : وليس له في البيت حجة ؛ لأن الشاعر أراد الحكاية ، فحكي الاسم على ما كان عليه قبل التسمية ، وتقديره : أنا ابن الذي يقال له جَلَا الأمور وكشفها .

* مجمع الأمثال: ٣١/١.

٣٠ - إذا زلَّ العالمُ زلًّا بزلته عالمٌ:

لأن للعالم تبعاً فهم به يقتدون. قال الشاعر:

إنَّ الفقيهَ إذا عَوَى وأطاعهُ قومٌ عَوَوْا معه فضعاضٌ وضِيَعاً
مِثْلَ السفينةِ إن هَوَتْ في لُجَّةٍ تغرَّقُ ويغرَّقُ كلُّ ما فيها معاً
* مجمع الأمثال: ٤٤/١.

٣١ - أمكراً وأنت بالحديد؟!!

هذا المثل قاله عبد الملك بن مروان لعمرو بن سعيد لما قبض عليه وكبَّله. فقال: يا أمير المؤمنين، إن رأيت أن لا تفضحني بأن تخرجني إلى الناس فتقتلني بحضرتهم فافعل. وإنما أراد عمرو بهذه المقالة أن يخالفه عبد الملك ويخرجه فيمنعه أصحابه منه.

فقال عبد الملك: أبا أمية، أمكراً وأنت في الحديد؟! يضرب لمن أراد أن يمكر وهو مقهور.
* بلوغ الأرب: ١٩/٣.

٣٢ - أسدٌ عليٌّ وفي الحروبِ نعامةٌ:

قال هذا المثل الشاعر عمران بن حطان^(١).

ذكر صاحب الأغاني أن غزاة الحرورية - من الخوارج - لما دخلت على الحجاج هي وشبيب بن شبَّة بالكوفة، تحصن منها وأغلق قصره عليه، فكتب إليه عمران بن حطان، وقد كان الحجاج لجَّ في طلبه:

(١) عمران بن حطان السدوسي الشيباني الوائلي: رأس الصفرية من الخوارج، وخطيبهم وشاعرهم. توفي سنة ٨٤ هـ / ٧٠٣ م.

أسدٌ عليٌّ وفي الحروب نعامةٌ فَتْخَاءُ^(١) تنفر من صفير الصافرِ
 هلاً برزت إلى غزاةً في الوعى بل كان قلبك في جناحي طائرِ
 صدعت غزاةً قلبه بفوارسٍ تركت مدابره كأمسِ الدابرِ
 * عيون الأخبار: ١/١٧٠. والعقد الفريد: ٥/٣٠٢. وشرح نهج البلاغة: ١٦/١٢٦.

٣٣ - أَقْرَى من مَطَاعِيمِ الرِّيحِ :

زعم ابن الأعرابي أنهم أربعة: أحدهم عمُّ أبي محجنِ الثقفي، ولم
 يسمِّ الباقيين. وقيل: هم كنانة بن عبد ياليل الثقفي عم أبي محجن، وليد بن
 ربيعة وأبوه، كانوا إذا هبَّت الصُّبا^(٢) أطعموا الناس؛ وخصُّوا الصُّبا لأنها لا
 تهبُّ إلا في جَدْب.

قالت بنت لييد:

إذا هبَّت رياحُ بني عقيلٍ ذكرنا عند هبَّتِها وليدا
 أشمَّ الأنفَ أبيضَ عَبْشَمِيًّا^(٣) أعان على مروءته لبيدا
 والوليد هو ابن عقبة، وكان والياً على الكوفة. وعندما هبَّت ریح الصبا
 ذكّر الناس بفعل لييد وأرسل إليه مساعدة من أجل ذلك.
 * مجمع الأمثال: ١٢٧/٢.

٣٤ - أَقْرَى من زاد الرِّكبِ :

زعم ابن الأعرابي أن المثل من أمثال قريش، ضربوه في ثلاثة من
 أجوادهم: مسافر بن أبي عمرو بن أمية، وأبي أمية بن المغيرة، والأسود بن

(١) الفتخاء: اللينة الجبابة.

(٢) الصُّبا: ريح مهبطها من مشرق الشمس إذا استوى الليل والنهار.

(٣) العبشمي: نسبة إلى عبد شمس من قريش.

المطلب بن أسد بن عبد العزى . سموا زاد الركب لأنهم كانوا إذا سافروا مع قوم لم يتزودوا معهم .

* مجمع الأمثال: ٥٣٤/٢ . والدرة الفاخرة: ٣٥٦/٢ .

٣٥ - أقرى من حاسي الذهب:

هذا أيضاً من قريش، وهو عبد الله بن جُدعان التيمي الذي قال فيه أبو الصلت الثقفى:

له داعٍ بمكة مُشْمَعِلٌ وآخرُ فوق دارته ينادي^(١)
إلى رُدْحٍ من الشَّيزَى مِلاءٍ لُبَابِ الْبُرِّ يُلَبِّكُ بِالشُّهادِ^(٢)
وسمي «حاسي الذهب» لأنه كان يشرب في إناء من الذهب .

* مجمع الأمثال: ١٢٧/٢ .

٣٦ - أقرش من المجيرين:

القرش: الجمع والتجارة . والتقرش: التجمع . ومن هذا سميت قريش قريشاً . زعم أبو عبيدة أن أربعة رجال من قريش، وهم أولاد عبد مناف بن قصي، أولهم هاشم، ثم عبد شمس، ثم نوفل، ثم المطلب - بنو عبد مناف - سادوا بعد أبيهم، لم يسقط لهم نجم^(٣)، جبر الله تعالى بهم قريشاً فسموا المجيرين . وذلك أنهم وفدوا على الملوك بتجاراتهم، فأخذوا منهم لقريش العصم^(٤) . أخذ لهم هاشم عهداً من ملوك الشام حتى اختلفوا^(٥) بذلك

(١) اشمعل الرجل: ارتفع وأشرف .

(٢) الردح: جمع رداح، وهو العظيم من كل شيء . والشيزى: خشب أسود تعمل منه الجفان ونحوها . والمراد أن له جفاناً عظيماً مليئة بلباب القمح المعجون بالشهد، وذلك علامة الجود .

(٣) أي لم يهبط مقدارهم يوماً بين القبائل .

(٤) العصم: جمع عصام، وهو الجبل تشدُّ به القربة وتحمل . والمراد: أخذ لهم العهود والمواثيق .

(٥) اختلف إلى المكان: تردّد إليه .

السبب إلى أرض الشام وأطراف الروم. وأخذ لهم عبد شمس عهداً من النجاشي الأكبر حتى اختلفوا بذلك السبب إلى أرض الحبشة. وأخذ لهم نوفل عهداً من ملوك الفرس حتى اختلفوا بذلك السبب إلى أرض فارس والعراق. وأخذ لهم المطلب عهداً من ملوك حمير حتى اختلفوا بذلك السبب إلى بلاد اليمن.

* مجمع الأمثال: ٥٣٤/٢. والدرة الفاخرة: ٣٥٦/٢.

٣٧ - أَلَوْتُ بِهِ عِنْقَاءَ مُغْرَبٍ :

ويقال أيضاً: طارت به عنقاء مغربٍ، وحلقت به...

يضرب مثلاً لما يُؤس منه. والعنقاء: طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم. وأغرب: أي صار غريباً. وإنما وصف هذا الطائر بالمغرب لبعده عن الناس، ولم يؤنثوا صفته لأن العنقاء اسم يقع على الذكر والأنثى كالدابة والحية.

قال ابن الكلبي: كان لأهل الرسّ نبيٌّ يقال له حنظلة بن صفوان^(١)، وكان بأرضهم جبل يقال له دَمَخ، مصعده في السماء ميل، وكانت تتناهب طائفة كأعظم ما يكون، لها عنق طويل، من أحسن الطير، فيها من كل لون. وكانت تقع منتصبه، فكانت تكون على ذلك الجبل تنقضُّ على الطير فتأكله. فجاعت ذات يوم وأعوزت الطير، فانقضَّت على صبي فذهبت به، فسميت «عنقاء مغرب» لأنها تغرب كل ما أخذته. ثم إنها انقضَّت على جارية فضمتها إلى جناحين صغيرين ثم طارت بها، فشكوا ذلك إلى نبيهم فقال: اللهم خذها، واقطع نسلها، وسلط عليها آفة، فأصابها صاعقة فاحترقت، فضربت بها

(١) حنظلة بن صفوان الرسي: من أنبياء العرب في الجاهلية. كان في الفترة التي بين الميلاد وظهور الإسلام. وهو من أصحاب «الرسّ» الوارد ذكرهم في القرآن. بعث لهدايتهم فكذبوه وقتلوه. قال ابن خلدون: والرس ما بين نجران إلى اليمن، ومن حضرموت إلى اليمامة.

العرب مثلاً في أشعارها . وأنشد لعنترة بن الأخرس الطائي في مرثية خالد بن يزيد :

لقد حلّقت بالجود فثخاء كاسرٌ كفتخاءٍ دَمَخٍ حلّقت بالحزورِ

٣٨ - أحبها وشيعته بالبعرات :

عن يحيى بن طفيل الجشمي قال : كان عند رجل من قريش امرأة يحبها فسافر عنها ، فقالت : أشيِّعُكَ ، فشيعته ثلاث مراحل . فلما مضى قالت لخدامها : ناولني بكرة وروثة وحصاة فناولها .

فألقت الروثة وقالت : راث خبرك (أي أبطأ خبرك) ، وألقت البكرة وقالت : وعَرَ سفرك ، وألقت الحصاة وقالت : حصّ أترك . فسمعها رجلٌ على الماء فلحقه . فقال له : ما هذه منك ؟ قال : امرأتي وتحبني .

٣٩ - أسدة من بني أسد :

عن خالد الحذاء قال : خطبتُ امرأة من بني أسد ، فجئت لأنظر إليها ، وبينني وبينها رواق يشفّ^(١) . فدعت بجفنة^(٢) مملوءة ثريداً مكللة باللحم ، فأتت على آخرها . وأتت بوعاء مملوء لبناً أو نبيذاً فشربته حتى كفأته^(٣) على وجهها ، ثم قالت : يا جارية ، إرفعي السجف^(٤) ، فإذا هي جالسة على جلد أسدٍ ، وإذا هي شابة جميلة . فقالت : يا عبد الله أنا أسدة من بني أسد على جلد أسدٍ ، وهذا مطعمي ومشربي ، فإن أحببت أن تتقدم فافعل ، فقلت : أستخير الله وأنظر ، فخرجت ولم أعُد .

* عيون الأخبار : ٩/٤ .

(١) يشفّ : يستبان من خلفه .

(٢) الجفنة : وعاء من فخار أو غيره .

(٣) كفأته : شربت كل ما فيه وكاد يلامس وجهها لأنها أخته لتستخرج كل ما فيه .

(٤) السجف : الستار .

٤٠ - أنا الغريقُ وما خوفي من البَللِ :

قال المتنبي :

والهجر أقتلُ لي مما أراقبهُ أنا الغريقُ فما خوفي من البَللِ
 عاد المتنبي إلى سيف الدولة بعد غيبة تسعة عشر يوماً، فلما دخل
 عليه سأله سيف الدولة عن حاله وهو مستحي فقال أبو الطيب: رأيت
 الموت عندك أحبَّ إليَّ من الحياة عند غيرك. فقال: بل يطيلُ الله في
 عمرك، ودعا له، ثم ركب أبو الطيب وسار معه خلقٌ كثير إلى منزله،
 وأتبعهُ سيف الدولة بالهدايا.

فقال أبو الطيب يمدحه قصيدة أولها :

أجابَ دمعي وما الدّاعي سوى طللٍ دعا فلبّاهُ قبل الرّكبِ والإبلِ
 إلى أن يقول :

لا أكسبُ الذكر إلا من مضاربه أو من سنانٍ أصمّ الكعب معتدلِ
 جاد الأمير به لي في مواهبه فزانها وكساني الدرع في الحللِ
 ومن عليّ بن عبد الله معرفتي بحمله من كعبد الله أو كعلي
 ضاق الزمان ووجه الأرض عن ملكٍ ملء الزمان وملء السهل والجبلِ
 فنحن في جدلٍ والرؤوم في وجَلٍ والبرُّ في شُغلٍ والبحر في خَجَلِ
 من تغلب الغالين الناسَ منصبُهُ ومن عدى أعادي الجبن والبَخَلِ
 والمدح لابن أبي الهيجاء تُنجدُهُ بالجاهلية عينُ العيِّ والخطلِ
 ليت المدائحُ تستوفي مناقبَهُ فما كليب وأهل الأعصر الأوّلِ
 خذ ما تراه ودع شيئاً سمعتَ به في طلعة الشمس ما يُغنيك عن زُحَلِ
 وقد وجدتُ مكانَ القولِ ذا سعةٍ فإن وجدتَ لساناً قائلاً فُقلِ

* شرح ديوان المتنبي للبرقوقي : ٢٠٤ / ٢.

٤١ - إِنَّ الْبَيْعَ مُرْتَخِصٌّ وَغَالٍ :

قالوا: أول من قال ذلك أحيحةُ بن الجُلاح الأوسِيُّ سيِّدُ يثرب . وكان سبب ذلك أن قيس بن زهير العبسي أتاه، وكان صديقاً له، لَمَّا وقع الشَّرُّ بينه وبين بني عامر، وخرج إلى المدينة ليتجهَّز لقتالهم حيث قتل خالد بن جعفر زهيرَ بن جذيمة، فقال قيس لأحيحة: يا أبا عمرو، نُبِّئْتُ أن عندك درعاً فيعينها أو هَبِّها لي، فقال: يا أبا عبس، ليس مثلي يبيع السلاح ولا يفضل عنه . ولولا أنني أكره أن استلثم إلى بني عامر لو هبتها لك ولحملتُك على سوابقِ خيلي، ولكن اشترها بابن لبون فإن البيع مرتخصٌ وغال، فأرسلها مثلاً .

فقال قيس: وما تكره من استلامك إلى بني عامر؟ قال: كيف لا أكره ذلك وخالد بن جعفر الذي قال:

إذا ما أردت العِزَّ في دار يثربِ فنادِ بصوتِ يا أحيحةُ تُمنعِ
رأينا أبا عمرو أحيحةً جازهُ يبيتُ قريرَ العين غير مُروِّعِ
ومن يأتيه من خائف ينسَ خوفهُ ومن يأتيه من جائعِ البطنِ يشبعِ
فضائلُ كانت للجُلاحِ قديمةً وأكرمُ بفخْرِ من خصالكِ أربعِ

فقال قيس: يا أبا عمرو، ما بعد هذا عليك من لوم - ولهي عنه .

* مجمع الأمثال: ٣٠/١ .

٤٢ - أَشَّامٌ مِنَ الْبَسُوسِ :

البسوس في الأصل الناقة التي لا تدر إلاً بالإبساس، وهو أن يقال لها: بُسٌ - بُسٌ، لتسكن فتدر .

وقيل إن البسوس التي أشار إليها هذا المثل هي خالة جساس بن مرة التي أحمرته عندما قتل كليب ناقتها، فوثب عليه فقتله، فهاجت الحرب بين

بكر وتغلب أربعين سنة لذلك قيل: أشأم من البسوس.

وروي أن رجلاً من بني إسرائيل أعطي ثلاث دعوات يُستجاب له فيها، وكان له امرأة يقال لها البسوس، وكان لها ولد، وكانت له محبة. فقالت: اجعل لي منها دعوة واحدة، فأجابها: لك ذلك. فقالت: ادعُ الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل، ففعل، فصارت من أجمل النساء لا تضاهيها امرأة في الجمال.

وعند ذلك استخفَّت بزوجها، ورغبت عنه، فغضب زوجها ودعا الله أن يمسحها كلبة نباحة فمسخت. إلا أن أولادها غضبوا وقالوا لوالدهم: ليس لنا على هذا قرار، ولا نرضى أن تكون أمنا كلبة تعيرنا الناس بها، فادعُ الله أن يعيدها إلى الحال التي كانت عليها، فلم يجد الرجل بدأ من النزول عند رغبتهم، فدعا الله أن يعيدها إلى حالتها الأولى، فعادت كما كانت. فذهبت الدعوات الثلاث فصارت مثلاً في الشؤم، وقيل: أشأم من البسوس.

* مجمع الأمثال: ١/٣٧٤. والمستقصى: ١/١٧٧. ولسان العرب (بس).

٤٣ - أثقل من الكانون:

حكى المفضل عن الفراء أن من كلامهم^(١): «قد كَثَوْنَتْ علينا» أي ثَقُلَتْ علينا. وحكى عن الأصمعي أن الكانون هو الذي إذا دخل على قوم وهم في حديث كَثَوْنَا عنه، قال: ولا أعرف هذه العبارة ما معناها. وحكى عن أبي عبيدة أنه «فاعول» من كَثُنْتُ الشيء إذا أخفيته وسترته. قال: ومعناه أن القوم يكونون حديثهم عنه. وأنشد للحطيئة في هجاء أمه وكان من العققة^(٢):

جزاكِ اللهُ شراً من عَجوزٍ ولقائكِ العُقوقِ من البنينا

(١) أي من كلام العرب.

(٢) العققة: جمع عاق وعقوق. وعوُّ أباه وأمه: استخف بهما وعصاهما وترك الإحسان لهما.

تنحني فاقعدي مني بعيداً أراح الله منك العالمينا
 أغزبألاً إذا استودعت سرأً وكانوناً على المتحدثينا
 ألم أظهرك الشحناء^(١) مني ولكن لا إخالك تعقلينا
 حياتك ما علمت حياةً سوءً وموتك قد يسر الصالحينا

وقال الطبري: قولهم «أثقل من كانون» فيه وجهان؛ أحدهما أن الكانون عند الروم الشتاء، ويحتاج فيه إلى النفقة ما لا يحتاج إليه في الصيف؛ فهو ثقيل من هذه الجهة. قال الشاعر:

لعنة الله والرسول وأهل الـ أرض طراً على بني مظعون
 بعث في الصيف عندهم قبة الخيـ ش وبعث الكانون في الكانون
 والثاني أن الكانون ثقيل، فإذا وُضع لم يحرك ولم يرفع إلى آخر
 الشتاء، فقليل لكل ثقيل: يا أثقل من كانون!

* مجمع الأمثال: ١٥٦/١.

٤٤ - أنقى من مرآة الغريبة:

يعنون التي تتزوج من غير قومها، فهي تجلو المرآة أبداً، لثلا يخفى عليها من وجهها شيء. قال ذو الرمة في ناقته:

لها أذن حشراً وذفرى أسيلةً وخذ كمرآة الغريبة أسجح^(٢)

* مجمع الأمثال: ٤٠٨/٣.

٤٥ - أنوم من الفهد:

لأن الفهد أنوم خلق الله وليس نومه كنوم الكلب، لأن الكلب نومه

(١) الشحناء: البغضاء.

(٢) أذن حشراً: أي لطيفة، كأنها حشرت حشراً. والذفرى الأسيلة: العظم الأملس خلف الأذن. والأسجح: السهل المنبسط.

نعاس، والفهد نومه مصمت. وليس شيء في جسم الفهد، أي في حجم الفهد، إلا والفهد أثقل منه، وأحطم لظهر الدابة.

وقالت امرأة من العرب: زوجي إذا دخل فهد، وإذا خرج أسد، يأكل ما وجد، ولا يسأل عما عهد.

* مجمع الأمثال: ٤١١/٣. والدرة الفاخرة: ٤٠٠/٢.

٤٦ - أَنْكَدُ من تالي النجم:

يعنون بالنجم الثريا، وتاليه الدبران. قال الأخطل:

فهلأً زجرت الطير إذا جاء خاطباً بضيقاً بين النجم والدبران^(١)

وقال الأسود بن يعفر يصف رفعة منزلته:

نزلتُ بحادي النجم يحدو قرينه وبالقلب قلبُ العقرب المتوقد

والعرب تقول: إن الدبران خطب الثريا، وأراد القمر أن يزوجه، فأبت عليه وولت عنه، وقالت للقمر: ما أصنع بهذا السُبروت^(٢) الذي لا مال له، فجمع الدبران قلاصه^(٣) يتمول بها، فهو يتبعها حيث توجهت، يسوق صداقها (أي مهرها) قدامه، يعنون القلاص.

وإن الجدي قتل نعشاً، فبنائه تدور به تريده. وإن سهيلاً ركض وراء الجوزاء فركضته^(٤) برجلها فطرحته حيث هو، وضربها هو بالسيف فقطع وسطها. وإن الشعري اليمانية كانت مع الشعري الشامية، ففارقتهما وعبرت المجرة، فسميت الشعري العُبور، فلما رأت الشعري الشامية فراقها أياها بكت عليها حتى غمِصت فسميت الغميصاء.

(١) ضَيْقَةٌ: منزل من منازل القمر. (٢) السُبروت: الشيء القليل التافه.

(٣) القلاص: جمع قلووس، وهي من الإبل الفتية المجتمعة الخلق وذلك من حين تتركب إلى التاسعة من عمرها، ومن ثم هي ناقة.

(٤) ركضه: رفسه.

٤٧ - أَخْلَمُ مِنَ الْأَحْنَفِ :

هو الأحنف بن قيس، وكنيته أبو بحر، واسمه صخر، من بني تميم. وكان في رجله حَنْفٌ وهو الميل إلى إنسيها، وكانت أمه ترقصه وهو صغير وتقول:

والله لولا ضعفه من هُزْلِهِ وَحَنْفٍ أَوْ دِقَّةٍ فِي رِجْلِهِ
ما كان في صبيانكم من مثله

وكان حليماً^(١) موصوفاً بذلك، حكيماً معترفاً له به. وكان يقول: كثرة المزاح تذهب بالهيبة، ومن أكثر من شيء عُرف به، والسؤدد كرم الأخلاق وحسن الفعل. وقال: ثلاث ما أقولهنَّ إلا ليعتبر معتبر: لا أخلف جليسي بغير ما أحضر به، ولا أدخل نفسي فيما لا مدخل لي فيه، ولا آتي السلطان أو يرسل إليّ.

وسئل: هل رأيت أحلم منك؟ قال: نعم، وتعلمتُ منه الحلم. قيل: ومن هو؟ قال: قيس بن عاصم المنقري، حضرته يوماً وهو مُخْتَبٍ^(٢) يحدثنا، إذ جاءوا بابن له قتيل، وابن عم له كتيف^(٣)، فقالوا: إن هذا قتل ابنك هذا، فلم يقطع حديثه، ولا نقض حَبْوَتِهِ، حتى إذا فرغ من الحديث التفت إليهم فقال: أين ابني فلان؟ فجاءه، فقال: يا بني قم إلى ابن عمك فأطلقه، وإلى أخيك فادفنه، وإلى أم القتيل فأعطها مائة ناقة فإنها غريبة لعلها تسلو عنه.

* مجمع الأمثال: ٢١٩/١ - ٢٢٠.

(١) الجلم (بكسر الحاء): الأناة وضبط النفس، والعقل. ويقال لمن يتعظ إذا وُعِظ ويتنبه إذا نُبِّه: «إِنَّ الْعَصَا قَرَعَتْ لِذِي الْجَلْمِ». وَخَلْمٌ جَلْمًا: تَأْتَى وَصَفْحٌ وَسَكَنٌ عِنْدَ غَضَبٍ أَوْ مَكْرُوهٍ مَعَ قُدْرَةٍ وَقُوَّةٍ.

(٢) احتبى: جلس على أليته وضَمَّ فخذه وساقه إلى بطنه بذراعيه ليستند.

(٣) الكتيف: المقيد من كتفيه.

٤٨ - أَخْرَقَ مِنْ نَاكِئَةٍ غَزَلَهَا:

ويقال: من ناقضة غزلها. وهي امرأة كانت من قريش يقال لها: أم رَيْطَةَ بنت كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرَّة، وهي التي قيل فيها «خرقاء وجدت صوفاً» والتي قال الله عز وجل فيها: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَبَتْ﴾ [النحل: الآية ٩٢]. قال المفسرون: كانت هذه المرأة تغزل وتأمّر جواربها أن يغزلن ثم تنقض وتأمرن أن ينقضن ما فتلن، فضرب بها المثل في الخرق.

* مجمع الأمثال: ٢٥٦/١.

٤٩ - أَخْرَقَ مِنْ حَمَامَةٍ:

لأنها لا تُحَكِّمُ عَشَّهَا. وذلك أنها ربما جاءت إلى الغصن من الشجرة فتبني عليه عشها في الموضع الذي تذهب به الريح وتجيء، فيبيضها أضيغ شيء، وما ينكسر منه أكثر مما يسلم. قال عبيد بن الأبرص:

عَيُّوا بِأَمْرِهِمْ كَمَا عَيَّتْ بِبَيْضَتِهَا الْحَمَامَةَ^(١)
جَعَلَتْ لَهَا عُودِينَ مِنْ نَشْمٍ وَأَخْرَمَتْ ثَمَامَةَ^(٢)

* مجمع الأمثال: ٢٥٥/١.

٥٠ - انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا:

يروى أن النبي ﷺ قال هذا، ف قيل له: يا رسول الله هذا ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟ فقال ﷺ: «تَرُدُّهُ عَنِ الظُّلْمِ». قال أبو عبيد:

(١) عَيَّتْ: عجزت.

(٢) الثمام: عشب من الفصيلة النجيلية. ويقال: هو على طرف الثمام، إذا كان هين المتناول. والنشم: شجر من الفصيلة الزيزفونية كانت تتخذ منه القسي. والجمع بين الثمام الهش والنشم الصلب هو من علامات الخرق.

أما الحديث فهكذا، وأما العرب فكان مذهبها في المثل نصرته على كل حال.

قال المفضل: وأول من قال ذلك جُندب بن العنبر بن تميم بن عمرو، وكان رجلاً دميماً فاحشاً شجاعاً (روى مناسبة إرساله هذا المثل في قصة مع سعد بن زيد مناة).

قال الميداني: قوله: «أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» يجوز أن يكون «ظالماً أو مظلوماً» حالين من قوله «أخاك» ويجوز أن يكونا حالين من الضمير المستكن في الأمر، يعني: انصره ظالماً إن كنتَ خصمه أو مظلوماً من جهة خصمه، أي لا تُسلمه في أي حال كنت.

* مجمع الأمثال: ٢/ ٣٣٤.

٥١ - بَبَقَّةٌ صُرِمَ الْأَمْرُ:

بَقَّةٌ: موضع بالشام. وهذا القول قاله قصير بن سعد اللخمي لجذيمة الأبرش حين وقع في يد الزباء ملكة تدمر. والمعنى: قُطِعَ هذا الأمر هناك، يعني لما أشار عليه أن لا يتزوجها فلم يقبل جذيمة قوله آنذاك. وروى الميداني قصة غدر الزباء بجذيمة الأبرش في كلامه على المثل «خطبٌ يسيرٌ في خطب كبير» ويضرب المثل «بَبَقَّةٌ صُرِمَ الْأَمْرُ» لمن يستشير بعد فوت الأمر.

* مجمع الأمثال: ١/ ٩٠ و ٢٣٣ - ٢٣٧. والمستقصى في أمثال العرب: ٦/٢.

٥٢ - بَلَّغَ السَّيْلُ الرُّبْيَ:

هي جمع رُبْيَةٍ، وهي حفرة تحفر للأسد إذا أرادوا صيده. وأصلها الراية لا يعلوها الماء فإذا بلغها السيل كان جارفاً مجحفاً. يضرب لما جاوز الحد.

حدث سعيد بن سماك بن حرب عن أبيه عن ابن المعتمر قال: أتيتُ

معاذ بن جبل بثلاثة نفر قتلهم أسد في زُبَيْة، فلم يدر كيف يفتيهم، فسأل علياً وهو محتب بفناء الكعبة، فقال: فُصُوا عليّ خبركم. قالوا: صدنا أسداً في زُبَيْة، فاجتمعنا عليه، فتدافع الناس عليها، فرموا برجل فيها فتعلق الرجل بآخر، وتعلق الآخر بآخر. فهووا فيها ثلاثتهم.

فقضى علي أن للأول ربع الدية، وللثاني نصف الدية، وللثالث الدية كلها. فأخبر النبي ﷺ بقضائه فيهم، فقال: لقد أرشدك الله للحق. * مجمع الأمثال: ١/١٥٨. والمستقصى: ٢/١٤.

٥٣ - بعض الشرّ أهونُ من بعض :

هذا من قول طرفة بن العبد حين أمر النعمان بقتله، فقال: أبا منذرٍ أفنيتَ فاستبقِ بعضنا حَتَانِيكَ بعضُ الشرِّ أهونُ من بعضٍ يُضرب عند ظهور الشرِّين بينهما تفاوت. * ديوان طرفة بن العبد، ص ٢٠٨. ومجمع الأمثال: ١/١٦٤.

٥٤ - بيضةُ العُقر :

قيل: إنها بيضة الديك. يُضرب للشيء يكون مرة واحدة، لأن الديك يبيض في عمره مرة واحدة فيما يقال. قال بشار بن برد: قد زرتني زورةً في الدهر واحدةً ثني ولا تجعلها بيضةً الديك قال أبو عبيدة: يقال للبخيل، يعطي مرة ثم لا يعود: كانت بيضة الديك. فإن كان يعطي شيئاً ثم قطعه قيل للمرة الأخيرة: كانت بيضة العُقر. وقال بعضهم: بيضة العُقر، كقولهم: «بيضة الأنوق»^(١)، والأبلى العقوق» يقال مثلاً لما لا يكون. * ثمار القلوب: ص ٩٦. ومجمع الأمثال: ١/١٦٧.

(١) الأنوق: العقاب أو الرخمة.

٥٥ - بِشَسِ الرَّذْفِ «لا» بعد «نعم»:

الرذف: الرديف. وأنشد ابن الأعرابي:

لا تُثْبِعَنَّ نَعْمَ لا طائِعاً أبداً فإنَّ لا أفسدت من بعدما نَعَمِ
 إن قلت يوماً نَعْمَ بدءاً فتمَّ بها فإنَّ إمضاءها صِنْفٌ من الكرمِ
 قال المهلب بن أبي صفرة لابنه عبد الملك: يا بني، إنما كانت وصية
 رسول الله ﷺ عامَّتُها عِدَاتُ أنفِها أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فلا تبدأ
 بنعم فإن موردها سهل، ومصدرها وعر. واعلم أن «لا» وإن قبُحت فربما
 روَّحت؛ وما قدرت فلا توجب الطمع. وقال سمرة بن جندب: لأن أقول
 للشيء لا أفعله ثم يبدو لي فأفعله أحبُّ إليَّ من أن أقول أفعله ثم لا أفعله.
 قال المثقَّب:

حسنٌ قولٌ نعم من بعد لا وقبيحٌ قول لا بعد نَعَمِ
 * مجمع الأمثال: ٩٨/١.

٥٦ - جَارُ كَجَارِ أَبِي دُوَادٍ:

يعنون كعب بن مامة الإيادي. فإن كعباً كان إذا جاوره رجلٌ فمات -
 وداه، وإن هلك له بعير أو شاة أخلف عليه، فجاءه أبو دؤاد الشاعر مجاوراً
 له، فكان كعب يفعل به ذلك، فضربت العرب به المثل في حسن الجوار،
 فقالوا: كجار أبي دؤاد. قال قيس بن زهير:

أطوفُ ما أطوفُ ثم آوي إلى جَارِ كَجَارِ أَبِي دُوَادٍ
 وقال طرفة بن العبد:

إني كفاني من أمرٍ هممتُ به جَارُ كَجَارِ الحذافي الذي اتَّصفا^(١)

(١) الحذافي: هو أبو دؤاد، جارية بن الحجاج الإيادي. شاعر جاهلي، كان من وُصِّف الخيل المشهورين.

* ديوان طرفة: ص ٢١٥. وشرح شواهد المغني: ٢٢٩/٤. وبلوغ الأرب: ٨١/١.

٥٧ - جَزَاءُ سِنِمَارٍ :

أي جزائي جزاء سِنِمَارٍ؛ وهو رجل رومي بنى قصر الخَوَزَنَقَ الذي بظهر الكوفة للنعمان بن امرئ القيس اللّخمي^(١). فلما فرغ منه ألقاه النعمان من أعلاه فخرّ ميتاً. وإنما فعل ذلك لثلاثي مثله لغيره، فضربت العربُ به المثل لمن يُجزَى بالإحسان الإساءة. قال الشاعر:

جَزَتْنا بنو سعدٍ بحُسنِ فعالنا جزاء سنِمَارٍ وما كان ذا ذَنْبٍ
وقيل: هو الذي بنى أُطَمَ^(٢) أحيحة بن الجلاح^(٣)، فلما فرغ منه قال له أحيحة: لقد أحكمته؟ قال: إني لأعرفُ فيه حجراً لو نُزِعَ لتقوَّضَ من عند آخره. فسأله عن الحجر، فأراه موضعه، فدفعه أحيحةً من الأطم فخرّ ميتاً.

* جمهرة الأمثال: ٣٠٥/١. ومجمع الأمثال: ٢٨٣/١.

٥٨ - تَرَبَّتْ يَدَاكَ :

قال أبو عبيد: يقال للرجل إذا قلَّ ماله «قد تَرَبَّتْ» أي افتقرَ حتى لصق بالتراب. وهذه كلمة جارية على ألسنة العرب، يقولونها ولا يريدون وقوع الأمر، ألا تراهم يقولون: لا أرض لك، ولا أم لك، ويعلمون أن له أرضاً وأماً.

قال المبرد: سُمع أعرابي في سنة قحط بمكة، يقول:

قد كنتَ تسقينا فما بدّا لكَا ربَّ العبادِ ما لنا وما لكَا

(١) كان ملك الحيرة من قبل الفُرس في الجاهلية يعرف بالأعور السائح، وهو باني القصرين

الشهيرين: الخورنق والسدير، ويقال له فارس حليلة.

(٢) الأطم: الحصن والبيت المرتفع. الجمع: أطام.

(٣) شاعر جاهلي من دهاة العرب وشجعانهم. قال الميداني: كان سيد يثرب، وكان له حصنٌ فيها

سمّاه «المستظلّ» وحصن في ظاهرها سماه «الضحيان» (أمثال الميداني: ١٣/١).

أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْغَيْثَ لَا أَبَا لِكَا

قال: فسمعه سليمان بن عبد الملك فقال: أشهد أن لا أبأ له ولا أمّ ولا ولد.

* مجمع الأمثال: ١/١٣٣.

٥٩ - تَرَكَتُهُ تُغْنِيهِ الْجِرَادَاتَانِ :

يُضْرَبُ لِمَنْ كَانَ لَاهِيًا فِي نِعْمَةٍ وَدَعَا.

والجرادتان: قَيْنَتَا معاوية بن بكر أحد العماليق. وإن عاداً لما كذّبوا هوداً عليه السلام توالى عليهم ثلاث سنوات لم يروا فيها مطراً، فبعثوا من قومهم وفداً إلى مكة ليستسقوا لهم، ورأسوا عليهم، قيل بن عنق، ولقيم بن هزال، ولقمان بن عاد.

وكان أهل مكة إذ ذاك العماليق، وهم من بني عمليق بن لاوذ بن سام، وكان سيدهم بمكة - معاوية بن بكر، فلما قدموا نزلوا عليه، لأنهم كانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهراً، وكان يُكرّمهم والجرادتان تغنيانهم، فنسوا قومهم شهراً، فقال معاوية: هلك أخوالي! ولو قلت لهؤلاء شيئاً ظنّوا بي بخلاً، فقال شعراً وألقاه إلى الجرادتين تغنيانه:

أَلَا يَا قَيْلُ وَيَحْكُ قُمْ فَهَيْنِنِم لَعَلَّ اللَّهَ يَبْعَثُهَا غَمَامًا^(١)
فِيَسْقِي أَرْضَ عَادٍ إِنْ عَادَا قَدْ أَمْسَوْا لَا يُبِينُونَ الْكَلَامَا
مِنَ الْعَطَشِ الشَّدِيدِ فَلَيْسَ تَرْجُو لَهَا الشَّيْخَ الْكَبِيرَ وَلَا الْعُلَمَا
وَقَدْ كَانَتْ نَسَاؤُهُمْ بِخَيْرٍ فَقَدْ أَمْسَتْ نَسَاؤُهُمْ أَيَّامِي
وَإِنْ الْوَحْشَ يَأْتِيهِمْ جَهَارًا وَلَا يَخْشَى لِعَادِي سَهَامَا

(١) القَيْلُ: من ملوك اليمن في الجاهلية، دون الملك الأعظم. الجمع: أقيال وأقوال وهينم: دعا الله، أو تكلم وأخفى كلامه.

وأنتم هاهنا فيما أشتهيتم نهاركم وليلكم التماما
فقبَّحَ وفدُكم من وفدِ قومٍ ولا لُقُّوا التحيةَ والسلاما
فلما غنَّتْهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض: يا قوم إنما بعثكم
قومكم، يتغوَّثون بكم، فقاموا ليذعوا، وتخلَّفَ لقمان، وكانوا إذا دعوا
جاءهم نداء من السماء أن سلوا ما شئتم فتعطون ما سألتهم. فدعوا ربهم،
واستسقوا لقومهم، فأنشأ الله لهم ثلاث سحابات: بيضاء، وحمراء، وسوداء.
ثم نادى منادٍ من السماء: يا قَيْلُ اختر لقومك ولنفسك واحدة من هذه
السحاب فقال: أما البيضاء فجفل^(١)، وأما الحمراء فعارض، وأما السوداء
فهطلت، وهي أكثرها ماءً فاخترها.

فنادى منادٍ: قد اخترت لقومك رماداً رمداً، لا تُبقي من عادٍ أحداً، لا
والدأ ولا ولدأ. قال: وسيَّر الله السحابة التي اختارها قَيْلُ إلى عاد، ونودي
لقمان: سَلْ، فسأل عمرَ ثلاثة أنسرٍ، وقيل سبعة أنسر. وكان يأخذ فرخ النسر
من وكره فلا يزال عنده حتى يموت، وكان آخرها لُبْد وهو الذي يقول فيه
النابعة:

أضحَّتْ خلاءً وأضحى أهلها احتملوا أختى عليها الذي أختى على لبْد

* مجمع الأمثال: ٢٣٢/١.

٦٠ - حديثُ خُرَافةٍ:

خرافة هو رجل من بني عُذرة استهوته الجن كما تزعم العرب مدَّة، ثم
لما رجع أخبر بما رأى منهم فكذبوه، حتى قالوا لما لا يمكن: حديث
خُرَافة.

(١) الجفَل: السحاب الذي يريق ماء ثم ينجل ويمضي. والعارض: السحاب المظَل. والهطلت: مطرها متتابع.

وعن النبي ﷺ أنه قال: «خرافة حق» - يعني - ما تحدّث به خرافة عن الجنّ حق.

* مجمع الأمثال: ٣٤٦/١.

٦١ - الحرب سجال:

المساجلة: أن تصنع مثل صنيع صاحبك من جزئي أو سقي. وأصله من السَّجَل، وهو الدلو فيها ماء قلّ أو كثير، ولا يقال لها وهي فارغة: سَجَل. قال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب:

من يساجلني يساجل ماجداً يملأ الدلو إلى عقدي الكرب

وقال أبو سفيان يوم أحد بعدما وقعت الهزيمة على المسلمين: أغلُ هُبَلُ، أغلُ هُبَلُ! فقال عمر: يا رسول الله ألا أجيبه؟ قال: بلَى يا عُمر. قال عمر: الله أعلى وأجلُّ! فقال أبو سفيان: يا ابن الخطاب، إنه يوم الصّمت، يوماً بيوم بدر، وإن الأيام دُول، وإن الحرب سجال. فقال عمر: ولا سَوَاء، قتلتنا في الجنة، وقتلاكم في النار.

فقال أبو سفيان: إنكم لتزعمون ذلك، لقد خبنا إذن وخبرنا!

* مجمع الأمثال: ٣٨٠/١.

٦٢ - حتى يؤوب المثلم:

هذا من أمثال أهل البصرة، يقولون: لا أفعل كذا حتى يؤوب المثلم. وأصل هذا أن عبيد الله بن زياد أمر بخارجي أن يُقتل، فأقيم للقتل، فتحاماه الشرطُ مخافة غيلة الخوارج.

ومرَّ به رجل يعرف بالمثلم - وكان يتَّجر باللقاح والبكاة - فسأل عن الجمع، ف قيل له: خارجي قد تحاماه الناس، فانتدب له، فأخذ السيف وقتله به. فرصده الخوارج ودسّوا إليه رجلين منهم، فقالا له:

هل لك في لقحة من حالها وصفتها كذا؟ قال: نعم، فأخذه معهما إلى دارٍ قد أعدّا فيها رجالاً منهم، فلما توسطها رفعوا أصواتهم: أن لا حكم إلا الله وعَلَوْه بأسياهم حتى بَرَد^(١)؛ فذلك حين قال أبو الأسود الدؤلي:

وَأَلَيْتَ لَا أَسْعَى إِلَى رَبِّ لِقْحَةٍ أَسَاوِمُهُ حَتَّى يَأْوِبَ الْمَثْلُمُ
فَأَصْبَحَ لَا يَدْرِي أَمْرُو كَيْفَ حَالِهِ وَقَدْ بَاتَ يَجْرِي فَوْقَ أَثْوَابِهِ الدَّمُ

* مجمع الأمثال: ١/٣٨٣. وديوان أبي الأسود الدؤلي.

٦٣ - خُذْهُ وَلَوْ بِقُرْطَنِي مَارِيَةَ:

هي مارية بنت ظالم بن وهب، وأختها هند الهنود، امرأة حجر آكل الجرار الكندي. قال أبو عبيدة: هي أمُّ ولد جَفْنَةَ. وقال حسان بن ثابت فيهم:

أَوْلَادُ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرَ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ

يقال: إنها أهدت إلى الكعبة قرطبيها، وعليهما دُرَّتَانِ كَبِيضَتِي حَمَامِ،
لَمْ يَرَ النَّاسَ مِثْلَهُمَا، وَلَمْ يَدْرُوا مَا قِيمَتُهُمَا.

يَضْرِبُ فِي الشَّيْءِ الثَّمِينِ، أَي لَا يَفُوتُكَ بِأَيِّ ثَمَنِ يَكُونُ.

* مجمع الأمثال: ١/٤١٠. وديوان حسان بن ثابت: ص ٣٠٩.

٦٤ - خَالِفْ تُذَكَّرُ:

قال المفضل بن سلمة: أول من قال ذلك الحطيئة - وكان ورد الكوفة فلقي رجلاً فقال له: دلّني على أفتى المصر نائلاً^(٢)، قال: عليك بعُتَيْبَةَ بن النَّهَّاسِ الْعَجَلِيِّ، فمضى نحو داره، فصادفه، فقال: أنت عتيبة؟ قال: لا. قال: فأنت عتّاب؟ قال: لا. قال: إن اسمك لشبيه بذلك، قال: أنا عتيبة، فمن أنت؟

(١) بَرَد: مات.

(٢) المصر: البلد. وأفتاهم نائلاً: أكثرهم عطاءً. والفتوة: هي الحرية والكرم.

قال: أنا جَزُول. قال: ومن جَزُول؟ قال: أبو مليكة؟ قال: والله ما ازددت إلا أعمى. قال: أنا الحطيئة. قال: مرحباً بك.

قال الحطيئة: فحدثني عن أشعر الناس من هو؟ قال: أنت - قال الحطيئة: «خالف تُذكر»، بل أشعر الناس مني الذي يقول^(١):

ومن يجعل المعروف من دون عِرضه يَفِرُهُ، ومن لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمُ^(٢)
ومن يكُ ذا فضلٍ فيبخلُ بفضله على قومِهِ يُستغنَ عنه ويُذمم

قال: صدقت، فما حاجتك؟ قال: ثيابك هذه فإنها قد أعجبتني، وكان عليه مطرف خَزْ، وجبة خَزْ، وعمامة خَزْ. فدعا بثياب فلبسها ودفع ثيابه إليه، ثم قال له: ما حاجتك أيضاً؟ قال: ميرة^(٣) أهلي من حَبِّ وتمر وكسوة، فدعا عوناً له فأمره أن يميرهم وأن يكسو أهله، فقال الحطيئة: العَوْدُ أَحْمَدُ - ثم خرج من عنده وهو يقول:

سُئِلَتْ فلم تبخلْ ولم تُعْطِ طائِلاً فسيان لا ذمَّ عليك ولا حَمْدُ
* مجمع الأمثال: ٤١٠/١.

٦٥ - الحَرَسُ لا يُبْطِلُ الزواج:

يروى أن رجلاً من العرب خطب من آخر ابنته، فقال الأب: قد زوجتك خرساء اللسان، خرساء الدُّمْلُج^(٤)، خرساء الخلخال، فقال: قد تزوجت ورضيت. فلما رُفَّت إليه وجد بلسانها خرس، فذكر ذلك لأبيها فقال الأب: ألم أخبرك أنها خرساء اللسان؟

قال: ظننت أنك تريد أنها قليلة الكلام والصَّخْب، لا أنها عاجزة عن

(١) هو الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى.

(٢) وفرته عرضه وقرأ: إذا أثبتت عليه ولم تُعبه.

(٣) الميرة: الطعام يجمع للسفر ونحوه.

(٤) الدملاج: سوار يحيط بالساعد.

النطق . فترافعا إلى بعض القضاة، فحكم عليه بتمام الزواج، لأن الخرس ليس من العيوب التي يُرَدُّ بها الزواج .

وأقامت عنده، فولدت له أولاداً نجباء فقال في ذلك :

وإن بني الخرساء أمطاراً شتوية إذا العام أزرى بالبخيل المزئد^(١)
 هم النَّفَرُ الحامون في موقفِ الوغى وهم خطباء الحى في كل مشهد
 وكان رجل من «كلب بن وبرة» جالساً مع قومه، فجعلوا يتحدثون وهو ساكت، فقال له بعضهم: «بحق ما سُميتم: «خُرس العرب! أي قليلو الكلام» .

فهذا المعنى اغترَّ الخاطب بقول القائل: «زوّجتك خرساء اللسان» .

وفي المثل: «رُبَّ خَرسٍ أنجى من فرس» .

وذلك أن قوماً من العرب قُتِل منهم رجل، فطلبوا قاتله، فوجدوا أخويه، وكان أحدهما أخرس فلم يقتلوه . وركب الآخر فرساً لينجو فأدركه الطلب فقتل، فقيلت هذه المقالة .

* رسالة الغفران: ٥٢٢/١ .

٦٦ - زَمَنُ الفِطْحَلِ :

يضربُ في شيء قدم عهده .

قالوا: هو زمن لم يُخلق الناس فيه بعد . وهو زمن نوح النبي .

قال الجرمي: سألت أبا عبيدة عنه فقال: الأعراب تقول: ذلك زمن كانت الحجارة فيه رطبة . وروي أن رؤبة بن العجاج نزل ماء من المياها^(٢) فأراد أن

(١) المزئد: البخيل الممسك . وإذا أزرى العام بمثل هذا البخيل فهو إذن عام في غاية الشدة من المَنخَل .

(٢) أي نزل حياً من أحياء العرب، إذ كانوا ينزلون على المياها .

يتزوج امرأة فقالت له المرأة: ما ستك، ما مالك، ما كذا؟ فأنشأ يقول:

تسألني عن السنين كم لي؟

فقلت: لو عُمُرْتُ عُمَرَ الْجِسْلِ^(١)

أو عمر نوح زَمَنَ الْفِطْحَلِ

والصخرُ مبتلُ كطينِ الوَحْلِ

أو أنني أوتيتِ عِلْمَ الْحُكْلِ^(٢)

علمَ سليمانِ كلامِ النملِ

كنتُ رهينَ هَرَمٍ أو قَتْلِ

* مجمع الأمثال: ٣/٣١. ولسان العرب (فطحل).

٦٧ - رجع بخفني حنين:

يضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة:

أصله أن حنيناً كان إسكافياً بالحيرة، وسأومه أعرابي بخفني فاختلفا حتى أغضبه. فلما ارتحل الأعرابي أخذ حنينُ الخفَّين فألقى أحدهما على طريقه، ثم ألقى الآخر بموضع آخر. فلما مرَّ الأعرابي بالخفَّ الأول قال: ما أشبه هذا بخفي حنين، ولو كانا خفَّين لأخذتهما.

ثم مرَّ بالآخر فندم على ترك الأول، فأناخ راحلته وانصرف إلى الأول، وقد كمن له حنين، فأخذ الراحلة، وذهب بها. وأقبل الأعرابي إلى أهله ليس معه غير خفَّي حنين... فذهبت مثلاً.

* نهاية الأرب: ٣/٣٢.

(١) الجِسل: ولد الضبِّ حين يخرج من بيضته. والمراد: لو عُمُرْتُ طويلاً. وفي المثل: لا آتيك سنَّ الجِسل، أي أبداً، لأن سنّها لا تسقط أبداً حتى تموت.

(٢) الحكل: العجم من الطيور والبهائم. وكلامُ الحُكل: كلام لا يفهم.

٦٨ - زَوْجٌ مِنْ عَوْدٍ خَيْرٌ مِنْ قَعُودٍ :

قالته بعض نساء العرب . قالوا: كان ذو الإصبع العدواني غيوراً وله بنات أربع . وكان لا يزوجهن غيراً عليهن . فاستمع إليهن يوماً وقد خلون يتحدثن، فقالت إحداهن: لتقل كل واحدة منا ما في نفسها، ولتصدقن جميعاً .

فاشتهت كل واحدة من الثلاثة زوجاً وصفت من جماله وكماله وسعة حاله، ثم أبت الصغرى أن تتكلم، فقالوا: لا بد أن تقولي، وألحوا عليها فقالت: زوج من عود، خير من قعود، فزوجهن .
* مجمع الأمثال: ١ / ٣٢٠ .

٦٩ - زُرُّ غِبًّا تَزْدَدُ حَبًّا :

قاله معاذ بن صيرم الخزاعي، وكانت أمه من - عك، وكان يكثر من زيارة أخواله، فأقام فيهم زماناً، ثم خرج يتصيد مع بني أخواله . فحمل على غير، فلحقه ابن خاله ويقال له الغضبان . فتخاصما فقال الغضبان:

والله لو كان فيك خير لما تركت أهلك . فقال معاذ: زُرُّ غِبًّا تَزْدَدُ حَبًّا، فذهبت مثلاً . وفي ذلك يقول الشاعر:

إذا شئت أن تُثْقَلَى فزُرْ مُتَوَالِيَا وإن شئت أن تزداد حباً فزُرْ غِبًّا
وقال آخر:

عليك بإغباب الزيارة إنها إذا كثرت كانت إلى الهجر مسلكا
ألم تر أن القطر يُسَامُ دائماً ويُسأل بالأيدي إذا هو أمسكا
* مجمع الأمثال: ١ / ٣٢٢ .

٧٠ - عِشْ عَزِيزاً أَوْ مُتْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ :

هذا المثل قاله المتنبي في قصيدة نظمها في صباه، وفيها تظهر همته

العالية . ومما قال فيها :

مَفْرَشِي صِهْوَةَ الْحِصَانِ وَلَكِ
أَيْنَ فَضْلِي إِذَا قَنَعْتُ مِنَ الدَّهْرِ
عِشْ عَزِيزاً أَوْ مُتْ وَأَنْتِ كَرِيمٌ
لَا كَمَا قَدْ حَيَيْتَ غَيْرَ حَمِيدٍ
فَاطْلُبِ الْعِزَّ فِي لَطْفِي وَدِعِ الدُّ
إِلَى أَنْ يَقُولَ :

مَا بِقَوْمِي شَرَفْتُ بَلْ شَرَفُوا بِي
وَبِهِمْ فَخَرُّ كُلِّ مَنْ نَطَقَ الضُّأ
إِنْ أَكُنْ مَعْجَباً فَعُجْبٌ عَجِيبٌ
لَمْ يَجِدْ فَوْقَ نَفْسِهِ مِنْ مَزِيدٍ
* شرح ديوان المتنبي : ٦٣ / ١ - ٦٤ .

٧١ - عَلَى الْخَبِيرِ سَقَطَتْ :

الخبير : العالم . والخُبر : العلم . وسقطت : أي عثرت ، عبّر عن العثور
بالسقوط ؛ لأن عادة العاثر أن يسقط على ما يعثر عليه .

يقال إن المثل لمالك بن جبير العامري ، وكان من حكماء العرب .
وتمثل به الفرزدق للحسين بن علي رضي الله عنهما حين أقبل يريد العراق ،
فلقيه وهو يريد الحجاز ، فقال له الحسين : ما وراءك؟ قال : على الخبير
سقطت : قلوبُ الناس معك ، وسيوفهم مع بني أمية ، والأمر ينزل من
السماء . فقال الحسين رضي الله عنه : صَدَقْتَنِي .

* مجمع الأمثال : ٢٤ / ٢ .

(١) المسرودة : هي الدرع المنسوجة . وفي البيت إشارة إلى تأهبه الدائم للقتال .
(٢) من نطق الضاد : العرب . العوذ : اللجوء والحماية . الغوث : النصرة .

٧٢ - اعقل وتوكل :

يُضْرَبُ فِي أَخْذِ الْأَمْرِ بِالْحَزْمِ وَالْوَثِيقَةِ . وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ :
أُرْسِلْ نَاقَتِي وَأَتَوَكَّلُ؟ قَالَ : «اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ» .
* مجمع الأمثال : ٢٦/٢ .

٧٣ - العجب كل العجب ، بين جمادى ورجب :

أول من قال ذلك عاصم بن المقشعر الضبي - وكان أخوه أبيدة علق
امرأة الخنيفة بن خشرم الشيباني ، وكان الخنيفة أغير أهل زمانه
وأشجعهم ، وكان أبيدة عزيزاً منيعاً ، فبلغ الخنيفة أن أبيدة مضى إلى امرأته ،
فركب الخنيفة فرسه وأخذ رُمحه وانطلق يريصد أبيدة .

وأقبل أبيدة ، وقد قضى حاجته راجعاً إلى قومه ، وهو يقول :

ألا إنَّ الخنيفةَ فأعلموه كما سمَّاه والده اللعينُ
بهيم اللون محتقر ضئيلُ لئيماتٍ خلأتهُ ضنينُ
أيوعدني الخنيفة من بعيدٍ ولمَّا ينقطع منه الوتينُ
لهوتُ بجارتيه ، وحاد عني ويزعم أنَّه أنف شئونُ
قال : فشدَّ عليه الخنيفة ، فقال أبيدة : أذكرك حرمة خشرم ، فقال :
وحُرمة خشرم لأقتلنك . قال : فأمهلني حتى أستلم^(١) . قال : أويستلم^(١)
الحاسر؟ فقتله ، وقال :

أيا ابن المُشعرٍ لقيت ليثاً له في جوفٍ أيكتيه عرينُ
تقول صددتُ عنك حنأً وجُبناً وإنك ماجدٌ بطلٌ متينُ
وإنك قد لهوتَ بجارتينا فهالكُ أبيدُ لاقاك القرينُ

(١) استلام : لبس اللامة ، وهي الدرع .

ستعلم أيُّنا أحمى ذماراً إذا قُصِرَتْ شمائلُك واليمينُ
لهوْتُ بها فقد بُدِّلْتُ قَبِراً ونائِحَةٌ عليك لها رنينُ
قال: فلما بلغ نعيُّه أخاه عاصماً لبس أطماراً^(١) من الثياب وركب فرسه
وتقلَّد سيفه، وذلك في آخر يوم من جمادى الآخرة، وبادر قتله قبل دخول
رجب، لأنهم كانوا لا يقتلون في رجب أحداً، وانطلق حتى وقف بفناء خباء
الخنيفس فنادى:

يا ابن خَشْرَم! أغيث المرهق فطالما أغيثت، فقال: ما ذاك؟ قال: رجل
من بني ضَبَّة غَصَب أخى امرأته فشدَّ عليه فقتله، وقد عجزت عنه.
فأخذ الخنيفس رمحه وخرج معه، فانطلقا فلما علم عاصم أنه قد بعد
عن قومه داناه حتى قارنه ثم قَتَّعه^(٢) بالسيف فأطار رأسه، وقال:
«العجب كل العجب بين جمادى ورجب» فأرسلها مثلاً، ورجع إلى
قومه.

* مجمع الأمثال: ٣٥٥/٢.

٧٤ - عند جُهَيْنَةَ الخَبْرُ اليَقِينُ:

أحدث الأخنسُ بن كعب في قومه حَدَثاً، فخرج هارباً، فلقيه
الحصين بن عمرو الكلابي فقال له: من أنت؟ ثكلتك أمك؟ فقال له
الأخنس: بل من أنت ثكلتك أمك؟ فردد هذا القول حتى قال الأخنس: أنا
الأخنس بن كعب، فأخبرني من أنت، وإلا أنفذت قلبك بهذا السَّنان. فقال له
الحصين: أنا الحصين بن عمرو الكلابي.

فقال له الأخنس: فما الذي تريد؟ قال: خرجت لِمَا يخرج له الفتيان.

(١) الأطمار: الثياب الخلقة البالية.

(٢) قَتَّعه بالسيف أو السوط أو العصا: علاه به.

قال الأحنس: وأنا خرجتُ لمثل ذلك. فقال له الحصين: هل لك أن نتعاقد ألا نلقى أحداً من عشيرتك أو عشيرتي إلا سلبناه؟ قال: نعم؛ فتعاقدا على ذلك، وكلاهما فاتك يحذُرُ صاحبه!

فلقيا رجلاً فسلباه، فقال لهما: هل لكما أن تردّا عليّ بعض ما أخذتما مني وأدلكما على مغنم؟ قالوا: نعم. فقال: هذا رجل من لخم، قد قدم من عند بعض الملوك بمغنم كثير، وهو خلفي في موضع كذا وكذا. فردّا عليه بعض ماله، وطلبوا اللّخمي، فوجداه نازلاً في ظل شجرة وقُدّامه طعام وشراب، فحياه وحياهما، وعرض عليهما الطعام، فكره كلُّ واحدٍ أن ينزل قبل صاحبه فيفتك به، فنزلا جميعاً، وأكلا وشربا مع اللّخمي.

ثم إن الأحنس ذهب لبعض شأنه، فرجع واللخمي يتشخّط في دمه. فقال الجهني - وهو الأحنس - وسلّ سيفه لأن سيف صاحبه كان مسلولاً: ويحك! فتكّت برجلٍ قد تحرّمتنا بطعامه وشرابه، فقال: اقعد يا أخا جهينة؛ فلهذا وشبهه خرجنا. فشرّبا ساعةً وتحدثا.

ثم إن الحصين قال: يا أخا جهينة؟ أتدري ما صعلّة وما صعل؟ قال الجهني: هذا يوم شرب وأكل؛ فسكت الحصين حتى إذا ظن أنّ الجهني قد نسي ما يُراد به قال: يا أخا جهينة؛ هل أنت للطيّر زاجر؟ قال: وما ذاك؟ قال: ما تقول هذه العقاب الكاسر. قال الجهني: وأين تراها؟ قال: هي ذه. وتناول ورفع رأسه إلى السماء، فوضع الجهني باذرة السيف في نحره، فقال: أنا الزاجر والناحر! واحتوى على متاعه ومتاع اللخمي، وانصرف راجعاً إلى قومه.

فمر ببطينين من قيس يقال لهما: مراح وأنمار، فإذا هو بامرأة تنشد الحصين، فقال لها: مَنْ أنتِ؟ قالت: أنا صخرة أخت الحصين، قال: أنا قتلته. قالت: كذبت! ما مثلك يقتل مثله، أما والله لو لم يكن الحيُّ خلواً ما تكلمت بهذا. فانصرف إلى قومه فأصلح أمرهم، ثم جاءهم، فوقف حيث

يسمعهم وقال :

وكم من ضَيْعَمٍ وَزِدِ هَمُوسٍ
 علوت بِيَاضٍ مفرِقِهِ بَعْضِبِ
 وأضحت عِرْسُهُ ولها عليه
 وكم من فارس لا تزدرية
 كصخرة إذ تُسائل في مراح
 تسائل عن حصين كلِّ ركبِ
 فمن يك سائلاً عنه فعندي
 جهينةٌ معشري وهمو ملوكُ
 إذا طلبوا المعالي لم يهونوا
 إذا شبلين مسكنه العرينُ
 فأضحى في الفلاة له سكونُ
 بُعِيدَ هدوءٍ ليلتها رنينُ
 إذا شخصت لموقعه العيونُ
 وأنمار وعلمهما ظنونُ
 وعند جُهَيْنَةَ الخبرُ اليقينُ
 لصاحبه البيانُ المستبينُ
 إذا طلبوا المعالي لم يهونوا

* مجمع الأمثال: ٣/٢ - ٥.

٧٥ - في بيته يؤتى الحكم :

زعمت العرب عن ألسن البهائم قالوا: إن الأرنب التقطت ثمرة،
 فاختلسها الثعلب فأكلها، فانطلقا يختصمان إلى الضب فقالت الأرنب:
 يا أبا الجسل، فقال: سميعاً دعوت. قالت: أتيناك لنختصم إليك.
 قال: عادلاً حكمتما. قالت: فاخرج إلينا. قال: في بيته يؤتى الحكم -
 قالت: إني وجدت ثمرة. قال: حلوة فكليها. قالت: فاختلسها الثعلب قال:
 لنفسه بغي الخير. قالت: فلطمته، قال: بحقك أخذت. قالت: فلطمني.
 قال: حر انتصر. قالت: فاقض بيننا. قال: قد قضيت. فذهبت أقواله كلها
 أمثالاً.

ومما يشبه ذلك ما حكى أن خالد بن الوليد لما توجه من الحجاز إلى
 أطراف العراق دخل عليه عبد المسيح بن عمرو بن نفيلة - فقال له خالد:
 أين أقصى أترك؟ قال: ظهر أبي. قال: من أين خرجت؟ قال: من
 بطن أمي. قال: علام أنت؟ قال: على الأرض. قال: فيم أنت؟ قال: في

ثيابي . قال : فمن أين أقبلت؟ قال : من خلفي . قال : أين تريد؟ قال : أمامي ،
قال : ابن كم أنت؟ قال : ابن رجل واحد .

قال : أتعتقل؟ قال : نعم وأقيد . قال : أحرَبُ أنت أم سلم؟ قال : سلم .
قال : فما بال هذه الحصون؟ قال بينها لسفيه حتى يجيء حليم فينهاه .

ومثل هذا أن عدي بن أرطأة أتى إياس بن معاوية قاضي البصرة في
مجلس قضائه . وعديُّ كان أمير البصرة ، وكان أعرابيَّ الطبع ، فقال لإياس :
يا هَئاهُ (١) أين أنت؟ قال : بينك وبين الحائط . قال : فاسمع مني . قال :
للاستماع جلست . قال : إنني تزوجت امرأة . قال : بالرفاه والبنين . قال :
وشرطتُ لأهلها ألا أخرجها من بينهم . قال : أوف لهم بالشرط . قال : فأنا
أريد الخروج ، قال : في حفظ الله قال : فأقض بيننا ، قال : قد فعلت . قال :
فعلى من حكمت؟ قال : على ابن أخي عمِّك . قال : بشهادة من؟ قال :
بشهادة ابن أختِ خالتك .

* مجمع الأمثال : ٧٢/٢ .

٧٦ - هذا حِصْرَمٌ :

تزعم العرب أن الثعلب نظر إلى العنقود فرامه فلم ينله ، فقال : هذا
حصرم ! وحكى الشاعر ذلك فقال :

أيها العائبُ سلمى أنت عندي كئُعاله
رامَ عنقوداً فلما أبصر العنقودَ طاله
قال هذا ما حَضُّ لـ ما رأى ألا يناله
وقال أحمد شوقي في هذا :

فقال هذا حِصْرَمٌ رأيتَه في حلبِ

(١) يا هَئاهُ : يا رجل ؛ ولا يستعمل إلا في النداء .

قال له العنقود بل خسئت فاذهب يا غبي
 طول لسان في الهوا وقصّر في الذنب
 * مجمع الأمثال: ٤٠٧/٢. والشوقيات لأحمد شوقي.

٧٧ - تَعَسَتِ الْعَجَلَةُ :

أول من قال هذا - فنّد - مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص، وكان
 أحد المغنين المجيدين، وكان يجمع بين النساء والرجال. وفيه يقول ابن قيس
 الرقيّات:

قل لفنّد يشيّع الأضعانا طالما سرّ عيشنا وكفانا

وكانت عائشة أرسلته يأتيها بنار، فوجد قوماً يخرجون إلى مضر،
 فخرج معهم فأقام بها سنة، ثم قدم فأخذ ناراً، وجاء يعدو فعثر وتبدّد
 الجمر، فقال: تَعَسَتِ الْعَجَلَةُ! وفيه يقول الشاعر:

ما رأينا لغيرابٍ مثلاً إذ بعشناه يجي بالمشملة
 غير فنّد أرسلوه قابساً فشوى حولاً وسبّ العجلة

المشملة: كساء تُجمع فيه المقدحة بالآتها. وقال بعضهم: الرواية
 «المشملة» بفتح الميم، وهي مهبّ الشمال، يعني الجانب الذي بعث نوح
 عليه السلام الغراب إليه ليأتيه بخبر الأرض، أجفّت أم لا؟
 * مجمع الأمثال: ٢٤٣/١.

٧٨ - رَبِّ رَمِيَةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ :

أي ربّ رمية مصيبة حصلت من رامٍ مخطيء، لا أن تكون رمية من غير
 رامٍ، فإن هذا لا يكون قط.

وأول من قال ذلك: الحكم بن عبد يغوث المنقري، وكان أرمى أهل

زمانه وآلى يميناً ليذبحنَّ على الصنم مهاة، ويروى ليذجنَّ^(١)، فحمل قوسه وكنانته فلم يصنع يومه ذلك شيئاً، فرجع كثيراً حزيناً، وبات ليلته على ذلك. ثم خرج إلى قومه فقال: ما أنتم صانعون، فإنني قاتل نفسي أسفاً إن لم أذبحها اليوم؟

فقال له الحصين بن عبد يغوث أخوه: يا أخي دج مكانها عشرة إبل ولا تقتل نفسك. قال: لا، واللات والعزى لا أظلم عاترة، وأترك النافرة^(٢)، فقال ابنه المطعم بن الحكم: يا أبة احملني أرفدك، فقال له أبوه: وما أحمل من رَعشٍ^(٣) وهِلِ جبانٍ فشل، فضحك الغلام وقال:

إن لم تر أوداجها تخالط أمشاجها فاجعلني وداجها^(٤)، فانطلقا، فإذا بمهاة فرماها الحكم فأخطأها، ثم مرّت به أخرى فرماها فأخطأها، فقال: يا أبة أعطني القوس: فأعطاه فرماها فلم يخطئها، فقال أبوه: «ربّ رمية من غير رام».

* مجمع الأمثال: ٢٩٩/١.

٧٩ - خير ذا بشر ذا:

قال أبو نواس:

اسقني وأسق يوسفاً مرّة الطعم قزقفاً
وضع الزق جانباً ومع الزق مصحفاً
خيرُ ذا بشراً فإذا الله قد عفا

- (١) كذا، ولم نقع لها على معنى يناسب المقام. ولعل الصواب: ليودجن. من ودج: أي قطع الأوداج. والأمر منه: دج، وسيأتي.
- (٢) العاترة: المضطربة؛ وهي هنا بمعنى العاترة.
- (٣) الرعش الوهل: المرتعش الضعيف الجبان.
- (٤) الأمشاج: الأوساخ التي تجتمع في السرة. والوداج: عرق في العنق، وهو الذي يقطعه الذابح فلا تبقى معه حياة.

وعكس هذا قول الشاعر:

كُمطعمة الأيتام من كَدِّ فَرْجِهَا حَنَائِكِ لَا تَزْنِي وَلَا تَتَصَدَّقِي

٨٠ - رماه الله بالصُّدَامِ وَالْأَوْلَقِ وَالْجَذَامِ:

الصُّدَامُ: داء يأخذ برؤوس الدواب. والأولق: الجنون. والجذام: داء تتفَرَّح منه الأعضاء وتتعمَّن، وربما تساقط، نعوذ بالله منه ومن جميع الأدوية. والمثل من قول كثير بن المطلب بن أبي وداعة.

قال الرياشي: كتب هشام بن عبد الملك إلى والي المدينة أن يأخذ الناس بسبِّ علي بن أبي طالب عليه السلام. فقال كثير بن أبي وداعة:

لعن الله من يسبُّ حُسَيْنًا وَأَخَاهُ مِنْ سُوقَةٍ وَإِمَامٍ
ورمى اللُّهُ مِنْ يَسْبُ عَلِيًّا بَصُدَامٍ، وَأَوْلَقٍ، وَجُذَامٍ
طُبَّتْ بَيْتًا وَطَابَ أَهْلُكَ أَهْلًا أَهْلَ بَيْتِ النَّبِيِّ وَالْإِسْلَامِ
رَحْمَةُ اللَّهِ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ كُلَّمَا قَامَ قَائِمٌ بِسَلَامٍ
يَأْمَنُ الطَّيْرَ وَالظُّبَاءَ وَلَا يَأْمَنُ رَهْطُ النَّبِيِّ عِنْدَ الْمَقَامِ
قال: فحبسه الوالي، وكتب إلى هشام بما فعل، فكتب إليه هشام يأمره بإطلاقه وأمر له بعطاء.

* مجمع الأمثال: ٣٠٩/١.

٨١ - فِي الصَّيْفِ ضَيَّعَتِ اللَّبْنُ:

يُضْرَبُ لِمَنْ يَطْلُبُ شَيْئًا قَدْ فَوَّتَهُ عَلَى نَفْسِهِ. قِيلَ كَانَتْ زَوْجَةَ الْأَسْوَدِ بْنِ هَرْمَزٍ عَنُودًا فَرُغِبَ عَنْهَا إِلَى امْرَأَةٍ جَمِيلَةٍ مِنْ قَوْمِهِ ثُمَّ جَرَى بَيْنَهُمَا مَا أَدَّى إِلَى الْفِرَاقِ، فَبِعَتْ إِلَى الْأَوْلَى يَسْتَرْضِيهَا، فَقَالَتْ:

أَتْرَكْتَنِي حَتَّى إِذَا عُلِّقْتُ أَبْيَضَ كَالشَّطْنِ

أنشأت تطلب وصلنا في الصيف ضيَّعتِ اللبن^(١)

ويقول وضاح اليمن في نونيته التي يتغزل بها بحبيته روضة:

أتركتني حتى إذا علقْتُ أبيض كالشُّطْنِ

أنشأت تطلب وصلنا في الصيف ضيَّعتِ اللبنِ

لوقيل يا وضاح قم فاختر لنفسك أو تَمَنْ

لم أعد روضةً والذي ساق الحجيجُ له البُدْنُ

* مجمع الأمثال: ٤٣٤/٢، والأغاني: ٢١٥/١.

٨٢ - قلب له ظَهَرَ المِجَنِّ:

يضرب لمن كان لصاحبه على موَدَّة ورعاية ثم حال عن العهد.

كتب أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى ابن عباس حين أخذ من مال البصرة ما أخذ: إني شركتك في أمانتي ولم يكن رجلٌ من أهلي أوثق منك في نفسي، فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كَلِبَ والعدو قد حَرِبَ، قلبت لابن عمك ظهر المجن، لفراقه مع المفارقين، وخذله مع الخاذلين، واختطفت ما قدرت عليه من أموال الأمة اختطاف الذئب الأزلُّ رابية المعزى. اصْحُ رويداً فكأن قد بلغت المدى، وعُرِضَتْ عليك أعمالك بالمحل الذي ينادي به المغترُّ بالحسرة، ويتمنى المضيعُّ التوبة والظالم الرجعة.

* مجمع الأمثال: ١٠١/٢.

٨٣ - كالمستجير من الرمضاء بالنار:

عندما انطلق جَسَّاس ليقتل كليباً، اتبعه ابن عمه يقال له عمرو بن

(١) ويروى دائماً بكسر التاء في أي حال، إذ الخوطب به المذكر والمؤنث والاثنان والجمع، لأن المثل في الأصل خوطبت به امرأة.

الحارث بن ذهل، وقيل الذي اتبعه المزدلف عمرو بن أبي ربيعة، فلم يدركه حتى فتك جساس بكليب، ثم وقف عليه فصاح كليب: يا جساس أغثني بشربة ماء، فقال جساس: تركت الماء وراءك، وانصرف عنه. ولحقه عمرو فقال كليب: يا عمرو أعثني بشربة، فنزل عمرو إليه وجهز عليه فضرب به المثل فقول:

المستجيرُ بعمرو عند كُزْبته كالمستجير من الرمضاء بالنار

* مجمع الأمثال: ١/٣٧٥. أيام العرب، ص ١٤٦. الأغاني: ٤/١٤٢.

٨٤ - سَبَقُ السَّيْفِ الْعَدْلُ:

أول من قال هذا المثل: ضبّة بن أد بن طابخة، وكان له ابنان يقال لأحدهما سعد وللآخر سعيد، فنفرت إبل ضبة تحت الليل، فوجه ابنه في طلبها، فتفرقا فوجدها سعد وردّها، أما سعيد وكان بعيداً عن أخيه فلقيه الحارث بن كعب، وكان على سَعِيد بُرْدَان، فسأله الحارث إياهما، فأبى عليه فقتله وأخذ بُرْدِيَه.

وكان ضبة إذا أمسى فرأى تحت الليل سواداً قال: أسعد أم سَعِيد؟ ومكث ما شاء الله وهو يأمل عودة ابنه.

ثم إنه حجج فوافي عكاظ، فالتقى بالحارث بن كعب ورأى عليه بُرْدِي ابنه سعيد فعرفهما فقال له: هل أنت مخبري ما هذان البردان اللذان عليك؟ قال: بلى، لقيت غلاماً هما عليه فسألته إياهما فأبى علي فقتلته، وأخذت برديه هذين. فقال ضبّة: بسيفك هذا؟ قال نعم! قال: أعطني انظر إليه فإني أظنه صارماً ثم ضربه به حتى قتله، فقول له: يا ضبّة، أفي الشهر الحرام؟ قال: «سبق السيف العدل».

* العقد الفريد: ١/١٤٥. وزهر الآداب: ٣/١٩٧. وجمهرة خطب العرب: ٣/١٤٧.

٨٥ - كَثاقِيَّةٌ لِحُلِيِّ مُسْتَعَارٍ :

قال أحدهم :

مررت بابن هرمة وهو جالس على دكان في بني زريق، فقلت له: يا أبا إسحاق ما يجلسك هاهنا؟ قال: بيت كنت قلته ثم انقطع عليّ الروي فيه وتعذّر علي ما أشتهيه، فأبغضته وتركته - قلت: ما هو؟ قال:

فإنك وأطراحك وصلّ سعدى لأخرى في موذتها نكوب

ثم قال: قلته ثم انقطع بي فيه، فمرّت بي جويرية صفراء مليحة كنت أستحسنها أبداً وأكلمها إذا مرّت بي، فمرّت اليوم فرأيتها وقد ورم وجهها وتغير خلقها، فسألتها عن خبرها فقالت: كان عرس أردت حضوره، فاستعار لي أهلي حلياً وثقبوا أذني لألبسه فورم وجهي وأذناي كما ترى، فردّوه، ولم أشهد العروس. قال ابن هرمة: فاطرد لي الشعر وقلت:

كثاقبة لِحُلِيِّ مُسْتَعَارٍ بأذنيها فشأنهما الثقبوب

فردّت حلّي جارتها إليها وقد بقيت بأذنيها ندوب

وأوله:

عدا رسم القرية فالكثيب إلى ملحاء ليس بها عريب

تأبّد رسمها وجرى عليها سفى الريح والثرب الغريب

فإنك وأطراحك وصل سعدى لأخرى في موذتها نكوب

* الأغاني: ٢١٤/٥.

٨٦ - كأنه جاء برأس خاقان:

قال المفضل بن سلمة في كتابه المترجم بالكتاب الفاخر في الأمثال، قال: العامة تقول: «كأنه جاء برأس خاقان».

وخاقان هذا كان ملكاً من ملوك الترك، خرج من ناحية باب الأبواب،

وظهر على أرمينية، وقتل الجراح بن عبد الله عامل هشام بن عبد الملك عليها، وغلظت نكايته في تلك البلاد.

فبعث إليه هشام بن عبد الملك سعيد بن عمرو الحرشي، وكان مسلمة صاحب الجيش فأوقع سعيد بخاقان، وفضَّ جموعه، واحترز رأسه وبعث به إلى هشام فعظم أثره في قلوب المسلمين، وفخم أمره، ففخر بذلك حتى ضرب به المثل.

* مجمع الأمثال: ٣٠١/١.

٨٧ - رُبَّ أَكْلَةٍ مَنَعَتْ أَكْلَاتٍ :

لأنها تُمرض فيُحْتَمَى من غيرها. وأول من قاله عامر بن الظرب العدواني، وذلك أنه كان يدفع بالناس في الحج فرآه ملك من ملوك غسان فقال: لا أترك هذا العدواني أو أذله؛ فسأله أن يفد عليه بقومه فيكرمه ويحبوه. فلما وفد عليه أكرمه وقومه، ثم لما انكشف له باطن الملك قال لقومه: الرأي نائم والهوى يقظان. فقالوا له: لقد أكرمنا هذا الملك كما ترى وليس بعده إلا ما هو خير منه. فقال: إن لكل عام طعاماً، ورُبَّ أَكْلَةٍ مَنَعَتْ أَكْلَاتٍ. ثم احتال حتى ارتحل عنه وبلغ بلاده. يضرب في التحذير. قال:

ورُبَّةٌ أَكْلَةٍ مَنَعَتْ أَخَاهَا بلذة ساعة أكالات دهر

* المستقصى في أمثال العرب: ٩٤/٢.

٨٨ - كأنها نار الحُبَابِ :

قالوا: الحباب طائر يطير في الظلام كقدر الذباب، له جناح يحمر، يرى في الظلمة كشرارة النار. يقال: نار الحباب، ونار أبي الحباب. قال القطامي:

ألا إنما لنيران قيسٍ إذا شتوا لطارقٍ ليلٍ مثل نار الحباب

وقال الأصمعي: هو رجل كان في الجاهلية، وقد بلغ من بخله أنه كان

إذا أوقد السراج فأراد إنسان أن يأخذ منه أطفأه . فيُضرب المثل به في البخل .
* مجمع الأمثال : ٣٣ / ٣ .

٨٩ - ويلٌ للشجّي من الخلي :

قيل : أول من قاله امرأة كانت في زمن لقمان بن عاد ، وقيل : أكثم بن صيفي لما أتاه ابنه من عند رسول الله ﷺ بكتاب فدعى قومه وحثهم على الإسلام ، فقال مالك بن نويرة : قد خرف شيخكم إنه ليدعوكم إلى الفناء ، ويعرضكم على البلاء ، إن تُجيبوه تفرق جماعتكم ، وتظهر أضغانكم ، ويدل عزيزكم ، فمهلاً مهملًا !

فقال أكثم : ويل للشجّي من الخلي !

يُضرب لسوء مشاركة الرجل صاحبه . يقول : إن الخلي لا يساعد الشجّي على ما به ويلومه . والخلي : الخالي البال .

وأما الرواية الأخرى فذكرها الميداني في قصة المثل «صغراهنّ شراهنّ» . وذلك أن امرأة كانت في زمن لقمان بن عاد ، وكان لها زوج يقال له الشجّي وخليل يقال له الخلي . فنزل لقمان بهم ، فرأى هذه المرأة ذات يوم انتبذت من بيوت الحي ، فارتاب لقمان بأمرها ، فتبعها ، فرأى رجلاً عرض لها ومضيا جميعاً وقضيا حاجتهما . ثم إن المرأة قالت للرجل : إني أتماوت ، فإذا أسندوني في رجمي (قبري) فأتني ليلاً فأخرجني ثم اذهب إلى مكان لا يعرفنا أهله . فلما سمع لقمان ذلك ، قال : ويلٌ للشجّي من الخلي ، فأرسلها مثلاً .

* مجمع الأمثال : ٣٩٨ / ١ و ٣٦٧ / ٢ .

٩٠ - كدودة القرّ :

يقال لمن يتعب نفسه لأجل غيره :

قال أبو الفتح البستي :

ألم تر أنّ المرءَ طولَ حياته معنئى بأمر ما يزال يُعالجُه
كدود القزِّ ينسجُ دائباً ويهلكُ غمّاً وسط ما هو ناسجُه
* مجمع الأمثال: ٤٧/٣.

٩١ - كُفِيَتِ الدَّعْوَةُ:

يقال لمن يدعو بشيء مفروغ منه.

أصل هذا المثل أنّ بعض المجّان نزل براهب في صومعة، وساعده على دينه، وجعل يقتدي به ويزيد عليه في صلاته وصيامه. ثم سرق صليب ذهب كان عنده، واستأذنه لمفارقتة، فأذن له وزوّده من طعامه. ولمّا ودّعه قال له: صَحِّبِكَ الصَّليب، على رسمٍ لهم فيمن يريدون الدعاء له بالخير. فقال الماجن: «كُفِيَتِ الدَّعْوَةُ».

* مجمع الأمثال: ٤٥/٣.

٩٢ - كل غريب للغريب نسيبُ:

قال هذا المثل امرؤ القيس الكندي، في عودته من عند ملك الروم، وكان قد أهداه ملك الروم ثوباً مسموماً، فعندما لبسه سرى السم في جسمه. ومراً في عودته بالحجاز وهو مريض وقد أحس بالموت، فرأى قبراً لامرأة من بنات ملوك الروم اسمها مارية ماتت فقُبرت هناك، قرب جبل يقال له عسيب. فوضع امرؤ القيس يده على القبر وقال:

أجارتنا إن المزارَ قريبُ وإنني مقيمٌ ما أقام عسيبُ

أجارتنا إنا غريبان هاهنا وكلُّ غريبٍ للغريب نسيبُ

* ديوان امرئ القيس.

٩٣ - كل شاةٍ برجلها معلقة:

قال ابن الكلبي: أول من قال ذلك وكيع بن سلمة بن زهير بن إياد - وكان

ولي البيت بعد جرهم - فبنى صرحاً بأسفل مكة عند سوق الخياطين اليوم وجعل فيه أمةً يقال لها حَزْوَرَة - وبها سُمِّيت حَزْوَرَة مكة، وجعل في الصرح سُلماً، فكان يرقاه ويزعم أنه يناجي الله تعالى، وكان ينطق بكثير من الخبر.

وكان علماء العرب يزعمون أنه صديق من الصديقين، وكان من قوله: مرضعةٌ أو فاطمة، ووادعةٌ وقاصمة، والقطيعة والفجيعة، وصلة الرحم، وحسن الكلم. ومن كلامه: «زعم ربكم ليجزيَنَّ بالخير ثواباً وبالشرِّ عقاباً - إنَّ من في الأرض عبيدٌ لمن في السماء. هلكتْ جُرْهُمُ وربلت^(١) إياد، وكذلك الصلاح والفساد.

فلما حضرته الوفاة جمع إياداً فقال لهم: «إسمعوا وصيتي، الكلم كلمتان، والأمر بعد البيان، من رشد فاتبعوه، ومن غوى فافضوه، وكلُّ شاةٍ برجلها معلقة، فأرسلها مثلاً. قال: ومات وكيع فنعي على الجبال، وفيه يقول بشير بن الحجير الإيادي:

ونحن إيادُ عبَادُ الإلهِ ورهطُ مناخيه في سُلْمِ
ونحن ولأهْ حجاب العتيق زمان النخاع على جرهم

يقال: إن الله سلط على جرهم داءً يقال له النخاع، فهلك منهم ثمانون كهلاً في ليلة واحدة سوى الشبان. وفيهم قال بعض العرب:

هكلت جرهمُ الكرام فعالاً وولأهْ البنيَّة الحجابِ
نُخَعُوا ليلَةَ ثمانون كهلاً وشباباً كفى بهم من شبابِ

* مجمع الأمثال: ٤٥/٣.

٩٤ - كلاهما وتَمراً:

أوَّل من قال ذلك عمرو بن حُمران الجعدي. وكان حُمران رجلاً لَسِيناً

(١) ربلت: كثرت ونمت.

مارداً، وإنه خطب صدوف، وهي امرأة كانت تؤيد الكلام وتشجع في المنطق، وكانت ذات مال كثير، وقد أتاها قوم يخطبونها فردتهم، وكانت تتعنت خُطابها في المسألة، وتقول: لا أتزوج إلا من يعلم ما أسأله عنه، ويجيبني بكلام على حده لا يغدوه.

فلما انتهى إليها حُمران قام قائماً لا يجلس، وكان لا يأتيها خاطب إلا جلس قبل إذنها، فقالت: ما يمنعك من الجلوس؟ قال: حتى يؤذن لي، قالت: وهل عليك أمير؟ قال: رب المنزل أحق بفنائها، ورب الماء أحق بسقائه، وكل له ما في وعائه، فقالت: اجلس، فجلس، قالت له: ما أردت؟ قال: حاجة، ولم آتك حاجة. قالت: تُسرُّها أم تُعلِّئها؟ قال: تُسرُّ وتُعلِّئ، قالت: فما حاجتك؟ قال: قضاؤها هيِّن، وأمرها بيِّن، وأنت بها أخبر، وبنُججها أبصر، قالت: فأخبرني بها، قال: قد عرَّضت وإن شئت بيئتُ قالت: مَنْ أنت؟ قال: أنا بَشْر، وُلدتُ صغيراً، ونشأتُ كبيراً، ورأيتُ كثيراً، قالت: فما اسمك؟ قال: مَنْ شاء أخذتُ اسماً، وقال ظُلماً، ولم يكن الاسم عليه حتماً، قالت: فَمَنْ أبوك؟ قال: وَالِدِي الَّذِي وَلَدَنِي، ووالده جَدِّي، فلم يعش بَعْدِي، قالت: فما مالك؟ قال: بعضه ورثته، وأكثره اكتسبته، قالت: فمَنْ أنت؟ قال: من بَشْر كثير عَدده، معروف ولده، قليل صعده، يفنيه أبده. قالت: ما ورثك أبوك عن أوليه؟ قال: حُسْنُ الْهِمَمِ، قالت: فأين تنزل؟ قال: على بساط واسع، في بلدٍ شاسع، قَرِيبُهُ بعيد، وبعيدُهُ قريب، قالت: فَمَنْ قَوْمُكَ؟ قال: الذين أنتمي إليهم، وأجني عليهم، وولدت لديهم، قالت: فهل لك امرأة؟ قال: لو كانت لي لم أطلب غيرها، ولم أضيع خيرها، قالت: كأنك ليست لك حاجة، قال: لو لم تكن لي حاجة لم أنخ ببابك، ولم أتعرض لجوابك، وأتعلق بأسبابك، قالت: إنك لحمران بن الأقرع الجَعْدِي، قال: إن ذلك ليُقال، فزوجه نفسها، وفوضت إليه أمرها.

ثم إنها ولدت له غلاماً فسماه عمرو، فنشأ مارداً مُفَوَّهاً، فلما أدرك جعله أبوه راعياً يرعى له الإبل، فبينما هو يوماً إذ مرَّ به رجل قد أضرَّ به

العَطَشُ والسُّغُوبُ، وعمرو قاعِدٌ، وبين يديه زُبْدٌ وتمرٌ وتامِكٌ^(١)، فَدَنَا منه الرجلُ فقال: أَطْعَمَنِي من هذا الزُّبْدِ والتامِكِ، فقال عمرو: نعم، كِلاهما وتمراً، فأطعم الرجل حتى انتهى، وسَقَاه لَبْنًا حتى رَوِي، وأقام عنده أياماً، فذهبت كلمته مثلاً.

* مجمع الأمثال: ٣١/٤.

٩٥ - كيف أعاودك وهذا أثرُ فأسك :

أصل هذا المثل على ما حَكَّتهُ العرب على لسان الحيَّة، أن أخوين كانا في إبل لهما فأجدبت بلادهما، وكان بالقرب منهما واد خصيب وفيه حيَّة تحميه من كلِّ أحد فقال أحدهما للآخر: يا فلان، لو أني أتيت هذا الوادي المُكَلَّى فَرَعَيْتُ فيه إبلي وأصلحتها، فقال أخوه: إني أخاف عليك الحيَّة، ألا ترى أن أحداً لا يهبط ذلك الوادي إلاَّ أهلكته؟ قال: فوالله لأفعلن، فهبط الوادي ورعى به إبله زمناً. ثم إنَّ الحيَّة نهشته فقتلته.

فقال أخوه: والله ما في الحياة بعد أخي خير، فلأطلبنَّ الحيَّة ولأقتلنَّها أو لأتبعن أخي. فهبط ذلك الوادي وطلب الحيَّة ليقتلها، فقالت الحيَّة له:

ألسَتَ ترى أني قتلتُ أخاك؟ فهل لك في الصُّلح فأدعك بهذا الوادي تكون فيه وأعطيك كلَّ يوم ديناراً ما بقيت؟ قال: أو فاعلة أنت؟ قالت: نعم، قال: إني أفعل، فحلف لها وأعطها الموائيق لا يضُرُّها، وجعلت تُعطيهِ كل يوم ديناراً. فكثر ماله حتى صار من أحسن الناس حالاً.

ثم إنَّه تذكَّر أخاه فقال: كيف ينفعني العيشُ، وأنا أنظر إلى قاتل أخي؟ فعمد إلى فأس فأخذها ثم قَعَدَ لها فمرَّت به فتبعها فضربها فأخطأها ودخلت الجُحر، ووقعت الفأس بالجبل فوق جحرها فأثرت فيه، فلما رأت الحيَّة ما فعل قطعت عنه الدينار، فخاف الرَّجُل شرَّها وندم فقال لها: هل لك في أن

(١) التامِك: السنام.

نتواتق ونعود إلى ما كُنَّا عليه؟ فقالت: كيف أعاودك وهذا أثر فأسك؟
يُضرب لمن لا يفي بالعهد.

وهذا من مشاهير أمثال العرب، قال النابغة الذبياني في هذا:

وإني لألْقَى من ذوي الْعَيّْ منهمُ وما أَضْبَحَتْ تشكو من الشجو سَاهِرَةً
كما لقيت ذات الصفا من حليفتها وكانت تُريه المال غِبًّا وظَاهِرَةً^(١)
فلمَّا رأى أن ثَمَرَ اللُّهُ ماله وأثَّلَ موجوداً وسدَّ مفاقِرَةً^(٢)
أكبَّ على فأسٍ يُجِدُّ غُرَابَهَا مُذَكَّرَةً من المعاولِ بِاتِرَةً^(٣)
فقام لها من فوقِ جُحْرِ مشيِّدٍ ليقتلها أو يُخطيء الكفَّ بِادِرَةً
فلما وقاها الله ضربةً فأسِهِ وللشَّرِّ عينٌ لا تُغْمَضُ ناظره
فقال: تَعَالَى نجعلِ الله بيننا على مألنا أو تُنجزي لي آخِرَةً
فقالت: يمين الله أفعلُ إنني رأيتُكَ مشؤوماً يمينك فاجِرَةً
أبى لي قبرٌ لا يزال مقابلي وضربة فأسٍ فوق رأسي فاقِرَهُ

* مجمع الأمثال: ٢٨/٣. وديوان النابغة الذبياني.

٩٦ - كالكبش يحمل شغرة وزناداً:

يضرب لمن يتعرض للهلاك. وأصله أن كسرى بن قباد ملك عمرو بن هند ملك الحيرة وما يلي ملك فارس من أرض العرب، فكان شديد السلطان والبطش، وكانت العرب تسميه «مُضْرَطَّ الحجارة» فبلغ من ضبطه الناس وقهره لهم واقتداره في نفسه عليهم أن اشتدَّت سنة على الناس حتى بلغت بهم كل مبلغ من الجهد والشدة، فعمد إلى كبش فسَمَّنه حتى إذا امتلأ سمناً

(١) ذات الصفا: الحية.

(٢) أثله: كثره.

(٣) فأس مذكرة: قاطعة. وكذلك يقال للسيف.

علّق في عنقه شفرة وزناداً ثم سرّحه في الناس لينظر هل يجترىء أحد على ذبحه، فلم يتعرض له أحد، حتى مرّ ببني يشكر فقال رجل منهم يقال له علباء بن أرقم اليشكري:

ما أراني إلا آخذ هذا الكبش فأكله، فلامه أصحابه، فأبى إلا ذبحه، فذكروا ذلك لشيخ لهم، فقال:

«إنك لا تعدم الضار، ولكن تعدم النافع»، فأرسلها مثلاً.

وقال قائل آخر منهم: «إنك كائن كقदार على إرم» فذهبت مثلاً.

ولما كثرت اللائمة قال: إني أذبحه، ثم أتى الملك فواضعٌ يدي في يده ومعترف له بذنبي. فإن عفا عني فأهل ذلك هو، وإن كانت منه عقوبة كانت بي دونكم، فذبحه وأكله.

ثم أتى الملك عمرو بن هند، فقال له: أبيت اللعن وأسعدك إلهك، يا خير الملوك إني أذنبت ذنباً عظيماً إليك، وعفوك أعظم منه، فقال: وما ذنبك؟ قال: إنك بلوتنا بكبش سرّحته ونحن مجهودون، فأكلته. قال: أو قد فعلت؟ قال: نعم.

قال: إذن قتلتك، قال: «مليك شيء حَكَمه» فأرسلها مثلاً. ثم أنشده قصيدة في تلك الخُطة، فخلّى عنه، فجعلت العرب ذلك الكبش مثلاً.

* جمهرة الأمثال: ٢١٢/١؛ ومجمع الأمثال: ٢٤/٣.

٩٧ - كأنّ على رؤوسهم الطير:

يضرب مثلاً في الرزانة والحلم والركانة وقلة الطيش والعجلة، حتى كأن على الرؤوس طيراً يخاف أصحابها طيرانها، فهُم سكون لا يتحركون.

* جمهرة الأمثال: ١٤٣/٢.

٩٨ - لا يُصلح العطار ما أفسد الدهرُ :

قال أعرابي في امرأة تزوجها، وقد خطبها شابة طرية فدمسوا إليه عجزاً:

عجوزٌ ترجي أن تكون فتيةً وقد نحل الجنبان واحدودب الظهْرُ
تدسُّ إلى العطار سلعة أهلها وهل يُصلح العطار ما أفسد الدهر
تزوجتها قبل المحاق بليلة فكان محاقاً كلُّه ذلك الشهرُ
وما غرني إلا خضابٌ بكفها وكحل بعينها وأثوابها الصفرُ

* العقد الفريد: ٤٦/٤.

٩٩ - لعنني مُظللٌ كعامر :

أصله أن شابين كانا يجالسان المستوغر بن ربيعة، فقال أحدهما لصاحبه واسمه عامر: إني أخالف إلى بيت المستوغر، فإذا قام من مجلسه فنبهني بصوتك، ففطن المستوغر لفعله، فمنعه من الصياح. ثم أخذ بيده إلى منزله، فقال: هل ترى بأساً؟ قال: لا. ثم أخذه إلى بيت الفتى، فإذا الرجل مع امرأته، فقال المستوغر: لعنني مُظللٌ كعامر فذهبت مثلاً.

يُضرب لمن يطمع في أن يخدعك كما خدع غيرك.

* مجمع الأمثال: ١٢٦/٣.

١٠٠ - مواعيد عرقوب :

ويقال أيضاً: أخلف من عرقوب.

قال كعب بن زهير في قصيدته «بانة سعاد» التي مدح بها النبي ﷺ:

كانت مواعيدُ عرقوبٍ لها مثلاً وما مواعيدُها إلا الأباطيلُ

وعرقوب رجل من العماليق، أتاه أخ له يسأله، فقال له عرقوب: إذا

أطلعت هذه النخلة فلك طَلَعُهَا . فلما أطلعت أتاه للعدة (الوعد) فقال : دعها حتى تصير بلحاً . فلما أبلحت قال : دعها حتى تصير رطباً . فلما أرطبت قال : دعها حتى تصير تمرأ . فلما أتمرت عمد إليها عرقوب من الليل فجَدَّهَا^(١) ولم يعط أخاه شيئاً ، فصار مثلاً في الخُلف .

وقال الشاعر :

وأكذبُ من عرقوب يَثْرَبَ لهجةً وأبينُ شوماً في الحوائج من زُحَلٍ^(٢)

* مجمع الأمثال : ٣١١/٢ . وقصيدة «بانت سعاد» .

١٠١ - لا ناقتي فيها ولا جملي :

يقال لمن لا علاقة له بالأمر . قال الطغرائي في لامية العجم :

فيمَ الإقامةُ بالزوراء لا سكاني بها ولا ناقتي فيها ولا جملي^(٣)

ناءٍ عن الأهل صُفِّرُ الكف منفردٌ كالسيف عُرِّي مثناه عن الخِللِ^(٤)

* معادن الجواهر : ٥٧٥/٣ .

١٠٢ - ولما اشتدَّ ساعده رماني :

يضرب لمن يسيء إليك وقد أحسنت إليه : قال الشاعر معن بن أوس :

فيا عجباً لمن ربَّيتُ طفلاً ألقمه بأطراف البنان

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتدَّ ساعده رماني

وكم علَّمته نظم القوافي فلما قال قافيةً هجاني

(١) جدَّها : قطع ثمرها .

(٢) يَثْرَب (بالتاء وفتح الراء) : موضع قريب من اليمامة . ويروى أن الرجل كان من يثرب ، المدينة المنورة .

(٣) الزوراء : من أسماء بغداد . سميت بذلك لا زورار قبلتها أي انحرافها .

(٤) الصُّفِّرُ : الخالي . والخِلل ، بكسر الخاء وفتح اللام : جمع خِلَّة ، وهي جفن السيف المغشى بالأدم أو بطانة منقوشة يغشى بها غمد السيف .

اعلمه الفتوة كل وقتٍ فلما طرَّ شاربه جفاني^(١)

* المحاسن والمساوىء: ١٢٧/٤. ومجمع الأمثال: ١٣٠/٣.

١٠٣ - ما وراءك يا عصام؟

يضرب مثلاً في استعلام الخبر. وقال بعضهم: هو للنابعة الذيباني.

بعد أن وصف المتجردة زوجة النعمان بن المنذر وغضب النعمان منه فهرب خوفاً من انتقامه إلى ملوك غسان بالشام، كان النابعة يأكل ويشرب في آنية من الفضة والذهب من عطايا النعمان وأبيه وجده لحبهم له.

فلما بلغه أن النعمان عليل لا يرجى، ألقه ذلك ولم يملك الصبر على البعد عنه مع علته وما خافه عليه وأشفق من حدوثه به، فصار إليه وألفاه محمولاً على سريره ينقل ما بين الغمر وقصور الحيرة فقال لعصام بن شهبر حاجب النعمان:

ألم أقسم عليك لتخبرني أمحمولاً على النعش الهمام
فإني لا ألومك في دخولي ولكن ما وراءك يا عصام
فإن يهلك أبو قابوس يهلك ربيع الناس والشهر الحرام
ونمسك بعده بذناب عيش أجب الظهر ليس له سنام

وكانت ملوك العرب إذا مرض أحدهم حملته الرجال على أكتافهم يتعاقبونه فيكون كذلك على أكتاف الرجال لأنه عندهم أوطأ من الأرض.

يقول النابعة لعصام حاجب النعمان: لست ألومك بمنعك إياي عن الدخول إليه، ولكن أعلمني حقيقة خبره.

وقيل أيضاً بأن المثل لامرأة من أهل اليمن يقال لها «عصام».

* الأغاني: ٢٩/١١. ومجمع الأمثال: ٢٦٢/٢. وجمهرة الأمثال: ٥٦٩/١.

(١) طرَّ شاربه: نبت.

١٠٤ - لَجَمَلُ أَهْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ :

يقال تحقيراً للشخص . وكانت العرب تضرب بالجملة المثل في الهوان . وفي ذلك قال العباس بن مرداس :

لَقَدْ عَظَمَ الْبَعِيرُ بِغَيْرِ لُبٍّ وَلَمْ يَسْتَعْنِ بِالْعِظَمِ الْبَعِيرُ
يُصَرِّفُهُ الصَّبِيُّ بِكُلِّ وَجْهِ وَيَحْبِسُهُ عَلَى الْخَسْفِ الْجَرِيرُ
وَتَضْرِبُهُ الْوَلِيدَةُ بِالْهَرَاوِي فَلَا غَيْرَ لَدَيْهِ وَلَا نَكِيرُ

* ديوان الحماسة: ص ٤١٩؛ وشرح نهج البلاغة: ٥٧/١٨.

١٠٥ - وافق شَنَّ طَبَقَةَ :

قال الشرقي بن القطامي : كان رجل من دهاة العرب وعقلائهم يقال له شَنَّ، فقال: والله لأطوفنَّ حتى أجد امرأة مثلي أتزوجها. فبينما هو في بعض مسيره إذ وافقه رجل في الطريق، فسأله شَنَّ: أين تريد؟ قال: موضع كذا، يريد القرية التي يقصدها شَنَّ، فوافقه حتى إذا أخذوا في مسيرهما قال له شَنَّ: أتحمّلني أم أحملك؟ فقال له الرجل: يا جاهل أنا راكب، وأنت راكب، فكيف أحملك أو تحمّلني؟ فسكت شَنَّ، وسارا حتى إذا قربا من القرية إذا بزرع يحصده أهله، فقال شَنَّ: أترى هذا الزرع أُكِلَ أم لا؟ فقال الرجل: يا جاهل، ترى نباتاً مستحصداً وتقول أُكِلَ أم لا؟ فسكت عنه شَنَّ، حتى إذا دخلا القرية لقيتهما جنازة. فقال شَنَّ: أترى صاحب هذا النعش حياً أو ميتاً؟ فقال الرجل: ما رأيت أجهل منك! ترى جنازة تسأل عنها أميِّتٌ صاحبها أم حي؟ فسكت شَنَّ عنه، فأراد مفارقتة فأبى الرجل أن يتركه حتى يصير به إلى منزله، فمضى معه.

وكان للرجل بنت يقال لها طبقة. فلما دخل عليها أبوها سألته عن ضيفه، فأخبرها بمرافقته إياه وشكا لها جهله وحدثها بحدثه، فقالت: يا أبت ما هذا بجاهل.

أما قوله: «أتحملني أم أحملك» أراد: أتحدثني أم أحدثك حتى نقطع طريقنا. وأما قوله أترى الزرع أُكِلَ أم لا، فأراد هل باعه أهله وأكلوا بثمه أم لا؟ وأما قوله في الجنائز - فأراد: هل ترك عقباً يحيا بهم ذكره أم لا.

فخرج الرجل فقعد مع شن فحادثه ساعة ثم قال له: أتحبُّ أن أفسِّر لك ما سألتني عنه؟ قال: نعم فسَّره، ففسره. قال شن: ما هذا من كلامك، فأخبرني عن صاحبه. قال: ابنة لي. فخطبها إليه، فزوجه إياها، وحملها إلى أهله، فلما رأوها قالوا: «وافق شُنُّ طبقة» فذهبت مثلاً.

* جمهرة الأمثال: ١٧٦/١؛ ومجمع الأمثال: ٤١٨/٣.

فهرس المحتويات

٣ تقديم
الباب الأول النوادر والطرائف	
٧ [المهدي والأعرابي]
٨ [أعرابي موظف مختلس]
٨ [نذرت دجاجة سمينية]
٨ [دعاء أعرابي لأمه]
٩ [هاؤم اقرؤوا كتابيه]
٩ [إن وجد فراشًا فليل]
٩ [٧٠٠ جلدة لكثرة الشكر]
٩ [أعرابي لا يجاهد]
١٠ [شرب الخمر لضعف السند]
١٠ [السكران وبول الكلب]
١١ [أعرابي يقوم الليل]
١١ [رمى الصرة وخرج]
١١ [هروب الأعرابي من الإمام]
١١ [حيله مسخ لإكرام الملك]
١٢ [ما فيكم من يعرف أباه]
١٢ [ضطره أجرة وصفة طب]
١٣ [عند الشدة يكون الفرج]

١٣ [أعمى كصندوق فارغ]
١٤ [الديك والكلب وانتقاض وضوء الثعلب]
١٤ [سقاية اللبن بالمبولة]
١٥ [دواء للسمنة]
١٦ [صدقة بـ ٧٠٠ ضعف]
١٧ [خفي حنين]
٢٣ المزاح والظرف
٣٦ نوادر أبي العيناء ومخاطباته
٥٤ ومن رسائل أبي العيناء وكلامه المستحسن
٦٣ نوادر مزبد
٧٥ نوادر أبي الحارث جُمَيْن
٧٩ نوادر الجَمَّازُ
٨٤ نوادر المجانين
٩٧ نوادر البخلاء
١١٢ كلام الشَّطَّار وَمَنْ يجري مجراهم، ونوادرهم
١٢١ العي ومكاتبات الحمقى
١٢٨ نوادر من النحو واللحن
١٣٦ نوادر المختثين
١٤٨ نوادرُ اللاطةِ
١٥٦ نوادر البغائين
١٥٩ نوادر جحا
١٦٤ نوادر أشعب
١٦٨ نوادر السُّؤال
١٧٢ نوادر المعلمين
١٧٨ نوادر الصَّبيان

- ١٨١ نوادر للعيد والممالك
- ١٨٤ اتفاقات عجيبة في الجد والهزل
- ١٩٣ الحمقى والمغفلون
- ١٩٧ [فحص لعقل الرجال]
- ١٩٧ [أخلاق الحمقى]
- ١٩٧ [ست خصال للأحمق]
- ١٩٨ [علامة الحمق]
- ١٩٨ [لا تواخ الأحمق]
- ١٩٨ [لا تغضب على الحمقى]
- ١٩٩ [ثلاثة لا تتصف]
- ١٩٩ [الناس أربعة]
- ٢٠٠ [هبة]
- ٢٠١ [أخذ مفاتيح الكعبة بزق خمر]
- ٢٠٢ [سقط القميص]
- ٢٠٢ [صلب الميت لتوفير ٣ دراهم]
- ٢٠٣ [لا تعجلوا بالتوبة]
- ٢٠٣ [اختبأ خشية الأجرة]
- ٢٠٣ [دفن المال]
- ٢٠٤ [عقد الأصابع للحساب]
- ٢٠٤ [شراؤه لباز ميت]
- ٢٠٤ [تمنى السقوط بألف]
- ٢٠٦ [غلط في الفعل وأخطأ في الاعتذار]
- ٢٠٨ [حد على البهائم]
- ٢٠٨ [دواء الحرارة بالموت]
- ٢٠٩ [سرقة حمار بحيلة عقوق]

٢١٠	[نجم التيس]
٢١٠	[رجلان يسلبان ٦٠ رجلاً]
٢١١	[عائد مريض]
٢١٢	[هارب من شهر رمضان]
٢١٢	[أريد أن أضحك]
٢١٢	[طول اللحية حمق]
٢١٣	[ماتوا جميعاً]
٢١٣	[مسخت كلباً وكفيت حرباً]
٢١٣	[حججت قبل حفر زمزم]
٢١٤	[حلف أن لا يتكلم بالبحر]

الباب الثاني في خلق الجنّ

٢١٥	قبائل الجن وطرد إبليس
٢١٦	من مكاييد الشيطان
٢١٧	المتشيطنة
٢١٧	ومن حكاياتهم
٢٢٠	في ذكر عجائب المخلوقات
٢٢٠	عَوَج بن عَنق
٢٢١	عَنق أمُّ عوج بن عنق
٢٢١	قومٌ يرون الجنّ
٢٢٢	... ويسمعون جَسَّها
٢٢٢	الجنّ تبني مدينة تدمر
٢٢٣	الحرقانة
٢٢٣	الحيّة ذات الرأسين
٢٢٤	أسماء الغول عند العرب

- ٢٢٤ عموا ظلاماً!
- ٢٢٥ تغول الغيلان
- ٢٢٦ حكايات عن الغول
- ٢٢٦ ■ رَجُلٌ عَنَزَ
- ٢٢٦ ■ تَلْوُنُ الغول
- ٢٢٧ ■ غلامٌ من الغيلان
- ٢٢٧ ■ تزوج الغول وأولدها بنين
- ٢٢٩ سَعْدَةُ بنت جُرْهُم الساحرة
- ٢٣٣ قتلتهما الجن (حرب بن أمية ومرداس بن أبي عامر)
- ٢٣٤ ابن الحمارس والجن
- ٢٣٧ عبيد بن أيوب العنبري رفيق الغول والسعلاة
- ٢٣٨ حكاية الثُّورَة وتأمّر الجن على زواج سليمان من بلقيس
- ٢٣٩ شياطين الشعراء
- ٢٤٠ ■ شيطان حسان بن ثابت الأنصاري
- ٢٤١ ■ شيطان الأعشى
- ٢٤٢ ■ دُغْبَلُ الخزاعي ورجلٌ من الجنّ
- ٢٤٣ ■ عبيد بن الأبرص وشجاع الجنّي

الباب الثالث

أساطير العرب

- ٢٤٦ ■ أسطورة شداد بن عاد
- ٢٥٠ ■ قصة لقمان بن عاد والنسور السبعة
- ٢٥٥ حكايا عن النبي سليمان
- ٢٥٥ ■ قصة العنقاء والنبي سليمان (في القضاء والقَدْر)
- ٢٥٥ العنقاء والفتاة
- ٢٥٥ لقاء الشاب والفتاة

- ٢٥٧ في مجلس النبي سليمان
- ٢٥٨ ■ بساط سليمان
- ٢٥٩ ■ خاتم سليمان
- ٢٥٩ ■ حشر الجن لسليمان
- ٢٦٠ ■ خبر الرجل الذي قُبض بأرض الهند
- ٢٦١ ■ زوال ملكه أربعين يوماً
- ٢٦١ ■ صخر الجنّي
- ٢٦٢ ■ الجنّي يسرق خاتم سليمان
- ٢٦٤ ■ سليمان يطوف الأرض
- ٢٦٤ ■ سليمان وشجرة الخروب
- ٢٦٥ ■ ذكر حشر الطير لسليمان بن داود
- ٢٦٧ ■ وادي النمل
- ٢٦٨ ■ سليمان وملك الموت
- ٢٧٠ ■ سليمان وملكة سبأ
- ٢٧٣ ■ سليمان والنملة
- ٢٧٣ خطيئة داود
- ٢٧٥ النبي موسى وسحرة فرعون
- ٢٧٧ حكايا وأساطير عن الإسكندر
- ٢٧٨ ■ قصة الإسكندر وملك الهند
- ٢٨١ ■ حكمة من الصين
- ٢٨٢ ■ ملكة صينية
- ٢٨٣ ■ ما قيل عند نعش الإسكندر
- ٢٨٣ ■ أسطورة بناء الإسكندر لمدينة الإسكندرية
- ٢٨٥ ■ منارة الإسكندرية
- ٢٨٦ عوج بن عنق

- ٢٨٧ قصة عبد الله بن جدعان والكنز
- ٢٨٩ يوسف وزليخا
- ٢٩٠ قصة سواد بن قارب الدؤسي
- ٢٩٢ أسطورة بناء تدمر
- ٢٩٣ ■ العنكبوت في الأسطورة
- ٢٩٤ من أساطير كاتمندو في نيبال إنسان الثلج
- ٢٩٦ حديث هلاك عاد
- ٢٩٧ ■ وفد عاد
- ٢٩٨ ■ أبو سعيد المؤمن ينصح عاداً
- ٢٩٩ ■ سير الوفد إلى الكعبة
- ٣٠٠ ■ هزيمة العمليوية تصف كارثة قوم عاد
- ٣٠٣ كتابة «باسمك اللهم»

الباب الرابع

أمثال العرب

- ٣٠٥ ١ - أَبْصَرُ من زرقاءِ اليمامة
- ٣٠٦ ٢ - أَجْمَلُ من ذي العِمامة
- ٣٠٦ ٣ - أَجْهَلُ من قاضي جُبَلٍ
- ٣٠٧ ٤ - أَجْوَدُ من هَرِمٍ
- ٣٠٧ ٥ - أَجْوَرُ من قاضي سَدُومٍ
- ٣٠٧ ٦ - أَخْطَبُ من سَحْبَانَ وائلٍ
- ٣٠٨ ٧ - أَبْطَشُ من دَوْسَرَ
- ٣٠٩ ٨ - أَبْطَأُ من غرابِ نوحٍ
- ٣٠٩ ٩ - أَبْرَمًا وَقَرُونًا؟
- ٣١٠ ١٠ - إِنَّ الحبيبَ إلى الإخوانِ ذو المالِ
- ٣١٠ ١١ - أَحْمَقُ من أبي عَبْشَانَ

- ١٢ - أَشَامٌ من أحمرِ عاد ٣١١
- ١٣ - أَرَبْتُهُ النجومَ وسطَ النهار ٣١٢
- ١٤ - أَدَقُّ من خَيْطٍ باطل ٣١٣
- ١٥ - أَلَامٌ من أَسْلَم ٣١٣
- ١٦ - أَخْسَرُ من حَمَالَةِ الحطب ٣١٣
- ١٧ - ارحموا عزيزَ قومِ دَلٍّ ٣١٤
- ١٨ - أَخَنْتُ من طُوَيْسٍ ٣١٤
- ١٩ - أَخْصَبُ من صبيحةِ ليلةِ الظُّلْمَة ٣١٦
- ٢٠ - الشَّمَاتَةُ لَوْم ٣١٧
- ٢١ - صارت الفِتْيَانُ حُمَامًا ٣١٧
- ٢٢ - إِذَا مَا القارِطُ العَنَزِيُّ أَبَا ٣١٩
- ٢٣ - أَعَزُّ من مَرَوَانِ القَرِطِ ٣٢٠
- ٢٤ - أَبْلُغُ من قُسِّ ٣٢٠
- ٢٥ - آكَلُ من السُّوس ٣٢١
- ٢٦ - أَكْثَرُ من الصديقِ فإنك على العدوِّ قادر ٣٢٢
- ٢٧ - إِذَا جاء الحَيْنُ حَارَتِ العين ٣٢٢
- ٢٨ - إِنَّهُ لَهَيْتَرُ أَهْتَار ٣٢٣
- ٢٩ - أَنَا ابنُ جَلَا ٣٢٣
- ٣٠ - إِذَا زَلَّ العالِمُ زَلًّا بزَلَّتْهُ عالَمٌ ٣٢٤
- ٣١ - أَمَكْرًا وَأَنْتَ بالحديدِ؟! ٣٢٤
- ٣٢ - أَسَدٌ عليٌّ وفي الحروبِ نعامَةٌ ٣٢٤
- ٣٣ - أَقْرَى من مطاعيمِ الرِّيح ٣٢٥
- ٣٤ - أَقْرَى من زادِ الرِّكب ٣٢٥
- ٣٥ - أَقْرَى من حاسي الذهب ٣٢٦
- ٣٦ - أَقْرَشُ من المعجَبِّين ٣٢٦

- ٣٧ - أَلَوْتُ بِهِ عُنُقَاءَ مُغْرِبٌ ٣٢٧
- ٣٨ - أَحَبَّهَا وَشَيَّعْتَهُ بِالْبَعْرَاتِ ٣٢٨
- ٣٩ - أَسَدَةٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ ٣٢٨
- ٤٠ - أَنَا الْغَرِيقُ وَمَا خَوْفِي مِنَ الْبَلَلِ ٣٢٩
- ٤١ - إِنَّ الْبَيْعَ مُرْتَخِصٌ وَغَالٍ ٣٣٠
- ٤٢ - أَشَأْمٌ مِنَ الْبَسُوسِ ٣٣٠
- ٤٣ - أَثْقَلُ مِنَ الْكَانُونِ ٣٣١
- ٤٤ - أَتَقَى مِنْ مِرَاةِ الْغَرِيبَةِ ٣٣٢
- ٤٥ - أَنُومٌ مِنَ الْفَهْدِ ٣٣٢
- ٤٦ - أَنْكَدُ مِنْ تَالِي النِّجْمِ ٣٣٣
- ٤٧ - أَحْلَمُ مِنَ الْأَحْنَفِ ٣٣٤
- ٤٨ - أَخْرَقُ مِنْ نَاكِئَةٍ غَزَلِهَا ٣٣٥
- ٤٩ - أَخْرَقُ مِنْ حَمَامَةٍ ٣٣٥
- ٥٠ - انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ٣٣٥
- ٥١ - بَيْقَةٌ صُرِمَ الْأَمْرِ ٣٣٦
- ٥٢ - بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَى ٣٣٦
- ٥٣ - بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ ٣٣٧
- ٥٤ - بِيضَةُ الْعُفْرِ ٣٣٧
- ٥٥ - بِشَسَ الرَّذْفُ «لَا» بَعْدَ «نَعَمٍ» ٣٣٨
- ٥٦ - جَارٌ كَجَارِ أَبِي دَوَادٍ ٣٣٨
- ٥٧ - جَزَاءُ سَيْنِمَارٍ ٣٣٩
- ٥٨ - تَرِبَتْ يَدَاكَ ٣٣٩
- ٥٩ - تَرَكْتُهُ تُعَنِّيهِ الْجِرَادَاتَانِ ٣٤٠
- ٦٠ - حَدِيثُ خُرَافَةٍ ٣٤١
- ٦١ - الْحَرْبُ سِجَالٌ ٣٤٢

- ٦٢ - حَتَّى يَأْتِيَ المَثَلُ ٣٤٢
- ٦٣ - حُذِّهِ وَلَوْ بِقُرْطَبِيِّ مَارِيَةَ ٣٤٣
- ٦٤ - خَالَفَ تُذَكَّرُ ٣٤٣
- ٦٥ - الخَرَسُ لَا يُبْطِلُ الزَّوْجَ ٣٤٤
- ٦٦ - زَمَنْ الفِطْحَل ٣٤٥
- ٦٧ - رَجَعَ بِخَفِيِّ حُنَيْن ٣٤٦
- ٦٨ - زَوْجٌ مِنْ عُوْدٍ خَيْرٌ مِنْ قَعُوْد ٣٤٧
- ٦٩ - زُرْ غَبًّا تَزِدُّ حَبًّا ٣٤٧
- ٧٠ - عِشْ عَزِيزاً أَوْ مِثْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ ٣٤٧
- ٧١ - عَلَى الخَبِيرِ سَقَطَتْ ٣٤٨
- ٧٢ - اعْقِلْ وَتَوَكَّلْ ٣٤٩
- ٧٣ - العَجَبُ كُلُّ العَجَبِ ، بَيْنَ جُمَادَى وَرَجَب ٣٤٩
- ٧٤ - عِنْدَ جُهَيْنَةَ الخَبْرُ اليَقِينُ ٣٥٠
- ٧٥ - فِي بَيْتِهِ يُوْتَى الحَكْم ٣٥٢
- ٧٦ - هَذَا حِضْرَمٌ ٣٥٣
- ٧٧ - نَعِسَتْ العَجَلَةَ ٣٥٤
- ٧٨ - رَبِّ رَمِيَةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ ٣٥٤
- ٧٩ - خَيْرٌ ذَا بَشْرٍ ذَا ٣٥٥
- ٨٠ - رَمَاهُ اللهُ بِالصُّدَامِ والأَوْلَاقِ والجَذَامِ ٣٥٦
- ٨١ - فِي الصَّيْفِ صَيَّعَتِ اللَّبَن ٣٥٦
- ٨٢ - قَلْبٌ لَهُ ظَهَرَ المِجَنِّ ٣٥٧
- ٨٣ - كَالْمَسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ ٣٥٧
- ٨٤ - سَبَقَ السَّيْفُ العَدْلَ ٣٥٨
- ٨٥ - كَثَابَةُ لِحْلِي مُسْتَعَار ٣٥٩
- ٨٦ - كَأَنَّهُ جَاءَ بِرَأْسِ خَاقَانَ ٣٥٩

- ٣٦٠ ٨٧ - رَبُّ أَكْلَةٍ مَنَعَتْ أَكْلَاتٍ
- ٣٦٠ ٨٨ - كَانَهَا نَارُ الْجُبَابِحِ
- ٣٦١ ٨٩ - وَيَلُّ لِلشَّجِيّ مِنَ الْخَلِيّ
- ٣٦١ ٩٠ - كَدُودَةُ الْقَرِّ
- ٣٦٢ ٩١ - كُفِيَتْ الدَّعْوَةُ
- ٣٦٢ ٩٢ - كُلُّ غَرِيبٍ لِلغَرِيبِ نَسِيبٌ
- ٣٦٢ ٩٣ - كُلُّ شَاةٍ بَرَجَلُهَا مَعْلَقَةٌ
- ٣٦٣ ٩٤ - كَلَاهِمَا وَتَمْرًا
- ٣٦٥ ٩٥ - كَيْفَ أَعَاوَدُكَ وَهَذَا أَثَرُ فَأْسَكٍ
- ٣٦٦ ٩٦ - كَالْكَبْشِ يَحْمَلُ شَعْرَةَ وَزَنَادًا
- ٣٦٧ ٩٧ - كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرَ
- ٣٦٨ ٩٨ - لَا يُصْلِحُ الْعَطَّارُ مَا أَفْسَدَ الدَّهْرُ
- ٣٦٨ ٩٩ - لَعَلَّنِي مُضَلَّلٌ كَعَامِرٍ
- ٣٦٨ ١٠٠ - مَوَاعِيدُ عَرَقُوبٍ
- ٣٦٩ ١٠١ - لَا نَاقَتِي فِيهَا وَلَا جَمَلِي
- ٣٦٩ ١٠٢ - وَلَمَّا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ رِمَانِي
- ٣٧٠ ١٠٣ - مَا وَرَاءَكَ يَا عَصَامُ؟
- ٣٧١ ١٠٤ - لَجَمَلُ أَهْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ
- ٣٧١ ١٠٥ - وَافَقَ شَنْنُ طَبَقَةٍ



جامع نوادير وأساطير وأمثال العرب

طرائف وأخبار ونوادير وقصصٌ مختارةٌ من كتب التراث العربي
ودواوين الشعر والموسوعات الأدبية



Designed & Printed By: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

هاتف 12 / 11 / 5 804810 +961 ص ب 9424 - بيروت - لبنان

فاكس 5 804813 +961 رياض الصلح - بيروت 2290 1107

<http://www.al-ilmiyah.com> info@al-ilmiyah.com

e-mail: sales@al-ilmiyah.com



مشتورات بحوث ودراسات
دار الكتب العلمية®